



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون - تيارت -

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة العلوم الإنسانية - تاريخ

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه الطور الثالث ل. م. د. تخصص: الحضارات
القديمة موسومة:

المرأة في بلاد المغرب القديم منذ بداية العصور التاريخية إلى غاية نهاية من الاحتلال الروماني

إشراف الدكتور علي محمد

إعداد الباحثة:

ومشرف مساعد قفاف البشير

مضوي زاهية

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
أ.د محمد بليل	استاذ التعليم العالي	جامعة ابن خلدون - تيارت -	رئيسا
د. محمد علي	استاذ محاضر "أ"	جامعة ابن خلدون - تيارت -	مشرفا ومقررا
د. البشير قفاف	استاذ محاضر "أ"	جامعة ابن خلدون - تيارت -	مشرفا مساعدا
د. بولخراس حمادوش	استاذ محاضر "أ"	جامعة ابن خلدون - تيارت -	مناقشا
د. ستي صندوق	استاذ محاضر "أ"	جامعة وهران - 1 - احمد بن بلة	مناقشا
د. محمد كاكي	استاذ محاضر "أ"	جامعة زيان عاشور - الجلفة -	مناقشا

السنة الجامعية:

2022-2023 م / 1444-1445 هـ

إلى روح أستاذي الطاهرة بقّة بلخير رحمه الله
لقد غيبك الموت جسدا وستظل بأعمالك و
مآثرك وسيرتك نبزاسا وقدوة لطلبتك
فليجعل الله الجنة مثواك

كلمة شكر وعرفان

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا الذي سدد خطانا ووفقنا إلى مسعانا لإنجاز هذا العمل المتواضع وإتمامه ، راجين من المولى أن ينتفع به كل طالب باحثا ومحبا للعلم .
الى من تحمل معي عناء الجهد والاجتهاد ابي غالم وامي عائشة كلمة الشكر لم ولن توفي حقكما اطلال الله في عمركما وورزقكما زيارة بيت الله والفردوس الاعلى اللهم امييين
وفي هذا المقام لا يسعنا إلا أن أتقدم بأسمى عبارات الشكر والعرفان والتقدير إلى الأستاذ المشرف الدكتور عليلي محمد و الاستاذ الدكتور قفاف البشير لما كان لهما من دور كبير في إخراج هذا العمل للنور من خلال ما قدماه من نصح وتوجيه وإرشادات فشكرا جزيلا لكما ، كما أتقدم بأرقى عبارات الإمتنان للأستاذ الغالي بقعة بلخير رحمه الله الذي كان لي خير معين في مسيرتي رحمه الله برحمته الواسعة .

كما أتقدم بالشكر الجزيل للجنة المناقشة لتفضلها بقبول مناقشة هذه الأطروحة العلمية وإلى أساتذة التاريخ في جامعة ابن خلدون تيارت الذين لولاهم لما وصلنا إلى هذا المقام الكريم فشكرا جزيلا على ما قدمتموه لنا من عطاء كنتم لنا أساتذة وأصدقاء كلمة الشكر لا تكفي مقارنة بالصبر والوفاء ونخص بالذكر الأستاذة العزيرة سموم لطيفة ، والأستاذ قفاف البشير ،الأستاذ حمادوش بولخراس ، والأستاذة سعاد صهران ، والأستاذ مكيد إبراهيم والأستاذ معمر سهلي .

ولا يسعني إلا التقدم بجزيل الشكر لكل من ساعدني في إنجاز أطوار هذا البحث خاصة استاذي ومشرفي الراحل بقعة بلخير رحمه الله ، استاذي ومشرفي محمد عليلي ، استاذي ومشرفي قفاف البشير ،الأستاذة سعاد صهران ،الأستاذ محمود عودة محمد من مصر ، والأستاذة حميدة عويدات القماطي من ليبيا ، والأستاذ مصطفى زعباط ، والأستاذ مصطفى فلاح ، والأستاذ محمد الصغير مصعب كريم ،الأستاذ عماد بونقاب ،الأستاذة صندوق ستي ،الأستاذ فارس دعاس ،و هشام كريم ، زيدان زناني ، والأستاذة قادري حدة ،الأستاذ صالح الزهر .

والشكر موصول كذلك لطلبة ماستر1 و2 حضارات قديمة خاصة الاستاذة حميرات كريمة ، بلكرمة حليلة ، قيدوم الخالدية ، طاعة مليكة ، رباح فاطيمة ، الاستاذ مقبول خالد ، حكيم بوراس ، شريفي عبد القادر ، فشكرا جزيلا على كل المساعدات والعون الذي قدمتموه لي ولكم مني أرقى عبارات الشكر والود والاحترام .

اهداء

إلى سر وجودي واصل كياني ، إلى أعظم قلب الذي منحني العطف والحنان ، إلى التي سهرت من أجلى وإخوتي الليالي ، إلا رفيقتي التي تحملت كل أفعالي وتعذبت من أجل راحتي ولم تبخل يوما بحبها لي إلى عطر الخلود وأجمل شيء في الوجود إلى من تزهو تحت قدميها حدائق الجنة.

أمي الغالية عائشة

إلى سندي في حياتي ورفيق دربي في كل خطواتي ، إلى مصدر قوتي إلهامي ومشجعي للمضي إلى الأمام ، إلى أكبر داعم لي في مشواري وقهر الظروف إيصالي ، إلى الذي كان له الفضل في نجاحي

أبي العزيز غالم

✓ إلى روح شقيقاي عبد الرحيم جمال وعبد الكريم رحمها الله لقد رحلتما بجسديكما عني لكن روحكما لم تغادر روحي.

✓ إلى شمعة أُملي ونور عيني وسندي بعد أبي أخي الغالي أسامة.

✓ إلى اختي ورفيقتي الدائمة الغالية على قلبي من تقف إلى جانبي وتساندني بثينة ودنيا كراس ، وفاطمة ادم

✓ إلى الكتاكيت ادخلا السعادة الى البيت الاسري بوجودهما ابناء اختي نوح عبد الكريم ، وتالين فاطيمة

✓ إلى كل عائلة مضوي ومادوي الكل باسمه خاصة اخوالي وخالتي فاطيمة وابنة خالتي شيما خيرة قوجيل

✓ إلى أسرتي الثانية سندي وأخوتي وأحلى أيامي: الأستاذ العزيز بقة بلخير رحمه الله ، الأستاذ قفاف البشير ، مكيد ابراهيم ، معمر سهلي ، فاطمة أدم ، الأستاذة سموم لطيفة وسعاد صهران الاستاذ بولخراس حمادوش.

✓ إلى أستاذي ومشرفي الذي لم يبخل بتقديم المساعدة لي محمد عليلي وكل أساتذتي بجامعة ابن خلدون .

✓ إلى أساتذتي حبيبة قلبي لطالما شجعتني ووثقت بقدراتي الاستاذة العجال باتول وأسرتها الكريمة

✓ إلى رمز الحب والإخلاص إلى أروع الأصدقاء شلتي: فاطمة أدم ، موفق سمية. هدى العبادي ، محنون خضرة ، ساسي رميساء ، سدار فتيحة ، إيمان حسني ، ياسمين زينة صادوا ، مخلوفي أسماء ، مطمر سامية ، مغربي فريجة ، مولياط زوبيدة ،

✓ إلى أصدقاء الزمن الجميل زمن البراءة والوفاء: دنيا كراس ، قودياح جهيدة ، بلعربي فاطيمة حكيمة مداني مجرّن حنان ، نونة صبرينة ، بلعسل سميرة ، بوليلة صليحة ، دحيري صليحة ، بن ضيف صبرينة.

✓ إلى من ساندني وشجعني إلى من عرفتهم فقط في المواقع وأتمنى لقائهم في الواقع: الأخ والصديق العزيز محمود عودة محمد ، صديقتي الغالية حميدة عويدات القماطي ، خولة بوشامة ، محمد الصغير كريم ، عزالدين جفاطي.

✓ ولن أنسى من خذلني وقهرني وخيب أمالي وسرق أعمالي لكن كان سببا في قوتي ودفعي للأمامي ، هم يعرفون أنفسهم لا سامحهم و لا بآرك الله فيهم وحسبنا الله وحسبنا الله ونعم الوكيل فيهم .

✓ إلى زملائي وأصدقائي ماستر حضارات قديمة دفعة 2016-2018

✓ إلى أعز طلابي: مختار عائشة أحلام هدى فهيمة مليكة خيرة عبد الستار عبد الحق فتحي محمد زيدان.

✓ إلى شهداء الغرق والحوادث أبناء مهدية تيارت وشهداء الحريق أبناء سوق اهراس وشهداء الحريق

بتسميملت عائلة صديقتي إيمان حسني رحمهم الله برحمته الواسعة إلى كل هؤلاء وطالب العلم اهدي عملي هذا.

قائمة المختصرات:

1) بالعربية

ق : القرن

ق.م : قبل الميلاد

م: الميلادي

تر : الترجمة

تع : التعليق

تق : التقسيم

مج : المجلد

ج : الجزء

ط : الطبعة

ع : العدد

د.ت : دون تاريخ

ص : الصفحة

2) بالأجنبية

-Ant Afr : Antiquités Africaines

-CIL : Corpus Inscriptionum Latinarum

-CNRPAH: Centre National de Recherche Préhistorique Anthropologique et Historique

-CRAI : Comptes Rendu de l'Académie des Inscriptions et belles lettre

-.E.B: Encyclopédie Berbère

-Ed: Edition

-H A A N: Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord

Historiques

-Ibidem : ibid

-ILA: Inscriptions Latines de L'Algérie

-Père eitato: o p.cit

- REPPAL : Revue d'Études de la civilisation Phénicienne –Punique et des

-Rev Afri: Revues Africaine

-Tra: Traduction

-VOL: Volume

مقدمه

لطالما شكل موضوع المرأة في بلاد المغرب القديم موضوعا خصباً للدراسة والنقاش لدى المؤرخين والباحثين، لذلك نجد أن هذا الموضوع قد حظي في الآونة الأخيرة بنوع من الاهتمام، فقد تطرقت إليه العديد من الدراسات الأكاديمية التي ساهمت في إبراز مكانتها داخل الأسرة والمجتمع، وكشفاً لأدوارها المرصدة في شتى المجالات خاصة الاجتماعية منها، وبذلك تكونت لدى الباحثين من خلال استنطاقهم للمادة الأثرية وقراءتهم للمصادر الأدبية فكرة عن وضعية المرأة ببلاد المغرب القديم، فمنهم من رأى في فكرة استعبادها وسلبها لكل حقوقها تحت ما يسمى السلطة الأبوية المطلقة التي سيرتها زوجها فيما بعد، والبعض الآخر رأى في تلك العبودية قداسية لها تمنحها استقراراً أسرياً وكذلك من أجل الحفاظ عليها والجنس البشري واستمراره، فبه تتطور الأسرة لذلك وجب وضعها في المكان الذي يليق بها

إحتلت المرأة طيلة الفترة الممتدة منذ العصور الحجرية مرور للفترة التاريخية منذ العهد القرطاجي إلى نهاية الإحتلال الروماني مكانة غير ثابتة، وهذا مادلت عليه مختلف المصادر والدراسات، فقد عُد تواجدها في بيتها لرعاية زوجها وأبنائها والقيام بالأعمال المنسوبة لها حفظاً لها ورفعاً من شأنها، فالمرأة المطيعة لزوجها والمؤدية لمهامها خاصة العناية به، ورعاية وتربية وتعليم أبنائها وتلقينهم سبل العيش، والقيام بكل الواجبات المنزلية المخولة لها، من طبخ وكنس وغسل وغزل وحيافة، ورعاية الحيوانات المستأنسة وحلب المواشي، ومشاركته حتى في أعماله من صيد ورعي وقطف، وحتى في حروبه، فلوها لما استطاع الرجل أن يبرع في اصطياد الحيوانات المفترسة، فالمرأة هي من إختصت بجلب تلك الحيوانات وإستدراجها عن طريق التمويه والتكرير وبرؤوس وأزياء الحيوانات، كما برعت في إستعمال الأدوات الحادة لإستخدامها في الذبح والسلخ والقتال بما هذا ما منحها دوراً جوهرياً داخل أسرتها.

وتعد أول من اهتدى لطريقة جديدة للعيش بدل الصيد والقطف فقط وتمثلت في الزراعة، فكانت مزارعة بامتياز تقوم بالبذر والدرس والحصاد والتخزين، فدورها لم يقتصر على الإنجاب وتكوين الأسرة فقط، فقد عرف عنها براعتها في تسييرها للمهام الإقتصادية من زراعة وصناعة، وحتى التجارة فيما بعد، كل هذه الأعمال ربما إن أتقنتها تفوز بلقب الأم الصالحة والمرية ويشيد زوجها بما

قامت به بعد موتها على إخلاصها وتفانيها، ولكن بالرغم من كل ما قدمته وكل ما قيل عنها ودورها إلا أنها لم تحقق ذاتها، بل أصبحت ترى نفسها أدنى من ذلك، فهي مجرد آلة للإنجاب وإشباع ميول الرجل، وحياتها ملكاً لأبيها إلى حين تزويجها ثم تنتقل الملكية لزوجها يتصرف بها مثل ما يشاء، وهذا الأمر أثر عليها خاصة في حال تأخر إنجابها أو عدمه، فكانت مطالبة بإنجاب الكثير من الأولاد لزوجها خاصة الذكور منهم، ولو على حساب صحتها حتى تفوز بمقعد لها داخل أسرتها وعشيرتها وتلقب بالمرأة الولود، أما المرأة التي لم يحالفها الحظ في الإنجاب فحياتها مهددة بالطلاق الأمر غير المرحب به عند والدها، لذلك تلجأ للسحر والشعوذة والتضرع وتقديم القرابين للآلهة وتكثر زيارتها للقابلة على أمل حصولها على أبناء للحفاظ على نفسها من العادات والأعراف المقيدة بها.

لكن مكانتها الدينية كانت مستقرة لفترة من الزمن لإرتباطها بالأرض والخصوبة مما جعل إنسان ذلك الزمن يقدسها ويؤلفها، بل وحصلت على السلطة أو ما يدعى بالأسرة الأموسية التي كان للمرأة فيها سلطة على الأسرة والرجل، وفي هذه الحالة ينسب الأطفال إليها ويكون بلقبها، فألهمت تارة وتقلدت مهامها في السلم الكهنوتي فكانت الكاهنة تارة أخرى، لكن اضطهدت فيما بعد بتمسكها بالتعاليم المسيحية التي إنتشرت آنذاك في بلاد المغرب القديم، إلا أنها تقلدت مهامها منها القديسة، الشماسة والراهبة العذراء بعد الاعتراف به.

وقد برزت قوتها وأظهرت دهائها حين أصبحت هي المسيطرة على اقتصاد الأسرة والمروجة له داخل المجتمع، بعد أن أصبحت تمتلك الأراضي والثروات التي مكنتها من البروز كطرف فاعل في الحياة اليومية للمجتمع، أما عن ممارستها للصناعة فهي لا تقل أهمية عن باقي المجالات الأخرى، وبرعت فيها كما استطاعت أن تتعلم حرف متنوعة وكل هذا جعل لها مدخول كاف تقتات منه وأسرتها، بل برعت في صناعة المنتجات الحرفية، فأصبحت بعض الحرفة لا يمارسها غيرها، وما لبثت أن طورتها بمساعدة شريكها في ذلك فغزت الأسواق وأصبحت تدير عدة أعمال كانت حكراً على الطبقة الأدنى.

واستطاعت أن تحجز مكانا يليق بها بالأخص إذا كانت صاحبة نفوذ وسلطة، أي من الطبقة الحاكمة النبيلة، فهذه المكانة حولت لها إمتيازات، ومزايا، وصلاحيات مكنتها من الحصول على التقدير والإحترام الذي أوصلها لكرسي العرش، و السلطة أحيانا بدعم الرعية لها ، فبحيويتها وحنكتها وقوتها وكفاءتها الموروثة أو المكتسبة ، أكسبتها الثقة والتقدير داخل الأسرة والمجتمع ، ومن هذا الباب إستطاعت أن تحجز لنفسها مقعدا في عدة مجالات خاصة السياسية والعسكرية منها ،لكن تلك المكانة والسلطة لم تحوّل لها الحماية فان الامتيازات والمزايا الممنوحة لها، أو بالأحرى التي حظيت بها وأكسبتها شأنًا سياسيًا ،جعلت حياتها رهن الملك وتحت تصرفه سواء كان والدها أو زوجها ، فهي تحت تصرفهما ، فبهذا عدت سلاحا ذا حدين خاصة في وقت الحروب والأزمات السياسية ، فإعتبرت مفتاح النجاة والخلاص من فتن الحروب وتهدة الأوضاع ،فكان أي ملك مهزوم أو على وشك الخضوع للعدو يلجأ إلى فكرة تزويج إبنته رغما عنها من أحد أبناء الملك المنتصر، أو أقربائه وربط الدماء الملكية فيما يخدم مصلحة الطرفين السياسية ، أو ما يسمى بالمصاهرة السياسية ، فمن المعروف أن المصاهرة بين الملوك والقبائل تعد من الفرص التي يلجأ إليها ويعمل بها بالأخص في أوقات الحرب ،والمشادات بين أحد الأُسَرتين الحاكمتين لمختلف الدول ذات النفوذ السياسي والاقتصادي بالدرجة الأولى ، لذلك يسعى الطرف المهزوم إلى الإسراع في توطيد العلاقات وحبك هذا الزواج ودمج الزيجات وخلط الدماء الملكية بالزواج السياسي.

وقد تغير وضعها عبر العصور وإستطاعت أن تحرر نفسها من قيود الأسرة والمجتمع ،خاصة مع التواجد الروماني في المنطقة،التي منحها إمتيازات وقوانين تخدمها ،فبحصولها على ثروتها من أبيها أو زوجها ،جعلها ترتقي في السلم الإنساني إلى امرأة لها وزن وقيمة وسيدة محترمة، كما استطاعت أن تمنح فرصة لنفسها بمزاولة الدراسة والتعليم، فعرف عنها شاعرة ، وفيلسوفة ، ومحامية ، وعملت كطبيبة ومسعفة في الحروب، كما وفرت لنفسها خدم وعبيد يخدمها خاصة مع المساواة وحقوقها مع زوجها، هذا الأمر حول لها السلطة داخل أسرتها أكثر ،واستحوذت على زوجها وحتى الإنجاب لم يعد يشكل عائقا أمام تقرير مصيرها، بل لجأت لعمليات الإجهاض والتخلص من الجنين الذي اعتبرته عائقا

أمام تمتعها بالحياة ، فتلك الثروة والحرية أفسد من طبيعة أخلاقها، أصبحت ممن يشجعون ويناشدون بالإستمتاع بملذات الحياة.

ونظرا للأهمية الرقعة الجغرافية الممتدة من نهر النيل شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا ، ما يصطلح عليها بلاد المغرب القديم ، وهذا حسب ما يتلاءم مع فترة الدراسة وهي الفترة القديمة ، رغم أن حدود المنطقة في هذه الحقبة كانت دائمة التغير وهذا يعود لكثرة توافد عناصر بشرية إليها بداية مع التواجد القرطاجي ثم الاغريقي ، ويأتي بعده الإحتلال الروماني هذا كله جعل من المنطقة أرض غير مستقرة جغرافيا، إلا أن ذلك لم يمنع من دراسة أحد أهم العناصر البشرية لتكوين الأسرة والمجتمع في تلك الحقبة الزمنية ألا وهي المرأة المغاربية القديمة .

ويمتد الإطار الزمني للدراسة حسب الموضوع الموسوم ب: المرأة في بلاد المغرب القديم منذ العصور التاريخية إلى نهاية الإحتلال الروماني ، من فترة التواجد الفينيقي في المنطقة وتأسيس مدينة قرطاج على يد الأميرة الفينيقية عليسة في القرن التاسع قبل الميلاد إلى نهاية الإحتلال الروماني والغزو الوندالي لبلاد المغرب القديم عام 430 م، والتي يرى البعض أنها فترة طويلة ، وأن كل الدراسات الأكاديمية تميل إلى تحديد إطار زمني مرتبط بفترة وعهد معين، لكن هذا التحديد يكون صالحا في الدراسات السياسية العسكرية أكثر شيء ، وهذا الأمر لا ينطبق على البحث الذي يهتم بالجانب الاجتماعي الحضاري الثقافي ، لأن التغيرات التي تطرأ عليه من حين لآخر تلزمنا على دراسة الموضوع خلال هذه الفترة الطويلة ، لكن مايجد الإشارة إليه حين تناولنا البحث بالدراسة كان لابد من الرجوع إلى الفترة التي سبقت التواجد القرطاجي في المنطقة ، ويقصد بها العصور الحجرية فلا يمكن البدء مباشرة دون تمهيد للموضوع عن طريق الحقبة التي سبقت ، خاصة وأن تلك الفترة ثرية بالمعلومات حول دور المرأة ومكانتها داخل الأسرة والمجتمع عكس العصور التاريخية، بإستثناء فترة الإحتلال الروماني الذي قدم لنا معلومات عن المرأة في بلاد المغرب عن طريق شواهد والمخلفات الأثرية منها الفسيفساء والنقائش اللاتينية إهدائية وحتى الجنائزية ، لأن طبيعة الموضوع تفرض ذلك.

وتمثل الهدف المرجو من خلال هذه الدراسة هو التعريف بالمكانة والدور الذي لعبته المرأة في بلاد المغرب القديم في عدة مجالات إجتماعية، سياسية، إقتصادية، ودينية ثقافية، وذلك باستخدام جملة من العلوم المساعدة في مقدمتها المنجزات والأبحاث الأثرية، ثم ما قدمته لنا المصادر الأدبية الكلاسيكية، مع إبراز إيجابيات وسلبيات هذا البحث الذي وقع اختيارنا عليه للدراسة، فهذا الموضوع رغم أنه تم تناوله للدراسة من طرف الباحثين، لكن ذلك لا يعني الإمام بكل جوانبه، فإن تم تناول إحد جوانبه أهمل الآخر، لذلك لم يتم إعطائه حقه من الدراسة بالبحث المعمق ومزال يشوبه الكثير من اللبس والغموض الذي يتخلل طياته، لذلك حاولنا الإمام بكل حيثياته بإعطاء دراسة كاملة وشاملة لمختلف مجالاته، إجتماعية، وإقتصادية، وسياسية وحتى دينية وفنية، وتوسيع الإطار الزمني للموضوع كان متعمداً وذلك من أجل إبراز مختلف جوانبه التي كانت مستعصية لدى جمهرة من الباحثين.

وقد تطلب هذا البحث الكثير من الوقت والجهد رغبة في جمع كل ما تم تناوله في دراسات سابقة وإضافة ما هو جديد أوتصحيح ما كان متداولاً من فرضيات وأراء نسبية بالأدلة والبراهين، فقد مثل هذا البحث تحدياً بالنسبة لي.

ولتحقيق هذه الأهداف ونظراً لأهمية الموضوع المدروس كان لزاماً علينا بناء اشكالية تتمحور حول الموضوع وتتمثل في التساؤلات التالية :

إلى أي مدى استطاعت المرأة أن تبرز مكانتها داخل الأسرة و المجتمع في المغرب القديم؟

كيف إستطاعت المرأة إثبات دورها في عدة مجالات كانت حكراً على الرجل فقط ؟

ما العلاقة التي جمعت المرأة بالأرض؟ وفيما يكمن أمر تقديسها؟

كيف نظر مجتمع المغرب القديم إلى زواج المرأة؟

هل ظاهرة تعدد الزوجات كانت تهدف إلى الإكثار من الإنجاب أم تحقيق المتعة الجنسية ؟



وهل يمكن اعتبار المرأة هي أول من وضعت الأسس التي تقوم عليها الحياة الاقتصادية في المجتمع المغربي القديم؟

ما هي المكانة التي إحتلتها دينيا وثقافيا؟

وهل خولت لها السلطة السياسية أن تتحرر من قيود الأسرة والمجتمع؟

إلى أي مدى ساهمت المرأة في قيام الأسرة والمجتمع في بلاد المغرب القديم ؟

لإجابة عن هذه التساؤلات اعتمدنا في الأساس على عدة مناهج، أولها المنهج التاريخي الوصفي الذي يختص بتقديم دراسة وصفية للموضوع على ضوء ما توفر لنا من معطيات أثرية ومصادر أدبية، والثاني المنهج المقارن نتيجة لتضارب وتباين المعارف فيما بينها، وثالثا المنهج التفسيري الذي يهتم بدراسة تفسيرية وتحليلية موضوعية وفقا لدراسة المناولة، وذلك حسب المعلومات التي تم إستخراجها من مختلف المصادر بنوعيتها الأثري والأدبي، ومقارنة المعطيات وتحليلها وفق ما تم الوصول إليه من أبحاث حول الموضوع .

وحتى يستجيب الموضوع لمتطلبات البحث العلمي وظفنا مادته التاريخية في قالب علمي تتضمنه الخطة التالية مقدمة وفصل تمهيدي وأربعة فصول رئيسية وخاتمة .

الفصل الأول عنون بالمرأة وتأسيس الأسرة ببلاد المغرب القديم فيه تناول العناصر التالية: ماهية الزواج وطقوسه، فتحدثنا عن الزواج تعريفا لغتا واصطلاحا أشكال الزواج وأنواعه، طقوس الزواج وشروطه من خطبة ومهر وسنا لزواج وعذرية الفتاة ثم احتفالا به، تناولنا مشكلة الطلاق ووضعية الأرامل وظاهرتي تعدد الزوجات و المشاعة الجنسية والمقارنة بينهما .

وضع الفصل الثاني تحت عنوان مهام المرأة الأسرية ببلاد المغرب القديم، وعالجنا فيه علاقة المرأة بالطفل بداية بالإنجاب، فتناولنا مسالة الحمل والولادة و الإجهاض، ثم أتينا على ذكر مسالة النسب والتبني، ثم كيفية العناية والاعتناء بالأطفال وتربيتهم وتعليمهم، وقضية تقديم القرابين والتضحية بالأطفال، وختمناها

بالوظائف الأسرية للمرأة بداية بالعناية بالمنزل، الصفات التي تحلت بها وأخيرا التفكك الأسري وعلاقته بالمرأة.

أما الفصل الثالث المعنون بالحياة السياسية والعسكرية للمرأة في بلاد المغرب القديم، تناولنا فيه الإرهاصات الأولى لتولي المرأة للسلطة، و تناولنا المكانة السياسية والدبلوماسية للمرأة، وبداية مع المرأة القرطاجية عليسة وصوفونيزب، وبعدها مع الملكة الطرقية تين هينان، ثم تحدثنا عن المرأة والجيش، وبداية مع النساء المحاربات الامازونات، وبعدها مع أسرة نوبل والأميرة سيريا، ثم تناولنا قضية المصاهرة السياسية مع بلدان الحوض المتوسطي القدماء المصريين، والفينيقيين ثم الإغريق و الرومان.

وخصصنا الفصل الرابع الذي عنوناه الحياة الاقتصادية للمرأة في بلاد المغرب القديم، فتطرقنا فيه إلى العناصر التالية: المرأة و الصيد والرعي، فتحدثنا عن أمور القنص واستئناس الحيوان، ثم أتينا على ذكر ممارسة المرأة للزراعة وعلاقتها بالخصوبة والأرض والطقوس المتمثلة عن استدرار المطر ،تناولنا مهنتي الصناعة والتجارة ،ودور المرأة من صناعة النسيجية والحلي والفخار، وغزو الأسواق والمعاملة بالبيع والشراء والحصول على الميراث وسك عملة تحمل إسمها دلالة على قوتها.

وعالجنا في الفصل الخامس والأخير الحياة الدينية والثقافية للمرأة ببلاد المغرب القديم: بداية كانت مع المهام الدينية للمرأة في بلاد المغرب القديم، فعالجنا المرأة والدين فيما قبل التاريخ ، الآلهة المحلية والوافدة، وذات الطابع الإغريقي و الروماني، ثم المهام التي تقلدتها الكاهنة في السلم الكهنوتي ومهامها خلال الفترة المسيحية منها القديسة، و الشماسة ، و العذراء، أما بخصوص الحياة الثقافية و الفنية للمرأة، فتحدثنا عن مختلف ما إرتدته من الألبسة ، والأحذية والقبعات، والحلي، والوشم بأنواعه وتصنيف الشعر، أما الجانب الثقافي عن تعلمها للغة والكتابة والفلسفة ، وممارسة مهنة الطب والحمامة، كما عرفت الموسيقى من عزف وغناء و رقص وتمثيل.

وهناك العديد من الدراسات السابقة التي تطرقت لهذا الموضوع بصفة جزئية وتناولته من زوايا مختلفة، وسوف تستعرض هذه الدراسة جملة من الدراسات التي تم الإستفادة منها كثيرا في إبراز معالم هذا

البحث وإثراءه، ونذكر منها: لخضر بن بوزيد الأثر الديني في مشاهد الرسوم الصخرية لمنطقة الطاسلي - آجر خلال مرحلة ذوي الرؤوس المستديرة (8000-2500 ق.م) الذي قدم لنا معلومات حول المرأة خلال العصور الحجرية سواء إقتصاديا أو إجتماعيا، لكن كانت المعلومات مركزة على دورها الديني في تلك الفترة الزمنية، وكذلك نرجس محمد سويسبي الوضع القانوني للمرأة في المجتمع الروماني حيث استفدنا منها في عرض معلومات عن المرأة المترومنة، وإبراز مكانتها الإجتماعية خلال فترة الإحتلال الروماني، وتأثيرها بجملة من العادات والتقاليد التي كانت في روما نفسها بعد الإحتكاك الكبير بين العنصر الروماني الوافد والعنصر المحلي، وأيضا بنت النبي مقدم الأسرة في بلاد المغرب القديم خلال العهد الروماني الإمبراطوري الأعلى، والذي رافقتنا طيلة عملنا لهذا البحث فقد كانت المعين للتوجه مباشرة لمجموعة من المصادر والمراجع حول الموضوع المدروس، وكذلك فارس دعاس مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب القديم، كلها كانت لها صلة بالبحث في أغلب فصوله وعناصره

وعادة ما يواجه الباحث أو الدارس لمثل هذه المواضيع صعوبات جمة، لأن من عادة المصادر التاريخية الإسهاب في التاريخ السياسي العسكري، والإعراض فيما دون ذلك من الموضوعات، خاصة الإجتماعية منها أو يتم تناولها بشكل عام ومختصر، فالمادة التاريخية المتعلقة بهذا الموضوع قليلة نوعا ما أو بالأحرى عبارة عن شذرات متناثرة بين مختلف المصادر والمراجع.

وقد إعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع التي تصب في صلب الموضوع فمن المصادر نذكر:

- هيرودوت (Hérodote) (425-484 ق.م) أبو التاريخ وكتابه المسمى "التواريخ" خاصة الجزء الرابع منه، الذي الذي تناول فيه أهم شعوب وقبائل بلاد المغرب القديم، وتحدث فيه عن عادات وتقاليد وطقوس تلك الأسر وكل، ما يخص المرأة ومكانتها الاجتماعية داخل الأسرة والمجتمع، كما أشار إلى أهم معبودات وطقوس عبادتها عند الليبيين، وكيف تم تقديسها.

- بليينوس الكبير (Plin l'ancien) (24-79 م) ومؤلفه "التاريخ الطبيعي"، وقد أفادنا هو الآخر في كل ما يتعلق بإقتصاد المنطقة، ولا يختلف كثيرا عن ما دونه هيرودوت عن النمط المعيشي لتلك القبائل والأسر وإبراز الدور الفعال للمرأة خاصة فيما يتعلق برعايتها لأطفالها وزوجها.

- ديودور الصقلي (Diodor du Sicile) (90-20 ق.م) وكتابه الموسوم بـ "المكتبة التاريخية"، وأفدنا هذا الأخير في معرفة بكل ما يتعلق المتعلق بالآلهة الفينيقية خاصة الطقوس المصاحبة للإله بعل حمون وتانيت، وكل ما يتعلق بطقوس تقديم القرابين البشرية خاصة الاطفال في قرطاجة ونوميديا.

- إسترابون (Strabon) (60-23 ق.م) ومؤلفه "جغرافية سترابون"، التي تتكون من سبعة عشر كتاب، والكتاب السابع عشر مخصص لجغرافية المغرب القديم، وتناول فيه وصفا لجغرافية المنطقة مع ذكر بعض نباتاتها وحيواناتها كما، أنه تناول فيه ما سبقه من المؤلفين فلم يخفى عليه الامور الدينية والاجتماعية للمنطقة وهذا ساهم في عرض أدوار المرأة في مختلف المجالات ومن الكتاب الأفارقة نذكر:

- ترتليانوس (Septimus Flourens Tertullianus Quintus) (150-222 م) ومؤلفه المعنون بـ "الدفاع"، الذي تناول فيه أهم المعبودات الرومانية وطقوسها، لكن ذلك لا يعني أنه لم يتناول في حديثه عن الأمور الدينية وعلاقتها في تنشئت الأسر، ودور المرأة في ذلك، وأهم ما أشار إليه قضية تخلي الأم عن ابنها، أو بالحرى قتله عن طريق إحماضه، وتحريم ذلك بموجب النصوص الدينية، وكذلك كل ما يتعلق بأمر الزواج والطلاق.

- لوكيوس ابوليوس المادوري (Apuleius) وكتابه "لحمار الذهبي والمرافعة او الدفاع"، والذي تناول فيه بالمحمل قضية أخلاق المرأة الرومانية، أو المترومنة من فساد و"نحراف"، وممارستها للزينة بكل أنواعها وأشكالها.

وقد "اعتمدنا على العديد من السجلات والمدونات التي تضم مختلف النقائش لبلاد المغرب القديم، نذكر

منها: سجل النقائش اللاتينية "C. I. L" Corpus Inscriptionum Latinarum

، وسجل النقوش اللاتينية في الجزائر "Inscriptions Latines de L'Algérie"، والتي أفادتنا كثيرا في كل ما يتعلق بقضية الانجاب و النسب والتبني، فهذه السجلات تحمل في طياتها كل المعطيات و"حصاءات والمعلومات حول الحالات المدنية، والوضعية الديموغرافية للأسر في بلاد المغرب القديم .

وكذلك "عتمدنا على بعض المصادر التي تعود للفترة الاسلامية نذكر منها : أبي عبيد البكري في كتابه المغرب في ذكر "افريقيا والمغرب، حسن الوزان بن محمد الفاسي (ليون الافريقي) وكتابه وصف افريقيا، أبو عبد الله ابن ابراهيم اللواتي الطنجي (ابن بطوطة) وكتابه رحلة ابن بطوطة تحفة النظار لغرائب الأمصار

وعجائب الأسفار، التي تناولت قضية مكانة المرأة الاجتماعية وبالأخص فيما يتعلق بإستمرارية المشاعة الجنسية من عدمها في الفترة الإسلامية .

كما إعتمدنا على مجموعة من المراجع الأساسية نذكر منها: نضار الأندلسي في كتابها الذي يحمل عنوان: الحياة اليومية للمرأة في بلاد المغرب القديم، وكتابها الثاني بعنوان شخصيات نسائية في تاريخ شمال إفريقيا القديم، وقد إستفدنا منهما في كل مراحل إنجاز هذه الرسالة وبكل ما يتعلق بأحوال المرأة الاجتماعية والإقتصادية وحتى العسكرية السياسية .

وكتب محمد الهادي حارش دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة، مملكة نوميديا دراسة حضارية منذ أواخر القرن التاسع الى منتصف القرن الاول قبل الميلاد، التي كان لها أثر في إثراء الموضوع خاصة في الجانب الاجتماعي لتناولها أهم القبائل وعاداتهم و، كذلك السياسية العسكرية لذكرها أهم الملوك، وملكات بلاد المغرب القديم .

وكتب محمد الصغير غانم، ولعل أهمها كتابه الملامح الباكورة للفكر الديني الوثني في شمال أفريقيا، وتكمن أهميته في ذكره لكل الآلهة التي عبدت في بلاد المغرب القديم و، كاتبه سيرتا النوميديّة النشأة والتطور، ومعالّم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، حيث كان لهما نصيب في الموضوع ولو بشكل وجيز . وكذلك أعمال الباحثة مقدم بنت النبي نذكر منها : هيروودوت يتحدث عن الحياة الاجتماعية لسكان بلاد المغرب القديم، المرأة في بلاد المغرب القديم خلال العهد الروماني الأول (27ق.م-284م)، عادات وتقاليد سكان بلاد المغرب القديم ومدى تأثيرها على الأسرة، والتي من خلالها كانت لنا صورة وإنطلاقة في الموضوع.

أما بخصوص المراجع الأجنبية فنذكر منها: (Stéphane Gsell) وكتابه (Histoire ancienne de L'Afrique du Nord)، وقد ساعدنا في جل أطوار البحث.

وكأي بحث يتم دراسته لا يخلو من الصعوبات، لكن الصعوبات التي واجهتنا ليست مشكلة قلة أو كثرة المصادر والمراجع أو عدم التحكم فيها، وبل تمثل في عدم حصولنا على بعضها رغم وجودها، ولا يمكن تجاهل أمر التأخر في البدا و التحرير فكانت بالمقدور إنجازها في وقت مضى، ومن أصعب ما وجهته هو فقدان مشرفي الأستاذ بقة بلخير رحمه الله برحمته الواسعة الذي كان يحثني على العمل والمثابرة والاجتهاد، ويشق بقدراتي فبوفاته فقدت شغف الدراسة لهذا تهاوننت على إتمام العمل.

I) الفصل الأول: المرأة وتأسيس الأسرة ببلاد المغرب القديم

I-1) ماهية الزواج وأنماطه.

I-2) شروط الزواج وطقوسه.

I-3) الطلاق.

I-4) الأرامل.

I-5) تعدد الزوجات.

I-6) المرأة ومسألة المشاعة الجنسية (البغاء المقدس).

الزواج هو علاقة مقدسة تجمع بين الرجل والمرأة، ويجب أن تبنى هذه العلاقة على أساس متين وقوي، يسوده المحبة والتفاهم والترابط بينهم، ويجب أن يفهم كلٌّ منهما الطرف الآخر، وهذا من أجل أن تكون الحياة الزوجية حياة سعيدة وخالية من المشاكل التي تنتج عادة من إختلاف في وجهات النظر، فالزواج نظام بشري وواحد من أهم النظم الاجتماعية التي أولاها الباحثون في مجال الأنثروبولوجيا إهتماما كبيرا، وأفردوا دراسات خاصة ناقشوا فيها كل المسائل المرتبطة به، كونه يمثل رابطة مقدسة تؤدي إلى تكوين الأسرة.

I-1) ماهية الزواج وأشكاله:

يعد الزواج بمثابة الجوهر الضامن لإستمرار الجنس البشري وبقائه، وذلك بتحقيقه لحاجات الإنسان الطبيعية التي جبل عليها، وقيام علاقة إجتماعية بين الزوجين أو بالأحرى بين الأسرتين المتصاهرتين تنظمها مجموعة من القوانين والأعراف والتقاليد، لكن يتغير مفهومه خاصة في مجتمع تحكمه ظاهرة المشاعية والإقبال على البغاء كالمجتمعات المغاربية القديمة، فكان الزواج بعيدا عن مفهومه المعتاد، فأصبحت ترافقه الإباحية لتحقيق طقوسه، وإلا لا يسمى زواجا مكتملا عند هاته الشعوب القديمة.

مما لا شك فيه أن الأسرة في المجتمع المغاربي القديم، تعد أسرة زواجه بإمتياز نشأت عن رابطة الزواج، الذي يتكون عادة من الأب والزوجة (الأم) والأبناء، وهي في ذلك تشبه الأسرة في الحضارة الفينيقية والإغريقية والرومانية...⁽¹⁾ لتتطور حسب الظروف بالمفهوم الأكبر والأوسع للأسرة مكونة بذلك العائلة ثم القبيلة، التي تنشأ عن روابط القرابة (الأمومة، الأبوة، الأخوة والمصاهرة)، لذلك أطلق الرومان لفظي عائلة (Familiā) وقبيلة (Tribus) على الأسرة المغاربية الكبيرة⁽²⁾.

I-1-1) ماهية الزواج:

يعرف الزواج على أنه مهمة تؤديها التقاليد، وهو قوام التشريع الخلقي لجماعة من الجماعات، فتتنظيم العلاقات بين الجنسين في صورته الرئيسية هو الزواج، مع الأخذ بالإعتبار أن هذا التنظيم

⁽¹⁾ أبوبكر حسني عيسى احمد سرحان، مجتمع المغرب تحت الاحتلال الروماني، (رسالة ماجستير في الدراسات الإفريقية في قسم التاريخ القديم)، جامعة القاهرة، مصر، 2013، ص192.

⁽²⁾ زاهية مضوي و بلخير بقة، الزواج في بلاد المغرب القديم في ظل الاباحية الجنسية وظاهرة تعدد الزوجات، مجلة العلوم الانسانية والحضارة، مج.4، ع.1، جامعة عمار ثليجي الاغواط، الجزائر، 1/01/2022، ص47.

يختلف من مكان لآخر ومن زمان لآخر ،لذلك فإن المجتمعات التي تخلو من الزواج نادرة جدا⁽¹⁾، وأيضاً لا يمكن الجزم أن الشهوة الجنسية هي التي دفعت الناس إلى الزواج، فالزواج بكل ما يسببه من ضائقات نفسية ،وبكل ما فيه من قيود يستحيل عليه أن ينافس الشيوعية الجنسية في إشباعها للميول الجنسية عند الإنسان⁽²⁾.

وفي الحقيقة لا يوجد تعريف شامل جامع لكل أنماط الزواج لدى المجتمعات خاصة المجتمعات القديمة، فالزواج نظام إجتماعي له معاني مختلفة باختلاف الثقافات والمجتمعات والحضارات، لكنه يبقى العامل الأساسي والرئيسي لقيام الكيان الأسري⁽³⁾.

أ) لغة:

"هو إقتران أحد الشئيين بالآخر وإزدواجهما، أي صيرورتهما زوجا، بعد أن كان كل واحد منهما فردا، ولهذا جرت على الألسن كلمة القران بمعنى الزواج، كما جرت كلمة النكاح لأنها تعني الضم"⁽⁴⁾.

ب) إصطلاحا:

وقد تنوعت مفاهيمه بين الباحثين والمؤرخين فنجد إدوارد ويستر مارك في موسوعته عن الزواج يقول: "تستعمل كلمة الزواج للإشارة لمؤسسة إجتماعية، وحددها على أنها علاقة مقامة بين رجل أو عدد من الرجال مع امرأة أو عدد من النساء، تحت ما يعرف بالعبادات والأعراف المفروضة، تسودها مجموعة من الحقوق والواجبات المختلفة"⁽⁵⁾.

⁽¹⁾صباح جاسم حمادي، الجذور التاريخية لنظام الزواج في وادي الرافدين، مجلة كلية الآداب، ع.102، جامعة بغداد، العراق 2012، ص106.

⁽²⁾زاهية مضوي، بلخير بقّة، المرجع السابق، ص48.

⁽³⁾المرجع نفسه، ص48.

⁽⁴⁾ام الخير مسعودي، الزواج والأسرة، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، مج.2، ع.2، جامعة البليدة 2، الجزائر، 2009/07/1، ص171.

⁽⁵⁾إدوارد ويستر مارك، موسوعة تاريخ الزواج، تر: مصباح الصمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط.1، بيروت، 2001، ص30.

أما ميشيل مان يصفه في موسوعته العلوم الاجتماعية: "الزواج عبارة عن طقس خاص سماه بطقس العبور يقوم فيه الرجل والمرأة على حد سواء لا تجمعهما أي رابطة أو صلة بمغادرة أسرتهما الأصليتين، والبدء في إنشاء أسرة خاصة بهما"⁽¹⁾.

أما سناء الخولي فتقول في كتابها بعنوان الزواج والعلاقات الأسرية: "الزواج يعد من أقدم التنظيمات الاجتماعية، فهو قدم قدم الإنسان نفسه، وهو ظاهرة مقدسة أكدته الشرائع السماوية من خلال الكتب المقدسة، فهو الوسيلة التي يعتمد عليه المجتمع لتنظيم المسائل الجنسية خاصة مسؤولية التزاوج الجنسي بين البالغين حتى بوجود ظاهرة الإباحة الجنسية"⁽²⁾.

ويعرفه مصطفى خشاب في دراسات في علم الاجتماع العائلي: "الزواج عبارة عن علاقة ورابطة متينة في حدود شرعية بين الجنسين، ولا تتم هذه الرابطة إلا في الحدود والقوانين التي يصنعها، ويفرضها ذاك المجتمع"⁽³⁾.

وينظر إليه من الناحية الاجتماعية على أنه إتحاد جنسي بين الرجل والمرأة بواسطة إقامة حفل خاص، يعتبر السبيل الوحيد للتكوين الأسري، حيث يتضمن حقوقا وواجبات للشريكين وخلفائهم من الأبناء والأحفاد⁽⁴⁾، ويمكن القول أن الزواج من الناحية البيولوجية، وذلك حسب وادوارد ويستر مارك الذي حاول تقديم مفهوم شام عن الزواج بدراسته لمختلف طقوس وعادات ومعتقدات الشعوب القديمة، فعتبره نظام رئيسي يتضمن الإنجاب والتكاثر الذي هو سر الإستمرارية للحفاظ على النسل و الأصل، في حين ينظر إليه من الناحية الانثروبولوجية ظاهرة حضارية تطورت بتطور الفكر الإنساني⁽⁵⁾.

و دينيا فيعرف الزواج على أنه سنة طبيعية سنّها الله عز وجل منذ إبتداء الخليقة⁽⁶⁾، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي

⁽¹⁾ ميشيل مان، موسوعة العلوم الاجتماعية، تر: عادل مختار الهواري وآخرون، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، 1999، ص 415.

⁽²⁾ سناء الخولي، الزواج والعلاقات الأسرية، دار النهضة للطباعة العربية، بيروت، (د.ت)، ص 56.

⁽³⁾ مصطفى خشاب، دراسات في علم الاجتماع العائلي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1983، ص 54.

⁽⁴⁾ أم الخير مسعودي، المرجع السابق، ص 172.

⁽⁵⁾ ادوارد ويستر مارك، المرجع السابق، ص 30-40.

⁽⁶⁾ زاهية مضوي و بلخير بقة، المرجع السابق، ص 48-49.

ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ {21} ﴿١﴾، ونجد في الكتاب المقدس العهد القديم ما يدل على أنه نظام سنه الله قبل سقوط آدم-عليه السلام- وحواء في الخطيئة⁽²⁾. ويذكر في سفر التكوين عند خلق آدم وحواء: "وباركهم الله، وقال لهم: أثمروا واثقروا واملئوا الأرض وأخضعوها"، "لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسدا واحدا"⁽³⁾.

وعند مؤسس المسيحية الجديدة بولس الزواج: " ليس واجبا إنما يدعى إليه لتجنب الوقوع في الخطيئة، فهو ليس غاية في ذاته، وإنما مجرد وسيلة لدرء المعصية"⁽⁴⁾.

ويمكن القول أن الزواج بمعناه العام الإقتران، كون الإنسان بطبعه يميل إلى إشباع غرائزه الجنسية، ولا يمكن للفرد أن يقوم بهذه المهمة إلا عن طريق الزواج الذي يعتبر سنة من سنن الحياة البشرية⁽⁵⁾.

فهو وسيلة ورابطة مهمة تتميز بالاستمرارية، وكما أنها تضمن بقاء الجماعات الإنسانية، ولا يمكن لأي من الطرفين حلها أو العبث بها بسهولة تبعا لرغباتهم أو مصالحهم، لأن هاته الرابطة لا تعني وتخص الزوجين فقط، بل تتجاوزهما إلى إقامة أواصر دائمة بين الأسرتين المتصاهرتين في أغلب المجتمعات البشرية، لكنه يختلف من مجتمع إلى آخر في طقوسه وعاداته، فما يستحب القيام به في مجتمع ما، يكون مكروها أو منبوذ في مجتمع آخر⁽⁶⁾. فالله تعالى في كتابه الكريم قدس الزواج وجعله رابطة مقدسة سامية، حيث تعمل هذه الرابطة على تنظيم الجماعات الإنسانية وتنظيم الغريزة الجنسية بين الجنسين بطرق شرعية⁽⁷⁾.

(1) سورة الروم، الآية 21.

(2) أسماء مسعودي، المرأة في تشريع الآديان السماوية، (أطروحة دكتوراه في العلوم الإسلامية)، جامعة يوسف بن حدة، الجزائر، 2018/2019، ص 98.

(3) سفر التكوين، الإصحاح: 1، الفقرة: 28.

(4) أسماء مسعودي، المرجع السابق، ص 99.

(5) زاهية مضوي، بلخير بقّة، المرجع السابق، ص 49.

(6) عبد المالك نافجة، عادات وطقوس الزواج مقارنة انثروبولوجية للمجتمع المحلي بشريعة، (أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع الانثروبولوجيا)، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، الجزائر، 2017/2018، ص 41.

(7) أم الخير مسعودي، المرجع السابق، ص 173.

يمكن القول أنه لم يعطى تعريفا شاملا وموحدا للزواج عبر العصور، وذلك يعود لإختلاف مفاهيمه عبر تلك الحقب حسب المتطلبات البيئية وكذلك العقائدية، فمن غير الممكن جعله تعريفا شاملا لإرتباطه بعدة اشكال وأماط تمنعه من ذلك، لهذا نجد جمهرة من العلماء والباحثين خاصة الانثربولوجيين يعطون تفسيراً لذلك، ومرجعه النمط التفكيرى المتغير للإنسان بتغير ظروفه البيئية والدينية وحتى الإجتماعية منها.

I-1-2) أشكال الزواج وأنواعه:

يعد الزواج ظاهرة معقدة، ويرجع ذلك لإختلاف أنظمه وعناصره وصوره بدرجة واضحة تصل إلى درجة التناقض، بالرغم من البساطة المحيطة بالمجتمعات البدائية، وتطورها في الوقت الحالى، لذلك تعددت أشكال الزواج وتمثلت في:

أ) أشكال الزواج:

أ-1) الزواج الميثولوجي: يتمثل في العلاقات الأسطورية التي ربطت بين الآلهة وذلك من أجل الحفاظ على النسل المقدس⁽¹⁾، وبطبيعة الحال هذا الشكل من الزواج مرتبط أكثر بالمعتقد الديني السائد آنذاك، فكان لكل معبود زوجة، وتلك الزوجة المعبودة يتم تقديسها من طرف الشعوب من أجل الحفاظ على النسل، وعلى سبيل المثال الآلهة تانيت وبعل أمون في بلاد المغرب القديم، فمن خلال إتحادهما وإرتباطهما يوفران العناية الإلهية للنسل، ويمكن أن يكون هذا الزواج بين البشر والآلهة للحفاظ على الدماء الملكية، حسب ما يتم إعتقاده لذلك نجب بعض الملوك يدعون الألوهية .

أ-2) الزواج الأحادي (Monogamie): يعد هذا الشكل من الأشكال المفضلة في كثير من المجتمعات ومعناه زواج رجل واحد من امرأة واحدة.⁽²⁾

أ-3) الزواج التعددي (polygamie): وهذا النوع يشير إلى الزواج بكثير من مختلف الجنسين، أي رجل واحد من عدة نساء وزواج امرأة من عدة رجال.⁽³⁾

⁽¹⁾ نضار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة في بلاد المغرب القديم، (د.ن)، ط.1، المغرب، 2017، ص101.

⁽²⁾ زاهية مضوي و بلخير بقة، المرجع السابق، ص50.

⁽³⁾ Gsell(S), Histoire ancienne de L'Afrique du Nord, Tome5, Librairie Hachette, paris, 1927, p38.

أ-4) الزواج الجماعي (Group marriage): يعتقد أن هذا النمط من الزواج كان سائدا في الغالب في المجتمعات البدائية للعصور القديمة، وهي حالة نادرة في الوقت الراهن⁽¹⁾.

أ-5) الزواج من الطبقات الأعلى (Hypergamie me): وهذا النوع من الزواج بمقتضاه تمنع المرأة التي تنتمي إلى طبقة إجتماعية معينة من الزواج من أحد أفراد الطبقة الأدنى، وهو خاص بالملوك والأسر النبيلة⁽²⁾.

ب) أنواعه:

تعددت أنواع الزواج بحسب ظروف الرجل والمرأة، وإن دل هذا على شيء فهو يدل على الفرص العديدة التي منحها المجتمع لتشجيع أولادهم على الزواج⁽³⁾.

ب-1) الزواج بالسيادة (Mariage cum Manus): وهو الزواج الذي تتحرر فيه المرأة من سلطة أبيها، أو رب أسرتها لتخضع بالتالي إلى سيادة زوجها من جهة الشخص والمال أو سلطة، ولصحته يشترط توفر شروط الزواج الشرعي⁽⁴⁾. أي لم تتحرر بل إنتقلت من سلطة إلى سلطة أخرى تقيد حياتها.

ب-2) الزواج بلا سيادة (Mariage sine Manus): وهنا تشترك الزوجة مع زوجها في مركزه الإجتماعي والإقتصادي، كما عليها إحترامه وطاعته ولها كامل الحق في التصرف في أموالها باستقلاله، إلا أنه إذا قامت بعمل مشين يسيء إلى زوجها كالزنا، يقوم بمعاقبتها بنفسه إلى درجة القتل دون أن يعارضه أحد⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ عبد المالك نافجة، المرجع السابق، ص 78، 79.

⁽²⁾ أسماء لبلق التحولات الثقافية والرمزية لمراسم الزواج في الأسرة التلمسانية، (رسالة ماجستير في علم الاجتماع الثقافي)، جامعة وهران 2، الجزائر، 2012/2011، ص 55.

⁽³⁾ عائشة عيسى أبو حجر، دور المرأة في المجتمع الروماني (27 ق.م - 235 م) "روما انموزجا"، (رسالة ماجستير في التاريخ القديم)، جامعة مصراته، ليبيا، 2018/2017، ص 41.

⁽⁴⁾ نرجس محمد سويس، الوضع القانوني للمرأة في المجتمع الروماني، (رسالة ماجستير في التاريخ القديم)، جامعة الفاتح، ليبيا، 2007/2006، ص 96.

⁽⁵⁾ عائشة عيسى أبو حجر، المرجع السابق، ص 42.

ب-3) الزواج من المحظيات: وهناك نوع آخر من الزواج أصبح منتشرا وبكثرة منذ زمن أغسطس، وقد إعتترف به القانون الروماني، وهو الزواج من المحظيات-الجاريات-، والمحظية هي امرأة من العبيد أو من الأحرار الذين ينتمون إلى الطبقة العامة، وكان الرجل إذا أراد أن يثبت شرعية أبنائه من هذا الزواج عليه أن يقيم إحتفالا لهذا الزواج وكان نادرا ما يحدث ذلك⁽¹⁾.

ونستنتج مما سبق أن للزواج أشكال متعددة وذلك يعود لإختلاف أنظمتهم وعناصره، فلا يمكن حصره في شكل واحد خاصة في العصور القديمة المعروفة بالتعدد في الزواج .

I-2) شروط الزواج وطقوسه:

وكأي ظاهرة إجتماعية ثقافية لها شروط وطقوس معينة، فإن للزواج كذلك شروطه وطقوسه الخاصة القائم عليها والتي سنأتي على ذكرها.

لا نمتلك بين أيدينا أدلة كافية سواء كانت أدبية أو أثرية عن طبيعة العلاقة التي ربطت الرجل والمرأة قبل الزواج، وكيف تم التعارف والخطوبة، وبالأخص وأن المجتمع المغربي القديم عرف بتحريمه للمرأة من حقها في الرفض أو القبول لمن يتقدم لها، ثم حتى الرجل كان مقيدا ونادرا ما يختار ما يريده، إلا إذا كان يحتل مكانة مرموقة في المجتمع مثل الملك⁽²⁾، وخير دليل على ذلك حين أقدم الملك الليبي هيرباس(Hiarbas) على طلب الزواج من الملكة القرطاجية عليسة بنفسه، فطلب من أعوانها يدها للزواج منه⁽³⁾.

وهكذا يفهم من سياق الكلام ما يبرهن على إقصاء الإنسان الليبي من دائرة العواطف والأحاسيس إتجاه المرأة رغم طبيعته وغريزته، وهذا لا يتوافق أبدا مع بعض الإشارات التي خلفها الإنسان من رسومات وفنون صخرية، من مشاهد تبين وجود علاقات حميمة جمعت العشاق في مرحلة التعارف قبل الخطوبة⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ عائشة عيسى أبو حجر، المرجع السابق، ص43.

⁽²⁾ Gsell(S), H.A.A.N, op.cit, p43.

⁽³⁾ خديجة منصوري، أصناف النساء ببلاد المغرب القديم من خلال الآثار والمصادر الأدبية، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم

الإسلامية، مج.23، ع.1، جامعة العلوم الإسلامية الأمير عبد القادر قسنطينة، الجزائر، 2008، ص272.

⁽⁴⁾ بنت النبي مقدم، الأسرة في بلاد المغرب القديم خلال العهد الروماني الإمبراطوري الأعلى، (أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم)،

جامعة الجزائر2، الجزائر، 2013/2012، ص60.

ومن بينها مشهد العاشقين الخجولين من عين الناقة بجال أولاد النائل⁽¹⁾ (الملحق رقم 01 ص 325). ونرى في الشكل لوحة مجسدة لشخصين متقابلين في وضعية الجلوس، وهما يمثلان رجل وامرأة يتحدثان لبعضهما، ومن خلال معاينة الأشكال المرسومة، فتبين أن الرجل هو الذي يجلس على اليمين، وذلك من خلال ملبسه التي تؤكد على ذلك، و المرأة هي التي ترتدي تنورة وتجلس على اليسار، ورأسها على شكل مستطيل، ويمكن ملاحظة أن الرجل قد رسم رأسه بشكل مستدير وهو يضع أرجله واحدة فوق الأخرى، وتستند يده اليمنى على إحدى ركبتيه، ويمكن أن نستخلص من وضعية الجلوس وحركة الأيدي وفتح الكفين إضافة إلى أشكال الأزياء بأنهما في حالة إستراحة ونقاش شخصي ليس له علاقة بالحياة الخارجية المعتادة⁽²⁾.

وهذا المشهد صور لنا العلاقة الوطيدة وتأجج الأحاسيس ومشاعر التي تربط العشيقين، وهي تدل على حميمية الموعد، وهما جالسين في خلوة بالرغم أنه يظهر من خلف المرأة رجلان يختلسان النظر من بعيد⁽³⁾.

وليس فقط الرسومات الصخرية إنفردت بذلك، فلقد صورت لنا النصب الجنائزية مشاهد من هذا النوع خلال العهد الروماني، فنجد مشهد لزوجين واقفين جنباً إلى جنب في أغلب الأحيان، والمرأة دوماً على يمين الرجل مثلما وجد من هذا النوع في نصب جميلة، وأحياناً نجد الزوجين متعانقين وهذا ما يرى في نصب تيمقاد وتبسة، وهو ما يدل على الحب والمودة بين الطرفين⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ عبد الوهاب كيدار و بلخير بقة، قراءة في الفن الصخري لإنسان العصر الحجري الحديث "موقع عين الناقة بالجلفة أمموزجا"، مجلة العلوم الإنسانية والحضارة، مج.3، ع.2، جامعة عمار ثلجي الاغواط، الجزائر، 2021/06/30، ص14. وينظر كذلك: Camps(G),Hachid(M) Les pirres écrites de L'Atlas Saharien, Tome2, Algies, 1992, Fig60.

⁽²⁾ جبار حميدي محيسين الربيعي، الرسوم الصخرية لعصور ما قبل التاريخ في ليبيا، مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية، ع.31، جامعة القادسية كلية الفنون الجميلة، العراق، 2017، ص200.

⁽³⁾ بنت النبي مقدم، المرجع السابق، ص60.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه، ص60.

I-2-1) الخطوبة:

تعتبر الخطوبة أولى خطوات المعلنة عن الزواج بين الرجل والمرأة⁽¹⁾، فمن المعروف غالبا ما يسبق الزواج فترة الخطوبة، وقد أشارت العديد من النصوص الأدبية إلى هذه الفترة، فوجد الشاعر بلوت (Plaute) (184-254 ق.م) يشير إلى ذلك، عندما تحدث عن زواج ابنة حانون (Hannon)⁽²⁾.

ومن شروط الخطوبة أنها لا تتم إلا بالإتفاق بين والدي العروسين دون إستشارة المعنيين بالزواج، بل هما آخر من يعلم بهذا القران قبل أيام قليلة من العرس⁽³⁾، وتقام مراسيم الخطوبة في أغلب الأحيان بحضور الشهود بعد الموافقة والقبول من طرف الآباء⁽⁴⁾.

في الواقع كان الآباء هم المسؤولون عن إتمام زواج بناتهم وإختيار الزوج المناسب، وذلك يعود إلى كون الفتاة صغيرة السن فلا يمكنها تحديد مصيرها بالموافقة أو الرفض أو اختيار شريك حياتها⁽⁵⁾.

وهو ما يسمى ويطلق عليه بحق الجبر، أي الحق في تزويجها من طرف والي أمرها⁽⁶⁾، وهذا الحق لم يكن حكرا ومعترف به في المجتمع الليبي القديم فقط، بل شمل كل مجتمعات الحضارات القديمة بإستثناء مصر الفرعونية، وحتى وإن إفترضنا أن الفتاة واقعة في الحب لن تتزوج من تحب دون تصريح من ولي أمرها⁽⁷⁾، و أما في حالة تم خطبتها وإكتشاف خيانة تتعرض لعقاب شديد من طرف أهلها وزوجها، أما في حالة ما إن قام الخطيب بفسخ خطبته يعاقب بعدم إرجاع ما قدمه لخطيبته⁽⁸⁾.

⁽¹⁾ عائشة عيسى أبو حجر، المرجع السابق، ص41.

⁽²⁾ نضار الأندلسي، المرجع السابق، ص88

⁽³⁾ Gsell(S), H. A. A. N, Tome5, op.cit, p48.

⁽⁴⁾ بنت النبي مقدم، المرجع السابق، ص52.

⁽⁵⁾ لمياء علي محمد، الحياة الاجتماعية في مدينة روما القديمة منذ تولي الإمبراطور أوغسطس حتى نهاية الأسرة السيفيرية (27 ق.م- 235م)، (رسالة ماجستير في التاريخ القديم)، جامعة طرابلس، ليبيا، 2018/2019، ص46.

⁽⁶⁾ محمد الهادي حارش، مملكة نوميديا دراسة حضارية منذ أواخر القرن التاسع إلى منتصف القرن الأول قبل الميلاد، دار الهومة، الجزائر، 2013، ص90.

⁽⁷⁾ السعيد خاشة، الأسرة طقوس الزواج وتعليم الأطفال في الفترة الرومانية، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، ع11، مؤسسة الحكمة، الجزائر، 2017، ص63.

⁽⁸⁾ بنت النبي مقدم، المرجع السابق، ص52.

فقد كان من المعروف أن والد الزوج يقوم بشراء العروس من والدها المسئول عنها، فلدى بعض القبائل كان للأب حق بيع إبنته، وهو حق مطلق لاجدال فيه سواء كانت بكرا، أو سبق لها الزواج⁽¹⁾.

وقد أصدر الإمبراطور قسطنطين الأول (Constantin Legrand) (274-337م) في 27 أكتوبر 319م قانون يقضي بمقتضاه منع فسخ الخطوبة، بل ومعاقبة من يقوم بإفشال الزواج⁽²⁾، الزواج⁽²⁾، ومع الاعتراف بالديانة المسيحية وتعاليمها، كانت هنالك متغيرات على ضوابط وعادات وتقاليد الخطوبة المعهود عليها، حيث أصبح للفتاة حرية باستشارتها وأخذ موافقتها على الخطوبة والزواج، كما قلصت من السلطة المطلقة للأب⁽³⁾.

وقد لوحظ أن الضوابط السابقة الذكر لا توجد عند مجتمع الرعاة، وذلك بمطابقته مع مجتمع الطوارق الحالي، الذين حافظوا على عادات أجدادهم، فالمرأة عندهم تمتلك حرية مطلقة، فيحق لها أن تختار زوجها، وإن أحببت شابا يقطن بعيدا عنها في منطقة نائية، لا تتردد في ركوب الجمال لوحدها وتذهب إليه لتثبت حبها وشوقها له، ثم تعود إلى ديارها، ونفس الشيء عند الشاب يتحمل معاناة السفر من أجل لقاء حبيبته⁽⁴⁾.

I-2-2) المهر:

لا نمتلك فكرة واضحة عن طبيعة المهر وقيمتها في المجتمع المغربي القديم، و مع ذلك يمكن إعطاء مفهوم مبسط لهذا الموضوع، ولكن حسب الكثير من الباحثين يبدو أن هذا الأمر يكون بالإتفاق بين أبوي العروسين، فيقدم والد الزوج قيمة معينة إلى والد الفتاة من أموال وثمار حبوب القمح ماشية، أو ما شبه ذلك ويحتفظ به لنفسه، وهذا نوع من المقايضة وتبادل السلع⁽⁵⁾، في الحقيقة الحقيقة لم يكن هذا الأمر منتشرا فقط في المجتمع المغربي القديم، بل كان هذا من عادات وتقاليد

(1) ابوبكر حسني عيسى احمد سرحان، المرجع السابق، ص 200.

(2) حميد خميس احمد ارحومة وحسين ماهر شعاب عمار، الزواج في القانون البيزنطي، مجلة العلوم والدراسات الإنسانية، ع. 28، جامعة بنغازي، ليبيا، 2017، ص 71.

(3) بنت النبي مقدم، المرجع السابق، ص 53.

(4) Gsell(S), H.A.A.N, Tome5, op.cit, pp48- 49.

(5) زاهية مضوي وبلخير بقة، المرجع السابق، ص 52.

حضارات الشرق الأدنى القديم أيضا، فقد وجد هذا النظام معمولابه في بلاد الرافدين كذلك، تحت مسمى نظام الزواج بالبيع والشراء، فكان الخطيب يتقدم إلى والد العروس بمدية قيمة، إلا أن والد الفتاة كان ينتظر منه أن يهب إبنته بائنة (دوطة)، وهي هدية تقدم إلى بيت الزوجية، وقد كان شائعا في مدينة بابل (ق19 ق.م) نظام بيع الأب لبناته اللاتي في سن الزواج مرة في كل عام وذلك على حسب درجات الجمال التي تمتلكها⁽¹⁾.

أما في المجتمع الفينيقي فقد كانت المرأة فيه تأخذ مهرا عند زواجها يدفع لوالدها من قبل الزوج الذي كان عليه أيضا تجهيز بيت الزوجية⁽²⁾، وهذا النظام المعمول به لا يختلف عند الإغريق عن غيره من المجتمعات القديمة، فلم يكن الفرد اليوناني ليتزوج؛ لأنه يحب ولا؛ لأنه يرغب في الزواج، إنما ليحافظ على نفسه وعلى المجتمع الإغريقي عن طريق زوجة جاءته بأموال وثياب وجواهر وعبيد من عند أبيها وأقربائها⁽³⁾.

ويلاحظ خلال العهد الروماني تم إضافة بعض التعديلات للمهر المقدم، فقد أصبح يضم مبلغا من المال وخاتما من الحديد أو الذهب على حسب المقدرة، وهذا الخاتم يمثل رمزا للمحبة والوفاء غير أنه لم يصبح شرطا أساسيا أثناء مراسيم الخطبة إلا مع بداية القرن 3 ق.م، وفي حالة ما إذا كان الخاطب غنيا فان هدايا الخطبة ستكون ذهبا وفضة وجياذ وحتى عبيد وأراضي⁽⁴⁾.

بل وتطور الأمر حيث أصبحت العروس تقوم بجلب مهرها معها إلى بيت الزوجية، ويكون في شكل أموال نقدية أو ذهب وعقارات... الخ، وهو في الحقيقة بمثابة حصة من ميراثها يهديه لها والدها عند الزواج⁽⁵⁾، فقد أصبحت العائلات — خاصة الغنية منها — تعطي أهمية كبيرة للوضعية المالية للزواج،

⁽¹⁾ إبراهيم درباس موسى و حامد جاسم حمادي، مفهوم الزواج وتعددده في الحضارات القديمة (الحضارة العراقية- الحضارة المصرية- الحضارة الرومانية- الحضارة الإسلامية)، مجلة الجامعة العراقية، مج.36، ع.3، كلية العلوم الإسلامية و كلية القانون، العراق، (د.ت)، ص224.

⁽²⁾ محمد علي حسين الدراوي، المرأة البونية في منطقة المدن الثلاث من خلال النقوش الكتابية والمكتشفات الأثرية، مجلة لبدة الكبرى، ع.2، جامعة المرقب، ليبيا، ابريل 2017، ص182.

⁽³⁾ أيمن عبد الله شندي، مكانة المرأة عند اليونان في العصر الهيليني نماذج مختارة، مجلة البحوث كلية الآداب، (د.ع)، كلية الاداب، مصر، (د.ت)، ص9.

⁽⁴⁾ بنت النبي مقدم، المرجع السابق، ص52، ص53.

⁽⁵⁾ حميد خميس احمد، حسن ماهر شعاب، المرجع السابق، ص72.

فالزواج يجب أن يقدم الهدايا، وأهل الزوجة يجب أن يقدموا (دوطة) مهرا، وهي مساهمة منهم في تكاليف إعالة ابنتهم⁽¹⁾، لكن ما يجب الإشارة إليه أن قيمة الفتيات الأكار أعلى من قيمة الأرامل والمطلقات⁽²⁾.

وقد صاحبت الخطوبة والمهر طقوس معينة، وهي ما يطلق عليها الرابطة القانونية بين الخطيبين، وذلك بإجتماع المقربون على وليمة، ليشهدوا على عقد الزواج وتكسر قشة (Stipula) بين أهل العروسين علامة على التفاهم والاتفاق، وتكتب شروط الزواج الخاصة فيما يتعلق بالمهر والصداق، وأن يهدي الخطيب خاتما من الذهب أو الفضة لخطيبته⁽³⁾، تقوم بوضعة في الإصبع الرابع من أصابع اليد اليسرى، لإعتقادهم بأن عصبا يمتد إلى تلك الأصابع إلى القلب، وبذلك تكون الخطوبة وفقا للأسس القانونية تصبح بموجبها إتفاقا رسميا يتم في سياق عقد يحرره والدا الخطيبين⁽⁴⁾.

I-2-3 سن الزواج:

أشار مختلف المؤرخين والباحثين أن غالبا ما كان الزواج داخل الأسرة المغاربية القديمة يتم في سن مبكر بالنسبة للفتاة، أما الرجل فكان يكبرها من السنوات بقليل⁽⁵⁾.

فمحمد الصغير غانم يشير على أن ما يدل على بلوغ سن النضج لكلا الجنسين متمثل في قراب العورة، بحيث أن مرتديه من الإناث أو الذكور يدل على أنه أصبح أهلا للزواج، لذلك فإن الأطفال الصغار قبل سن البلوغ لا يرتدون⁽⁶⁾، ويعرف على أنه عبارة عن شريطين عريضين من الجلد يتقاطعان على الصدر، ويتمنطق بحزام مزين بخطوط عمودية وأخرى أفقية وينتهي من الأمام بقراب

(1) نضار الأندلسي، المرجع السابق، ص 88.

(2) Gsell(S), H. A. A. N, Tome5, op.cit, p45.

(3) غادة محمد سيد احمد جاد، أناشيد الزواج الرومانية حتى نهاية القرن الأول الميلادي دراسة أدبية اجتماعية، (رسالة ماجستير في التاريخ اليوناني والروماني)، جامعة الإسكندرية، مصر، 2007، ص 36.

(4) غادة محمد سيد احمد جاد، أناشيد الزواج الرومانية، المرجع السابق، ص 36.

(5) نضار الأندلسي، المرجع السابق، ص 88.

(6) محمد الصغير غانم، سيرتا النوميديّة النشأة والتطور، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008، ص 207.

يستر العورة، تتدلى منه ذيل حيوان طويل إلى الوراء، ويحيط بالرقبة عقد عريض تتدلى منه الحلبي⁽¹⁾، الذي كان يعد علامة على سن البلوغ لمرتديه سواء الذكور أو الإناث، كما صورته النصوص المصرية والنقوش المغربية في الجنوب الوهراني⁽²⁾.

وهذا ما يؤكد عليه محمد العربي عقون بحديثه عن لباس القبائل، وبالأخص قراب العورة الذي كان يرتديه الليبيون سواء الإناث أو الذكور والذي يدل على بلوغ سن النضج وتأهيله للزواج على حسب ماورد في النصوص المصرية القديمة⁽³⁾.

لقد أطلعنا نقوش معبد الملك المصري سمو رع (2487-2473 ق.م) بصورة واضحة عن أزياء وملابس التحنو (Tehenou)⁽⁴⁾.

التي تتألف ملابسهم من شريطين عريضين من الجلد يتقاطعان على الصدر⁽⁵⁾، و يحتوي طوق عريض حول الرقبة تتدلى منه بعض الأشرطة، وحزام مزين بخطوط أفقية على جانب غمد جلدي، وينتهي من الإمام بقراب العورة⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ مريم عبد السلامين، القبائل الليبية القديمة موطنها وسماتها العامة من خلال المصادر المصرية القديمة، مجلة رفوف، مج.9، ع.1، جامعة احمد دراية ادرازا، الجزائر، 2021/01/28، ص347.

⁽²⁾ ابوبكر حسني عيسى احمد سرحان، المرجع السابق، ص209.

⁽³⁾ محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2008، ص172.

⁽⁴⁾ التحنو: ذكر تحنو أو تحنى "Thnw-Thny" في النقوش المصرية منذ فجر التاريخ المصري وأقدم إشارة إليها ترجع إلى عهد الملك العنبر الذي حكم مصر قبيل الوحدة، وكذلك على جدران المعبد الجنزي للملك ساحورع (2444-2432 ق.م) حيث تظهر الصفات الجسمانية لهؤلاء وشكل ملابسهم وسمرة وجوههم مع أولادهم شبهين لذلك بالمصريين شفاهم غليظة ولحاهم كثيفة لهم شعرا مميزا طويلا كثيفا مسترسلا إلى ما فوق الكتف مع خصلة صغيرة من الشعر، ومن خلال النقوش المصرية كذلك يتبين أن أرض هؤلاء تقع دائما إلى الغرب من مصر... ينظر: سليمان بن سعدي، علاقات مصر بالمغرب القديم منذ فجر التاريخ حتى القرن السابع قبل الميلاد، (أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم)، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2008/2009، ص14-27.

⁽⁵⁾ احمد فخري، مصر الفرعونية موجز تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى عام 332 ق.م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، 2012، ص85.

⁽⁶⁾ رجب عبد الحميد الاثرم، تاريخ برقة السياسي والاقتصادي من القرن السابع قبل الميلاد وحتى بداية العصر الروماني، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، 1975، ص23.

أما التماحو (Temahou) ⁽¹⁾ فكان لباسهم كذلك يتألف من ساتر للعورة، أو وزرة تلف الخصر، إضافة إلى عباءة مصنوعة من جلود الحيوانات ⁽²⁾ مزركشة تلتف حول الجسم، مارة تحت الإبطين وتغطي الكتف الأيمن، وفي ذيلها شريط مخطط عريض ⁽³⁾.

أما الليبو (Libou) ⁽⁴⁾، فعرف عنهم أنهم يلبسون تحت العباءة بدلا من قراب ستر العورة قميصا يعلو الركبة، وإن ملابسهم تكاد تشبه ملابس المشوش ⁽⁵⁾ (Machoucha) ⁽⁶⁾، إلا أنهم كانوا كانوا يلبسون بدل القميص قراب العورة، وكذلك يقومون بطلاء أجسادهم وتلوينها، وقراب العورة يقتصر لبسه على البالغين من الرجال والنساء دون تميز في المركز والمكانة الاجتماعية ⁽⁷⁾، ومن خلال ماتم الإشارة إليه أن قراب العورة بقي متداولاً إرتدائه مع مختلف القبائل الليبية، وأعتبر رمزا يدل على سن البلوغ لدى كلا الجنسين.

⁽¹⁾ التماحو: ورد اسم التماحو "T3ntmhwh" في نصوص عصر الدولة القديمة، كما ورد اسم التماحو لكنهم مختلفون عنهم تماما فتتفق الآراء على أنهم ذوي البشرة البيضاء والشعر الأشقر الطويل والعيون الزرقاء ولا بد أنهم الأجداد الأوائل لأحفادهم المنتشرين حاليا في شمال إفريقيا وأول ذكر لهم في النصوص المصرية كان في عهد الملك بيبى الأول ثالث ملوك الأسرة السادسة في النص الذي تركه "اوبي" في ابيدوس، وأرضهم تقع غرب الدلتا في شمالها تمتد حتى منطقة طرابلس... ينظر: سليمان بن سعدي، المرجع السابق، ص 39-68.

⁽²⁾ فرنسوا شامو، الإغريق في برقة الأسطورة والتاريخ، تر: محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ليبيا، ط. 1، 1990، ص 34.

⁽³⁾ علي مؤمن إدريس مؤمن، العادات والتقاليد عند الليبيين القدماء خلال الفترة الفرعونية والإغريقية المبكرة، المؤتمر العلمي الثاني لكلية الآداب، جامعة الزاوية، ليبيا، 15، 2018/07/16، ص 1395.

⁽⁴⁾ الليبو: والريبو (Rbw) وقد ظهر الاسم فترة الرعامسة وبالضبط خلال عهد رمسيس الثاني وتم تحوير الاسم في نفس العهد إلى ليبو (Libw) والذي يدل على كل شمال إفريقيا الواقعة غرب النيل... ينظر: سليمان بن سعدي، المرجع السابق، ص 101-103.

⁽⁵⁾ رجب عبد الحميد الاثرم، محاضرات في تاريخ ليبيا، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، 2002، ص 85.

⁽⁶⁾ المرجع نفسه، ص 85.

⁽⁷⁾ علي مؤمن إدريس مؤمن، المرجع السابق، ص 1395.

يذكر محمد البشير شنيقي في هذا الصدد من أن سن الزواج للفتاة كان يتراوح بين 11 و13 سنة حتى خلال التواجد الروماني، ويمكن أن يتأخر في مناطق أخرى خاصة المناطق المرتفعة كسكان الاوراس ،وربما يرجع هذا إلى البلوغ المتأخر للفتاة⁽¹⁾.

ولكن على ما يبدو كان الزواج مفضلا ومحبذا لدى الأغلبية هو الزواج من الصغيرات ، فهاهي مونيكا(Monique) والدة القديس أوغسطين(Augustin)(354-430م) ،التي تزوجت صغيرة أرادت تزويج ابنها من فتاة عمرها 12 سنة ،رغم أنه قد بلغ سن 32 من عمره ،وهذا رغبة في عصمته من الخطايا المتعلقة بالرغبة والجري وراء الرذيلة⁽²⁾.

وهذا الأمر يدفعنا بل ويؤكد بأن فارق السن الكبير بين الرجل والمرأة قديما لم يكن مهما مثلما لازال الأمر لدينا اليوم، أما العكس فلا يمكننا الجزم به مادامت لا توجد إلا حالة زواج أبوليوس(125-180م) من زوجته والدة صديقه التي تكبره سنا كثيرا ، فحسب خصومه تبلغ هي 60 ،في حين يدافع عنها أبوليوس أنها لا تزال في 50 من عمرها ،وهو لا يزال في 20، ويمكن إعتبار هذا الأمر من العادات وليس شيئا تم إبتداعه ،وهذا يعني أنه قد يحدث، وليس بالضرورة أن يليق بالموافقة من المحيطين بالشريكين⁽³⁾.

ووجدت عدة إشارات أثرية تتحدث عن الزواج المبكر للفتيات الذي كان منتشرا بين سكان بلاد المغرب القديم ،مثلما تدل عليه نص نقيشة هيورجيوس(Hipporeyius)(عنابة حاليا) والتي تؤكد تأكيد بلوغ سن الزواج المقدر بـ12 سنة، عندما تأسف والد الطفلة كونستنتينا(Constantina) عن موت ابنته التي لم تبلغ بعد سن 12 من عمرها بقوله: " لا تبكون لضياح الطفلة كونستنتينا الطفلة الجميلة، التي لم تبلغ بعد 12 سنة والتي كانت مؤهلة للزواج"⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ محمد البشير شنيقي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 207.

⁽²⁾ بنت النبي مقدم و عائشة سعدن، المرأة في الجزائر القديمة من خلال اعترافات اوغسطينوس، مجلة عصور الجديدة، مج.10، ع.1، جامعة وهران 1 احمد بن بلة ، الجزائر، 2020/3/30، ص41.

⁽³⁾ بنت النبي مقدم، الأسرة في بلاد المغرب، المرجع السابق، ص52.

⁽⁴⁾ محمد بن عبد المؤمن، المرأة بالمغرب القديم من خلال النقوش اللاتينية، مجلة الحضارة الإسلامية، مج.15، ع.15، جامعة وهران 1 احمد بن بلة ،الجزائر، 2015، ص565.

كما وردت إشارة أخرى في السياق نفسه عن ذلك ،لفتاة تبلغ سن 15 من عمرها ل: " أنيا فركتوزا(Emia Fructuosa) من ضواحي مدينة لامبايزيس(Lambaesis)(تازولت) ،عندما تزوجت بأبليوس بروكولينوس(Aelius Proculinus) ،كان يشغل ضمن الفيلق العسكري الأوغسطي الثالث⁽¹⁾"، أما محمد الهادي حارش فقد حدد السن لدى الذكور يتراوح بين 16 و 17 سنة⁽²⁾.

ومن الناحية الإيجابية لدى هذه الشعوب ،فقد ساهم الزواج المبكر في زيادة نسبة المواليد الذي كان سائدا بين فئات المجتمع، كان يتم الارتباط في سن مبكر خاصة عند سكان الأرياف والأهالي ،مع احتمال التأخر في ذلك إن لم تبلغ الفتاة، فمعدل الزواج 12 سنة عند المرأة و 14 سنة عند الرجل⁽³⁾.

ويرجع بعض المؤرخين الزواج المبكر إلى عدة أسباب منها خشية الأسر على بناتها من العار ،فمن غير المعقول أن تبقى الفتاة بدون زواج إن بلغت سن البلوغ، وكذلك للفوز بشرف الأسرة المثالية فيقومون بتزويج أولادهم في سن مبكر من أجل إطالة الفترة الطبيعية للإنجاب ،حتى تحظى الأسرة بعدد كبير من الأبناء، والقبيلة التي تحمل أكبر نفر هي القبيلة المسيطرة والأقوى⁽⁴⁾.

فمن المعروف أن الباعث على الزواج لم يكن متمثل في الحب ،بل الرغبة الصادقة في زوجات يساعدنهم في الحقول والمزارع⁽⁵⁾ ،لذلك كان يوثق ويدون هذا الغرض في العقد⁽⁶⁾، ففي الأرياف مثلا كان الزواج المبكر وتعدد الزوجات رائجا لغرض إنجاب العديد من الأطفال فقط، لكي يتقاسموا في كبرهم مشاكل الحياة اليومية⁽⁷⁾ و الشرط الضروري لإتمام عقد الزواج تمثل في رضا أبوي الزوجين

⁽¹⁾ محمد بن عبد المؤمن، المرأة بالمغرب القديم ، المرجع السابق، ص 565.

⁽²⁾ محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 95.

⁽³⁾ أكسيل لخلو، التركيبة الاجتماعية للمغرب القديم، (رسالة ماجستير في التاريخ القديم)، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2016/2015، ص 117.

⁽⁴⁾ Gsell(S), H. A. A. N, Tome5, op.cit, p45.

⁽⁵⁾ علي مؤمن إدريس مؤمن ،الحياة الاجتماعية الرومانية خلال العهد الجمهوري(133-27 ق.م)، (رسالة ماجستير في التاريخ القديم)، جامعة بنغازي، ليبيا، 2012، ص 49.

⁽⁶⁾ لمياء علي محمد، المرجع السابق، ص 46.

⁽⁷⁾ مها عيساوي، المجتمع اللوي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، (أطروحة دكتوراه في التاريخ)، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2009 / 2010، ص 412.

، وكان الآباء هم الذين يقومون بتزويج أبنائهم في أغلب الأحيان، ويعتبر حق مطلق لهم، وقد كان يختار الزوجان لبعضهما منذ الصغر⁽¹⁾، ومازالت في بعض المدن ذات الطابع القبلي والعروش إلى يومنا هذا، حيث يتم إختيار الزوجين لبعضهما منذ الصغر.

ونجد القديس أوغسطين في هذا الصدد يدلي بتصريحه فيقول: "الزواج لا يبرم إلا للإنجاب"⁽²⁾، وعرف عن القديس أنه من أكثر الذين تأثروا بالمؤلفين الذين كتبوا أولى مواقف الديانة المسيحية في مراقبة الولادات في شمال افريقيا، وكان له دور في وضع هذا التوجه في كتابه الزواج والشهوة الذي أدان فيه أي محاولة لتجنب الإنجاب، وكانت آراؤه مستمدة إلى حد كبير من تعاليم الرواقيين الرومانيين التي تقول أن الإنجاب هو الهدف المنطقي للزواج⁽³⁾، و توجهه هذا جعله يقتنع أكثر بأهمية رابطة الزواج في تكوين أسرة وعبر عن ذلك بقوله: "... إن كل إنسان هو عنصر بشري وبطبيعته كائن اجتماعي ينجم عنه منفعة كبرى، و ليتماسكوا في المجتمع، ليس فقط بتشابه جنسهم وإنما أيضا بالرابطه الأسرية..."⁽⁴⁾.

ونظرا لأهمية الزواج في المحافظة على النسل فقد بدأ الرومان في سن القوانين الخاصة بذلك، ومن أهمها قانون يوليوس قيصر (Julius Caesar) (100-46 ق.م) للزواج الذي كان موجها ضد العزوبة⁽⁵⁾، فقد كان نظام الأسرة في إقليم المدن الثلاث (ليبيا) مرتبط بالنظم والقوانين الرومانية التي كانت سائدة في الإمبراطورية، لكون هذه المدن كانت خاضعة للرومان ومن بين أهم القوانين المطبقة هي ما تتعلق بالزواج⁽⁶⁾.

(1) علي عكاشة وآخرون، اليونان والرومان، دار الأمل للنشر والتوزيع، 1991، ص ص 228، 229.

(2) بنت النبي مقدم، عائشة سعدان، المرجع السابق، ص 41.

(3) خالد صديق خوجة، تنظيم النسل في الديانات السماوية، مجلة الحوار الثقافي، مج. 4، ع. 1، جامعة ابن باديس مستغانم، الجزائر، 2015/03/15، ص 3.

(4) نضار الأندلسي، المرجع السابق، ص 113.

(5) أحمد فيصل بن عبد الحميد وآخرون، الحياة الاجتماعية في إقليم المدن الثلاث خلال العصر الروماني، مجلة Journal Almugaddimah، ع. 5، جامعة بنغازي، ليبيا، جوان 2017، ص 7.

(6) هالة محمد الفيتوري المصري، تطور النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المدن الثلاث أثناء عهد الأسرة السيفيرية (193-235م)، (رسالة ماجستير في التاريخ القديم)، جامعة غريان، ليبيا، 2020/2019، ص 118.

كما كلف الإمبراطور أوغسطس (Auguste) (63ق.م-14م) القنصلين ماركوس بابيوس وكونتوس بابيوس بتتبع القوانين التي تحت الشباب على الزواج، وقد أصدر القانون الروماني بأن أصغر سن يباح فيه الزواج ما بين 13-14 للفتاة، والفتى ما فوق ذلك⁽¹⁾، إلا أن قاعدة السن لم تحترم دائما فمن الناحية النظرية كان الذكر عند بلوغه 14 سنة يعتبر كاملا للزواج والفتاة 12 سنة، لكن في الواقع وجدت بعض الاختلافات في سن الزواج حيث وصلت ما بين 15 و 18 سنة في المغرب القديم، و 11 و 16 سنة في إيطاليا⁽²⁾، و قد إعتبرت المرأة التي تبلغ سن 20 سنة عانسا وتقل حظوظها في الزواج، بل وتعتبر عائلة على أهلها، فيضطر والدها لعرضها على رجل متزوج لتكون زوجته الثانية، أو الثالثة له دون إعطاء أي اعتبار لفارق السن بينهما⁽³⁾.

وقد قام الإمبراطور أوغسطس بإصدار قانونا يعاقب بشدة الرجل الذي فاق 25 سنة ولم يتزوج، والمرأة التي فاق 20 سنة⁽⁴⁾، إلا انه لوحظ من محتويات بعض النقوش الجنائزية المهداة للمرأة التي عثر عليها بالعديد من مدن بلاد المغرب القديم، عدم وجود إشارة لإسم الزوج أو الأبناء عند ذكر صاحب الإهداء المقدم على شرف تلك المرأة، والإكتفاء في العديد من الحالات بذكر والديها أو إخوتها الذين تقدموا بإهداء لابنتهم أو شقيقتهم مثلما هو الشأن بالنسبة لـ: " باسينا (Passena) من مدينة امایدرة (Ammaedara) حيدرة بتونس، والتي عاشت 45 سنة في ورع وسخاء، مما يدفعنا للإستنتاج أن هذه المرأة في هذا السن بحكمتها ونصائحها لم تكن متزوجة، وهي إشارة واضحة تدل على تفشي ظاهرة العنوسة داخل الأسر المغاربية القديمة"⁽⁵⁾.

وما يثبت على أن المجتمع المتمدن شهد هاته الظاهرة هي القائمة المستخرجة من النقوش في مدينة دوقة، تم إحصاء 21 فتاة متزوجة من أصل 136 فتاة تضمنتها الوثيقة، و 6 من أصل 35 فتاة في قائمة جمعت من وثائق توبوسكو بور، وحوالي 45 متزوجة من مجموع 227 فتاة تم إحصائهن في

(1) أحمد فيصل بن عبد الحميد وآخرون، المرجع السابق، ص 7.

(2) السعيد خاشة، المرجع السابق، ص 63.

(3) Gsell(S), H. A. A. N, Tome5, op.cit, pp47, 48.

(4) السعيد خاشة، المرجع السابق، ص 63.

(5) محمد بن عبد المؤمن، المرجع السابق، ص 565.

الكاف بتونس⁽¹⁾، لكن هذا لا يثبت أن المجتمع المغاربي المحلي شهد عنوسة مرتفعة وهذا راجع لإنتشار الزواج، أما المطلقات فغالبا ما يعاودون الارتباط⁽²⁾.

I-2-4) صفات العروس:

من المعروف أنه عادة ما يتم إختيار الفتاة عن طيب أصلها وعن جمالها بالأخص، وقد كان سكان المغرب القديم يختارون المرأة البدينة الجميلة، وينفرون من الرقيقة والقصيرة، حيث أن البدينة تحظى بكثير من الرغبة والإقبال من الرجال، كما لها دلالات دينية مقدسة فهي في نظرهم ترمز للخصوبة، ووجد الباحثون أعدادا لا تحصى من التماثيل لنساء البدينات، وتدل وجود تلك التماثيل على القيمة الكبيرة التي حظيت بها النساء في ذلك الزمن، وكان بجانبهن الحيوانات التي ترمز للقوة كالأبقار⁽³⁾.

والظاهر أن مكانة المرأة كانت عظيمة، ويظهر جليا من خلال إهتمام فناني الطاسلي بإبراز مفاتها وجمالها وأنوثتها⁽⁴⁾ (الملحق رقم 02 ص 326).

وقد إعتبرت البدانة عند أهل الصحراء والبادية بالمغرب رمز الهدوء والإتزان وحسن الجمال وسعة العيش الكريم، مما حث على إجتهد النساء على توفيرها، ولذلك إنتشرت فيما بينهن عادة تسمى بظاهرة التبلاج، وتبدأ مراسمها في فصل الربيع حيث تتوفر اللحوم والألبان ومشتقاتها، فيصنع ويطبخ من لحم الإبل أكلة تسمى "القديد"، وتأكل منه الفتاة قدر المستطاع ويرافقه خلودها للراحة والهدوء للوصول إلى النتيجة المطلوبة⁽⁵⁾.

وتقوم الفتاة بإتباع هذا النظام الغذائي منذ سن البلوغ، وطبعا يكون بمساعدة والدتها وقربائها حتى تصبح بدينة جميلة مرغوبة للزواج⁽⁶⁾، وليس فقط الجمال والبدانة كانت مطلوبة بل صفات أخرى

⁽¹⁾ أكسيل لولو، المرجع السابق، ص 117.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 122.

⁽³⁾ لخضر بن بوزيد، دور المرأة في المجتمعات الرعوية خلال فترة ما قبل التاريخ، الجزائر، أعمال الملتقى الوطني الاول للمدينة والريف، مكتبة الرشاد، الجزائر، 2013، ص 226-228.

⁽⁴⁾ لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص 228.

⁽⁵⁾ زاهية مضوي و بلخير بقة، المرجع السابق، ص 56.

⁽⁶⁾ المرجع نفسه، ص 56.

أخرى مثل الخجل الذي يعد أحد أبرز السمات السيكلوجية الدالة على الأنوثة، وبالأحرى المطلوبة حتى تكتمل الأنوثة، وقد أعتبر الخجل حشمة وحياء تجسدا في نكران الذات الذي يتحقق عن طريق السكوت معبرا عن الطاعة والخضوع⁽¹⁾، ولا ننسى في هذا المقام الشروط الاساسية التي يجب أن تتوفر في الرجل، فلا بد من أن تتوفر شروط جسدية معينة للرجل حتى يتم الزواج، فالخصي على سبيل المثال لا يمكن له أن يتزوج، وهذا لأنه لا يحقق أحد غايات الزواج المتمثلة في الحياة الجنسية⁽²⁾.

I-2-5) العذرية:

أشرنا سابقا في سياق الحديث أن الزواج وتكوين أسرة كان يتم بالإتفاق بين عائلة الزوجين في سن مبكر بالنسبة للأنثى، وكان الشرط الأساسي فيها العذرية، التي عدت رمز و عنوان المحافظة ونقاوة النسب والنسل⁽³⁾، فهي تحمل في طياتها أهمية بالغة في المجتمع المغربي القديم، وفي هذا الصدد تحدث هيرودوت (Hérodote) (425-484 ق.م) عن تقليد كان يقام عند بعض القبائل في شمال إفريقيا، والتي كانت تعيش قرب بحيرة تريتونيس (خليج سرت) وهذه القبائل⁽⁴⁾

هي الماكليس (Les makilesses)⁽⁵⁾، والأوسيس (Les ossesses)⁽⁶⁾، وهذا التقليد يتعلق بحفل سنوي، تجتمع فيها فتيات من هاتين القبيلتين في مجموعتين مختلفتين، تتصارعا بالعصي والحجارة،⁽⁷⁾ "... خلال حفل سنوي يقام للرية أثينا حيث تنقسم عذاراهم إلى فريقين يحارب أحدهما

⁽¹⁾ نضار الأندلسي، المرجع السابق، ص 78.

⁽²⁾ السعيد خاشة، المرجع السابق، ص 62.

⁽³⁾ صبيحة أوكيل و بلخير بقة، مكانة المرأة في المغرب القديم، مجلة العلوم الاجتماعية، مج. 8، ع. 2، جامعة عمار ثليجي الاغواط، الجزائر، جويلية 2019، ص 73.

⁽⁴⁾ Hérodote, Histoire d'Hérodote, tr : Parlarcher, charpetier Librairie éditeur, paris, 1850, IV, 180.

⁽⁵⁾ الماكليس: حسب هيرودوت الشعوب القاطنة في المناطق الساحلية تمتد حتى نهر تريتوني الذي يفصلهم عن الاوسيس لكن المجموعتين البشريتين كلاهما يسكنان حول بحيرة تريتونيس (بحيرة السيرت الصغرى)... ينظر: مصطفى اعشي، أحاديث هيرودوت عن الليبيين (الامازيغ)، مطبعة المعارف الجديدة، مركز الدراسات التاريخية والبيئة، الرباط، 2009، ص 52.

⁽⁶⁾ الاوسيس: القبائل التي تقطن حول بحيرة تريتونيس... ينظر: المرجع نفسه، ص 56.

⁽⁷⁾ احمد سراج، المرأة من خلال فسيفساء في شمال إفريقيا، مجلة الأمل، ع. 13-14، الدار البيضاء، مغرب، 1998، ص 23.

الأخرى بالحجارة ويعدون الفتيات اللاتي يمتن نتيجة الجروح غير عذاري...⁽¹⁾، وبعد نهاية الحفل تختار الأجمل منهن لتحمل على العربة بعد أن يلبسونها درعا إغريقيا وخوذة كورنثية، ويدورون بها حول البحيرة⁽²⁾.

وهذا ما أسمته فتيحة فرحاتي إسم معركة العذراوات⁽³⁾، وهذا الأمر يثبت أن سكان المنطقة قد إعتنوا بالفتاة التي حافظت على عذريتها من فقدانها، وهذا منحها مكانة على الأقل لم تفقد حياتها في إحدى المعارك.

ونجد غبريال كامبس (Camps. G) (1927-2002م) قام بمطابقة بين هاته الرواية التي جاء بها هيروودوت، وبين ما يقام من عادات وتقاليد في قريتي غات وبركات في فزان، في أحد الأعياد يطلق عليه عيد الملح من كل سنة، وتقام مراسيمه عن طريق تجميع الفتيات وهن يرتدين أجمل الثياب، ويقمن بتمثيل المعركة بأطوارها تحت إيقاع الموسيقى، وكل واحدة منهن تحمل عصا وسوط، ويتظاهرون بالإشتباك وكأنهن في حرب، ثم بعد الإنتهاء من هذه التمثيلية تتكفل مجموعة من العجائز بفحص عذريتهن لتأكيد على سلامتهن أمام الملأ⁽⁴⁾.

ويذكر ديودور الصقلي (Diodor de Sicile) (80-20 ق.م) مشيد ومتفائرا بالنساء الأمازוניات فقال: "...المحاربات اللواتي كن يحاربن العدو وخلال أدائهن لمهامهن الحربية ييقن عذاري وبعد انتهاء خدمتهن العسكرية يتزوجن..."⁽⁵⁾.

(1) Hérodote, loc.cit, IV, 180.

(2) بنت النبي مقدم، هيروودوت يتحدث عن الحياة الاجتماعية لسكان بلاد المغرب القديم، أبحاث ودراسات تاريخية وأثرية، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2016، ص342.

(3) فتيحة فرحاتي، نوميديا من حكم الملك جايا إلى بداية الاحتلال الروماني (213-46 ق.م)، منشورات ابيك، 2007، ص301.

(4) غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر ماسينييسا أو بدايات التاريخ، تر: العربي عقون، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2009، ص ص32-33.

(5) Diodor de Sicile, Bibliothèque Historique, Imprimerie royale, Paris, 1834, III, 53-55.

وأشاد أبوليوس المادوري بهذه الفضيلة لدى المرأة ويمدح الفتاة العذراء قائلا: "العذراء الحسناء حتى ولو كانت في منتهى الفقر تحتاج إلى مهر وافر، وتحمل لا محالة إلى زوجها براءة سجيته وزهرة شبابها والبكارة، ميزة قيمة يمتلكها كل الأزواج، كما هو مشروع وموافق للعرف، فما تتلقى من شيء مهرا تستطيع متى شأت، وكى لا تضل مرتحنة أن ترده كاملا مثلما استلمته البكارة وحدها يتعذر إعادتها إذا تسلمتها، من بين كل مقومات المهر تبقى عند الزوج إلى الأبد"⁽¹⁾، وهذا يؤكد على أن العذرية كانت مفروضة على الفتيات، وهي من مهام الأم الحفاظ على بكارة بناتها، وكانت العقوبة قاسية تصل لحد الموت إن اكتشفت أنها ليست عفيفة ليلة عرسها⁽²⁾.

ووجد أن نساء المجتمع الطوارقي مازلت يقمن بطقوس العذرية حيث يتم تكليف إمرأتين قابلتين بإختبار وتقليب للفتاة، فإذا وجدت الفتاة بكرا أعطت لها تصريحاً بالزواج، وفي ليلة العرس لا تزال إلى الآن في بعض المناطق ينتظر المدعوون دليل على عذرية الفتاة بعد الدخول بها، وإلا ترد إلى أهلها محملة بالخزي والعار⁽³⁾.

I-2-6) الإحتفال بالزواج:

لا يختلف كثيرا عن مثل ما هو شائع عندنا اليوم، فالمجتمع المغاربي القديم كان يقيم إحتفالا للزواج ترافقه مجموعة من الطقوس والتقاليد ويكون علانية بحضور الجميع⁽⁴⁾.

وخير دليل ما أشار اليه هيرودوت أن قبيلة النسامونيين (Le Nasamons)⁽⁵⁾ "...وكانوا يعلنون يعلنون عن حفلات أعراسهم عن طريق غرس عصا أمام المكان الذي سيقام فيه الزفاف"⁽⁶⁾، ومن طقوسه:

⁽¹⁾ مها عيساوي، المرجع السابق، ص 415.

⁽²⁾ زاهية مضوي وبلخير بقة، المرجع السابق، ص 57.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص 57.

⁽⁴⁾ ابوبكر حسني عيسى احمد سرحان، المرجع السابق، ص 207.

⁽⁵⁾ النسامونيون: من القبائل الكبرى القاطنة على الضفة الشرقية للسيرت... ينظر: بنت النبي مقدم، هيرودوت يتحدث، المرجع السابق، ص 331.

⁽⁶⁾ Hérodote, Loc.cit, IV, 189.

أ) الرقص والغناء:

من المعروف عن سكان المغرب القديم حبهم الشديد للرقص والغناء والموسيقى⁽¹⁾، فنجد الشاعر فرجيل (Vergile) (70-19 ق.م) أشار إلى ذلك في الانياذة ، بحديثه عن عادات الزواج وكيف يتم الاحتفال بها بطقوس وأناشيد وتراويل خاصة⁽²⁾.

وإختصت النساء أكثر شيء بهذا سواء في الحفلات الدينية وغيرها كالزواج، فكن يطلقن صيحات متموجة وهي الزغاريد الحادة وطويلة النفس التي لا تزال بناهّن يطلقنها حتى اليوم⁽³⁾.

و عرفن النساء الليبيات هاته الزغاريد منذ القدم ،حيث كن يؤدين هاته الصيحات في مواكبهن مصحوبة برقصات⁽⁴⁾،فهيرودوت يؤكد بدوره على ذلك بوصفه: "هو نوع من الصراخ لا ينقصه شيء شيء من الحلاوة"⁽⁵⁾، وترافق تلك الزغاريد الغناء والتصفيق بالأيدي المصاحب لإيقاع الضرب على الدف⁽⁶⁾.

وكان يفضل ويستحسن إقامة هذا النوع من الحفلات بالليل على واقع الروايات والأشعار الغرامية ،التي تلقى على أذاني المستمعين الصاغية لها للاستمتاع بها، الأمر الذي لم يختلف حتى اليوم⁽⁷⁾.

⁽¹⁾ابوبكر حسني عيسى احمد سرحان، المرجع السابق، ص 207.

⁽²⁾ Vergile, Enede, Trad: J. Perret Les belles Lettres, Paris, 1981, I, 167-171.

⁽³⁾ابوبكر حسني عيسى احمد سرحان، المرجع السابق، ص 207.

⁽⁴⁾خالد آدم أحميدة جاب الله، الموسيقى والطرف في المجتمع الليبي قبل الاستيطان الإغريقي، المؤتمر العلمي الثاني لكلية الآداب، جامعة الزاوية، 15، 2018/07/16، ص ص 106، 107.

⁽⁵⁾ Hérodote, Loc.cit, IV, 189.

⁽⁶⁾خالد آدم أحميدة جاب الله، المرجع السابق، ص ص 207، 208.

⁽⁷⁾ابوبكر حسني عيسى احمد سرحان، المرجع السابق، ص 207.

ومثل ما هو متعارف عليه الآن، فقد كان يتم إقامة حفل يحضره كل أفراد العائلتين، من أبناء العشيرة والأصدقاء، فكلما كان العدد أكثر زادت قيمة الحفل، وهنالك حرص شديد بالإشهار لهذا الحدث عن طريق هذا الحفل⁽¹⁾.

وأغلب الإحتفالات تقام في جو معتدل الحرارة، إما في فصل الخريف أو الربيع لارتباطها الوثيق بطقوس الخصوبة والتكاثر، التي تقام في المعبد من أجل الحصول على الوفرة والخصوبة في الكائنات والنبات والحيوان، ولأجل تناسلهم وتكاثرهم وإنتشارهم، وهذا ما يسمى بطقوس الزواج المقدس، يجري في أيام معينة من السنة، حيث يعتمد في إختيار الأيام على قراءة الطالع والفأل الحسن⁽²⁾.

ب) حلي العروسة وزينتها:

إشتهر الليبيون بحبهم للتزين في الحفلات والمناسبات المتنوعة مثل حفلات الزفاف، فنجد هيروdotot تحدث عن مختلف القبائل التي كانت لها بصمة خاصة في ذلك، فنجد نساء قبيلة الاديروماخيدي (Adyrmachides)⁽³⁾، "...وكن يضعن بكل ساق حلقة من البرونز كالخلخال للزينة للزينة و يرتدينه بإستمرار خاصة أيام الزفاف..."⁽⁴⁾، أما نساء الجندانس (Les Gindanes)⁽⁵⁾ "...فيزين كواحلهن بشريط من الجلد..."⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ نضار الأندلسي، المرجع السابق، ص 88.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 105.

⁽³⁾ الاديروماخيدي: هي أول الشعوب المقيمة غرب مصر بليبيا وقد حاول بعض المؤرخين جعلهم التمحو والبعض الآخر نسبهم إلى المشوش... ينظر: بنت النبي مقدم، هيروdotot يتحدث، المرجع السابق، ص 330.

⁽⁴⁾ Hérodote, Loc.cit, IV, 168.

⁽⁵⁾ الجندانس: واحدة من قبائل السرت المجاورة لقبيلة الاوراس... ينظر: بنت النبي مقدم، هيروdotot يتحدث، المرجع السابق، ص 332.

⁽⁶⁾ Hérodote, Loc.cit, IV, 176.

وقدمت لنا ألواح البيرثيني (Tablettes Albertini) فكرة مقتضبة عن ثوب الزفاف، وذلك عند إشارتها إلى الشابة جيمينيا اينوارينا (Geminia Ianuarina)، والتي إرتدت خلال حفل زفافها الحجاب والأساور والأقراط، بينما ركز الشاعر اللاتيني كاتول على وصف لباس العروس بالأبيض⁽¹⁾. وقد عرف عن تفنن النسوة في إختيار تسريحات الشعر، إلا أن المرأة كانت تفضل وتختار يوم زفافها صنف الجداول، حيث تفرقه على ستة ضفائر ثم تربطه تحت الرأس بطريقة معقدة على شكل مخروط⁽²⁾.

ج) ليلة العرس:

تقوم المرأة في تلك الليلة بأداء مختلف الطقوس حيث تقدم الأضاحي والقرايين⁽³⁾، فمثلا نجد في مدينة قورينة (Cyrénaïque) أنه يتم تقديم تلك الأضاحي والقرايين للإلهة أرتميس (Artémis) على وجه الخصوص، وتشمل زيارات متعددة لمعبدها، وكانت الطقوس عادة تقضي بدخول العروسة إلى المعبد حيث يتم زواجها وتنتقل بعد ذلك لتعيش مع زوجها⁽⁴⁾.

ووجدت نفس هاته العادات أيضا عند الجرامنتيين، فعادات الزواج مقترنة بالآلهة خاصة الآلهة أرتميس، فبدخول العروسين إلى معبدها يتم الزواج ثم تنتقل العروس، بعد ذلك لتعيش مع زوجها بعد نزولها إلى عين الماء المقدسة (نبح ابوللو)⁽⁵⁾.

وبعد إنتهاء العروس من تلك الطقوس يقدمون لها الهدايا ويقوم الزوج بتصريح لها "أنا الآن عائلتك"، وعند هذه النقطة يشبكون أيديهما، ويجلس العريس والعروسة جنباً إلى جنب، فوق كرسيين مغطيين بجلد الخروف واحد، ويهتف الحضور لهما بالسعادة الأبدية⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ نضار الأندلسي، المرجع السابق، ص 105.

⁽²⁾ السعيد خاشة، المرجع السابق، ص 65.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص 95.

⁽⁴⁾ نضار الأندلسي، المرجع السابق، ص 88.

⁽⁵⁾ توفيق مسعود راشد، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في جزمة منذ نشأتها حتى القرن السادس الميلادي، (أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم)، جامعة طرابلس، ليبيا، 2017، ص 113.

⁽⁶⁾ السعيد خاشة، المرجع السابق، ص 65.

وكذلك يتم تنويجهما بأوراق الغار وتطبييهما بمختلف العطور، وتقدم لهما كعكة الزواج يأكلان منها معا، وتقدم الحلوى للحضور⁽¹⁾، وفي ختام الحفل تحتضن العروسة والدتها، ليأتي العريس ويأخذها منها⁽²⁾، وبعد إنتهاء حفل الزفاف تخرج العروس في موكب يعرف بإسم موكب العروس، وهي ملثمة بوشاح وتضع تاجا على رأسها، تتقدم هذا الموكب شعلة من نار تعرف بشعلة الزواج، يسير حول هذا الموكب جماعة المنشدين يرتلون الأناشيد والأغاني⁽³⁾.

والغناء قد يكون فاحشا في بعض الأحيان، وتضاء الطرقات وترمى الفواكه الجافة والمكسرات⁽⁴⁾، و تتقدم مواكب الزواج إمراة لم تتزوج إلا رجلا واحدا تيمنا بها، ومن العادات المتبعة كذلك أن العائلات الغنية النبيلة تقدم الهدايا لبعض العامة، وقد نقل أبوليوس عن زوجته بودنتيلا أنها كانت تعطي العامة القطع الذهبية - النقدية - بمناسبة زواج ابنها بنتانوس⁽⁵⁾.

ومن العادات المتعارف عليها كذلك عند الوصول لبيت العروسين يقوم الزوجان برمي شعلة الزواج، وتقوم الزوجة بفرك مادة دسمة أو زيت على عتبة الباب⁽⁶⁾، وبعد أن تدخل العروس المنزل يقدم العريس لعروسه النار والماء، فالأولى ترمز لديانة الأسرة، أما الثاني فيدل على الحياة المنزلية واقتسامها مع زوجها⁽⁷⁾، و يوضع سرير مصغر في قاعة الإستقبال كرمزية لتزواج روح العروسين، وبعد، وبعد ذلك يتجهان قبالة السرير الزوجية⁽⁸⁾، وأما في اليوم الثاني يقيم أهل العريس حفل عشاء على شرف زواج ابنهم⁽⁹⁾.

(1) نضار الأندلسي، المرجع السابق، ص 88.

(2) السعيد خاشة، المرجع السابق، ص 95.

(3) نرجس محمد سويس، المرجع السابق، ص 95.

(4) السعيد خاشة، المرجع السابق، ص 95.

(5) نجلاء عبد الله الزدام، الأحوال الحضارية للقبائل الليبية في المدن الثلاث خلال العصر الروماني، (أطروحة دكتوراه في التاريخ اليوناني والروماني)، جامعة قناة السويس، مصر، 2019، ص 141.

(6) السعيد خاشة، المرجع السابق، ص 65 - 66.

(7) عائشة عيسى أبو حجر، المرجع السابق، ص 44.

(8) السعيد خاشة، المرجع السابق، ص 66.

(9) عائشة عيسى أبو حجر، المرجع السابق، ص 44.

وفي فترة المسيحية لم يختلف الإحتفال بالزواج كثيرا عن إحتفالات الوثنيين، وذلك أن الدين الجديد آنذاك عمد إلى إلغاء عادة تقديم القرابين للآلهة، وكان الحفل ينطلق مباشرة بعد الموافقة وأداء قسم الوفاء، حيث تقوم امرأة بوضع اليد اليمنى للعروس على اليد اليمنى للعريس، ثم يضعان أيديهما فوق الإنجيل فيبدأ الأسقف بإقامة الصلاة⁽¹⁾.

ويستنتج مما سبق شرحه أنه لا يستقيم الزواج إلا بوجود عدة شروط ومعطيات حتى يطلق عليه زواج مكتمل، بداية من الخطوبة إلى إقامة حفل الزواج، وإلا لن يستمر ذلك الزواج الغير مكتمل الشروط ومستوفيهما بين عائلتين المتصاهرتين.

I-3) الطلاق:

يعتبر الطلاق آخر الحلول بين الطرفين في حالة عدم توافقهما فكريا، ودينيا، وحتى إجتماعية لذلك يلجأ الزوجان إلى إختيار هذه الخطوة الأخيرة كحل لا بد منه.

الطلاق يعرف بأنه التفريق بين الزوجين والحيلولة بينهما دون إجتماعهما في الفراش، أوالتعايش في المنزل⁽²⁾، و طبعاً لا ينتهي الزواج إلا بالطلاق⁽³⁾.

وكان يقع الطلاق بين الزوجين لمجموعة من الأسباب، منها ما هو إجباري ومنها ما هو اختياري، أما عن الأسباب الإجبارية حينها فتتمثلت في: وفاة أحد الزوجين، فقدان أحد الطرفين حريته، أسر الزوج⁽⁴⁾.

أما عن أسباب الطلاق الإختيارية فلقد تعددت آنذاك فتمثل في: إرتكاب أحد الزوجين لجرمة الزنا، محاولة أحد الطرفين تسميم الطرف الآخر، تزيف الزوجة مفاتيح المنزل، إدعاء الزوجة الحمل أو الولادة كذبا⁽⁵⁾، ويعتبر العقم أكبر لعنة يمكن أن يتصورها الزوجان فعلى الزوجة أن تؤمن نسلا، لأنه

⁽¹⁾ نضار الأندلسي، المرجع السابق، ص105.

⁽²⁾ لمياء علي محمد، المرجع السابق، ص52.

⁽³⁾ عائشة عيسى أبو حجر، المرجع السابق، ص44.

⁽⁴⁾ نرجس محمد سويسبي، المرجع السابق، ص104.

⁽⁵⁾ المرجع نفسه، ص ص104 - 105.

يعد وظيفتها الأساسية⁽¹⁾، فالمرأة التي لا تنجب لا تصلح أن تكون زوجة ويستغنى عنها ، ومصيرها الطلاق في نهاية المطاف في الغالب⁽²⁾.

إن تكرار التكلم عن عقم الزوجة والذي إكتسب صبغة الصدمة في أغلب الأدبيات ، بل وجسد موقف الزوج الواضح من إنجاب الأطفال في هذه الحالة رخص القانون الروماني للزوج الزواج من امرأة أخرى، بينما لم يشكل عقم الزوج أي رد فعل يذكر، بل وظل من الأمور المسكوت عنها عند جمهرة من الكتاب ولم يأتي أحد على ذكرها⁽³⁾، باستثناء بلوتارخ (Plutarchus) الذي عبر عن الوضع بقوله: "كيف تصبح المرأة غنية فيعجز الرجل عن تخصيصها"⁽⁴⁾.

وأفصح وعبر ترتليانوس (Tertullianus) (160-225م) عن كثرة الطلاق: "صار الطلاق شائعا كما لو كان ثمرة الزواج المرجوة"⁽⁵⁾، وقد أعطي الرجل الأحقية في الطلاق دون تبرير أسباب ذلك، وبذلك سيترتب على والد الفتاة برد المهر إن كان قيمة مالية إلى أب الرجل أو الرجل نفسه في بعض القبائل، وحق التطليق هو من حق الرجل فحسب ، أما الزوجة لا يحق لها طلب ذلك ، لأنها ملك لزوجها فلا العرف ، ولا أبوها ينصفها، فالأب قام ببيعها فكيف يريد ويرحب بطلاقها⁽⁶⁾.

إلا أنه لم يبق ساري المفعول الوضع المعمول به ، ففي المجتمع المغاربي المترومن كان للأب الحق في السعي أحيانا لتطليق إبنته، رغم أن القانون الروماني حرم الأب من هذا الحق، في حالة إذا كانت إبنته قد أنجبت بموجب زواج شرعي، لأنها تكون في هذه الحالة تحت وصاية زوجها، أما إذا كان زوجها غير شرعي فمن حق الأب أن يطلقها ، طالما أن والدها مازال يتمتع بالسلطة عليها، وعلى ذلك فقد أعطى القانون الروماني للأب حق تطليق إبنته الخاضعة لسلطته⁽⁷⁾.

⁽¹⁾ اشرف نادي احمد حسين، الأمومة في مناظر وتمائيل الملوك والأفراد في العصرين اليوناني والروماني في مصر، (رسالة ماجستير في الآثار المصرية)، جامعة القاهرة، مصر، 2010، ص74.

⁽²⁾ صبيحة أوكيل و بلخير بقة، المرجع السابق، ص74. وينظر كذلك: زاهية مضوي وبلخير بقة، المرجع السابق، ص60.

⁽³⁾ نضار الأندلسي، المرجع السابق، ص119.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه، ص119.

⁽⁵⁾ ترتليانوس سينيموس، المناقحة (دفاع عن التوحيد)، تر: عمار الجلاصي، طرابلس، 2000، ص30.

⁽⁶⁾ زاهية مضوي وبلخير بقة ، المرجع السابق، ص60.

⁽⁷⁾ لمياء علي محمد، المرجع السابق، ص53.

مع ذلك يمكن القول أن الطلاق كان نادرا وعسيرا خلال الفترة الرومانية في الزواج الذي يعقد بطريقة أكلة كعكة العرس (Confarréation)، أما الزواج الديني كم مانو (Cummanu) فقد كان للزوج وحده قرار الطلاق، أما في الزواج العادي والذي يجمع بين مواطن روماني ومواطنة غير رومانية سن مانو (Manu sin) فكان لكلا الزوجين حق اتخاذ قرار الطلاق دون الرجوع إلى موافقة الدولة عليه⁽¹⁾.

وبالمقارنة نجد أن المجتمع الفينيقي لا يختلف كثيرا في أعرافه وتقاليده عن المجتمع المغاربي القديم، حول مكانة المرأة داخل الأسرة فبمجرد التنبؤ بعدم مقدرتها على الإنجاب، مصيرها الطلاق الذي كان بيد الرجل كذلك⁽²⁾، لكن في مصر القديمة يختلف الامر، فلو أن الرجل أو بالأحرى الزوج يقوم بخيانة زوجته أوسيء إليها في التصرف والمعاملة، فالطلاق يصبح من حقها، وتحصل على التعويض فضلا عن الصداق والمؤخر⁽³⁾.

ومن جهة يفتح الطلاق بعد انفصال الزوجين باب إعادة الزواج⁽⁴⁾، فالباحثة نضار الأندلسي تقول : "فكانت النساء يحسبن سنوات عمرهن بعدد المرات التي حصلنا فيها على الطلاق الذي أثر بدوره على قلة النسل"⁽⁵⁾.

وقد هجا الشاعر اللاتيني مارسيل (Martial) (40-104م) في قصائده هذه النوعية من النساء اللواتي يتزوجن ويطلقن لمرات متعددة.

بل ووصفهن بأبشع الأوصاف تعبيرا عن سلوكهن الداعر حسب قوله ، وهذه القصائد تعكس بأمانة صورة العصر ووضع المطلقات فيه⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ علي مؤمن إدريس مؤمن، الحياة الاجتماعية الرومانية، المرجع السابق، ص 51.

⁽²⁾ محمد علي حسن الدراوي، المرجع السابق، ص 182.

⁽³⁾ عماد طارق، المكانة التاريخية للمرأة ودورها في المجتمعات القديمة دراسة تمهيدية، مجلة التراث العلمي العربي، ع. 4 ، جامعة بغداد ، العراق، 2015، ص 160.

⁽⁴⁾ نضار الأندلسي، المرجع السابق، ص 66.

⁽⁵⁾ عائشة عيسى أبو حجر، المرجع السابق، ص 44.

⁽⁶⁾ نضار الأندلسي، المرجع السابق، ص 66.

طرحَت مسألة الزواج والطلاق المتكرر مشكل كبير ممتثل في نسب الأطفال، فقد ورد في أحد النقائش " إسم سيدة تدعى لوسيا فاليريا ماكسيميا (Lucia Valeria Maximilla) من تيمقاد (Timgad)، تزوجت عدة مرات، وأسفر ذلك عن اختلاف أنساب أبنائها، وإحتاج الأمر إلى تدخل القانون لإثبات نسبهم" ⁽¹⁾.

يمكن القول أن الطلاق يعد من الأسباب التي تخل بالزواج وشروطه، وكذلك يكون سببا في تحطيم الروابط الأسرية، و يعود سلبا على حياة الأطفال مستقبلا نظرا للظروف المعيشية.

I-4) الأرمال:

في البداية واجهتنا صعوبة في إيجاد معلومات كافية عن حالة الأرمال في بلاد المغرب القديم، لكن ذلك لم يمنع من إيجاد إشارات ولو قليلة حول الموضوع.

طبعاً لم تغفل النصوص الأدبية عن وصف وضعية النساء الأرمال اللواتي فقدن أزواجهن بسبب الوفاة، أو المطلقات اللواتي انفصلن عن أزواجهن لسبب أو لآخر، وقد اختلفت وضعية الأرمال والمطلقات عن غيرهن من المتزوجات والعذارى ⁽²⁾.

وطرحت إشكالية ومسألة الزواج بإلحاح بعد فقدان الزوج الأول، وتخبرنا النصوص عن نساء كررن تجربة الزواج بعد فقدان أزواجهن، فقد تزوجت أرملة الملك سيفاكس صوفونيزب بالاغليد ماسينيسا بيوم واحد، كما إرتبطت الأميرة كلافيرا (Glaphira) بزواج ثان بعد زوجها الأول، وغالبا ما كان الزواج ببعض أفراد عائلة الزوج المتوفى، وغالبا ما يكون الأخ هو مستقبل الأرملة، وذلك حفاظا على نسب الأبناء، فقد تحدث أبوليوس المادوري عن الأرملة التي إنتظرت سنوات وفاة أخ زوجها المتوفى لتتزوج خارج إطار العائلة ⁽³⁾.

بينما بقيت وضعية الرجل الأرمال الذي يفقد زوجته أفضل بكثير منهن، لما يسمح له بإقامة علاقات غير شرعية، للعلم أن عادة زواج الأرمال والمطلقات ينظر إليه بإحتقار، وتقدر وتحترم المرأة

⁽¹⁾ نضار الأندلسي، المرجع السابق، ص 66.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 64.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص 65.

التي لها رجل واحد أو التي لم يضاجعها سوى رجل واحد عكس الرجل الذي ابيح له التصرف في أمره⁽¹⁾.

وخير دليل ما نلمسه من خلال مشاعر السخط والإحتقار لدى أقارب بودنتيلا بعد زواجها للمرة الثانية من إبوليوس، وبعكس هذه السيدة نجد نساء بقين أوفياء لهذا التقليد بعد وفاة أزواجهن، فيحدثنا نص جنائزي من منطقة غار الدماء يرجع إلى النصف الأول من القرن 3م، عن امرأة تدعى سميرونيا اوريكا من سكان منشلة (Mascula) (مسكولا) تزوجت من رجل يكبرها سنا، ومن غير مدينتها أنجبت منه ابنة قبل أن يتوفى وهي صغيرة في السن، لكنها لم تتزوج ثانية، ولم ترجع إلى مدينتها الأصلية لتعيش مع أهلها⁽²⁾.

ورغم كل الظروف القاهرة فضلت الإقامة مع أسرة زوجها حتى تتمكن من تربية ابنتها رغم كل المصاعب، وتوفت في سن 60 عاما، وهي مطمئنة كونها إستطاعت تزويج ابنتها اليتيمة من رجل فاضل أختير من بين عدة خاطبين⁽³⁾.

ونقرأ في نصب جنائزي في مدينة دوقة (Dougga) في تونس مهذا على شرف الإلهة مانوس: " للإلهة مانوس (Minibus) المقدسة يحتوي هذا النصب، الذي أنجز كشاهد على خلود عظام وروح الورعة والتقية نوميبي مارسيلينا (Numisiae Marcellin) وزوجها كوينتوس لاينوس اديتور، لقد اجتمعنا داخل قبر واحد وأكد الموت لن تفرقنا أبدا وسنحيا بحب ابدي" ⁽⁴⁾، وهذا يدل على وفاء الزوجات لأزواجهن بعد الوفاة والعكس صحيح (الملحق رقم 03 ص 327).

حاولنا توضيح صورة وضعية الأرمال في بلاد المغرب القديم رغم ما قيل عنها عند جمهرة من المؤرخين، لكن ذلك لم يكن منصفاً في حقها، فقد وصفت بأبشع الأوصاف فقط لأنها أرملة، لكن

⁽¹⁾ جمعة البشير محمد الحارري، الحياة الاجتماعية والمعتقدات الدينية في ولاية إفريقية البروقنصلية (31ق.م-284م)، (رسالة ماجستير في التاريخ القديم)، جامعة السابغ من ابريل، ليبيا، 2004، ص 205.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 205.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص 205 - 206.

⁽⁴⁾ Ladjimi (LS), L'amour en Afrique romaine (apropos d'une inscription métrique des environs de Dougga Tunisie), Antiquités Africaines, 1990, p210.

ما يلاحظ أن وضعية الأرملة في بلاد المغرب القديم تختلف باختلاف مكانتها السياسية و الاجتماعية .

I-5) تعدد الزوجات:

تعد ظاهرة تعدد الزوجات من الظواهر المنتشرة بين شعوب الحضارات القديمة ،وبالأخص في بلاد المغرب القديم فقد عرف على قاطينها بشيوع هذه الظاهرة فيما بينهم ،وذلك حسب ما تتطلبه الظروف الاجتماعية والاقتصادية وحتى العسكرية منها.

في البداية الموضوع لابد من التمييز بين المشاعة الجنسية التي عرفت شعوب الحضارات القديمة ،حيث أثبت الباحثون في هذا المجال أن الأصل هو وجود امرأة أخرى في حياة الرجل على أي نحو وشكل، حيث يلاحظ أن الشعوب البدائية إنتهجت التعدد بدون ضوابط أو نظام، فكانت إشكال هذه العلاقات موهلة في البدائية إتسمت بالفوضى إلى حد ينأى بها عن أي معنى من معاني التمدن والحضارة، ويجب التمييز بين ذلك وبين تعدد الزوجات ،الذي هو نظام إجتماعي يعتمد على عدم إستبدال أطراف الزواج واختلاطهم ،وبين مختلف أشكال التعدد الزوجي الأخرى التي عرفت البشرية،⁽¹⁾.

يعتبر تعدد الزوجات في بلاد المغرب القديم حقا مشروعاً للرجل ، فيحق له أن يقترن بعدد من النساء، هذا بالإضافة إلى الإستسراء والإستمتاع بما شاء من الإيماء، فقد كشفت الآثار المصرية هذه المسألة حين صورت بعض الزعماء الذين يصحبون معهم زوجاتهم أثناء تنقلاتهم⁽²⁾.

⁽¹⁾ مريم بودوخة، تعدد الزوجات هل هي خاصة إسلامية-دراسة نظرية-، مجلة العلوم الاجتماعية، مج.10، ع.5، جامعة عمار ثليجي الاغواط ، الجزائر ، 2016، ص57.

⁽²⁾ نضار الأندلسي، المرجع السابق، ص106.

وتشير بعض النصوص المصرية إلى ظاهرة تعدد الزوجات لدى قبائل الشمال الأفريقي القديم، فتشير نقائش معبد الكرنك بمصر⁽¹⁾، "أن "مري بن دد" أمير قبيلة الليبو شهد بصحبة زوجته وأولاده الستة"⁽²⁾.

" وإن ذكرت النصوص زوجة واحدة، ذلك لا يعني أن الأمير إكتفى بها فحسب، بل العكس صحيح تماما، مما يؤكد ذلك أن أولاده الذين تم أسرهم كانوا جميعهم في سن الرجولة وقد شاركوا في الحرب مما يعني كبر السن لأمهاتهم أي لم يكونوا من زوجته التي أتت معه"⁽³⁾.

فالمرأة التي صورت معه هي الزوجة الأخيرة التي مازالت في سن يجعلها تتمتع بحظوته⁽⁴⁾، ولكونها صغيرة السن وبافعة يمكنها تحمل مشقة السفر وتعبه فجلبها معه ، أو على الأقل له زوجة رئيسية ومجموعة من الزوجات الثانويات والمحضيات⁽⁵⁾.

وقد ورد في نص من نقوش معبد الكرنك الوصفة لإنتصار الملك مرنبتاح عام 1227 ق.م أن ميري بن دد(Mery) أمير الليبو ، قدم صحبة زوجته وستة من أولاده إلى الدالتا⁽⁶⁾ ، وأيضا أن رئيس الليبو ميري بن دد ، قد هاجم إقليم تحنو برمته ومعه شردانا وشكلش واقايواش ولوكا وتورشا أخذا كل مقاتل حسن وكل رجال القتال في بلاده، وقد جلب معه زوجته وأولاده⁽⁷⁾.

وقد دونت في نصوص رمسي الثالث(1186-1154 ق.م) أن "ميري بن دد" أمير الليبو جلب معه زوجته وأسرته وإبنه ، و هذا يعني أن الزوجة الأولى هي زعيمة نساء القبيلة وهي السيدة

⁽¹⁾ ابوبكر حسني عيسى احمد سرحان، عادات وتقاليد سكان شمال إفريقيا القديم(814 ق.م-429م)، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية المصرية، ع. 11، كلية الدراسات الافريقية العليا ، مصر ، أكتوبر 2021، ص32.

⁽²⁾ أم الخير العقون، مظاهر المجتمع والحضارة الليبية من خلال الآثار المصرية القديمة، مجلة الاتحاد العام للثائرين العرب، مج. 7، ع. 7 ، المجلس العربي للدراسات العليا والبحث العلمي ، اتحاد الجامعات العربية ، 2006 ، ص4.

⁽³⁾ أم الخير العقون، دولة الامازيغ في مصر الفرعونية(715-950 ق.م)، دار القدس العربي، وهران، (د.ت)، ص72.

⁽⁴⁾ ابوبكر حسني عيسى احمد سرحان، عادات وتقاليد، المرجع السابق، ص33.

⁽⁵⁾ أم الخير العقون، دولة الامازيغ، المرجع السابق، ص72.

⁽⁶⁾ وفاء بوغرة، العلاقات الاجتماعية والثقافية بين المغرب القديم وشعوب البحر الأبيض المتوسط منذ الألف الأولى قبل الميلاد إلى 431م، (أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم)، جامعة ادرار، الجزائر، 2017/2018، ص41.

⁽⁷⁾ المرجع نفسه، ص36.

ذات المكانة الاجتماعية الرفيعة بينهن⁽¹⁾، وكذلك تم الإشارة إلى نساء "كبير ابن دد" في نصوص رمسيس الثاني (1279-1213 ق.م)⁽²⁾.

وشهدت حرب القبائل اللوية المتحالفة ضد رمسيس الثالث أسر 342 من زوجات زعماء القبائل المتحالفة⁽³⁾، كما نقرأ في لوحة بيغنجي (715-656 ق.م) أن الملك نمرو، وهو ليبي من قبائل المشواش، بعث زوجته "نس تنت" إلى زوجات الملك بيغنجي (مؤسس الأسرة 25)، من أجل إستعطافه وطلب العفو منه لزوجها وورد في النص: "ولما دخل بيغنجي قصر نمرو أمر أن تأتي إليه زوجات الملك وبناته"⁽⁴⁾.

وقد أوحى لنا مناظر من مقبرة بني حسن في عهد الفرعون أمنمحات الأول (1991-1962 ق.م) (الأسرة 12 ق.م) رسومات توضح مرور قافلة من التمحو مهاجرة إلى مصر، حيث توضح تلك الرسومات رجلا وتبعه زوجته تحمل طفلها على ظهرها⁽⁵⁾.

وهذه الرسومات تؤكد أن الليبيين أثناء الهجرة والسفر ليس بالضرورة ترافقهم كل زوجاتهم، بل يكون الاختيار على الزوجة الأصغر سنا التي تتحمل عناء المشقة والتنقل، وتعود عادة تعدد الزوجات عند الليبيين القدماء خاصة زعماء القبائل لعدة أسباب الأول القدرة على الإعالة، والثاني للحصول على عدد كبير من الأبناء لإعالة الأسرة والقبيلة.

(1) وفاء بوغرة، العلاقات الاجتماعية، المرجع السابق، ص 42.

(2) وفاء بوغرة، ظاهرة تعدد الزوجات في الأسرة اللوية القديمة (قبل القرن الرابع ق.م)، مجلة الحوار الفكري، مج 13، ع 16، جامعة احمد دراية ادار، الجزائر، 2018/12/15، ص 293.

(3) عبد اللطيف محمود البرغوثي، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، دار الصادر، بيروت، 1971، ص 88.

(4) مريم طياب، النظم الاجتماعية في نوميديا (من مطلع القرن الأول ميلادي إلى نهاية القرن الثالث ميلادي)، (رسالة ماجستير في التاريخ)، جامعة العقيد احمد دراية ادار، الجزائر، 2015/2014، ص 71.

(5) أم الخير العقون، رقصة السببية بالصحراء الجزائرية ووفاة الفرعون، مجلة دراسات في اثار الوطن العربي، ع 18، الإتحاد العام للآثاريين العرب وإتحاد الجامعات العربية، 2016، ص 44.

وفي هذا الصدد أشار الكثير من الكتاب الأغارقة إلى هاته الظاهرة المنتشرة في المجتمع المغاربي القديم، وعلى رأسهم هيروdot حين تناول بالحديث قبيلة النسامونين "كما إعتادوا أن يكون لكل واحد عدة زوجات والمرأة مشاع بينهم"⁽¹⁾.

وهذا يؤكد على أنه بإمكان كل رجل من القبيلة أن يتخذ عددا من الزوجات، وأن الرجل الواحد يستطيع ذلك طالما كان في سعة من الرزق⁽²⁾، ويضيف كذلك: "عندما يتزوج رجل منهم لأول مرة فإنه من العادة أن تمر العروس على جميع المدعوين وتضاجعهم ويمنحها كل واحد منهم بعد أن يعاشرها هدية مما جلب معه من بيته"⁽³⁾.

وكان إذا أراد أي رجل أن يضاجع أي امرأة يضرب عمود إشارة إلى رغبته في امرأة تشاركه الفرش⁽⁴⁾، و نجد أن هناك تناقض فيما أورده هيروdot حول وضعية المرأة لدى النسامونيون، فهم من جهة متعدّدو الزوجات، ومن جهة أخرى المرأة مشاعة بينهم، لأن المشاعة تلغي وجود الزواج⁽⁵⁾، وكذلك نفس الشيء عند قبيلة الماساجيتاي (Massagètes) فمن عاداتهم أن يتخذ كل رجل زوجات كثيرات، وهم يخالطون النساء دون قيد أو ضابط⁽⁶⁾، حيث يحق لكل رجل متزوج يستمتع بزواج أقرانه من رجال القبيلة⁽⁷⁾.

Hérodote, Loc.cit, IV, 172.

(1)

⁽²⁾ هالة محمد الفيتوري المصري، المرجع السابق، ص118.

Hérodote, Loc.cit, IV, 172.

(3)

⁽⁴⁾ بنت النبي مقدم، هيروdot يتحدث، المرجع السابق، ص335.

⁽⁵⁾ وفاء بوغرة، ظاهرة تعدد الزوجات، المرجع السابق، ص298.

⁽⁶⁾ رجب عبد الحميد الاثرم، هيروdotس والليبيون، مجلة البحوث التاريخية، ع.2، جامعة قارونس، ليبيا، يوليو 1993، ص56.

⁽⁷⁾ عبد السلام محمد شلوف، دراسات في تاريخ ليبيا القديم قبيلة النسامونيس، مجلة قارونس العلمية، ع.1-2، جامعة قارونس، ليبيا، 1991، صص151، 152.

أما قبيلة الأديرماخيدي فقد عرف عنها حسب هيرودوت: "وهم فقط الذين يقدمون العذري المقبلات على الزواج للملك ليعاشرهن، والتي تنال إعجابه يفض بكارتها قبل الزواج"⁽¹⁾، أما بخصوص قبيلة الجنداس تفتخر نسائهن حسب هيرودوت " يضعن الحلقات الجلدية ترتديها حول كاحلها، والتي ترمز لعدد الرجال الذين تم مضاجعتهم، والتي يكون لديها عدد حلقات أكثر ينظر إليها بأنها الأفضل وأحبها الكثير من الرجال"⁽²⁾.

وحتى النوميدي والمور (Maures/Numidia) عرف عندهم نظام تعدد الزوجات، الذي أشار لهم سالوستيوس (Salluste) (86-34/35 ق.م) في حديثه عن زواج يوغرطة (Jugurtha) (118-105 ق.م) من ابنة بوخوص (Boc chus) بقوله: "تزوج يوغرطة من ابنة بوخوص والحقيقة أن هذا الارتباط لا يعني شيء عند النوميدي والمور، فكل واحد يأخذ النساء بحسب مقدرته وثروته تصل إلى عشرات النساء وأكثر عند العامة، فما بالك بالملوك"⁽³⁾.

لكن هذا هذا النوع من الرباط بالذات لا يعتمد به عند النوميديين والموريين، والسبب أن لكل عدد من نساء، وينقسم حب الزوج بين عدد كبير من الزيجات، فلا تصبح أية منهن زوجة حقيقية بل يتساوين كلهن في الإهمال⁽⁴⁾.

وتشير الباحثة نضار الأندلسي: "أن ظاهرة التعدد التي منحتها الأعراف ليوغرطة زادت من حدتها ظروف الحرب وتشريعاتها، فارتبط الإغليد بعدة نساء في الفترات التي سادت فيها الحرب، وتبعاً لذلك يمكن القول أن التعدد عند القبائل الليبية فرضته ظروف العيش"⁽⁵⁾.

وفي حقيقة الأمر الملك يوغرطة لم يكن السباق لذلك بل كان من حق موحد النوميديتين الشرقية والغربية الملك ماسينيسا حيث أنجب نتيجة تعدد زوجاته أربعة وأربعين من الأبناء⁽⁶⁾، صحيح

(1) Hérodote, Loc.cit, IV, 168.

(2) Hérodote, Loc.cit, IV, 176.

(3) بنت النبي مقدم، هيرودوت يتحدث، المرجع السابق، ص 339-340.

(4) جمعة البشير محمد الحراري، المرجع السابق، ص 204.

(5) نضار الأندلسي، المرجع السابق، ص 107.

(6) أبو بكر حسني عيسى أحمد سرحان، عادات وتقاليد، المرجع السابق، ص 33.

أن للملوك زوجات شرعيات إلا أنهم يجذون إمتلاك الخليلات كثيرات من الطبقة غير نبيلة، لكن الرغبة في الحصول على الكثير من الأبناء فرض عليهم ممارسة ظاهرة تعدد الزوجات ،وقد يصلون إلى الزواج من 50 امرأة، وذلك غير مستبعد رغم المبالغة فيه⁽¹⁾.

إن هذه الظاهرة قد تواصلت لوقت طويل ،حسب مارواه المؤرخ بروكوبيوس(Procopé)(ق6م) عن رد الرؤساء الليبيين على القائد البيزنطي سلومان(Solomon) عندما هددهم بأن يقتل رهائنهم من أبنائهم لديه⁽²⁾، فكان الرد على ذلك التهديد كالآتي: "إنه يتحتم عليك أنت الذي لا تستطيع أن تتزوج أكثر من واحدة، أن تخاف وتقلق، لأنه ليس لكم الحق بإضافة زوجة أخرى، بينما نحن بإستطاعتنا الزواج بأكثر من خمسين امرأة، وبالتالي لا ننقص أبدا من الأبناء والخلفة"⁽³⁾.

وجاء على لسان الكثير من المؤرخين الكلاسيك —خاصة الأغارقة— أن قبائل الجرامنت(Gramantes) مارست هاته الظاهرة ،فقد عرفوا قديما بعدد كبير من النساء ،وأنه كان لكل فرد منهم عدد كبير من الأولاد والبنات، ويرجح أن كثرة سكان الطاسلي ناجر(Tassili N'Ajjer) في الماضي كان مرجعه لكثرة النساء لدى الرجال حينها⁽⁴⁾.

وتدل كثرة القبور الخاصة بالنساء بفران على أنه كان لكل ملك من الملوك عدد من الزوجات والإيماء⁽⁵⁾.

فقد لوحظ أن كثرة قبور النساء في المقبرة الملكية في جزمة تفوق عدد قبور الرجال، وذلك ليس خطأ من قدر المرأة ودورها في المجتمع ، لا بل على العكس منذ ذلك هو الرفع من مستواها

⁽¹⁾ بنت النبي مقدم، هيرودوت يتحدث، المرجع السابق، ص140.

⁽²⁾ جمعة البشير محمد الحراري، المرجع السابق، ص207.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص207. وينظر كذلك: Procopé, La guerre contre Les Vandales, Trad: Roques, ed:

Belle Lettres, Paris, 1990, II, 9-13

⁽⁴⁾ إبراهيم العيد بشي، مكانة المرأة الطوارقية، مجلة آثار، مج.9، ع.1، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2011/12/10، ص156.

⁽⁵⁾ محمد سليمان أيوب، جزمة من تاريخ الحضارة الليبية، دار المصراوي للطباعة والنشر، طرابلس، ليبيا، ط.1، 1969، ص155.

ومكانتها، فقد كانت النساء في المجتمع الجرامنتي تتمتع بمكانة رفيعة وشأن كبير، وهذا ما دلت عليه المقابر الجرامنتية من إهتمام المرأة بمظهرها و ما ترتديه من ملابس وحلي وأدوات الزينة⁽¹⁾.

وإشتهر عنهم رغم ذلك أنهم لا يستأثرون بزوجة واحدة، فإذا أراد أحدهم الإتصال بإمرأة غرس عصا أمام مكان الاتصال فتأتيه فيجامعها، وكذلك من عاداتهم أن تمر العروس عند زفافها بين يدي جميع المدعوين وتتصل بهم، ويقدم لها كل منهم هدية قد جاء بها⁽²⁾، وهاته العادات والأعراف تتشابه وما تطرقنا إليه في حديثنا عن قبيلتي النسامون والماساجيتاي⁽³⁾.

ف نجد استرابون (Strabon) (63-24 ق.م) يدلي بتأكيد: "الجرامنتيون لهم زوجات متعددة وأطفال كثيرون"⁽⁴⁾، ويوافقه الرأي بلين الكبير (Plinius) (23-79 م) يقول: "نسائهم مشاع بينهم فيعيشون معهم في فوضى دون زواج شرعي أو ضوابط وقيود، ينتقلون من امرأة لأخرى"⁽⁵⁾، ونجد بومبينوس ميلا (Pomponius Mêla) (65-39 ق.م) أعطى السيادة في المجتمع الجرامنتي للرجل الذي يستطيع الزواج بعدد كبير من النساء، وله عدد كثير من الأولاد الذي يعود لكثرة الخيلات⁽⁶⁾.

ونستطيع القول أنه منذ أن سجلت المصادر المصرية أخبار قبائل التحنو والتمحو والليبو والمشواش، مرورا بما سجله هيرودوت-ومن بعده-عن قبائل النسامون والأسوخساي وغيرها، وحتى ما قبل الفتح الإسلامي للإقليم، ظللن يخضعن لنظام صارم يقضي بالسماح للرجل بالزواج بعدد غير محدد منهن⁽⁷⁾ فهذا النظام يتكفل بحفظ النسل وتوفير السواعد التي تستطيع القيام بأعباء المعيشة وسط

⁽¹⁾ توفيق مسعود راشد، المرجع السابق، ص 109.

⁽²⁾ بنت النبي مقدم، هيرودوت يتحدث، المرجع السابق، ص 336.

⁽³⁾ محمد علي الدراوي، الجرامنت ومظاهرم الحضارية من خلال المصادر الأدبية والمعطيات الأثرية، مجلة العلوم الإنسانية، ع. 18، جامعة المرقب، ليبيا، مارس 2019، ص 551.

⁽⁴⁾ Strabon, Géographie de Strabon, Tr : Amédée Tradieur, Librairie Hachette, Paris, 1881, VIII, 3.

⁽⁵⁾ Pline L'ancien, Histoire Naturelle, L'afrique du Nord, Tr :Jehan Desanges, Les belles Lettre, Paris, 1980, IV, 45.

⁽⁶⁾ Pomponius Mêla, Géographie, Tr : La direction de M. Nisard, éd, J.Dubochet, Paris, 1850, I, 8.

⁽⁷⁾ الصديق بودوارة المغربي، المرأة في إقليم قوريناية في العصرين الإغريقي والروماني، الكتاب الثاني، سلسلة الأعمال الكاملة، المغرب، (د.ت)، ص 59.

وسط الظروف الحياتية الصعبة المحاطة دائما بوسط عدائي ،سواء كان من خارج الإقليم بداعي الغزو والإستييطان، أو من داخله بغرض النزاع وتبادل السيطرة على مواقع الماء والمراعي⁽¹⁾.

بل ويمكن لنا أن نتفهم نوعا ما إقدام الليبيين على تبني نظام تعدد الزوجات مادامت القبائل الليبية تعتمد على حياة يسودها التنقل والترحال ،وتفتقر إلى الإحساس بالأمان إلا في ظل سواعد قوية تؤمن الحماية في زمن الحرب والسلام⁽²⁾.

وبما أن النساء الليبيات كن يخضعن في الغالب لسيطرة الزوج الذي يسمح له بالزواج من عدد لا يحكمه سقف معين، ومن الممكن إستيعاب سيطرة مثل هذا النظام بالنظر إلى الحياة الرعوية التي كانت القبائل الليبية تحيهاها، والتي كانت تستلزم أعدادا كبيرة من الرجال والنساء للقيام بأعباء المعيشة وممارسة حرفتي الرعي وتربية القطعان والصيد.

وربما يكون سببا في عدم إستيعاب المؤرخين الإغريق لمسألة تعدد الزوجات كونه لم يكن معمولا به عند الإغريق الذين كانوا يتخذون زوجة واحدة، فإن هذا ماجعلهم يرجعون الأمر إلى شيوع العلاقات الجنسية عند هاته القبائل⁽³⁾.

يمكن القول أن الدافع من الزواج بالعديد من النساء عند سكان بلاد المغرب القديم كان لحاجتهم لذلك ،حسب المقتضيات والظروف المعيشية وبالأخص الاقتصادية ،لكن ما يجب التنويه إليه أن هذه الظاهرة حتى تكتمل لابد من القدرة المالية لذلك نجدها منتشرة أكثر بين الأسر الحاكمة والنبيلة الأرستقراطية.

I-6) المرأة ومسألة المشاعة الجنسية (البغاء المقدس):

تعد ظاهرة المشاعة الجنسية أو ما يسمى البغاء المقدس من الظواهر المباحة والمنتشرة بكثرة في أواسط العالم القديم ،لكن لم تكن من الأمور المرحب بها في بلاد المغرب القديم ،وذلك حسب ما تناوله مجموعة من المؤرخين في العصر الحديث حول القضية.

⁽¹⁾المرجع نفسه، ص59.

⁽²⁾الصدقي بودواره المغربي، المرجع السابق ، ص59.

⁽³⁾المرجع نفسه، ص60.

إن للبغاء جذورا تاريخية ،حيث لازم البشرية منذ وجودها، فمهنة بيع الجسد كما يعرف الجميع أقدم مهنة في التاريخ، وعلى الرغم من أن هناك من يعتقد أن البغاء وتجارة بيع الجسد كانت تحدث دائما وتروج لأسباب إجتماعية وإقتصادية، إلا أن التاريخ يؤكد أن هناك أسباب دينية أدت إلى إنتشار البغاء وإعتباره سلوكا دينيا محمودا، بل مرغوب أيضا وهاما وضروريا أيضا⁽¹⁾.

ظاهرة الإباحة الجنسية تعتبر من بين الظواهر التي طرحها بعض المؤرخين والكتاب القدماء ،خاصة الإغريق والرومان، وتبناها بعض علماء الإجتماع في العصر الحديث ونسبوها للمجتمعات البدائية التي عاشت في القديم، وبعض القبائل البدائية التي لا تزال تمارس هاته الظاهرة إلى الآن⁽²⁾، ومختلف المصادر قد أشارت إلى طبيعة حياة السكان في بلاد المغرب القديم، فكان لكل قبيلة أعراف وعادات تحكمها وإعتادت عليها، ومن بين ما ألفته من مظاهر التي تناولتها هذه المصادر قضية المشاعة الجنسية التي سادت في المنطقة، حيث إعتبرت كل النساء مباحة لكل رجال القبيلة دون قيود أو قوانين أو أعراف⁽³⁾.

I-6-1 مفهوم البغاء المقدس وأشكاله:

لابد قبل الخوض في موضوع البغاء المقدس إعطاء مفهوما وتعريفا له ،لغة وإصطلاحا حسب ما دونه مجموعة من الباحثين والمؤرخين خاصة الأنثروبولوجيين.

أ)البغاء لغة:

حسب الفيروز أبادي في القاموس المحيط فقال: "وَبَعَتِ الْأُمَةُ تَبْغِي بَغْيًا وَبَاغَتْ مَبَاغَةً وَبَغَاءُ فَهِيَ بَغْيٌ وَبَعُوْ: عَهَرَتْ، وَقِيلَ: الْبَغْيُ الْأُمَةُ أَوْ الْحَرَّةُ الْفَاجِرَةُ"⁽⁴⁾، أما في المعجم الوجيز فيقال: "بغت

⁽¹⁾فتحى مكى، إقبال المرأة على البغاء في المجتمع الجزائري، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع، جامعة البليدة2، الجزائر، 2019/2018، ص108.

⁽²⁾فارس دعاس و محمد رشدي جراية، ظاهرة الإباحية في المجتمع اللوي القديم من خلال النصوص الأدبية دراسة تحليلية نقدية، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، مج.17، ع.1، جامعة معسكر ، الجزائر، جويلية2021، ص557.

⁽³⁾فارس دعاس و محمد رشدي جراية، المرجع السابق، ص557.

⁽⁴⁾الفيروز أبادي ، القاموس المحيط، تح: انس محمد الشامي، زكريا جابر احمد، ج.4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1301هـ، ص298.

المرأة بغاء، أي فجرت وتكتسب بفجورها" ⁽¹⁾، وجاء في لسان العرب عند ابن المنظور أن: "البغاء مصدر بَغَتِ المرأة بَغَاءً زَنَتْ، والبِغَاءُ مصدر باغت بغاء إذا زنت" ⁽²⁾.

ب) البغاء اصطلاحاً:

" البغاء هو الفعل الذي تقوم به الأنثى نفسها لإتصال الجنسي مع الذكور دون تمييز، ويعرفه "هاريمان" بأنه ذلك الاتصال الجنسي مقابل الأجر، ويقول عنه "ابراهيم فلنكسر" بأنه الاتصال الجنسي المرسوم بالمقايضة، كما يعرفه "ماري لويس فيكتور" هو نظام الهيمنة على الجنس والجسم وبالتالي على البشر" ⁽³⁾، بعض الإثنوبولوجيين ويعرفها بقولهم: الجنس جزء لا يتجزأ من العديد من العلاقات الإجتماعية الأخرى ⁽⁴⁾، بل وأعتبر هذا العمل فضيلة أخلاقية كونها تقوي الرجل والمرأة على حد سواء، وتلعب المرأة دوراً جوهرياً في ذلك ⁽⁵⁾.

وقد أطلق في القديم على البغاء والمشاعة إسم الدعارة الحميدة كونه مرتبط بطقوس العبادة والمعبود خاصة ما يتعلق بطقوس الخصوبة ⁽⁶⁾.

ج) أشكاله:

عرف البغاء شكلين رئيسيين، الأول متمثل في طقس إفتضاض العذاري، وهي مهمة يؤديها الملك أو الغريب في المعبد، أما الثاني: فهو الدعارة التي تمارس داخل المعابد، وهي حكراً على

⁽¹⁾ فتحي المكي و سواكري الطاهر ، البغاء بين العوامل والنتائج، مجلة افاق لعلم الاجتماع، مج.6، ع.2، جامعة البليدة 2 ، الجزائر، 2016/12/31، ص88.

⁽²⁾ ابن المنظور، لسان العرب، ج.14، دار الصادر، بيروت، 1300هـ، ص77، 78.

⁽³⁾ ذهبية اوموسي و إيمان بومدين، ظاهرة البغاء الأسباب والآثار(دراسة حالة بمدينة البليدة)، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، مج.9، ع.2، جامعة البليدة 2 ، الجزائر، 2016/6/1، ص2.

⁽⁴⁾ Langland(R), Sexual Morality in Ancient Rome, Cambridge university Press, New York, 2006, p5.

Ibid, p2.

(5)

Dudin(L. S), The Myth of Sacred Prostitution in antiquité, Cambridge University Press, (6) New York, 2008, p1.

العبيد⁽¹⁾، فالمجتمعات القديمة اعتبرت أن المتعة الجنسية تسعى إلى تحقيق المتعة الجسدية خالصة وعاجلة، وقد صنف الدارسون لموضوع البغاء البغيات (البغايا) إلى 3 أصناف، فمنهن من أطلقن عليهن ميتريس (Metrices) وهن اللواتي يمارسن الدعارة في الليل فقط، وهذه الفئة خاصة بالطبقة الراقية ولنخبة المجتمع⁽²⁾.

ونجد فئة أخرى إلى جانب هذه الفئة أطلق عليها بروسثيولاي (Prostibulae)، وهي الشريحة التي تمارس مهنة الدعارة بالليل والنهار مع عامة الشعب والجنود، والفئة الثالثة مخصصة في العزف على الآلات الموسيقية والرقص⁽³⁾.

وقد تطور مفهوم البغاء على أنه إتحاد مع الأشخاص، سواء كان مع أنثى أو ذكر لا يوجد فرق، وذلك من أجل تبادل المال أو البضائع، والتي تمت المصادقة عليها من قبل الكهنة سواء في حرم المعبد أو في أي مكان آخر بإعتبار هذا العمل عبادة مقدسة وكانت من تمارسه من النساء تتمتع بوظيفة رسمية في المعبد بشكل دائم أو مؤقت⁽⁴⁾.

وقد إعتبر البغاء المقدس من المفاهيم الإجتماعية المتعلقة بطقوس الإفتضاضة قبل الزواج، أما بغاء العبيد من أجل المنفعة الإقتصادية للمعابد، والدينية المتعلقة بالكهنة والكاهنات الدائمين والمؤقتين كنوع من العبادة⁽⁵⁾.

I-6-2) المشاعة الجنسية في بلاد المغرب القديم:

لقد منحت لنا المصادر الأثرية إشارات تدل على طبيعة الحياة الإجتماعية لسكان بلاد المغرب القديم، من خلال الرسوم و النقوش الصخرية خاصة فيما يتعلق بظاهرة الإباحة الجنسية التي إنتشرت في المنطقة آنذاك، والظاهر أن أولى التلميحات لهذه الإشكالية كانت من خلال الرسومات الصخرية المتواجدة في وادي جرات الطاسيلي، حيث تحتوي مشاهد جنسية كثيرة سواء منفصلة أو متصلة

Ibid, p2.

(1)

(2) نضار الأندلسي، المرجع السابق، ص 99.

(3) المرجع نفسه، ص 99.

(4)

Dudin(L. S), op.cit, p2.

Ibid, p2, 3.

(5)

،يرجع أغلبها إلى مرحلة الرؤوس المستديرة(8000-2500ق.م) ومرحلة مربّي الماشية⁽¹⁾، وقد مثلت هذه الشخصيات التي تمارس الظاهرة بأشخاص يرتدون أقنعة من رؤوس الحيوانات ،من فصيلة الكلبيات لكلا الجنسين، إلا أنه يمكن التمييز بينهما من خلال الحجم ،فالنسوة دائما أكبر حجما من الرجال ،في حين نجد مشاهد أخرى في موقع أوزان اهييري يقومون بتلك العادة دون ارتداء الأقنعة⁽²⁾.

وقد أعطى الباحثون تفسيراً أن لتلك المشاهد علاقة بالآلهة الأنثوية الخاصة بالخصوبة، فالفعل الجنسي هو أول مراحل فكرة الإخصاب وأهمها ،إذ تعد الخطوة الأولى للتكاثر لدى الإنسان، لذا نجد أن هذه المشاهد أخذت حيزا كبيرا من لوحات ورسومات الفن الصخري⁽³⁾، مع العلم أن هذه الوضعيات والمشاهد ليست بالضرورة كلها تعبر عن المشاعة الجنسية، فربما تدل على الولادة أو تمثل مشهدا جنسيا رمزيا دالا على الخصوبة ،وهي بذلك تعبر عن الروابط بين الجنسين لتكوين أسرة خاصة وإن ظهرت على المرأة علامات عدم إكترائها بالفعل الجنسي⁽⁴⁾.

والباحثة مها عيساوي قدمت معطيات لدراسة مسحية تحليلية قام بها الباحث جون لوكلان حول ثقافة الصيادين في النيل والصحراء الكبرى، فخلص إلى أن الرسومات الصخرية التي تناولت هذه الظاهرة قليلة جدا، إذا ما قورنت مواضيعها بالمواضيع الأخرى الخاصة بالصيد والطقوس السحرية، وكذلك بعدد تلك الرسوم المنتشرة عبر ربوع الأطلس الصحراوي في منطقة الطاسلي والأكاكوس في ليبيا⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ Jullian(C) Luquet(G.H), L'Arte et La religion des hommes Fossiles, Masson, Paris, 1926, P342.

⁽²⁾ لخضر بن بوزيد، الفن ومعتقدات الطاسلي أزجر في ما قبل التاريخ، الجزائر، (د.ت)، ص235.

⁽³⁾ فارس دعاس، واقع الأمومة والطفل في مجتمعات شمال إفريقيا في العصر النيوليتي دراسة من خلال مشاهد الفن الصخري بمنطقة الطاسلي الناجر، مجلة عصور، مج.18، ع.1، جامعة وهران 1 احمد بن بلة ، الجزائر، جوان2019، ص19.

⁽⁴⁾ لخضر بن بوزيد، الأثر الديني في مشاهد الرسوم الصخرية لمنطقة الطاسلي-آجر خلال مرحلة ذوي الرؤوس المستديرة(8000-2500ق.م)، (رسالة ماجستير في التاريخ القديم)، جامعة ابو القاسم سعد الله الجزائر2، الجزائر، 2010/2009، ص98.

⁽⁵⁾ مها عيساوي، صورة الأسرة في الرسوم الصخرية قراءة سوسيو-تاريخية، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، مج.1، ع.1، جامعة العربي التبسي تبسة ، الجزائر، 2017، ص207.

الظاهر أن المشاعة الجنسية في الفترات التاريخية كانت متاحة لعدد من النساء القبائل ، وذلك حسب المؤرخين الإغريق والرومان ، فهيرودوت يتناول عادات وأعراف قبيلة الأديرماخيدي "أن نسائهن يرتدين حلقات برونزية حول كلتا الساقين بعدد الرجال الذين تمت معاشرتهم، وهم فقط الذين يقدمون العذاري المقبلات على الزواج للملك ليعاشرهن والتي تنال إعجابه يفض بكارتها قبل الزواج" ⁽¹⁾.

وتعقيا على ما أدل به هيرودوت حول قبيلة الأديرماخيدي فالباحثة وفاء بوغرة تشير إلى أن الفقرة تتضمن معلومتين: "الأولى وجود نظام ملكي لدى هذه المجموعة البشرية، والثانية العادة الخاصة بتقديم البنات للملك ، وإن هاته العادة كانت موجودة لدى العديد من الشعوب القديمة، وحتى في العصور الوسطى إستمرت، وذلك إعتقادا منهم بقداسة الملك وإعتباره ممثل الإله على الأرض أو بتقمصه شخصية الإله ،وعلى ما يبدو أن لها علاقة بالإعتقاد الديني والقداسي للملك أكثر من الإعتقاد الدنيوي" ⁽²⁾، و بخصوص تقديم المرأة أو بالأحرى العروسة للملك أو زعيم القبيلة يمثل الجاذبية لهذا الرباط الطبيعي بين الزوجين ،والغرض منه مباركة الزعيم لهذا الإرتباط ⁽³⁾

وأما قبيلة الجيدانيس فهيرودوت أخبرنا عنهم: " حيث أن نساء هؤلاء يلبسن حلقات جلدية كثيرة حول الكاحل ،بمعدل حلقة واحدة عن كل رجل تمت مضاجعته ،والتي يكون لديها حلقات أكثر ينظر إليها بأنها الأفضل لأنها حصلت على إعجاب وحب الكثير من الرجال" ⁽⁴⁾.

وبخصوص هذه القبيلة لا ندري ما نسبة الحقيقة فيما ذكره هيرودوت وما هو مصدره؟ هل المعاينة أم الرواية الشفهية؟ ،لأن هناك إختلاف بالطبع بين المعاينة والرواية المتداولة ،وبالتالي فإنه من الصعب القطع والجزم في هذا الموضوع، لكن بالرغم من أن هذه الظاهرة تبدو غريبة، إلا أن هنالك ما

Hérodote, Loc.cit, IV, 176.

(1)

⁽⁵⁾ وفاء بوغرة، ظاهرة تعدد الزوجات، المرجع السابق، ص299.

⁽³⁾ نضار الأندلسي، المرجع السابق، ص28.

Hérodote, Loc.cit, IV, 168.

(4)

يمثلها في عادات القبائل الصحراوية وتتعلق بالمرأة، فبدلاً من حلقات تزين الكاحل، فإنه كلما ارتفع عدد الأزواج الذين عرفتهم ترتفع مكانتها وقيمتها في أعين الرجال ويصبح مهرها أكثر غلاء⁽¹⁾.

وتؤكد الباحثة نضار الأندلسي أن: "عدة المرأة وزينتها تشكل أفضل دليل على تفشي ظاهرة المشاعة بين أفراد القبيلة الواحدة، ولم تزدها علاقاتها المتعددة إلا مكانة وسموا، ولم يمتلك الرجال إلا الإعجاب بهن⁽²⁾، لكن من الصعب القبول بهذا القول، إلا إذا اعتبرنا أن المرأة كانت عن طريق إتصالها بالرجال تجمع ما يكفي ليكون صداقاً لها تقدمه لمن يتقدم للزواج منها"⁽³⁾.

ويذكر محمد رشدي السيد نقلاً عن العالم الإنجليزي أورك بيتس (Bates(o)) حول ما أشار هيرودوت إليه عن قبيلة الجيدانيس أن مسألة نسب الأطفال في هذه الحالة تكون لآبائهم عن طريق الشبه⁽⁴⁾.

وقد تطرق إلى نقطة مهمة تتعلق بإفتراس الإباحة الجنسية في مجتمع يعطي أهمية كبيرة لغشاء البكارة، كما ذكر هيرودوت نفسه، فهو أمر متناقض وغير منطقي، بل ويعد مبالغة وقع فيها الكتاب الكلاسيكيون عندما اغفلوا حقيقة أن مجتمعاً يحرص على إقامة طقس سنوي يتضمن معركة تقام على شرف الربة أثينا بواسطة عذراوات القبيلتين لغرض إثبات العذرية، وتعتبر الفتيات اللواتي يلقن حذفهن في المعركة أنهن غير أبكار وفاقدات للعذرية، إن مجتمعاً يولي غشاء البكارة كل هذه الأهمية لا يمكن أن يسمح بقيام إباحية جنسية، إلا إذا كانت مرتبطة بطقس معين — ديني —⁽⁵⁾.

وأيضاً تناول هيرودوت أحوال قبيلتي المخیليس والأوسيس "كن يعاشرن الرجال بلا أزواج مثل ما تفعل الحيوانات، حتى إن المعاشرة تتم أمام الملاء"⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ وفاء بوغراة، ظاهرة تعدد الزوجات، المرجع السابق، ص 300.

⁽²⁾ نضار الأندلسي، المرجع السابق، ص 87.

⁽³⁾ عبد السلام محمد شلوف، المرجع السابق، ص 153.

⁽⁴⁾ محمد رشدي السيد، المرأة في إقليم سيرينايا (قوريناية) في العصر اليوناني، مجلة كلية الآداب، (د.ع)، جامعة بنها، مصر، 2005، ص 7.

⁽⁵⁾ الصديق بودوارة المغربي، المرجع السابق، ص 63.

⁽⁶⁾ Hérodote, Loc.cit, IV, 180.

ويستبعد تصديق ذلك كون قبيلة الأوسيس كانت لهم طقوسهم الدينية تبين لهم أنها كانت المرأة فاقدة لعذريتها⁽¹⁾.

وتناول هيرودوت النسامونيون فوصف هذه العادة عندهم قائلا: "عندما يتزوج رجل منهم لأول مرة فإنه من العادة والأعراف أن تمر العروس على جميع المدعوين وتضاجعهم ويمنحها كل واحد منهم بعد أن يعاشرها هدية مما جلب معه من بيته"⁽²⁾، حيث أنه إذا أراد الرجل أن يضاجع أي امرأة لا بد أن يعطي إشارة بذلك عن طريق غرس عمود في الأرض، للإشارة على نواياه ورغبته في امرأة تشاركه الفراش⁽³⁾، و هذا الأمر ليس بالمفاجئ ولا المستبعد أن الحقائق يمكن أن تشوه من قبل الإغريق أحاديي الزواج، الذين لم يكن لهم دراية وإلمام بالحقائق وشؤون القبائل الليبية القديمة ويجهلون نظام تعدد الزوجات كنظام إجتماعي، بل أجزموا أن النسامونيون ليس لديهم أعراف وقوانين للزواج⁽⁴⁾.

والباحثة نضار الأندلسي تقول: "قد لا نبتعد كثيرا عن الحقيقة التاريخية إذا ذكرنا أن الحرية الجنسية للمرأة في العصور القديمة هي التي شكلت نواة المجتمعات البدائية، حيث إعتبرت المرأة هي مركز المؤسسة الاجتماعية، فقد تفشت مشاعة النساء عند عدة قبائل بدائية مثل النسامونيون، ولم يكن أفراد هذه القبيلة ينظرون إلى هذا السلوك بإستنكار أو يعتبرونه صيغة مشوهة للأخلاق، بل يرون فيه حقا مكتسبا لكل رجل من أفراد القبيلة في الوقت نفسه كانوا يحتفلون بالزواج من وقت لآخر حسب الحاجة الاقتصادية"⁽⁵⁾.

ونجد أن أرسطو (384-322 ق.م) قد أيد ما تناوله هيرودوت حين أكد أن هذه الظاهرة كانت تمارس في أعالي ليبيا دون أن يذكر إسم قبيلة بعينها، إلا أنه يؤكد على ذلك الطقس المقام بين أهل قبائل المناطق الساحلية المتعلق بنسب الأطفال المولودين حديثا إلى آبائهم الأصليين عن طريق

⁽¹⁾ سالم محمد عبد الله هويدي، الحضارة الجرمية دراسة في عوامل النشوء والازدهار والانحيار، منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ليبيا، 2010، ص 103.

⁽²⁾ Hérodote, Loc.cit, IV, 172.

⁽³⁾ Dudin(L. S), op.cit, p62.

⁽⁴⁾ تشارلز دانييلز، الجرمانتيون سكان ليبيا القدماء، تر: احمد اليازوري، دار الفرجانين طرابلس، 1991، ص 45.

⁽⁵⁾ نضار الأندلسي، المرجع السابق، ص 86.

التشابه⁽¹⁾، ومع النسامونيون يشترك في هذه العادات قبيلة المساجيتاي، حيث أن كل رجل متزوج يستمتع بزوجات أقرانه من رجال القبيلة بشكل مختلط وغير شرعي ومشاع⁽²⁾.

لكن تعتبر شيوعية النساء مرفوضة تماما عند بعض علماء الأنثروبولوجيا، ولم تكن هذه العادة في رأيهم لتوجد حتى بين أشد الشعوب البدائية، ولا يمكن لمجتمع سوي أن يقبل هذا الوضع، إلا إذا كان مجتمعا منحرفا، ولا بد أن نسلم بوجود نوع من العلاقة أو الصلة بين الأبوين تدوم طويلا أو قليلا حتى بعد ولادة الطفل⁽³⁾.

وقد قدم بومبيوس ميلا وصفا لنساء مدينة قورينة يوم زفافها حيث قال: "بأن تكون المرأة في ليلة عرسها ملكا عاما لجميع الرجال الذين حضروا، أو حملوا معهم قطعا نقدية كافية"⁽⁴⁾، وبل كان الزوج يحس بالسعادة و الفخر إذ اجتذبت زوجته عددا كبيرا من الحضور، مع أن النساء بعد الحفل يعيشن حياة مثالية من العفة والإخلاص⁽⁵⁾.

في حين بلين تناول قبائل الجرامنت الذين عرفوا كذلك المشاعة بقوله: "نسائهم مشاع بينهم يعيشون معهم في فوضى"⁽⁶⁾.

وهو ما أكدته سولين (Solin) بقوله: "أنهم أكثر الشعوب إنحلالا وإنحطاطا من بين كل قبائل المنطقة ولم يكن لديهم أي أهمية للنسب والنسل والكل يعاشر دون قيود ولا يولون أهمية للزواج"⁽⁷⁾.

⁽¹⁾ محمد رشدي السيد، المرجع السابق، ص 8. وينظر كذلك: علي فهمي خشيم، نصوص ليبية، منشورات المؤسسة العامة للثقافة، ط. 1، ليبيا، 2009، ص 47.

⁽²⁾ عبد السلام محمد شلوف، المرجع السابق، ص 151، 152.

⁽³⁾ مصطفى كمال عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي، 1966، ص 69.

⁽⁴⁾ Pomponius Mêla, Loc.cit, I, 46.

⁽⁵⁾ نضار الأندلسي، المرجع السابق، ص 86.

⁽⁶⁾ Pline L'ancien, Loc. Cit, IV, 45.

⁽⁷⁾ Solin, Polyhistor, Trad: M. A Agnat, éd: C. E. I Panckoucke, Paris, 1847, XX, 2, 3.

ويعد الطفل الذي يولد عندهم ينسب إلى من يشبهه ، نظرا لعدم القدرة على تمييز النساء، الرجال الذين قاموا بمعاشرتهم، حيث لم يكن لديهم أي أهمية للزواج لأن الكل يجتمع للمضاجعة لهذا إعتبر الجرامنتيون الأكثر إنحلالا وإنحطاطا وخلاعة بين الشعوب⁽¹⁾.

وحسب رأيي فإن ما تناوله المؤرخين الكلاسيكيين حول الموضوع أمر مبالغ فيه وغير مقبول، فالأحكام التي أعطيت عن سكان بلاد المغرب بخصوص هذه القضية يشوبها الكثير من المغالطات، فكيف لمجتمع له شروطا للزواج من بينها الحفاظ على عذرية الفتاة وإلا تتعرض للمعاقبة تصل للموت إن لم تحافظ عليها أن يرحبوا بموضوع المشاعة الجنسية وتمارس فيما بينهم على نطاق واسع ، بل حتى من قام بتأكيد على امر المشاعة الجنسية في بلاد المغرب القديم من المؤرخين أمثال هيرودوت ومن بعده هم أنفسهم من أكدوا على أمر شروط الزواج عند هذه القبائل من بينه سن الزواج الصغير والعذرية ، وهذا ما سنأتي على تبياننا بالحقائق.

وبعد مقارنة الحقائق نجد أن ما ألفه هيرودوت -ومن بعده- يشوبه الكثير من التشويه والمغالاة ، سواء لسوء الفهم أحيانا والتناقض الواضح أحيانا أخرى، فهيرودوت يتكلم عن إختلاط تام بين الجنسين ، ووصف هذا الإختلاط عند الماخيليس بأنه يشبه الإختلاط عند الحيوانات، أما النسامونيون فكان لرجالها علاقات بكل النسوة ، ونساء الجندايس يتفاخرون بعدد عشاقهن ويضعن عددا من الأساور الجلدية في كل ساق بعدد هؤلاء العشاق⁽²⁾ ، وإن إفترضا ما قاله صحيح إذا كيف كان هؤلاء القبائل يتبينون ذريتهم وسط مجتمع يسوده الإنحلال الأخلاقي التام؟ ، وكأنه يشبههم بقطيع من الحيوانات وليس بشر، بل وإن حتى الحيوانات الذكر منها يستमित دفاعا عن أنثاه⁽³⁾.

والباحثة أم الخير العقون تقول نقلا عن ستيفان غزال الذي يعطي مبررا لما قاله هيرودوت ويفسر ماقاله على أنه حدث له خلط بين طقوس دينية معينة لا يحترم عقد الزواج مثل قضاء الليلة الأولى بالنسبة للعروس مع ملك أو زعيم القبيلة ، وبين سائر العلاقات الطبيعية السائدة في المجتمع

⁽¹⁾ بنت النبي مقدم، هيرودوت يتحدث، المرجع السابق، ص 336.

⁽²⁾ أم الخير العقون، صور من حياة المجتمع الليبي القديم من خلال الآثار المصرية، مجلة العلوم الإنسانية، مج.1، ع.2، جامعة وهران 1 احمد بن بلة ، الجزائر ، 2012، ص20.

⁽³⁾ أم الخير العقون، صور من حياة المجتمع ، المرجع السابق، ص20.

آنذاك⁽¹⁾. وأما فيما يخص إدعائه عن النسامونيون فكيف يتسنى لهم زيارة قبور أجدادهم والإتصال بهم روحيا، إن لم يكونوا على دراية كاملة بسلسلة النسب غير مشبوهة⁽²⁾.

ويعطي المؤرخ مصطفى كمال عبد العليم تفسيراً على ما إدعاه هيرودوت عن قبيلة الأديرماخيدي بعرض الفتيات المقبلات على الزواج على الملك أولاً، فيختار من تعجبه ويفض بكارتها، أما يشوبه نوع من التعقيد والمبالغة، فرمى الملك كان يختار لنفسه زوجات من بين نساء وفتيات القبيلة صغيرات في السن لهن القدرة الكافية على خدمته، وكان يشترط أن تكون ذات جمال وحسن وغير فاقدة لعذريتها، وقد تكون لهذه العادة أبعاد دينية لذلك تترك المهمة للملك صاحب السلطة الدينية⁽³⁾.

ويفسر أيضاً ما تناوله هيرودوت عن قبيلة الجيندانس المتفاخرة نسائها بعدد الرجال الذين تم معاشرتهم بعدد الحلقات حول ساقها، من الصعب تطبيق وإسقاط هذا القول على سائر النساء، فيبدو أن هؤلاء النسوة احترفن مهنة الدعارة من أجل كسب لقمة العيش⁽⁴⁾.

وحتى المؤرخ بومبيوس ميلا حين تكلم عن المشاعة تحدث أيضاً عن الأطفال والأصهار، فكيف للأصهار أن يكونوا إذا لم تكن هناك علاقات زواج مقننة في إطار اجتماعي ونسب متعارف عليه بين الأسر، خاصة في مجتمع حرصت البنات فيه وأوليائهم على الزواج المبكر⁽⁵⁾.

أما بخصوص العلاقات الخاصة والحميمية بين أفراد المجتمع القرطاجي فينبغي التأكيد على أنه رغم تراجع عبادة عشتار أمام تانيت في ق 5 ق.م، وتهذيب الكثير من العلاقات والطقوس الجنسية التي كانت متبعة آنذاك، حيث أعتبرت الدعارة مقدسة في قرطاجة، وطريقة لتشريف في إرضاء آلهة اللذة، وكانت المرأة التي تمارسها في المعبد تدعى أولمات (Ulammat) أي الفتاة البالغة لأنها بلغت سن

⁽¹⁾ أم الخير العقون، مظاهر المجتمع، المرجع السابق، ص 5.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 5.

⁽³⁾ مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 70.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه، ص 70.

⁽⁵⁾ أم الخير العقون، مظاهر المجتمع، المرجع السابق، ص 5.

الزواج ،أواماتا شتارت(Immata Ashtart) بمعنى خادمة عشتارت ⁽¹⁾،أما الرجل فأطلق عليه إسم كالبيم(Kalbim) وتعني لغويا الكلاب ،وأیضا اصطلاحا يقصد بها أنه مخصص للإله كما سموهم غوريم(Gourim) او غاريم(Garim) ،ويقابل لدينا القطعة الصغيرة وكذلك أطلق عليهم عبتت أشتارت(Abdastart) بمعنى خادم عشتارت في المعبد وقد إستمرت لاحقا في معبد الكاف(Veneriasicca)⁽²⁾.

وقد عرف أن مدينة سيكا(الكاف) عرفت هذا النوع من الطقوس أيضا،حيث يتم تقديم القرابين وأغلى ما يمتلك سكان هذه المدينة من أجل إرضاء الآلهة، فيتم تقديم الفتيات العذاري إلى المعبد ويعاشرهن أي غريب يتقدم لهن ⁽³⁾.

وحسب ما يذكره محمد حسين فنطر فإن هاته العادات والمعتقدات مقتبسة من الطقوس المنتشرة في الشرق القديم ،التي مضمونها أن يتم تقديم الفتيات العذاري للمعبد ،أو جنب شاطئ البحر ،ويزاوجن كل من يقدم عليهن من غريب ⁽⁴⁾.

وتناول بعض المؤرخين بالحديث عن مدينة قديمة جدا تقع جنوب مدينة فاس المغربية: "يوجد فيها حسب بعض الكتاب الأفارقة معبد كبير كان الرجال والنساء يقيمون فيه علاقات إباحية في ليلة معينة من السنة، بعد تقديم الآضاحي وإطفاء الأنوار، ولم يكن للنساء المشاركات في الليلة الحق في النوم مع أزواجهن إلا بعد التأكد من أنهن لم يحملن، أما الأولاد الذين يتم الحمل بهم تلك الليلة قد كانوا منذورين لخدمة المعبد، ولكن العرب المسلمين قد طاحوا بالمعبد بعد أن تم فتح بلاد المغرب " ⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ بنت النبي مقدم، المظاهر الاجتماعية للأسرة ببلاد المغرب القديم خلال العهد القرطاجي، مجلة الدراسات التاريخية، مج.20، ع.1، جامعة الجزائر 2 ،الجزائر،2019/10/19، ص ص39-40.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 40.

⁽³⁾ Gsell(S), H. A. A. N, Tome5, op.cit, p33.

⁽⁴⁾ Fantar(M. H), Elissa de Carthage, Apports d'mythe, p11.

⁽⁵⁾ فارس دعاس و محمد رشدي جراية، المرجع السابق، ص500.

ومن هنا بدأت ممارسة البغاء في المعابد أو في إطار بعض صور العبادات والشعائر المقدسة، وقد ورد ذلك الوصف في كتابات المؤرخين، حيث كانت ترسل الفتاة إلى تلك المعابد من منطلق الوازع الديني تحت مسمى خدمة الآلهة، فكن يستخدمن لممارسة نوع خاص من البغاء يتطبع بطابع القدسية⁽¹⁾.

وهذا يثبت أن بيوت الدعارة في كثير من الحضارات كان يديرها الكهنة ويخصصون دخلها للإنفاق على المعابد وكان يعمل في المعابد (العاهرات) يكرسن أنفسهن لخدمة الإله تحت حمايته⁽²⁾.

وعلى ما يبدو أن البغاء ومشاعة النساء في المنطقة إستمر إلى غاية الفترة الإسلامية حسب مصادر العصر الوسيط، فتقول الباحثة نضار الأندلسي أنه هنالك تقليد جرى إستخدامه كدليل على مشاعة قديمة للنساء، وهو تقديم الرجل زوجته إلى ضيفه، ويرى الباحثون أن في هذا التقليد إعترافاً بواجب كل رجل نحو عشيرته وضيوفه⁽³⁾.

حيث يذكر المؤرخ البكري (1014-1094م): "أنها عادة لإحدى القبائل المقيمة في بلاد المغرب، حيث كان شائعاً في صفوف العشائر إجتماع الضيف بالزوجة أو أخت ذلك المضيف"⁽⁴⁾. أما ابن بطوطة (1304-1377م) يتحدث عن عادة غريبة في قبيلة مسوفة "حيث أن نسائهم لها عشيق تجامعه في حضور أو غياب زوجها دون أي إعتراض منه أو غيره"⁽⁵⁾، كما يوجد نص للحسن للحسن الوزان في نهاية ق15م وبداية ق16م، يشير فيه إلى "إنتشار الإباحة الجنسية في منطقة عين الأصنام (قرب مدينة صفرو)، حيث يجتمع النساء والرجال في معبد قرب مدينتهم مع غروب الشمس، ويتم تقديم القرابين وبعد الإنتهاء منها يباشر كل رجل بالإستمتاع مع المرأة التي يجدها أمامه"⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ نضار الأندلسي، المرجع السابق، ص210.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص210.

⁽³⁾ نضار الأندلسي، المرجع السابق، ص89.

⁽⁴⁾ أبي عبيد البكري، المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1857، ص175.

⁽⁵⁾ أبو عبد الله ابن إبراهيم اللواتي الطنجي (ابن بطوطة)، رحلة ابن بطوطة تحفة النظر لغرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار صادر، بيروت، 1992، ص ص677-678.

⁽⁶⁾ حسن الوزان بن محمد الفاسي (ليون الإفريقي)، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، ج.1، دار الغرب الاسلامي، ط.2، بيروت، 1983، ص364.

والظاهر أنه يتحدث عنها كواقعة تاريخية لم يعد معمولاً بها في زمانه⁽¹⁾.

ويذكر ابن أبي دنار حفلا في تونس في ق 17م "يقام في الربيع في الساحة العمومية تسمى ساحة الورد ويدوم الحفل لمدة 15 يوم يمارس فيه كل أنواع الفجور والانحراف"⁽²⁾.

الحقيقة لا يمكن المعارضة في أن الآراء والاتجاهات المرتبطة بالزواج حددت موقف المجتمع إزاء العلاقات الخارجية عن نطاق هذا الزواج، فلا بد من فحص نظام الزواج في تلك المجتمعات التي تسند إلى الزوجات دور إنجاب الأطفال، وتدير شؤون بيوت أزواجهن، وهذا يعني لا تنمو الصداقة أو الحب أو العاطفة بين الزوجين، فيتم الاحتفاظ بالعشيقات من أجل المتعة، من أجل الإعتناء بالغريزة عناية يومية مع الاحتفاظ بالزوجات لإنجاب أطفالا شرعيين⁽³⁾.

في الحقيقة ما طرحه كتاب ومؤرخي الفترة الإسلامية لا يمكن الأخذ به مباشرة، ولا يمكن كذلك أن ننكر هذه الحقيقة كونها لم يتعرض لها مؤرخ واحد، بل وجدناها عند مجموعة من المؤرخين لكن تظل الحادثة و الرواية التاريخية الشفوية محل للرفض والتأييد حتى تخضع للغلبة والتمحيص، ومع ذلك يمكن القول أن هذه الظاهرة شهدت انتشارا في بعض الأواسط لكن، ولاي مكن تعميمها، بل إنتشرت في فترات متقاطعة لدوافع دينية تارة وإقتصادية تارة أخرى.

تعد دراسة أحوال المرأة والأسرة في بلاد المغرب القديم لما لها من تأثير على المجتمع في مختلف مراحل تطوره من المواضيع أقل ما يقال عنها، لم تحظ بالإهتمام الوافر من المختصين، لكن لا يعني عدم توفر دراسات حول ذلك، وهناك العديد من المصادر حول الموضوع خاصة والتي تطرقت للزواج، وكيفية الإهتمام إليه وفرض قوانين وأعراف ومراسم خاصة به في ظل مجتمعات عرف عنها ممارستها للمشاعة والإباحة المقدسة على نطاق واسع، حيث كانت المرأة ملكا للجميع جعلها أقل مكانة حتى من الحيوانات عند بعض الكتاب الكلاسيكيين.

⁽¹⁾ نضار الاندلسي، المرجع السابق، ص 88.

⁽²⁾ ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، (د.ن)، تونس، 1967، ص ص 308-309.

⁽³⁾ فتحي المكي، المرجع السابق، ص ص 112-113.

II) الفصل الثاني: مهام المرأة الأسرية ببلاد المغرب القديم:

II-1) المرأة والطفل.

II-1-1) المرأة والطفل فيما قبل التاريخ: (الحمل والإنجاب).

II-1-2) الإجهاض.

II-2) النسب والتبني .

II-4) التربية والتعليم.

II-5) التضحية بالأطفال.

II-6) الوظائف الأسرية للمرأة في بلاد المغرب القديم.

شكلت الأسرة النواة الأساسية في تركيبة المجتمع المغربي القديم، التي مارسها فيها الأب أو الزوج سلطته السيادية على كل أفراد الأسرة، فكان حياة الأم والأبناء خاصة البنات ملكا له لذلك لم تحظى الأم-المرأة- بمكانة التي يحظى بها الأب، بل كانت أدنى منه بكثير، فحياتها مرهونة بمجموعة من القوانين والأعراف والتقاليد التي لا تستطيع الخروج عنها، وأتحررها منها فحياتها مرتبطة بحياة زوجها، فوجب عليها طاعته وتوفير له سبل السعادة، ولا يكمن ذلك إلا بالإنجاب فكلما كثر أولادها خاصة الذكور منها كلما إرتقت وعظم شأنها داخل أسرتها وقبيلتها، ويطلق عليها لقب المرأة الولود التي كل رجل يرغب في إمتلكها، وكذلك رعايتها وأبناءها والقيام بكل الأعمال المنزلية والأسرية المنسوبة لها ترفع أكثر من قيمتها لكن تحت سلطة وسطوة الزوج.

II-1) المرأة والطفل:

يمثل الطفل الركيزة الأساسية داخل الأسرة في بلاد المغرب القديم، فالأسرة التي تفتقر للأطفال تكون مهددة داخل هذا المجتمع ونظمه وأعرافه، وتهتز مكانتها مهما كان مدخلها الاقتصادي.

تعد الأسرة الحجر الأساس في بناء أي مجتمع في العالم قديما أو حديثا، والمجتمع التقليدي يتكون أساس من مجموعة من الأسر والعشائر والقبائل، ولا يخرج عن هذه القاعدة أي مجتمع حيث حظي فيها الأب بمكانة سامية⁽¹⁾، فالأب هو سيد العائلة ورب الأسرة والحاكم لها، لذلك سلطته مفروضة على الأبناء وزوجته وعلى كل البيت⁽²⁾.

و يمكننا التعرف في المقابل على مكانة المرأة التي تحتلها داخل الأسرة أو حتى المجتمع، وهذا من خلال بعض المصادر بنوعها الأدبي والأثري من نقوش وفسيفساء، والتي تعتبر شاهدا حيا عما وجد آنذاك⁽³⁾، والتي بينت أن المرأة في بلاد المغرب القديم تنتمي بالضرورة دائما إلى الحيز الأسري وليس المجتمع، فهي تخضع إما لزوجها أو والدها، ويعترف بدورها البارز خاصة بعد الزواج، إذ تعتبر المسؤولة الأولى عن القيام بعناية زوجها وتربية أطفالها وإدارة منزلها⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ لمياء علي محمد، المرجع السابق، ص40.

⁽²⁾ أرسطو، السياسات، تر: أوغسطين بريارة البوسي، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1957، ص407.

⁽³⁾ بنت النبي مقدم، المرجع السابق، ص72.

⁽⁴⁾ تسعديت اسماعيلي و فريدة عمروس، المرأة ودورها في مجتمع المغرب القديم من خلال النقيشات اللاتينية، مجلة الدراسات الأثرية، مج.17، ع.1، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2019/12/31، ص7.

تقول ميادة كيالي تأكيداً لما جاء به فراس السواح أن الدراسات العلمية تثبت أن التجمع الإنساني الأول لم يتأسس بقيادة الرجل المحارب الصياد، بل تبلور تلقائياً حول الأم التي شددت عواطفها ورعايتها للأطفال حولها في أول وحدة إنسانية متكاتفه تحت خلية المجتمع الأمومي الأكبر وهي العائلة الأمومية⁽¹⁾.

ويعد تقدم المجتمعات والإستقرار الذي ساد بعد إكتشاف الزراعة فرصة لدخول المرأة في علاقة جديدة مع الرجل جعلتها المسؤولة الأولى عن الأسرة وتربية الأطفال⁽²⁾.

إن المعلومات الشائعة عن مكانة المرأة في المجتمعات الأمومية البدائية معظمها مستخلص ومستسقة بوجه عام من الأساطير، التي تقدم لنا فكرة واضحة عن المكانة العالية التي إحتلتها والإحترام والسلطان الذي كانت تتمتع به المرأة في تلك الأزمان، وذلك يعود نتيجة لوظيفتها البيولوجية فقد كان الرجل يبجل المرأة ويقدسها لأنها تنجب الأطفال بينما لا يستطيع هو ذلك⁽³⁾.

وقد مثل الطفل الركن الأساسي في أي مجتمع إنساني، حيث يتلقى من أسرته الحب والإهتمام والرعاية منذ ولادته إلى أن يشتد عوده، ويصبح قادراً على الإعتماد بنفسه وتحمل مسؤوليته حتى يبرز داخل المجتمع، ومما لاشك فيه أن الطفل في بلاد المغرب القديم مثله مثل أي طفل آخر له وضع خاص في مجتمعه، وذلك حسب طبيعة منشأه والظروف المحيطة به التي لها دور كبير في تقرير مصيره وتشكيل مسار حياته بما تقتضيه الضرورة الأسرية والقبلية⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ ميادة كيالي، مكانة المرأة في بلاد وادي الرافدين وعصور ما قبل التاريخ، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، قسم الدراسات الدينية، 17 مايو 2016، ص ص 14 - 15.

⁽²⁾ نضار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص 11.

⁽³⁾ عبد الستار صالح يوسف، المرأة ودورها في حضارة بلاد الإغريق من عام 525 ق.م إلى عام 406 ق.م، (رسالة ماجستير في التاريخ القديم)، جامعة بنغازي، ليبيا، 2019، ص 21.

⁽⁴⁾ زاهية مضوي، أسس رعاية الأطفال داخل الأسرة والمجتمع في بلاد المغرب القديم، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، مج. 4، ع. 2، جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر، 2021/9/30، ص 140.

II-1-1) المرأة والطفل فيما قبل التاريخ: (الحمل والإنجاب):

لقد أعطت لنا الرسوم والنقوش الصخرية لمحة عن تاريخ المرأة والطفل فيما قبل التاريخ والبداءة مع الحمل والإنجاب.

إن انشغال و إرتباط المرأة بالحمل والولادة منح الرجل حرية التنقل ، وهذا ما يحمل إشارة غير مباشرة إلى ذلك التخصص الوظيفي البيولوجي لها⁽¹⁾، ووظيفتها هذه ربطت بين الأم والحياة ، وإعتبارها مصدرا لها وهو ما دفع الإنسان في عصور ما قبل التاريخ إلى عبادتها وتقديسها بجعلها رمزا للتكاثر والإنجاب اللذان يكمنان فيهما سر استمرار الحياة أي التغلب على الموت⁽²⁾.

وقد قدمت لنا النصوص الأدبية التي لمسنا فيها قدرا ملحوظا من الإهتمام بالأسرة والطفل معطيات عن حياة المرأة، واعتبروا أن المكانها الطبيعي في بيتها ، حيث تربي أبنائها وتعتني بزوجها وتقوم بأعمال البيت⁽³⁾، إلا أنه سبق هاته النصوص الأدبية ما قدمته لوحات الفن الصخري التي عكست لنا علاقة الأم بأطفالها في الحياة اليومية ، في مشاهد تعبر عن قوة الإرتباط بينهما في مختلف الفترات العمرية من الرضاعة فالمشي والتعلم والمصاحبة⁽⁴⁾.

وبعد الدراسات حول الموضوع إستطاع الباحثون تقسيم المشاهد الجنسية في مختلف مراحل الفن الصخري إلى قسمين رئيسيين، فهناك اللوحات التي تصور مشاهد جنسية لشخصيات عادية بأحجام منطقية سواء بالنسبة للمرأة أو الرجل، وبوضعية عادية ومقبولة بالنسبة للطبيعة البشرية⁽⁵⁾.

أما بخصوص النوع الثاني حسب بول فريشاور تعود لمشاهد جنسية أسطورية نصفها إنسان والآخر حيوان ويحتمل أن يمارس الإنسان الجنس مع الحيوان برغم من الأحجام غير الطبيعية وبالأخص الأعضاء التناسلية⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ ميادة كيالي، المرجع السابق، ص15.

⁽²⁾ اشرف نادي احمد حسن، المرجع السابق، ص1.

⁽³⁾ نضار الأندلسي، المرجع السابق، ص124.

⁽⁴⁾ مضوي زاهية، المرجع السابق، ص143.

⁽⁵⁾ فارس دعاس، مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب القديم من بداية العصور التاريخية إلى نهاية الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، (أطروحة دكتوراه (ل.م.د) في تاريخ المغرب القديم)، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، الجزائر، 2021/2020، ص41.

⁽⁶⁾ بول فريشاور، الجنس في العالم القديم، تر: فائق دحدوح، ج.1، دار نينوى، العراق، 1999، ص47.

ومن خلال مشاهدة مشاهد جنسية كثيرة تحتويها لوحات للرسوم والنقوش الصخرية، يستنتج أن أغلبها يعود إلى مرحلة الرؤوس المستديرة ومرحلة الرعاة، متوزعة ومنتشرة في موقع وادي جرات الطاسيلي، إذ صورت شخصيات بوضعيات مختلفة في حالة الممارسة، ونرى فيها أحجام النساء أكبر من أحجام الرجال، ويلاحظ أن الشخصيات كانت مقنعة برؤوس حيوانات من فصيلة الكليات⁽¹⁾. (الملحق رقم 04 ص 328)

كما يلاحظ شخصيات بوضعيات مختلفة في حالة الممارسة لكن بدون أقنعة وتلك المشاهد نجدها في موقع أوزان اهييري (جانيت)⁽²⁾.

بل وتنتشر كذلك العديد من اللوحات التي تصور مشاهد الإقتران في موقع تدرارت أكاكوس في إقليم فزان، التي تصور مشاهد إقتران بين الرجل والمرأة، حيث يرى الرجل مرتدي قناعا كبيرا مستديرا بأذنين كبيرتين وعضوه ذو حجم غير طبيعي⁽³⁾.

أما المرأة فقد صورت بدقة كبيرة وهي في وضعية الإستلقاء وساقاها منفرجتان، رقبتها طويلة ورأسها موجه للأمام، وهناك مشهد آخر للإقتران الجنسي في نفس الموقع بين مجموعة من الرجال ومجموعة من النساء، مع إضافة رمزية تقديم القرابين، وذلك من أجل إضفاء الجانب الروحي والديني للمشاهد، وهذا الأمر جعل بعض الباحثين يؤكدون أن الغرض من هذه المشاهد الجنسية ليس إظهار الشهوة واللذة، وإنما الغرض الأساسي منه هو التكاثر والحصول على الأطفال بتزكية من الآلهة الكبرى⁽⁴⁾.

وفسر الباحثون المختصون تلك المشاهد الموزعة على مستوى وادي جرات المرتبطة بشخصيات نصف إنسانية والمقنعة برؤوس حيوانية من فصيلة الكليات، على أنها مشاهد رمزية تعبر على الآلهة الأنثوية الخاصة بالخصب، لكونها تتميز بضخامة الحجم مقارنة بالشخصيات الذكرية، أما إستعمال القناع فقد كان شائعا في الرسوم الصخرية وهو على نوعين: أقنعة برؤوس حيوانية وأقنعة برؤوس

⁽¹⁾ فارس دعاس، مكانة الأطفال، المرجع السابق، ص 41.

⁽²⁾ Mostefai(A), Les représentations féminines d'Ozan Ehéré (Tasîli-n-Ajjer, Sahara central, Algérie), Les Cahiers de L'Aars, Paris, N.16, 2013, p220-221.

⁽³⁾ فارس دعاس، مكانة الأطفال، المرجع السابق، ص 42.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه، ص 42.

طقوسية، وتحمل هذه الأقنعة وظائف رمزية كثيرة مثل دور الحماية من الأرواح الشريرة، وله أبعاد أخرى خاصة بالسحر والدين، لذا دائما ما نجد ذلك التركيب في مشاهد الصخرية بين الجنس والخشب والسحر والدين⁽¹⁾.

لقد أخذت مشاهد الحمل في الصحراء الكبرى حيزا معتبرا من رسومات الفن الصخري خاصة في مرحلة البقريات (4000-1500 ق.م)، ومن أشهرها مشهد المرأة الحامل والساحر في موقع أونرحة (Aounrhet) حيث تظهر امرأة حامل بحجم كبير وملامح وجهها مخفية⁽²⁾، وهي أمام الساحر الذي يرتدي قناعا طقسيا ولباسه مزينة، وهي تطلب منه شيئا ما نظرا لوضعية يدها اليمنى الممتدة نحوه، و اليسرى المنقبضة، وهذا يدل في الغالب على أنها كانت تطلب المساعدة من الساحر لحماية جنينها الذي في بطنها⁽³⁾ (الملحق رقم 05 ص 329).

وهناك مشهد آخر من صفار (Safar) (اليزي)⁽⁴⁾، يمثل 3 نساء ذوات بطن منتفخ ويبدو أنهن يمشين ببطء فهن ما يميزهن اختلاف أحجامهن، كما يوجد مشهد مماثل في تان زومتياك، حيث الزينات الجسدية تغطي وتملأ كامل جسد النساء في شكل نقاط في صفوف ثلاثية، وهذا التزيين يعد ويمثل أسلوبا موحدا في كل المشاهد واللوحات التي تظهر فيها النساء الحوامل⁽⁵⁾ (الملحق رقم 06 ص 330).

ويستنتج من هاته اللوحات الصخرية أن فترة الخصوبة تطول بالنسبة للمرأة، وأما بخصوص مرحلة الحمل والإنجاب كانت تبدأ في سن مبكرة في مجتمعات الفن الصخري، بما أن كل النساء

⁽¹⁾ فارس دعاس، مكانة الأطفال، المرجع السابق، ص 42-43.

⁽²⁾ مضوي زاهية، المرجع السابق، ص 143-144.

⁽³⁾ Lhote(H), Le Peuplement du Sahara néolithique d'après L'interprétation des gravures et des peintures rupestres, Journal de la société des Africanistes, Tome40, Fascicule2, 1970, p134.

⁽⁴⁾ صفار: تقع في قلب منطقة جبلية صخرية متآكلة جدا مع مسالك صعبة ونقاط الماء الرئيسية تتواجد في قلب صخور يستحيل أن تصل إليها الأبقار في اليزي حاليا... ينظر: لخضر بن بوزيد، الأثر الديني في مشاهد الرسوم الصخرية، المرجع السابق، ص 19.

⁽⁵⁾ المرجع نفسه، ص 99.

حوامل في هذه المشاهد رغم اختلاف فئاتهن العمرية، أما الزينات الجسدية التي تزينت بها النسوة فهي مرتبطة بالسحر ويمكن أن تكون لحماية الجنين من الأذى والأرواح الشريرة⁽¹⁾.

وفي منطقة صفار كذلك يوجد مشهد آخر متمحور حول الإله الأكبر الذي يمثل شخصية مركزية، حوله مجموعة من النساء يطلبن منه أن يمنحهن الأولاد يتمتعون بالصحة وطول العمر، ونجد ذلك المشهد يرافقه بعض الحيوانات، وهي عبارة عن قرابين مقدمة له حتى يتحقق طلبهن فالوصول على الأطفال كان الشغل الشاغل لتفكير الإنسان البدائي في عصور ما قبل التاريخ، وهو ما إنعكس على فنونهم من رسومات ونقائش صخرية⁽²⁾. (الملحق رقم 07 ص 330).

يوجد مشهد السيدة السوداء في نفس الموقع، حيث تظهر امرأة حامل بحجم كبير وتبدو مقنعة وذات زينات جسدية، وهي تحمل القمر بكلي يديها، لذا سميت بالإلهة القمرية⁽³⁾.

وحسب هنري لوت (Lhote. H) هذا المشهد يعبر عن مدى أهمية مدة الحمل لدى المرأة عند الإنسان البدائي، فغالبا ما يربط الأمر بفكرة المقدس كون المرأة الحامل تشكل رمزية مقدسة، لذلك حظيت باهتمام خاص في المجتمعات الصحراوية الكبرى خلال العصور الحجرية⁽⁴⁾.

ولوحظ أن مشاهد كثيرة موزعة على العديد من المواقع تعبر عن الحمل، منها مشهد المرأة الحامل رفقة زوجين من الأبقار في موقع اوزان اهييري، ومشهد آخر في صفار لإمراة حامل وحوها رجل وأولادها وكلاهما يشير للأولاد لكي يأتوه، ومشهد في موقع زكار في أولاد نايل يصور إمراة حامل وهي تتعرض لمحاولة اعتداء من قبل أحد الأشخاص غير أن رجلا يحميها ويضرب المعتدي بشيء حاد⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ فارس دعاس، مكانة الأطفال، المرجع السابق، ص 45.

⁽²⁾ Hachid(M), Le Tassili de Ajjer aux sources de L'Afrique 50 siècles avant Les pyramides méditerranées, Edif, Paris, 2000, p165.

⁽³⁾ فارس دعاس، مكانة الأطفال، المرجع السابق، ص 45.

⁽⁴⁾ Lhote(H), op.cit, p104.

⁽⁵⁾ فارس دعاس، مكانة الأطفال، المرجع السابق، ص 45-46.

وهذه المشاهد إشتكت كلها في مجموعة من النقاط تمثلت في المرأة الحامل كونها الشخصية المركزية، حيث تكون مزينة بزينات جسدية مثل النقاط الخطوط... الخ، التي تحيط بجسمها وكل هذه العناصر توحى بمدى أهمية المرأة الحامل وقديسيتها⁽¹⁾.

وأمدتنا كذلك الفنون الصخرية بمشاهد عديدة للنساء في حالة الولادة، حيث تظهر بشخصيات نصف إنسانية مقنعة برؤوس الحيوانات وبسيقان وأرجل مفتحة في حالة الولادة⁽²⁾، مثل المشاهد الموجودة في موقع تدرارت اكاكوس⁽³⁾، غرب ليبيا في فزان⁽⁴⁾، والتي ظهرت فيها النساء في وضعية الولادة بأقنعة ذات رؤوس الحيوانات وسيقانهم منفرجة وتظهر في منطقة الفرج زوائد لديهن⁽⁵⁾. (الملحق رقم 08 ص 331)

وفي موقع اوزان اهييري هناك مشاهد أخرى لنساء في وضعية الولادة لكن دون أقنعة وملامح الوجه ظاهرة تختلف فيما بينهن، ولا توجد تفاصيل واضحة لأعضائهن الجسدية إلا اليدين والساقين المفتوحتين، مع وجود حيوانات مثل الأبقار يعد قربانا للآلهة من اجل حماية المرأة وجنينها⁽⁶⁾. (الملحق رقم 09 ص 332).

وبخصوص عملية المخاض توجد بعض الرسومات في الطاسيلي تصور هذه العملية مثل ما تصوره لنا الرسوم في منطقة صفار، حيث تبين هذه الرسوم المرأة في هذه الحالة واقفة للإبتهاال، أو الصلاة، أو التضرع، سواء للآلهة، أو الضباع رمز الخصوبة، وكانت فرصة البقاء على قيد الحياة بالنسبة للجنين والأم ضعيفة، خاصة بعد عثور العلماء على بقايا للأمهات دفنت مع جنينها مباشرة

(1) لخضر بن بوزيد، الفن ومعتقدات الطاسيلي، المرجع السابق، ص 223.

(2) لخضر بن بوزيد، الأثر الديني، المرجع السابق، ص 99.

(3) تدرارت اكاكوس: هي سلسلة جبلية تقع في الجنوب الغربي من فزان وغات وقد وجدت العديد من الرسوم الصخرية في هاته المنطقة... ينظر: إبراهيم العيد بشي، تاسيلي ناجر الأزمنة الجيولوجية والمؤشرات الحضارية والعوامل الطبيعية المكونة للطبيعة، ج. 2، منشورات الحبر، بني مسوس، الجزائر، ط. 1، 2008، ص 87.

(4) لخضر بن بوزيد، الأثر الديني، المرجع السابق، ص 99.

(5) Huard(P) et Allard(L), Gravures rupestre du Tadrart Akakous(Libye S.W), Bulletin de la Société préhistorique Française, Comptes rendus des séances mensuelles, Tome 74, N9, 1977, p284.

(6) فارس دعاس، واقع الأمومة، المرجع السابق، ص 27.

بعد الولادة، حيث كانت المرأة في المجتمعات القديمة تجبر على إنجاب الأولاد حتى وإن أثر ذلك على صحتها وحياتها⁽¹⁾.

وكذلك في موقع أوزان اهيهري توجد مشاهد أخرى لنساء وهن في وضعية الولادة، لكن دون أقنعة وملامح أوجهن مختلفة، ولا توجد تفاصيل واضحة لأعضائهن الجسدية سوى اليدين والساقين المفتوحتين، ودائما ما يرفق المشهد ببعض الحيوانات مثل الأبقار⁽²⁾.

وتشير الباحثة حسبية صفيرون إلى نقطة مهمة إحصائية وجود عيادات للتوليد تتردد عليها النساء الحوامل عندما يأتيها المخاض، وهي عيادة مجهزة بطاولة للتوليد وقابلة⁽³⁾.

كما نراه في عيادة تين تزاريف⁽⁴⁾، ومجموعة تين عتوين (Tintzarift)، أين تلد النساء وهي مستلقية على الظهر فاتحة فخذيهما لقذف الجنين⁽⁵⁾.

بينما في منطقة صفار سوف نشاهد عيادة أخرى أو مكانا آخر للتوليد تغيب عنه القابلة، وتظهر الحوامل جالسات وهي تمد ساقيهما فاتحة فخذيهما استعدادا لقذف الجنين، وربما تشد بذراعيها بشيء مثبت في السقف حتى يساعدنها في التخفيف من عناء المخاض⁽⁶⁾، فأثناء القذف تلجأ للامساك به حتى يساعدنها على استخراج القوة اللازمة التي تحتاجها أثناء عملية القذف والمخاض العسير⁽⁷⁾. (الملحق رقم 10 ص 333).

وبالرغم من كل المجهودات الطبية المبذولة في الفترات اللاحقة، إلا أن الحمل والولادة لازال يشكل خطرا على المرأة، فقد أمدتنا مجموعة من النقائش حول الموضوع، فقد كانت المرأة تحب إنجاب الأولاد على حساب صحتها كتلك السيدة التي وصفت بالعظمة لكونها أما وزوجة صالحة "السيدة

(1) حسبية صفيرون، كانت البربريات تلدن في الصحراء الوسطى منذ سبعة آلاف سنة، مجلة الآثار، جامعة الجزائر 2، الجزائر، مج. 13، ع. 1، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2015، ص 14.

(2) فارس دعاس، مكانة الأطفال، المرجع السابق، ص 48.

(3) حسبية صفيرون، المرجع السابق، ص 24.

(4) تين تزاريفت: منطقة تضاريسية شبيهة بصفار وجبارين تضم مجموعة من الملاجئ تحت الصخور التي تحتوي رسوم تعود إلى مراحل فنية متعددة خاصة مرحلة الرؤوس المستديرة... ينظر: لخضر بن بوزيد، الأثر الديني، المرجع السابق، ص 20.

(5) المرجع نفسه، ص 24.

(6) زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 145.

(7) حسبية صفيرون، المرجع السابق، ص 24.

روبريا فيستا(Rubria Festa) من شرشال(Caesarea) وماتت وعمرها 36 سنة وهي تضع مولدوها العاشر⁽¹⁾، وأما سارجيا عمارا(Sergia Amar) فقد توفيت وعمرها 37 سنة تاركة وراءها سبعة أولاد وبنت⁽²⁾.

كما أن المرأة لم تسلم من الموت المفاجئ، وهاهي نقيشة قرطاجة تؤكد على ذلك من خلال النص الذي يقرأ فيه: "إن الأم بكوت(Bacut) من مكثار التي ماتت أثناء ولادة طفلها الوحيد الذي تركته لزوجها"⁽³⁾.

يمكن القول أن أمر الحمل والولادة له علاقة مباشرة بالأمور الدينية والعقائدية لدى الإنسان في بلاد المغرب القديم، وهذا مادلت عليه مختلف النقوش والرسوم الصخرية خلال فترة العصور الحجرية، ومن الملاحظ أن هذا الأمر إستمر للعصور التاريخية اللاحقة، وهذا ما سنأتي على ذكره في مرحلة الإنجاب و الإجهاض.

II-1-2 الإجهاض:

قبل الخوض في الحديث عن الموضوع لابد من الإشارة أن أمر الإجهاض لم يكن من الأمور المرحب بها في بلاد المغرب القديم، بل وحرمت مع إنتشار الديانة المسيحية في المنطقة.

إتفق أغلب الباحثين أن الليبيين القدماء كانوا يستقبلون أطفالهم عن طيب خاطر وبالأخص الذكور، عكس الإناث اللواتي لم يكن محبوبين عند الآباء، لكن ذلك لا يعني التخلي عنهن أو

⁽¹⁾ زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 146. ينظر: (CIL, VIII, 9162)

D(is) M(anibus) s(acrum) / ob memoriam Sulpiciae L(uci) l(ibertae) Vic(toriae) Gaius Iulius Felix mari/tus eius sepulcrum fecit / quasi amantissimae ac karissimae / et dulcissimae quondam con/iugi suae de post cuius mor/te(m) fili(i) superstites n(umero) V et / nepotes X TENFRSI sunt haec de/cessit die VII Idus Ianuarias (!) p(rovinciae) CLXXX/VIII vixit an(n)is L n(umero) votum solvit

⁽²⁾ بنت النبي مقدم، المرأة في بلاد المغرب القديم خلال العهد الروماني الأول (27ق.م-284م)، مجلة المواقف للبحوث

والدراسات، مج.5، ع، 1، جامعة معسكر، الجزائر، 2010، ص 252. ينظر: (CIL, VIII, 9162)

⁽³⁾ محمد بن عبد المومن، المرجع السابق، ص 566. ينظر: (CIL, 08, 24734)

Daphnis ego Hermetis coniunx sum libera facta / cum dominus vellet primu(m) Hermes liber ut esset / fato ego facta prior fato ego rapta prior / quae tuli quod ge<n=M>ui gemitus viro saepe reliqui / quae domino invito vitam dedi proxime nato / nunc quis alet natum quis vita<m=E> longa(m) ministrat / me Styga quod rapuit tam cito eni(m) a(d) super<i=O>s / pia vixit annis XXV h(ic) s(ita) e(st)

قتلهن⁽¹⁾، قد إستمرت لغاية العهد الإمبراطوري الثاني (284-476م) هاته الوضعية والأحكام على المرأة رغم انتشار المسيحية، ويتجسد ذلك بوضوح ما حدث مع خليعة القديس أوغسطين حسبما أدل به في إعتراقاته أن أمه مونيكافضت أن يتزوج بحبيبته وخطبت له فتاة أخرى رغم وجود الإبن، فانفصل عنها لكنه إحتفظ بإبنه اديودا(Adéodat) ليتكفل بتربيته، فالأطفال كانوا مهمين جدا للرجال⁽²⁾.

ومحمد فنظر يؤكد بأن الليبيين القدماء يحبون النسل والإنجاب ويتفاخرون بكثرة عدد الأطفال، لذلك إنتشرت ظاهرة تعدد الزوجات، عكس القرطاجيين الذين كانت الأسرة عندهم في الغالب مكونة من زوجين والقليل من الأطفال⁽³⁾.

وقد لوحظ أن النصوص الأدبية التي تتحدث على خصوصية الأسرة في المجتمع البوني تكاد تنعدم لأسباب نجهلها، ولم تقدم لنا هذه المصادر سوى بعض المعلومات عن الأسر الكبرى في قرطاجة مثل أسرة ماقون وأسرة هملكار برقة، ويغلب على هاتين الأسرتين أنهما كانتا قليلتي العدد حيث كانت تضم الزوجين وعددا قليلا من الأطفال، عكس الأسر الليبية القديمة التي تضم عددا كبيرا من الزوجات والأطفال⁽⁴⁾.

فقد كان الهدف الأساسي للأسر الليبية بعد الزواج يتمثل في الحصول على عدد لا يحصى من الأطفال وخير دليل ما عرف عن الملك النوميدي ماسينييسا(Massinissa) (203-148 ق.م) كان له 44 ولدا، وعرف بحبه وشغفه الكبير بالأولاد⁽⁵⁾، عكس الأسر القرطاجية كما أشرنا سابقا فهاميلكار برقة(Hamilcar Barca) له ولدين فقط هما حنبعل واصدر بعل(Hasdrubal)، وفتاتين تزوجت إحداهما اسدر بعل(Jexon Asrubaal)، والأخرى تزوجت من الأمير النوميدي

(1) زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 145. وينظر كذلك: Gsell(S), H. A. A. N, Tome5, pp51, 52.

(2) بنت النبي مقدم، المرأة في بلاد المغرب، المرجع السابق، ص 252.

(3) Fantar(M), Carthage approche d'une civilisation ed : Alif, Tunisie, 1998, p193.

وينظر كذلك: زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 145.

(4) فارس دعاس، مكانة الأطفال، المرجع السابق، ص 69.

(5) فتيحة فرحاتي، المرجع السابق، ص 96.

اوزالسي (Oezalcés)⁽¹⁾، ومازيتول (Mazé tulle) وهما الاثنان من عائلة الماسيل (Massyle)⁽²⁾، أما القائد حنبعل (Hannibal) (247-202 ق.م)، فيذكر الشاعر سيلوس ايتاليكوس (Silius Italiques) تزوج من امرأة اسمها اميليسي (Imilcé) من إبيريا التي كان له منها طفل واحدا ولم يذكر حتى اسمه⁽³⁾.

أما ماقون (Magon) (550 ق.م) القرطاجي فأنجب كذلك إثنين فقط هما أسدريعل وهيلكار⁽⁴⁾، ويشير المسرحي بلوت (Plaute)، الذي كتب عدة مسرحيات كلها مستقاة من الواقع الإيطالي، وأهمها تلك المسرحية المعنونة ب: "التاجر القرطاجي الصغير"، التي تصور لنا فيها الكاتب بعض الجوانب ذات علاقة بحياة القرطاجيين، وجاء فيها قصة الرجلين أبناء عمومة من قرطاجة ينتميان إلى عائلتين كبيرتين عرفتا بثرائهما، أحدهما متوفى كان له ابن وحيد تم إختطافه وحمل إلى كاليدون (Calydon)⁽⁵⁾.

أما ابن عمه القائد حانون (Hannon) لقي نفس المصير حيث كان له ابنتان تم اختطفهما مع مربيتهما، ورغم أنه وابن عمه من الأثرياء، إلا أنه تم إختطاف أبنائهم ببساطة⁽⁶⁾.

أما بخصوص نظام تعدد الزوجات في المجتمع البوني يستبعده علماء الآثار، خاصة بعد التنقيبات التي أقيمت على القبور البونيقية، فقد وجدوا العديد من القبور تضم الزوجين أي الرجل وامرأته فقط، واقتصر الرجل على امرأة واحدة يقلل من نسبة الإنجاب في العائلة الواحدة⁽⁷⁾.

ويمكن القول أن هذا الأمر أقتصر على الملوك القرطاجيين في تحديد النسل عكس الملوك المحليين، إلا بعض الإستثناءات لأغراض سياسية حسب ما تناولته مختلف المصادر عن الملك

(1) زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 145.

(2) بنت النبي مقدم، المظاهر الاجتماعية في العهد القرطاجي، المرجع السابق، ص 18.

(3) المرجع نفسه، ص 14.

(4) حسيبة باحمان، سكان بلاد المغرب القديم في العهد القرطاجي (814-146 ق.م)، (رسالة ماجستير في التاريخ الثقافي والاجتماعي المغاربي عبر العصور، جامعة العقيد احمد دراية)، جامعة ادرا، الجزائر، 2016/2015، ص 115.

(5) Plaute, Les Comédies de Plaute (Le Carthaginois poenus), trad: Sommer, Librairie, Hachette, Paris, 2, 3.

Ibid, 3.

(6)

(7) فارس دعاس، مكانة الأطفال، المرجع السابق، ص 69.

سيفاكس الذي إرتبط وتزوج الأميرة القرطاجية صوفونيزب وهو في سن الشيخوخة وهي لا تزال شابة صغيرة، فعد ذلك في نظر بعض المؤرخين سببا كافيا في عدم إنجابها منه، بينما رجح آخرون أنه كان زواجا سياسيا بإمتياز لذا فضلت عدم الإنجاب منه، لأن هذا الإبن لم تكن لتقبله ظرفية التحالفات السياسية⁽¹⁾.

طبعاً إن ظاهرة الإكتفاء بعدد قليل من الأطفال لم تقتصر عند القرطاجيين فقط، بل وجد هذا أيضاً عند ملكة موريطانيا القيصرية كليوبترا سليني (40-6 ق.م) زوجة يوبا الثاني (Juba II) (25 ق.م-23 م) التي أنجبت منه طفلين، فأطلقت إسم بطليموس (Ptolemaeus) على إبنها وإسم دروسيللا (Drusilla) على إبنتها⁽²⁾.

يعني تحديد النسل ليس بالضرورة إقتضاره على الوافدين من فينيقيا فقط، بل لمس ذلك حتى بعض الملوك الليبيين أمثال يوبا الثاني وربما يعود ذلك إلى ظاهرة تعدد الزوجات واتخاذ الخليلات، لذلك يعد الحصول على الأولاد بعدد كبيراً أمراً سهلاً وليس بالضرورة الحصول عليه من الزوجات، خاصة وأنه من المعروف في العرف الليبي تعد المرأة المثالية هي المرأة الولود — خاصة الخليلات — لذلك إجتهدت النسوة في التقرب والتضرع للآلهة من أجل الإنجاب بأعداد كثيرة، وتعد المرأة العقيمة غير مرغوب فيها وممقوتة ومهددة بالطلاق.

وبالباحثة نضار الأندلسي تقول: أنه في حالة تأخر الإنجاب يلجأ إلى التضرع وتقديم القرابين للآلهة باستمرار⁽³⁾.

ومحمد شنييتي يؤكد أنه كان للمغاربة الكثير من الأولاد خاصة الأسر الريفية المكونة من الأهالي، حيث أن الرومان عجزوا في السيطرة على هؤلاء الريفيين البدو رغم الوسائل التي استخدموها للقضاء عليهم، بل هذا زاد من إصرارهم على التكاثر⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ نضار الأندلسي، المرجع السابق، ص 64.

⁽²⁾ شافية شارن، كليوبترا سليني، دراسات في آثار الوطن العربي، مج. 5، ع. 5، الإتحاد العام للآثاريين العرب وإتحاد الجامعات العربية، 2002، ص 236.

⁽³⁾ نضار الأندلسي، المرجع السابق، ص 118.

⁽⁴⁾ أبو بكر حسني عيسى أحمد سرحان، المرجع السابق، ص 197-198.

ومحمد الصغير غانم يرجع نسبة الولادات عند هؤلاء السكان المرتفعة لأنه كان للرجل الواحد منهم عدة زوجات، يختلف عددهن بحسب الاحتياج لهن و ما يتمشى ومكانة الزوج الاجتماعية، إذ كان بإمكانه أن يتزوج من 50 امرأة، وإنجاب المئات من الأبناء يكونون عون لأسرهم ولقبيلتهم في مختلف الميادين خاصة الاقتصادية والعسكرية⁽¹⁾.

وبعض المصادر تشير أن القبائل المغربية القديمة، كانت كثيرة العدد إلى درجة أن كثيرا من كتاب ذلك العصر أطلقوا عليها تسمية شعوبا بدل القبائل⁽²⁾، أما في المدن فعكس ذلك فالإحصائيات الجنائزية التي أشار لها بيكار (1913-1998) تبين أن نسبة الأطفال الأحياء كانت في المتوسط من اثنين إلى ثلاثة أطفال في الأسرة الواحدة خاصة المدن الداخلية، أمثال تيفاست (Theveste) تبسة، ستيفيس (Seti fis) سطيف، دوقة (Thogga)، بينما كانت منخفضة في بعض المدن الحضرية مثل قرطاجة وتنخفض أكثر بين العبيد⁽³⁾.

تشير خديجة منصوري نقلا عن ما توصل إليه جان ماري لاسير (J. M. Lassère) في دراسته لسكان شمال إفريقيا من سنة 146 ق.م إلى سنة 235 م، إلى نتيجة مفادها أن عدد النصب الجنائزية بالريف أقل بكثير من تلك التي وجدت بالمقابر الحضرية والضياع المتوسطة⁽⁴⁾.

وهذا يعود لعدة أسباب وعوامل أبرزها الظروف المعيشية الصعبة⁽⁵⁾، فهذه الظروف أدت إلى شيوع ظاهرة العزوف عن الإنجاب لدى كثير من الزوجات، بل وممارستهن أسلوب الإجهاض إن حملن، مع أنه حرم قانونيا واعتبر إحدى جرائم القتل، أما دينيا فان منع الولادة هو التعجيل بالقتل⁽⁶⁾.

(1) محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 204.

(2) ابوبكر حسني عيسى احمد سرحان، المرجع السابق، ص 197.

(3) المرجع نفسه، ص 198.

(4) خديجة منصوري، النصب الجنائزية للأطفال بموريطانيا القيصرية خلال الفترة الرومانية، مجلة دراسات في آثار الوطن العربي،

مج. 6، ع. 6، الإتحاد العام للآثاريين العرب وإتحاد الجامعات العربية، 2003، ص 69.

(5) أكسيل لولو، المرجع السابق، ص 117.

(6) بنت النبي مقدم، المرأة في بلاد المغرب، المرجع السابق، ص 252.

والإجهاض كان منتشرا بالمغرب القديم سواء عن طريق تناول بعض الأعشاب أو التخلص من الجنين بإبرة من البرونز⁽¹⁾.

ويعود السبب في ذلك الرغبة في تحديد النسل، أو التخلص من الحمل غير المرغوب فيه، وقد كانت النساء الثريات أكثر إجهاضا⁽²⁾، ومن المعروف عن النساء المترومنات يلجأن إلى العديد من الطرق لتنظيم دورة ولادتهن، وذلك من أجل الحفاظ على رشاقتهن وجمالهن، ومن بين هذه الطرق تناول عقاقير منع الحمل مصنوعة من مادة النيونوفار (Nénuphar) التي تستخدم لكبح الشهوة الجنسية لمدة 40 يوما⁽³⁾، بل وتطور الأمر إلى إجراء عمليات جراحية لسد عنق الرحم عن طريق أدوات معدنية دقيقة لمنع الحمل قبل تطور الجنين⁽⁴⁾.

ولقد تحدث بعض المؤرخين والشعراء أن النساء الثريات هن الأكثر من يلجأن للإجهاض من أجل الحفاظ على أنوثتهن، وكذلك تم استعمال وسائل أخرى مثل المنظار المهبلي (Vaginal Spealum) الذي تم اكتشافه من طرف علماء الآثار في احد المواقع⁽⁵⁾.

وعلى الرغم من اختلاف موانع الحمل من الوصفات الطبية التي وصفها بعض المؤلفين الإغريق والرومان لتجنب الزوجة حملها، فإن المرأة المنتمية الأوساط الفقيرة - خاصة العبيد- كانت تنجب عددا كبيرا من الأطفال لعدم مفعول هذه الوصفات أو جهل طريقة استعمالها، ويعاملن الأطفال غير مرغوب فيهم معاملة سيئة بعد الولادة⁽⁶⁾.

أما في إقليم قورينة كانت هنالك قوانين مقدسة حول الموضوع ويفهم منها أن عملية الإجهاض لم تكن شيئا غريبا في ذلك الوقت، لأنها وصفت كل من يقوم بهذه العملية بالنجاسة

(1) خديجة منصوري، المرجع السابق، ص73.

(2) نضار الأندلسي، المرجع السابق، ص116.

(3) فارس دعاس، مكانة الأطفال، المرجع السابق، ص181.

(4) Benseddik(N), être Femme Le Maghreb ancien, Awal, N20, 1999, p131

وينظر كذلك: فارس دعاس، مكانة الأطفال، المرجع السابق، ص181

(5) المرجع نفسه، ص181.

(6) نضار الأندلسي، المرجع السابق، ص116.

خاصة إذا كان الحمل في مرحلة متقدمة، إذ يصير في حكم القتل، أما إذا كان الحمل في مرحلة مبكرة فإن البيت الذي أجريت فيه مثل هذه العملية يصبح نجسا⁽¹⁾.

ومن المعروف أن الإجهاض كان مقبولا في العرف الاجتماعي الروماني، لكن لا يوجد قانون يجرمه إلا عندما ظهر الدين المسيحي⁽²⁾، وقد أكد ذلك ترتليانوس (Tertullianus) (160-225م) في قوله: "فلا يحل لنا إسقاط الجنين من رحم أمه وهو لم يزل في طور التكوين من الدم لأنه تعجيل بالقتل"⁽³⁾ القديس أوغسطين يشاركه في ذلك حين إنتقد إستعمال المرأة لموانع الحمل، و إعتبره سما يقضي على النسل والتكاثر والانجاب⁽⁴⁾.

والظاهر أن عادة الإجهاض والإمتناع عن الإنجاب كانت منتشرة بكثرة لدى الطبقة النبيلة، حيث كانت ترى في كثرة الأطفال عائقا أمامهم للاستماع بملذات الحياة، ومن جهة أخرى لم يكن كذلك الإنجاب مفضل لدى طبقة العبيد والمعتقين بسبب ظروف الحياة القاسية المتمثلة في الفقر بالدرجة الأولى، على الرغم من تشجيع أسيادهم على التكاثر للإكثار من اليد العاملة⁽⁵⁾.

ويمكن القول إن نسبة وفيات النساء الحوامل أثناء فترة الولادة مرتفعة جدا في المجتمع المغاربي المتروك ما بين سن 14-49 سنة، ويعد هذا العمر المناسب للمرأة للإنجاب، حيث أحصى 2163 امرأة توفيت في هذا السن من مجموع 5139 امرأة في المجموع العام، أي بنسبة 42% وهو معدل مرتفع جدا، ويرجع ذلك لإصابتها بمضاعفات الحمل والولادة ولعمليات الإجهاض المتكررة⁽⁶⁾.

ولم يقتصر الأمر على بلاد المغرب القديم فقد عرف الإجهاض كذلك عند العراقيين القدماء، وقد أجمعت القوانين السومرية والآشورية وشرائع حمورابي (1770 ق.م) في تحريمه لما ينطوي عليه من مساس بحقوق المجموعة، فالقانون السومري يطلب من الرجل الذي يصطدم بفتاة ابنة رجل حر

⁽¹⁾ عبد الكريم الميار، قورينا في العصر الروماني (74 ق.م - 117 م)، منشورات الشركة العامة، ط1، طرابلس، 1978، ص144.

⁽²⁾ الميلاء علي محمد، المرجع السابق، ص52.

⁽³⁾ ترتليانوس، المصدر السابق، ص23.

⁽⁴⁾ Augustin(S), Les Confessions, Trad: par Roques, éd belle Lettres, Paris, 1870, II, 3.

وينظر كذلك : فارس دعاس، مكانة الأطفال، المرجع السابق، ص181

⁽⁵⁾ أبو بكر حسني عيسى أحمد سرحان، المرجع السابق، ص198.

⁽⁶⁾ فارس دعاس، مكانة الأطفال، المرجع السابق، ص182.

سقوط ما كان في جوفها فانه يدفع غرامة 10 اشقلة من الفضة ،في حين قانون حمورابي أنه يسلط عقوبة على كل من الرجل المحرض والمرأة التي التجأت إلى الإجهاض ،والشخص الذي قدم خدماته قصد إسقاط الحمل⁽¹⁾.

أما في الحضارة المصرية لم يعثر المؤرخون إلا على مخطوط واحد وهو مخطوط إبيريس⁽²⁾، التي يرجع تاريخها تدوينها إلى سنة 1500 ق.م وهي تتضمن في محتواها شرحا للعديد من الوصفات الطبية المستخدمة في علاج الأمراض من بينها أمراض الأطفال⁽³⁾، ويذكر فيها بعض الوسائل المستخدمة لإحداث عملية الإجهاض ،وهو ما يؤكد على أن هذه العملية معروفة لدى المصريين القدامى وباستثناء هذا المخطوط فلا وجود لأي نص يجرم ويعاقب الإجهاض ويعتبره جريمة⁽⁴⁾.

أما الحضارة اليونانية نستثني منها أثينا ،كان ينظر للإجهاض أنه أمر عادي ،حيث أن الدستور الإسبرطي يمنح لشيخوخ القبائل حقا مطلقا في الحياة والموت على أطفال القبيلة حديثي الولادة ،خاصة مشوهون البنية وغير القادرين على مواجهة متاعب الحياة يهملونهم دون شفقة أو رحمة⁽⁵⁾، بل النظام الإسبرطي سن قانون يوجب إعدام المولود الضعيف حيث أن الأم نفسها كانت تلجأ إلى وسائل مختلفة لتحقيق هذه الغاية وحدها ودون أن تشعر بأي قدر من حنان الأم⁽⁶⁾.

ونستنتج مما سبق أن عملية الإجهاض لم تشهد إنتشارا واسعا إلا مع التواجد الروماني للمنطقة ،وكان منتشرا أكثر شيء عند العبيد والطبقات الاستقرائية النبيلة ،التي كانت ترى فيه المرأة حجرا يعيق طريقها وحريتها ،ويشوه جمالها لهذا كانت تلجأ إليه رغم تحريمه دينيا

⁽¹⁾ أعمار قاسمي، موقف الحضارات القديمة من مسألة تنظيم الأسرة التشريع الخاص بالإجهاض، المجلة الجزائرية للعلوم القانونية والسياسية، مج.32، ع.4، جامعة بن يوسف بن خدة الجزائر، الجزائر، 1995، ص ص918-920.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص915.

⁽³⁾ دلال مفتاح الفيتوري، تاريخ طب الأطفال عند الشعوب القديمة، مجلة العلوم والدراسات الإنسانية، ع.26، ليبيا، 2017، ص100.

⁽⁴⁾ أعمار قاسمي، المرجع السابق، ص915.

⁽⁵⁾ المرجع نفسه، ص915.

⁽⁶⁾ اشرف نادي احمد حسن، المرجع السابق، ص12.

II-2) النسب والتبني:

عرف عن سكان بلاد المغرب القديم شغفهم الكبير بالإنجاب والحصول على عدد كبير من الأطفال خاصة الذكور، وإن إقتض الأمر أن يكون على حساب حياة المرأة_ الزوجة_.

كانت الأسرة الليبية القديمة مهتمة جدا بإنجاب الأطفال، وكان مصير الحتمي للمرأة التي لاتنجب في أول سنة هو الطلاق غالبا⁽¹⁾، وطبعاً لم يكن الهدف والغاية من الزواج ضمان استمرارية النسل البشري فقط، وإنما لإنجاب أطفال شرعيين من أصلاهم أيضاً لضمان ديمومة التقدم، وكذلك حتى يكونوا سنداً للآباء بعد التقدم في العمر مستقبلاً⁽²⁾.

لهذا لم تكن تتردد الزوجة في الإنجاب، وفي حالة إصابتها بالعقم تكون كثيرة التردد على القابلة للتداوي⁽³⁾، خاصة مع صدور مجموعة من النصائح من طبيب خبير في أمر العقم وهو الطبيب الروماني صورانوس اشتهر بكفاءته وازدادت شهرته حين ألف كتاباً عن أمراض النساء، وهو بحث يبعث عن الإنبهار حين قدم تشخيصاً للأمراض التي تسبب في العقم، ووجدتها في الهزال الشديد أو السمنة المفرطة وأدلى بوصفات طبية لعلاجها(الرحم) وكانت بعض الوصفات المفيدة، إلا في حالة إن الرحم يعاني من تشوهات خلقية لا يمكن معالجته بهذه الوصفات⁽⁴⁾، وأمام فشل كل محاولات الإنجاب علت الأصوات تطالب بالتبني لاستمرار نسل العائلة⁽⁵⁾.

II-2-1) الأطفال الشرعيين:

شهدت المنطقة وجود أطفال غير شرعيين، إما معروفين الأم والأب مجهول، أو لأم وأب مجهولين، ومن الملاحظ أن ظاهرة انتشار هؤلاء الأطفال كانت بكثرة خلال التواجد الروماني بالمنطقة.

(1) Gsell(S), H. A. A. N, Tome5, op.cit, p51.

(2) بنت النبي مقدم، الطفل في بلاد المغرب القديم خلال العهد الروماني، مجلة قيس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج.4، ع.1، جامعة الوادي، الجزائر، جوان 2020، ص481.

(3) بنت النبي مقدم، المرأة في بلاد المغرب، المرجع السابق، ص253.

(4) نضار الأندلسي، المرجع السابق، ص119.

(5) المرجع نفسه، ص119.

كان الطفل الشرعي ينسب على العموم لأبيه في بلاد المغرب القديم حيث يعطيه اسمه العائلي⁽¹⁾، فهيرودوت تناول بالحديث النسامونيين أنهم يعرفون أجدادهم ويزرون قبورهم ويؤدون طقوس الصلاة بالقرب منهم⁽²⁾.

ومحمد الهادي حارش أشار إلى أن هذا النسب يخولهم الأمن والبقاء تحت السلطة الأبوية حتى زواجهم يتم وفق إرادته ويتمتعون بالعيش الكريم، وكان الذكور هم من يورثون بعد وفاة الأب فتنتقل أملاكه للابن الأكبر سنا حتى يحافظ عليها من الانهيار، وقد رأى البعض في هذا سببا من حرمان البنت من الميراث، حتى لا تذهب تلك الأملاك إلى فرد آخر خارج الأسرة⁽³⁾.

صحيح أنه أعطت الأسرة الليبية للمرأة مكانة تليق بها لكن تلك المكانة تأتي بعد الرجل، كون الأسرة أبوية، فالسلطة في الغالب تعود للأب الناتجة عن التفوق الذكوري، إلا أن هذا لم يدم طويلا⁽⁴⁾، والظاهر أن نظام السلطة الأبوية في بلاد المغرب القديم عرف منذ القدم، وهذا ما تؤكد الآثار المصرية أن السلطة وراثية بين الذكور والنسب من حق الأب فإن أخذنا على سبيل المثال الملك الليبي "ميري ادد" (Mery)، الذي ذكر في سجلات مرنبتاح (1213-1202 ق.م) الذي ينسب إلى والده "أدد" الذي كان يتولى الزعامة قبله، ويذكر أن لديه 6 أولاد ينسبون له كذلك⁽⁵⁾.

وأغلب المصادر الأدبية تؤكد أن الملوك الليبيين النوميديين ينتسبون جميعهم إلى الأب، وتنتقل السلطة بينهم مثل ما نجد ذلك عند الملك الماسيلي ماسينيسا ابن غايا، وكذلك مع الملك المازيسيلي سيفاكس وابنه فيرمينا (Virmina)⁽⁶⁾، و تيت ليف (Tite-Live) (59 ق.م - 17 م) يؤكد على ذلك

⁽¹⁾ فارس دعاس، مكانة الأطفال، المرجع السابق، ص 128.

⁽²⁾ Hérodote, Loc.cit, IV, 172.

⁽³⁾ محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 96 - 97.

⁽⁴⁾ صبيحة أوكيل و بلخير بقة، المرجع السابق، ص 73.

⁽⁵⁾ Bates(o), The Eastern Libyans, London, 1914, p228.

⁽⁶⁾ Mazard(J),Corpus Nummorum Numidiae Mouretaniaeque, Arts et Métiers Graphiques, Paris, p28.

بقوله: "أن بعد وفاة الجد من العادات والأعراف تنتقل السلطة مباشرة للأكبر سنا من أفراد الأسرة سواء للابن أو الحفيد"⁽¹⁾.

وقد وصفهم بومبنيوس ميلا قائلا: "بالقبائل البدوية المتميزة بالطابع الذكوري لأسرهم"⁽²⁾، وهذا النظام السلافي في التوريث، أطلق عليه الباحثين بما يسمى بالأسرة الاغناطية أو الأسرة الممتدة وهي عبارة عن عائلة كبيرة تضم عدة أجيال من الأبناء والأحفاد والسلطة فيها دائما للأكبر سنا⁽³⁾.

وهذا ما دل عليه وراثة العرش النوميدي حيث لا ينتقل العرش إلى ابن الملك أو زعيم القبيلة، ولكن ينتقل إلى الأكبر سنا من الأحياء المنحدرين من السلف⁽⁴⁾، إلا أن هذه القاعدة لم تدوم، واستبدلت بما يعرف بالحكم الثلاثي بين أبناء العائلة مثل ما حدث في العرش الماسيلي بعد ماسينيسا فتولى الحكم من بعده أولاده الثلاثة مسطنبعل (Mastanabaal) وغولوسا (Gulussen) وميكيسا (Micipsa) (148-118 ق.م)، وهذا الأخير الذي تولى من بعده أبنائه هيمبسال (Hiempsal) (118-116 ق.م)، وأذربعل (Adherbal) (118-112 ق.م) ويوغرطة (Jugurtha) (118-105 ق.م) المتبني⁽⁵⁾.

كما تؤكد المعطيات التاريخية على أن الأطفال في المجتمع القرطاجي كانوا ينسبون لأبائهم كذلك، أي أن النظام السائد هو النظام الأبوي مثلها مثل باقي الأسر في مناطق الحوض المتوسطي قديما، أي كان النسب عندهم عن طريق الأب، فمثلا ما تقصه أسطورة تأسيس قرطاجة عن الشقيقان عليسة وبيغماليون كلاهما ينسبان لأبيهما ماتون ملك صور⁽⁶⁾.

(1) Tit-Live, Histoire Romaine, Trad: E.Lasserra, Paris, p28.

(2) Pomponius Mêla, Loc.cit, I, 42.

(3) زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 150.

(4) جيلبار شارل بيكار، حضارة شمال إفريقيا خلال الفترة الرومانية، تر: محمد العربي عقون، دار المثقف للنشر والتوزيع، ط.1، 2020، ص 276.

(5) زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 150.

(6) فارس دعاس، مكانة الأطفال، المرجع السابق، ص 65.

ومحمد حسين فنطر تحدث عن أكبر الأسر الحاكمة في قرطاجة التي تعتمد النظام الأبوي في التسلسل الأسري، منها العائلة الماقونية ونذكر على سبيل المثال حنون بن عبد ملقرت بن ماقون الأكبر، وحنبل بن عبد ملقرت البرقي من أشهر قادة الأسرة الهمالكارية⁽¹⁾.

كما تشير مختلف النقائش البونية كنقيشة الدوقة وبعض النقائش الليبية الإهدائية التي عثر عليها في معبد الحفرة (El-Hofra) إلى أن أسماء الأشخاص المذكورة يرجع نسبها للأب⁽²⁾، ونجد في الغالب يذكر اسم الولد ولقبه وكنيته سواء كان ذكر أو أنثى، وبعد ذلك يذكر والده ولقبه وكنيته ويضاف في أحيان أخرى اسم الجد ولقبه وكنيته⁽³⁾.

وسعت القوانين جاهدة لإثبات نسب الأطفال محل الجدل والنزاع، فقد ورد في إحدى النقائش لسيدة من تيمقاد تدعى لوسيا فاليريا ماكسيميليا (Lucia Valeria Maximilla) المتزوجة مرات عديدة وفي كل زواج أثمر عنه أطفال، مما أدى إلى اختلاف أنساب أطفالها واحتاج الأمر إلى تدخل القانون من أجل إثبات نسب الأطفال⁽⁴⁾.

لكن مايجدر الإشارة إليه أن هذا النظام لم يقتصر على أسر الملوك فحسب، بل هو الطابع الغالب على كل الأسرة الليبية بمختلف الطبقات، لكن غزال لا ينفي وجود حالات ينسب فيها الابن لأمه⁽⁵⁾، وهذا ما يطلق عليه الأسرة الاموسية حيث يكون النسب من نصيب الأم والطفل ملك لأمه، ومن حقها الاحتفاظ به ويرجع غزال أن أصل هاته الأسرة عند الليبيين يعود إلى عدم معرفة الأب الحقيقي للابن، وهذا نظرا لتفشي ظاهرة البغاء المقدس التي مارسته المرأة في مجتمعات شمال إفريقيا قديما⁽⁶⁾.

(1) محمد حسين فنطر، الحرف والصورة في عالم قرطاج، تر: فائق دحدوح، دار نينوى، العراق، 1999، ص 119-127.

(2) - Dussaud (R) Chabot (J), Recuit des inscriptions Libyques, Imprimer National, Paris, 1940, p184.

(3) فارس دعاس، مكانة الأطفال، المرجع السابق، ص 161.

(4) Corbier (M), Le divorce et L'adoption as romains Familial Stratégie, ed : B. Rwisson, 1991, p362.

(5) زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 150.

(6) المرجع نفسه، ص 150.

وهذا النظام الأمومي تعود جذوره منذ العصر النيوليتي (7000-2000 ق.م)، حيث كانت المرأة هي التي تتقلد السلطة السياسية، وكانت هي الحل والربط بأمور الحياة، فكانت تتزوج من أكثر من رجل وكان الأطفال يكونون باسمها وليس باسم الوالد، وهي التي كانت تختار أزواجها وتتزعم العشيرة⁽¹⁾، وما يؤكد على أن هذا النظام سباق على نظام النسل الأبوي انتشار المشاعة الجنسية في المنطقة⁽²⁾.

وفي موقع مكثار (بتونس) عثر على بعض الشواهد التي تعود إلى نهاية ق01 ق.م، تؤكد إنتساب أربعة أشخاص إلى أمهم، وعلل الباحثون أن حضور النسب إلى الأم في القليل من الإهداءات والنصب التذكارية بإنتشار طقوس الدعارة المقدسة داخل المعابد، وكذلك كثرة فتيات الهوى والنساء المعتقات اللواتي ينجن أطفالا من أب مجهول والتي تنافي القوانين السائدة⁽³⁾.

وتؤكد بعض المصادر على مواصلة وإستمرارية هذا النظام عند المجتمع الطوارقي، فالرحالة ابن بطوطة (1304-1377م) يذكر مشاهدته عند طوارق صنهاجة في جنوب أيار بخصوص مكانة المرأة الطرقية وحريتها "هن أعظم شانا من الرجال، وشان هؤلاء عجيب ولا ينسب احدهم إلى ابيه بل إلى خاله"⁽⁴⁾.

ويبدو أن طبيعة الحياة البدوية في الصحراء هي التي أملت النظام الأمومي الذي يعني سيادة الأم في الأسرة، عكس النظام الأبوي المحصور في المجتمعات الريفية والحضرية، فالارتحال الدائم من أجل الرعي أو السقي أو السفر مع القوافل التجارية يضع المرأة أمام مسؤولية إدارة شؤون البيت والدفاع عنه⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ اشرف نادي احمد حسن، المرجع السابق، ص10.

⁽²⁾ زاهية مضوي، المرجع السابق، ص151.

⁽³⁾ نضار الأندلسي، المرجع السابق، ص113.

⁽⁴⁾ ابن بطوطة، المصدر السابق، ص295.

⁽⁵⁾ العربي بوحسون، نسق القرابة الامومي عند طوارق الهقار، مجلة انثروبولوجية الأديان، مج.6، ع.2، جامعة ابوبكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2010، ص165.

II-2-2) الأطفال غير الشرعيين:

بالحديث عن الأطفال غير الشرعيين فقد أشير أنه يتم إدماجهم في المجتمع حين يبلغوا سنا معين حدد بأربعة أشهر، فينسب الطفل بالرجل الأكثر شبهاً به⁽¹⁾.

فمثلاً لدينا قبائل الجرامنت لم يمارسوا الزواج وكانوا ينتقلون من امرأة لأخرى، حيث لم يكن لأي أحد منهم زوجة معتمدة، وبالنسبة للأطفال يعرف النسب من الشبه الجسدي لمن يريد أن يربي ابناً وينسبه إليه⁽²⁾، وأما قبيلة الأوزاس التي لا تعرف الزواج، والجماع لديهم أمر عارض ونساء القبيلة مشاع بين جميع الرجال و تتم العملية أمام الملاء، وإذا ولد الطفل ينتظرون بلوغه وبعد ثلاثة أشهر يعقدون مجلساً يدعى إليه الفتى لإثبات نسبه عن طريق الشبه من الحاضرين⁽³⁾.

كما تفشت و شاعت العلاقات غير الشرعية في مجتمع إفريقيا المترومن، ما انجر عليه أبناء غير شرعيين، وتشير بعض النصب إلى الأطفال غير الشرعيين أو مجهولوا النسب من خلال بعض العبارات الشهيرة، كعبارة (Spurii)، والتي تعني في اللغة اللاتينية: ابن الزنا⁽⁴⁾، وقد تناولت الباحثة خديجة منصوري بعض النقائش مثل التي وجدت في امائدة وهي عبارة عن نقيشة جنائزية لابنة غير شرعية ذكرت فيها فقط إسم والدتها أليا فيرونيكا (Aelia Veronica)⁽⁵⁾.

ويمكن القول أن من أسباب إنتشار ظاهرة الأطفال الغير الشرعيين في المنطقة هو مرتبط بظاهرة إنتشار مايدعى المشاعة الجنسية، و البغاء المقدس الذي كان يمارس بدون روابط أو قيود.

II-2-3) قضية التبنّي:

لم يحظ التبنّي بالقبول لدى سكان بلاد المغرب القديم، ولم يكن معترف به في الأعراف القبلية آنذاك، لكن ذلك لم يمنع من وجود حالات خاصة حول هذه القضية سنأتي على ذكرها.

(1) محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 97.

(2) بنت النبي مقدم، هيروودوت يتحدث، المرجع السابق، ص 336.

(3) المرجع نفسه، ص ص 335 - 336.

(4) فارس دعاس، مكانة الأطفال، المرجع السابق، ص ص 165، 166.

(5) خديجة منصوري، النصب الجنائزية، المرجع السابق، ص 73. ينظر: (IL.Alg 173)

بالحديث عن ظاهرة التبني يمكن القول أنه لم يكن لها صدى واسع في المجتمع القبلي خاصة النوميديين، ولم يكن هنالك إشارة لهذه الظاهرة في المصادر الأدبية إلا مرتين، الأولى عند الكاتب اللاتيني سالوستيوس (Salluste) (86-35 ق.م) الذي أشار إلى تبني الملك مكييسا ليوغرطة ابن أخيه مسطنبل بهدف إشراكه في الحكم مع ابنه، مما يعطي لهذه العملية بعدا سياسيا ويعدّها عن طابعها الاجتماعي⁽¹⁾، والظاهر أن حادثة تبني مكييسا ليوغرطة يعتبر أول تبني رصده التاريخ وسط المجتمع النوميدي حيث تحدث عنه عدد لبأس به من المؤرخين الكلاسيكيين لكن بعض الباحثين يرفضون فكرة شيوع ظاهرة التبني ضمن المنظومة الأسرية النوميديّة⁽²⁾.

ومحمد العربي عقون يدلي بقوله: ليس في المجتمع البربري ما يدل على شيوع ظاهرة التبني، والحادثة الوحيدة التي تداولها التاريخ هي تبني الملك مكييسا لابن أخيه يوغرطة، هذا يعني أن التبني مقبول لا يخرج عن نطاق اقرب الاقاربين⁽³⁾.

وما يؤكد أن التبني غرضه سياسي ما يرويه سالوستيوس "اقسم بهذه اليد الممدودة بحق ثقتنا وبقيننا بالمملكة، أترجاك وأتوسل إليك أن تبرّ وتودّ هذين الولدين ابني عمك بقرابة الدم وأخويك من خلال النعم التي أصبغتها عليك، أنت يايوغرطة اكبر إخوتك سنا وأكثرهم مقدرة لان تجعل الأمور تسير جيدا"⁽⁴⁾، هذا ما أوصى به مكييسا وهو على فراش الموت⁽⁵⁾.

ومرده للضغط السياسي الذي تعرض له الملك مكييسا من طرف القائد الروماني سكيبيو (Scipion) (235-113 ق.م)، ولكسب رضاه قام بإلحاق يوغرطة وتبنيه علنا وعهد له ولابنيه بالحكم⁽⁶⁾، لكن بالعودة لحادثة التبني سنة 133 ق.م السبابة لوصية سكيبيو تثبت أن يوغرطة

⁽¹⁾ محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 98.

⁽²⁾ مريم طياب، المرجع السابق، ص 75.

⁽³⁾ محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في الشمال، المرجع السابق، ص 173.

⁽⁴⁾ سالوستيوس غايوس كريسوس، حرب يوغرطة، تر: محمد العربي عقون، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2006، ص 81.

⁽⁵⁾ عبد الحميد عمران، يوغرطة في حربه ضد روما (112-104 ق.م)، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، مج 7، ع. 13، جامعة المسيلة، الجزائر، ديسمبر 2017، ص 356.

⁽⁶⁾ مصطفى توريرت، العلاقات النوميديّة الرومانية بين السيادة والتبعية (203-46 ق.م)، (رسالة ماجستير في التاريخ القديم)، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2013/2014، ص 99.

تقلد سلم الحكم وفق الأعراف النوميديّة سواء حسب النظام القديم الذي يتولاه أكبر العائلة الحاكمة سنا أو حسب النظام الحكم الثلاثي الذي ظهر بعد مسينيسا، وبذلك تبني يوغرطة من طرف عمه ليس نزولا لرغبة سكيبيو⁽¹⁾.

والثانية تتمثل في ما أشارت إليه المصادر العربية التي تتحدث عن تبني زعيمة الاوراس الكاهنة لعربي ضمن جيش حسان بن نعمان الذي أرضعته حتى يكون شقيقا لابنها من الرضاعة، وهي رواية لم نجد ما يدعمها في أعراف الليبيين التي لا تقبل تبني الأبعد الغرباء⁽²⁾.

لكن مع التواجد الروماني في المنطقة وجدت بعض النقائش سواء إهدائية أو جنائزية التي تدعم هاته الظاهرة، ففي قرطاجة تشير النقيشة المأتمية ليلوليا اولتريكس (Iuliaullrix) إلى رضيع (alumni) قامت بتبني هاته السيدة، وكذلك في تيمقاد (Thamugadi) حيث تشير النقيشة التشريفية التي تمت بها تهنة الزوجين من عائلة سيرتي (Sertii) لتبنيهم طفلين، وكذلك بشرشال (Caesarea) تبين تبني السيد اتيوس ابولونيوس (Attius Apollonius) بطفلة، وابنته قامت بتبني واحدة كذلك، وكلا الطفلتين توفيتا في وقت واحد، ولم يذكر سبب الوفاة⁽³⁾، وقد شرعت ظاهرة التبني للحفاظ على الاستمرار الأسري التي لا يكون فيها وريث طبيعي⁽⁴⁾.

ومنه نستنتج أن ظاهرة التبني لم تكن شائعة إلا للحاجة كفقدان الذرية أو عدم القدرة على الإنجاب وتجنب الطلاق بالرغم من أن تعدد الزوجات يحل مشكلة الحصول على الأطفال.

II-3) الإعتناء بالأطفال:

لم يكن الاعتناء بالأطفال من حق المرأة فحسب، بل كان يشاركها زوجها في ذلك في الكثير من الأحيان حتى ينشأ الطفل في جو أسري يسوده التفاهم والتعاون فيما بينهم.

الأم تمثل العامل الأساسي في إيجاد عنصر الترابط الأسري، لأنها تسهم في تكوين الطفل النفسي والاجتماعي، حيث أن الطفل خاصة في سنواته الأولى يكتسب معظم الأنماط السلوكية من

(1) مصطفى توريرت، العلاقات النوميديّة الرومانية، المرجع السابق، ص 100-101.

(2) محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 98.

(3) بنت النبي مقدم، الطفل في بلاد المغرب، المرجع السابق، ص 253. ينظر: (Hoerni. C. 2008 : 95)

(4) حصة بنت التركي الهذال، علاقة الطفل اليوناني بأسرته والقوانين الخاصة به، مجلة الخليج للتاريخ والآثار، ع. 10، مجلس التعاون لدول الخليج العربية - جمعية التاريخ والآثار، السعودية، 2015، ص 75-85.

طباع أمه اللصيقة دائما به، من خلال رعايته والقيام بسد حاجاته، بل إنه في الأصل جزء منها وإنفصل عنها، أضف إلى ذلك العوامل الوراثية التي يكتسبها الطفل من الأم، وكثيرا ما يكون للأم فيها نصيب وافر⁽¹⁾، وتعد أفضل رفيق دائم للطفل طوال الليل والنهار وفي السفر والإقامة فالطفل يكتسب منها حتى اللغة أولا ثم تتسع يناييع المعرفة بالنسبة له، فتشمل الأب ثم البيئة بما فيها من أهل وأصدقاء⁽²⁾، فمن واجب الزوجين ليس فقط الإنجاب والتعمير، بل الاعتناء بهم وتربيتهم في جو مليء بالحب والحنان وان يتكفلا بتغذيتهم وإصلاحهم ومعاملتهم برفق دون إهمال⁽³⁾.

ويتم تقسيم المهام بين الزوجين فالرجل هو الذي يشرف على شؤون الأسرة ورعايتها والنظر في مصالحها، والمرأة لها مكانة ممتازة مرتبطة في المقام الأول بوضعها كأم وربة أسرة⁽⁴⁾، و كما أنها تشرف على تربية الأبناء وتعليمهم والحفاظ على حسن سيرة الأسرة⁽⁵⁾.

وقد زودتنا الفنون الصخرية بمشاهد توحى بالرابطة الوطيدة بين الأم وابنها أو الوالدين وأبنائهم، ففي جبال اfdaniouene (Ifedaniouene) غرب الطاسلي والذي يصور أم وهي تحاول حمل ابنها وملامح وجهها تعبر عن مدى حبها وحنانها، وكذلك بعض المشاهد في موقع اوزان اهييري خاصة المشهد الذي يبين الأم وهي تقوم بمرافقة ابنها جنبا إلى جنب⁽⁶⁾ (الملحق رقم 11 ص 334).

ومن أجمل وأكثر التماثيل المعبرة في العصر الروماني عن الأمومة يتجلى في تماثيل الأم مع طفلها في أوضاع مختلفة، فتظهر الأم إما ترضع طفلها أو حاملة إياه على خاصرتها اليسرى تحيطه بيدها اليسرى وممسكة بساقه القريبة من بطنها بيدها اليمنى⁽⁷⁾، وهناك من تحمل طفلها على كتفها من الخلف، ونحن نعرف أن الطفل عندما يبكي تسرع الأم وتحمله، و تضمه إلى صدرها حتى يسكت

⁽¹⁾ اشرف نادي احمد حسن، المرجع السابق، ص 13.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 13.

⁽³⁾ بنت النبي مقدم، الطفل في بلاد المغرب، المرجع السابق، ص 3.

⁽⁴⁾ احمد فيصل عبد الحميد وآخرون، المرجع السابق، ص 7.

⁽⁵⁾ محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 98.

⁽⁶⁾ فارس دعاس، المرجع السابق، ص 14 - 15.

⁽⁷⁾ اشرف نادي احمد حسن، المرجع السابق، ص 27.

عن البكاء، والملاحظة أن الأم تحمل طفلها على يدها اليسرى، فالأم عندما تحمل الطفل بهذه الطريقة فإنها تضع جسمه بالقرب من قلبها لسماع صوته والشعور بالراحة والدفع والاطمئنان⁽¹⁾.

والقديس أوغسطين يشهد على أمه الحنون بقوله: "وأي أم حنين بكت رحليه عن قرطاج، وسافر إلى روما. وسافر رغم محاولاتها الفاشلة لإقناعه بالعدول عن ذلك، في حين مكثت هي ليلة سفره في كنيسة كبريانوس تصلي وتبكي وتتضرع لله"، وهو نفسه يذكر أن أمه مثلها مثل جميع الأمهات تحب بقاء ابنها بقرىها، وأمه كانت كثيرة الدعاء ولم تهنأ إلا بعد أن لحقت به إلى روما⁽²⁾.

أن الإعتناء بالأطفال ورعايتهم يتطلب حرصا كبيرا من الأبوين خاصة الأم التي تقضي أغلب وقتها في بيتها، فتعد تربية الأطفال والعناية من أولوياتها وأهم مهامها داخل الأسرة.

II-3-1 كنية الطفل:

وكأي أسرة حين ترزق بأي مولود لابد أن تعطيه إسما خاصا به، إلا أن كنية الطفل في بلاد المغرب القديم كان لها ارتباط كبير بأسماء الألهة خاصة المحلية منها.

ومن المعهود عليه أن أول ما يقوم به الوالدان بمجرد ولادة الطفل إختيار الإسم الذي سينادي به أو الكنية التي سيكنى بها والتي سوف تفرقه عن غيره، وبالرغم أن الكنية إتسمت بالتنوع ما بين أسماء لاتينية وإغريقية وليبية، ونادرا ما نجد أسماء شرقية إلا انه ينبغي الإشارة أنه بالنسبة للسكان الأصليين لبلاد المغرب القديم، ظلت الكنية محافظة على أصالتها، رغم التطورات والتأثيرات والتغيرات التي فرضتها المسيحية بعد إنتشارها، لكن الأسماء لم تتغير خاصة الليبية منها وظلت تختار من تلك المعروفة لديهم والمتداولة، وكان إسم الشخص أو كنيته يدل على مكانته الإجتماعية، ويمكن من خلاله أيضا الحفاظ على الهوية والأصالة⁽³⁾.

⁽¹⁾ اشرف نادي احمد حسن، المرجع السابق، ص 27.

⁽²⁾ بنت النبي مقدم و عائشة سعدان، المرجع السابق، ص 36.

⁽³⁾ بنت النبي مقدم، الطفل في بلاد المغرب، المرجع السابق، ص 482.

وغابريال كامبس قد أشار أن أغلب الأسماء كانت مشتقة من أسماء الآلهة المحلية والتي تدل على النجاح والحظ والسعادة، وقد بلغ عدد الآلهة التي يحب السكان التبرك بها والتسمية عليها 38 معبود ذكر و 10 معبودات أنثى من أصل 984 إسم ليبي⁽¹⁾.

ومن العادات والأعراف المتعارف عليها لدى السكان أن يقوم الأب بتسمية الولد على الجد وتسجيل ذلك في نصب لتأكيد نسب الفرد للعائلة أو قبيلة⁽²⁾، وإن أخذنا على سبيل المثال الملك يوبا الأول حيث ورد إسم الإله يوبا ضمن نقيشة عثر عليها بناحية دوار حسناوة التابع إقليميا إلى برج بوعريرج مرفقا بعدد من أسماء الآلهة الرومانية والإفريقية⁽³⁾، وبقي اسمه يكنى به أبناء المنطقة بقرون بعد وفاة ابنه يوبا الثاني⁽⁴⁾.

وكذلك إهتم القرطاجيون بإعطاء الطفل المولود اسم ذي صفة دينية، وكثير من هذه الأسماء كانت تؤكد الإعتماد على المعبودات في تسمية مثل عبد أشمون (Abd Eshmoun) أي "خادم أشمون"، أشمون ياتون (Esmunyaton) وتعني أشمون قد أعطاه، وهناك أسماء أخرى تشير إلى روابط عائلية مثل: هيملك (Himilk) أي "أخو ملك"، بات بعل أي ابنة بعل، أما اسم حنبعل أي هو الذي يتمتع بنعمة بعل، أما اسدروبعل فيعني هو من حصل على مساعدة بعل، وهملكار هو في الأصل (Abd Melqart) عبد ملقر بدون تحريف ويعني وهب لخدمة ملقرت⁽⁵⁾.

وقد زودتنا النقوش في منطقة المدن الثلاث البونية بمعلومات عن أسماء النسوة في المنطقة: أمتبعل وتعني خادمة بعل، أرشت أو أرست وهي الصيغة المؤنثة لاسم أرش ويتكرر كثيرا هذا الاسم في البونية⁽⁶⁾، واستمر استعمال الكنية الاسمية البونية التي يقترن فيها الاسم بالإله عند الرومان مثل

(1) Camps(S), Liste onomastique Libyque, Nouvelle édition, 38, 39, 2002/2003, pp212, 213.

(2) أحمد فيصل عبد الحميد وآخرون، المرجع السابق، ص 9.

(3) ستي صندوق، المعبودات المحلية لسكان موريطانيا القيصرية، مجلة عصور جديدة، مج 7، ع 27، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر، 2018/2017، ص 15.

(4) بنت النبي مقدم، المعتقدات الدينية بالجزائر القديمة، مشروع البحث حول حوار الأديان والحضارات، مرصد الشأن الديني في الجزائر، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر، الجزائر، الإصدار الأول، 2010، ص 4.

(5) محمد العيد تلي و محمد رشدي جراية، المجتمع القرطاجي "دراسة في نظمته ومظاهره"، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 12، ع 2، جامعة الوادي، الجزائر، 2021/06/7، ص 424.

(6) محمد علي حسين الدراوي، المرجع السابق، ص 183.

اسم ديوغراتيوس (Deogratius) وكودولتدوس (Quodutdeus)، وكذلك ظهرت في الأسماء العربية مثل: عبد الله وعبد الرحيم⁽¹⁾.

يمكن القول أن أسماء الأطفال في بلاد المغرب القديم حملت أسماء معبودات كانت منتشرة في المنطقة سواء المحلية أو الوافدة فينيقية، إغريقية، رومانية.

II-3-2) الرعاية الطبية للأطفال:

تلقى الطفل عناية طبية من أسرته رغم بساطة الإمكانيات، لكن استطاعت المرأة بصفة خاصة أن تكون طبيبة لأبنائها وممرضة لحالها، وتقوم حتى بصناعة الأدوية الطبيعية مما تزرعه وتنبته في حديقته.

إهتم سكان بلاد المغرب القديم بصحة أطفالهم، و هيروdotus قد أكد على ذلك فقال: "...إذ أن من عادة كثير من الليبيين البدو والرعاة أن يأخذوا أولادهم عندما يبلغون الرابعة من العمر ويكفوا عروق جلود رؤوسهم، وكثيرا منهم يكون عروق اصدارهم باستعمال دهن صوف الغنم، وذلك حتى لا يستمر نزول البلغم من الرأس طيلة الوقت"⁽²⁾.

وهذا حتى لا يسبب لهم أي ضرر ولهذا يقال أنهم أصحاء جدا⁽³⁾ ويؤكد سالوستيوس على ذلك بقوله: "هم في العادة يموتون بسبب الشيخوخة بإستثناء أولئك الذين تقضي عليهم الأسلحة أو الحيوانات المتوحشة، ونادرا ما يصابون بالأمراض"⁽⁴⁾، ويضيف هيروdotus "وقد وجد الليبيون علاجا علاجا لتجوع الأطفال من ألم الكي والتشنج بدهن بول الماعز على موضع الألم"⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ فارس دعاس، مكانة الأطفال، المرجع السابق، ص76.

⁽²⁾ Hérodote, Loc.cit, IV, 173.

⁽³⁾ علي مؤمن إدريس مؤمن، المظاهر الحضارية للمجتمع الليبي القديم، المجلة الليبية العالمية، ع.27، جامعة بنغازي، ليبيا، سبتمبر 2017، ص15.

⁽⁴⁾ سالوستيوس، المصدر السابق، ص31.

⁽⁵⁾ Hérodote, Loc.cit, IV, 173.

وبلين يؤكد على أهمية بول الماعز الطبية، فهو لم يستخدم لعلاج الأطفال فحسب، بل كانت تستخدمه المرأة التي تصاب بالإفرازات المهبلية فيصنع لها شرابا من بول الماعز المخلوط مع بعرها والتداوي به⁽¹⁾، ومن المعتقدات المسيطرة عند سكان المغرب القديم ولازال حتى يومنا هذا ما يعرف بالعين الشريرة والتي أسماها اللاتين بانويدوس (Invidus)، مما جعلهم يلجأون لبعض الطقوس لإبعاد العين وكل ما يجلب لهم وأسرههم من السوء والشر⁽²⁾، لذلك زينوا أبنائهم بالتمايم والتعاويد والوشم، لأنها في نظرهم تحميهم وتدفع عنهم الأذى والسحر⁽³⁾.

أما التمايم فقد كانت شائعة الاستخدام سواء علقها الأشخاص على أبواب منازلهم، أو على صدورهم لتطرد الأرواح الخبيثة وتستخدم التعاويد لمنع الأخطار والشفاء من الأمراض وإنزال الأمطار وإهلاك جيوش الأعداء⁽⁴⁾.

وقد أخذ الوشم طابع الممارسة السحرية، التي تسمح بإخراج الأرواح التي تسكن الجسم وتعمل على الحماية من مختلف الأذى والشرور الذي يهدد القبيلة⁽⁵⁾، وكانت بعض علامات الوشم عبارة عن رموز خاصة بالمعبودات الليبية القديمة كرمز الدال على الآلهة تانيت⁽⁶⁾.

ومنذ القدم عرف الإنسان العبادة والدين، فأخذ يبحث عن آلهة تحميه وتقيه شر المخاطر وتجلب له المنافع ويلجأ إليها عند الشدائد والحن، وكان لابد له من استرضائها وتقديم القرابين لها، فقد عثر الباحثون في منطقة الطاسيلي على العديد من الآثار التي تعطي دلائل واضحة على وجود

(1) Pline, Loc.cit, 5, 16.

(2) بنت النبي مقدم، عادات وتقاليد سكان بلاد المغرب القديم ومدى تأثيرها على الأسرة، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج.2، ع.4، مؤسسة الحكمة، الجزائر، جوان 2014، ص ص 273، 274.

(3) Bates(O), op.cit, pp179, 180.

(4) عيسى عيساوي، طقوس الماء عند الأمم القديمة مقارنة أناسية، مجلة منتدى الأستاذ، مج.11، ع.1، المدرسة العليا للأساتذة الآداب والعلوم الإنسانية قسنطينة، الجزائر، 2016/1/1، ص 175.

(5) فتيحة كركوش، مدخل انثروبولوجي لممارسة الوشم، مجلة العلوم الإنسانية، مج.5، ع.2، جامعة وهران 1 احمد بن بلة، الجزائر، 2015/12/1، ص 362.

(6) علي مؤمن إدريس مؤمن، العادات والتقاليد، المرجع السابق، ص 1394.

نوع من الفكر الديني، تمثله آلهة وحيوانات مقدسة وكائنات أسطورية وفكر سحري روحاني أيضا⁽¹⁾، لذلك كان لابد من وضع علامة تانيت على جانبيه من أجل حماية الطفل، وتعد تانيت ربة الخصب والعمليات المتصلة بها من زواج وإنجاب⁽²⁾، لذلك كانت الأم تقوم بعد فطم طفلها باحاطته بالآلهة حتى تعلمه تناول الطعام وشرب الماء، وأخرى تأخذه من يديه وتساعدته على المشي ومنها من تقوي عظامه⁽³⁾.

وكما أشرنا فقد أحيط الطفل منذ ولادته بعدد هائل من الآلهة، وعندما يكبر فقد كان يوضع حول عنقه سلسلة تتدلى منها قلادة مزينة برمز يجلب الحظ ويطرد الأرواح المؤذية⁽⁴⁾.

كما كان يتم استخدام ما يعرف بيد سبازيوس (Sabazius)، والقصد هنا اليد الميمونة بغرض المباركة وضمان السعادة الأبدية، وتحمي من أعين الحاسدين من البشر⁽⁵⁾، والدواء الفعال للعين هو الفالوس (Phallus)، بمعنى العضو الذكري المنتصب يعلق في رقبة الأطفال لإبعاد العين⁽⁶⁾.

ولعبت الحلي دورا وقائيا كالجدار الذي يواجه مختلف الظروف الخارجية، فلقد أظهرت بعض الدراسات الخاصة بأشكال التزيين الأولى للجسم، مكانة هذه الأشياء التي كان الإنسان يعلقها في رقبته للحصول على فوائدها العلاجية والوقائية⁽⁷⁾، فارتداؤها وتزين بها يقي الجسد من المخاطر الخارجية المجهولة، بحيث تقوم بوقاية صاحبها من أمور عدة، و من القوى شريرة كعين الحسود التي تخاف النساء من قدرتها على إصابتهن بالعقم⁽⁸⁾.

(1) عبد الحميد بعبطيش، المرجع السابق، ص 273.

(2) محمد العيد تلي و محمد رشدي جراية، المرجع السابق، ص 428.

(3) عائشة عيسى أبو حجر، المرجع السابق، ص 79.

(4) أحمد محمد انديشة، الحياة الاجتماعية في المرافئ الليبية وظهيرها في ظل السيطرة الرومانية، جامعة التحدي، السرت، ط. 1، ليبيا، 2008، ص 156.

(5) بنت النبي مقدم، هيرودوت يتحدث، المرجع السابق، ص 344.

(6) بنت النبي مقدم، العادات والتقاليد، المرجع السابق، ص 274.

(7) خولة نجيمي وهجيرة تمليكشت، دور الحلي في الحياة الاجتماعية والثقافية، مجلة مفاهيم للدراسات الفلسفية والانسانية المعمقة، مج. 1، ع. 3، جامعة زيان عاشور الحلفة، الجزائر، ديسمبر 2018، ص 251.

(8) المرجع نفسه، ص 251.

وهيرودوت يحدثنا عن أهم القبائل التي مارست السحر ببراعة لحماية أطفال القبيلة وتقويته، مثل قبيلة البسولوي (Psylii) فلهم القدرة على سحر الثعابين والسيطرة عليهم للاستفادة من لدغاتهم، حيث يقومون بعرض الصبي حين ولادته للسعة الأفعى حتى تكسبه مناعة ضد الحيوانات⁽¹⁾، فقد حظي الثعبان والحية باهتمام كبير من قبل الشعوب لإرتباطه بصفات عديدة، منها إعتباره أنه حيوان شاف يستخرج منه الترياق⁽²⁾.

ومن عادات رجال هذه القبيلة حتى يتأكدون أن أبنائهم من أصلابهم يقومون بوضعهم أمام أو بالقرب من الأفعى فإذا بقي حيا فهذا يدل على أن زوجاتهم لم تخنهم أثناء غيابهم⁽³⁾، ويعتقد بعض المؤرخين اللاتين بوجود نوع من السم الطبيعي في أجساد هؤلاء الناس قاتلي الأفاعي⁽⁴⁾، إن رمز الثعبان يكتنفه بعض الغموض، فقد يرمز للموت وقد يرمز للحياة، كما أنه يرمز للحكمة أحيانا والفوضى والإضطراب أحيانا أخرى، وله القدرة على القتل والشفاء معا جعلته عبر التاريخ يرمز للقوى الايجابية والسلبية التي تحكم العالم⁽⁵⁾.

وبالرغم من كونها حيوانات مؤذية ومخيفة فقد نظرت إليها الشعوب القديمة نظرة خيرة، لأن الثعبان يعرف عنه بأنه مصدر السم والترياق في آن واحد، فكما له القدرة على النفع فله ايضا القدرة على الضرر والترياق يوحى بقدرته على تحقيق الشفاء⁽⁶⁾.

ويدعى الثعبان أسكليبيوس (Asclépios) بالإغريقية، واسكولابيوس (Esculapes) باللاتينية يرمز للصحة والطب، وذاع صيته في أواسط الجيوش الرومانية مما ساعد على إنتشار عبادته في شمال

Hérodote, Loc.cit, IV, 188.

(1)

(2) عبد الحميد عمران، الرومنة والتدين في شمال إفريقيا، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2018، ص 40.

(3) بنت النبي مقدم، هيرودوت يتحدث، المرجع السابق، ص 344.

(4) عبد الحميد عمران، الرومنة والتدين، المرجع السابق، ص 40.

(5) خديجة بن عية و جهيدة مهنتل، رمزية الحيوان من خلال أنصاب إله ساتيرنينوس (نماذج من أنصاب مقاطعة نوميديا)، مجلة

آفاق علمية، مج. 13، ع. 4، جامعة تامنغست، الجزائر، 2021، ص 117.

(6) سليم سعيدي، الثعبان ودلالاته في المغرب القديم، مجلة مدارات التاريخية، مج. 2، ع. 4، المركز المعرفي للدراسات والبحوث،

الجزائر، 2020/11/18، ص 181.

إفريقيا، فأينما حطت الجيوش الرومانية حط اسكولابيوس، وقد ساهم الفيلق الثالث لأغسطس بشكل كبير على انتشار عبادته في المنطقة خاصة في نوميديا⁽¹⁾.

كما شهدت عبادته عند سكان برقة حيث كان يلجأ إليه في حالة المرض، وقد إستخرج تمثال كبير من معبد ابولو في قوريني، يظهر فيه الإله اسكولابيوس الشاب مغطى برداء، ويحمل في يده اليسرى ثعبانا⁽²⁾. وكذلك إنتشرت ظاهرة الختان عند الشعوب الليبية التحنو والتمحو والمشوش، إلا الليبو الذي كانوا لا يختنون⁽³⁾.

ولعل خير دليل على ممارستهم لهاته العادة هو أن المصريين في الغزوات لا يقطعون الأعضاء التناسلية لقتلى هذه القبائل بل يقطعون أيديهم فقط⁽⁴⁾، و المصادر المصرية تذكر أن الملك بغنجي (715-656 ق.م) منع الأسرى من قبيلة الليبو من الدخول إليه بعد حصوله على دلتا لأنهم غير مختونين، والدليل على ذلك أن أفراد هاته القبيلة غير مختونين⁽⁵⁾، لعدم ارتدائهم لقراب العورة المقصور على المختونين⁽⁶⁾.

ويبدو أن القبائل الليبية التي كان لها إحتكاك بالحضارة المصرية القديمة إستطاعت أن تجلب معها بعض من ثقافتها الدينية كالتحنيط مثلا فقد عثر في منطقة تدرار آكاكوس على مومياء لطفلة محنطة والتي يعود عمرها الى 3434 ق.م⁽⁷⁾.

⁽¹⁾ حسنة عينوش، آلهة الطب والصحة الإغريقية والرومانية وطبيعتها بنوميديا، مجلة تاريخ المغرب العربي، مج.4، ع.2، جامعة الجزائر 2، الجزائر ماي 2018، ص62.

⁽²⁾ انتصار خالد هزاوي، العلاقة بين الليبيين والمستوطنين الإغريق والرومان، المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية، ع.7، جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية، ليبيا، 2021، ص101.

⁽³⁾ Gsell(S), H. A. A. N, Tome6, op.cit, p10.

⁽⁴⁾ مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص73.

⁽⁵⁾ علي مؤمن إدريس مؤمن، العادات والتقاليد، المرجع السابق، ص1393.

⁽⁶⁾ عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص178.

⁽⁷⁾ نعيمة علي سليم البجراح، المرأة الليبية قديما حقوقها وواجباتها ومكانتها الاجتماعية، مجلة المؤتمرات الدولية، (د.ع)، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ألمانيا، 2021، ص5.

نستنتج مما سبق إرتبطت الرعاية الطبية للأطفال في بلاد المغرب القديم كثيرا بالجانب الديني العائلي السحري، فكان منطلق التفكير عندهم أن الآلهة تحمي أطفالهم من الأخطار والأرواح الشريرة، ومن الأمراض، وحتى الكوارث الطبيعية التي تحل بالمنطقة.

II-4) التربية والتعليم:

رغم القيود المفروضة على الأبناء داخل الأسرة في بلاد المغرب القديم، خاصة الإناث، لكن ذلك لم يمنع من تلقينهم سبل التربية، و فرصة للتعليم والذهاب إلى المدارس والمعاهد .

II-4-1) التربية:

بعض الكتاب القدماء يتحدث بحرية عن الحب والإنجاب في ظل العلاقة الزوجية، وإنصب إهتمام الآخرين على جوانب أخرى لم تحظ بوافر العناية، كتاريخ الطفولة وعلاقة الأبوين والأسرة بالتربية، وعادة ما كانوا يشعرون بالفخر الشديد وهم يتحدثون عن التربية الصحيحة في ظل الأسرة الفاضلة، أو بالخلل الشديد من الحديث عن إهمال بعض الآباء لتربية أطفالهم وفي تصورهم أن هذا غير لائق لأوضاع مجتمعهم⁽¹⁾.

لقد أشرفت الأم على أبنائها منذ رضاعة إلى البلوغ، حيث كانت هي من تقوم بإرضاعهم في غالب الأحيان، وقليل ما يتم جلب مرضعة إلا للضرورة القصوى، وكانت المرضعة تختار بدقة بالغة حتى يتم الإطمئنان على الأبناء لكن بوجه عام كانت الأم تتعهد بتربية أبنائها، ولا تلقي بهم في أحضان المرضعات والمربيات خصوصي خلال الفترة الرومانية⁽²⁾.

ونجد لما يثبت ذلك نص نقيشة يمثل إهداء يوليوس سكوندوس (Julius Secundus) من فئة أشراف مدينة القيصرية شرشال، تقدم به لزوجته روبيا فيستا (Rubbia Fusta)، التي عاشت 36 سنة و 40 يوما⁽³⁾. ويرجح أنها من فئة الكاهنات، نتيجة ورود أوصاف ضمن محتوى هذا النص تتعلق بالسلك الكهنوتي بذات المقاطعة، ويشير محتواها إلى موت زوجته بعد ثلاثة أيام من ولادة

⁽¹⁾ نضار الأندلسي، المرجع السابق، ص 122.

⁽²⁾ أحمد محمد انديشة و حميدة عويدات القماطي، الأسرة زمن الامبراطور أوغسطس (27 ق.م- 40 م)، مجلة كلية الآداب، ع. 2، جامعة مصراته، ليبيا، ديسمبر 2014، ص 181.

⁽³⁾ محمد بن عبد المومن، المرجع السابق، ص 565 - 566.

طفلها العاشر، ثم يبين لنا أن خمسة منهم بقوا على قيد الحياة الذين أرضعتهم بنفسها، مما يوحي بإهتمامها المباشر بأبنائها على الرغم من وضعيتها الاجتماعية ووظيفتها، والمكانة الاجتماعية لزوجها الذي ينتمي إلى طبقة أشرف المدينة ففي مثل هذه العائلات غالبا ما كان يعتمد على المربيات للإعتناء بالأطفال⁽¹⁾.

وبطبيعة الحال ليس الوالدين وحدهما من شاركوا في تربية الأطفال، بل هناك أيضا المرضعات والمربيات اللواتي لعبن دورا هاما في البنية الأسرية، وخاصة خلال العهد الإمبراطوري الأعلى ومع بداية تعاظم نفوذ المرأة داخل الأسرة، ورغبتها في الخروج والتمتع بحياتها، فأصبحت أغلب واجبات الأم إتجاه أبنائها على عاتق المربية⁽²⁾.

فقد أكد الباحثون أن أغلب الأمهات اللواتي ينتمين إلى طبقة النبلاء في المجتمع المغاربي المترومن كن يميلن إلى عدم إرضاع أبنائهن بأنفسهن، وذلك حفاظا على جمالهن، وأن فترة الرضاعة كانت طويلة وتصل إلى حدود 3 سنوات، وكن يستعن بالمرضعات من طبقات الأدنى خاصة العبيد، حيث عمل العديد من النساء كمرضعات حسب ما دلت عليه النقائش مثل جوليا (Gellia) في قرطاجة واتيريا ينيريا (Atterrai Lann aria) فريانة بتونس، وستيرنيا (Saturnina) في راس الوادي بالجزائر⁽³⁾، وكذلك نقيشة سوق أهراس (Thagaste) لكايلا فكتوريا (Victoria Caelia) أكدت صحة هذا الكلام حيث تشير إلى اشتغالها ليس كقابلة (Obstetrix) فقط، وإنما أيضا كمديرة منزل ومربية (Paedagoga)⁽⁴⁾.

أثارت ظاهرة إنتشار المرضعات والمربيات كثيرا من النقد والهجوم من جانب كثير من الكتاب، وذلك نظرا لآثارها السلبية على الأطفال بدءا من حرمان الطفل من حنان الأم ورعايتها من الناحية النفسية والصحية، ومرورا بتحول عواطف الطفل من أمه إلى مربيته وانتهاء بإمكانية إنتقال الأمراض

⁽¹⁾ محمد بن عبد المومن، المرجع السابق، ص 565-566.

⁽²⁾ بنت النبي مقدم، الطفل في بلاد المغرب، المرجع السابق، ص 483.

⁽³⁾ فارس دعاس، مكانة الأطفال، المرجع السابق، ص 193.

⁽⁴⁾ بنت النبي مقدم، الطفل في بلاد المغرب، المرجع السابق، ص 483. ينظر: (CIL, VIII, 1506).

من المرضعة إلى الطفل الرضيع، ولعل هذه الظاهرة كانت منتشرة بصورة خاصة بين الأسر الثرية وربما المتوسطة أيضا⁽¹⁾.

فمهام ووظيفة المربية تشمل كافة جوانب حياة الطفل من إطعامه وتنظيفه وتنشئته، وتلقينه أصول الآداب وقواعد السلوك الحميدة وتعليمه المشي ولحديث، أي تكون مربية وأم ومعلمة⁽²⁾، لكن كثيرا ما كان يتم جلب المرضعات للضرورة فقط، خاصة عندما تكون الأم غير قادرة على الإرضاع ويتم إختيار المرضعة على أن تتصف بالحكمة و الأخلاق الفاضلة، فالرواقي يرى أن تكون طليقة اللسان غير اعوج، وعلى جانب من الثقافة لأن حليها يؤثر في حديث وتصرفات الأطفال الذين تقوم بإرضاعهم⁽³⁾.

وربما يدل على إهتمامهم بتعليم المرأة لإيمانهم بأنها ستؤثر في حياة المجتمع ومستقبله، بإعتبار أن هؤلاء الأطفال عندما يبلغون مبلغ الرجال سيقومون بتسيير شؤون الدولة وحمايتها، ويكون تحت إشراف الأم ورعايتها حيث لا تلقي بأبنائها في أحضان المرضعات دون مراقبة من قبلها⁽⁴⁾.

أما الفتاة حين تصل سنا تدرك فيه الصواب والخطأ تقوم الأم بتعليمها الشرائع الدينية وتربيتها على التواضع والحياء، فتنشأ في جو من الطهارة والعفة، وطبعاً لم يتردد الوالدان في عقاب طفلها سبب السلوك فالعقاب هو احد وسائل التأديب، ولكن يمكن اللجوء إلى النصح وعدم الاكتفاء بتهذيبه عن طريق العقاب البدني، ويمكن أيضا إستخدام وسائل أخرى كثيرة مثل التشجيع والإقناع دون اللجوء إلى الضرب والمعاملة السيئة، حتى لا ينشأ الطفل فاقدا للحس متبلد المشاعر، وكانت الوسائل المستخدمة لتهريب وعقابه هي الكائنات الأسطورية المخيفة، واستخدام العصا خاصة في المدارس⁽⁵⁾.

(1) حصّة بنت التركي الهذال، المرجع السابق، ص ص 253-256.

(2) عائشة عيسى أبو حجر، المرجع السابق، ص ص 77-78.

(3) المرجع نفسه، ص 78.

(4) عائشة عيسى أبو حجر، المرجع السابق، ص 78.

(5) أحمد فيصل عبد الحميد وآخرون، المرجع السابق، ص 7.

لكن لا يمكن أن ننكر دور الأم خاصة وأنها كانت تشرف بنفسها على تعليم بناتها فنون الغزل والنسيج-تهيئة منها للحياة الزوجية-(¹)، وكذلك لا ينبغي أن يؤخذ أمر المرضعات والمربيات دليلا على إهمال المرأة في بلاد المغرب القديم لواجبها في التربية، أو على ضعف الروابط الأسرية أو إفتقارها إلى الدفء والعاطفة والتعاون(²).

يمكن القول أن الوالدين ليس وحدهما من كان لهما الفضل في تربية الأطفال، والإعتناء بهم فكان في أغلب الأحيان يتم الإستعانة بالمربيات والمرضعات، بشرط أن تكون ذو ثقة وأمانة ولها مستوى تعليمي معين.

II-4-2) التعليم:

مما يجب الإشارة إليه أن التعليم في بلاد المغرب القديم كان من حق الذكور بصفة خاصة، عكس الإناث اللواتي لم يحظين بالتعليم الكافي.

كان الآباء يعلمون أبنائهم في الأسرة، فالتعليم كان يعد من أخص شؤونها، حيث تقوم الأم بتربية صغارها، وتعلم بناتها إدارة شؤون البيت، وما أن يشب الأولاد حتى يتولى الأب تعليمهم قواعد النظافة وآداب السلوك، وأساطير الأبطال وتاريخ الوطن وبالتدريج، كان الأب يصحب معه أولاده في غدوته ورواحه لأداء واجباته اليومية ولكي يلموا عن كتب بأساليب الحياة العامة(³).

بدأت ملامح التعليم تظهر في المغرب القديم منذ العصر الحجري الحديث(النيوليتي)، ويظهر ذلك من خلال مختلف نقائش ولوحات الفن الصخري المنتشر في كل أرجاء شمال إفريقيا، حيث حرصت الأسرة في تلك الفترة على تربية وتعليم أبنائها مختلف الآداب والأعراف الاجتماعية والدينية الخاصة بالقبيلة، حيث كان الأطفال يشاركون في الطقوس الدينية، مثلما يظهر في مشهد موقع جبارين الذي يصور مجموعة من النساء وهن يصعدن إلى الجبل للقيام ببعض الطقوس الدينية السحرية ويرافقهن في ذلك الأطفال(⁴)، وفي موقع أوان تماوت بالأكاكوس الليبية هناك مشهد آخر يظهر امرأة

(¹) بنت النبي مقدم، الطفل في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص483.

(²) نضار الأندلسي، المرجع السابق، ص119.

(³) لمياء علي محمد، المرجع السابق، ص101.

(⁴) فارس دعاس، التعليم الابتدائي في المغرب القديم خلال الفترة الرومانية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج.7، ع.1، جامعة قسنطينة 2، الجزائر، مارس2021، ص318.

في صورة ساحرة يأتيها رجلان بفتاة صغيرة لكي تعلمها الأسرار السحرية والدينية، وهناك العديد من المشاهد الأخرى التي تؤكد على وجود فعل التربية والتعليم في هذه المجتمعات البدائية⁽¹⁾.

وأعتبرت الأسرة والقبيلة هي المؤسسة التربوية والتعليمية الوحيدة في فترة الممالك المحلية، حيث كان الليبي القديم متعلقاً بأسرته إلى حد العبادة، يحترم قوانينها ويقدر مبادئها وكان شديد التمسك بمعتقدات آبائه وأجداده وتقاليدهم الدينية والاجتماعية، وكانت تعد الأم هي المربية والمعلمة الأولى للطفل⁽²⁾.

وقد إنصب إهتمام القرطاجيين بالتربية والتعليم واعتبر الهدف الأساسي من ذلك هو إعداد الفرد إعداداً صحيحاً لكي يستطيع أن ينفع نفسه وأن ينفع مجتمعه من خلال تعليمه اللغة والكتابة البونية⁽³⁾.

ومن حق الأطفال على عائلاتهم إرسالهم للمدارس في حال كانوا متوسطي الحال، أما الأغنياء فيتلقون تعليمهم في منازلهم عن طريق معلمين خصوصيين⁽⁴⁾، والواضح أن العائلات إهتموا كثيراً بالتعليم خاصة خلال العصر الروماني في سن مبكر، يحدده القانون الروماني بـ 7 سنوات وفي هذا السن يتعلم الطفل القراءة والكتابة ومبادئ الحساب من معلم يطلق عليه اسم (Literato)⁽⁵⁾.

وتعني الكلمة باللاتينية من يعلم الحروف أو مبادئ القراءة والكتابة، وكان المعلم يكتب على السبورة ويقوم الطفل بإعادة الكلمات وكتابتها مرة ثانية، كما يدرّب التلميذ على قراءة المختارات الشعرية بصوت مرتفع، ويكلف بحفظها عن ظهر قلب، و القراءة بصوت منخفض الذي كان هدفه تثبيت القاعدة، واتباع الطفل في تعلم الكتابة الأسلوب نفسه الذي كان متبعاً في القراءة حيث كان يكتب الحروف والمقاطع والكلمات⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ فارس دعاس، التعليم الابتدائي في المغرب، المرجع السابق، ص 318.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 319.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص 318.

⁽⁴⁾ أحمد فيصل عبد الحميد وآخرون، المرجع السابق، ص 152.

⁽⁵⁾ السعيد خاشة، المرجع السابق، ص 67.

⁽⁶⁾ لمياء علي محمد، المرجع السابق، ص 102.

وكان الأطفال يستعملون أقلام القصب ولوحات الخشب⁽¹⁾، المطلية بالشمع فيكون الشمع بعد أن يبرد مستوي يمكن أن تحفر عليه الكتابة بالقلم المعدني المدبب (Stilus)، لأن المكتوب على الشمع يمكن طمسه وتسويته والكتابة عليه من جديد⁽²⁾.

يبدأ الدرس وفي اليوم الدراسي العادي مع شروق الشمس وعليه يستيقظ الطفل مبكرا يلبس ويفطر ويأخذه مرافقه (Paedagogus) إلى غاية المدرسة، ولم تكن الدراسة بالمعنى الذي نعرفه حاليا، فقد تكون إما في قاعة أو محل أو إحدى جنابات الساحة العامة، وعادة ما يجلس المعلم على كرسي على شكل جذع شجرة (Enforme detronc) مرتفعا على مستوى الطلاب الذين يجلسون حوله على كراس صغيرة⁽³⁾، وأما فيما يتعلق بتعليم القراءة والكتابة والأدب للفتيات فقد تفاوتت كبرا من منزلة لأخرى، وعليه فهناك عدد قليل من النساء الشهيرات بعلمهن الكبير، كما كان ينظر إلى قدرتهن بعين الريبة والاستياء⁽⁴⁾.

ويمكن القول أن التعليم في هذه الفترة كان ذكوريا بامتياز، وحرمت منه الكثير من الفتيات، حيث أن أبناء الطبقة النبيلة قد تلقوا تعليما منفتحا على الحضارات واللغات الأخرى، مثل حنبعل وإخوته الذين استفادوا من التربية الأصيلة التي جمعت بين الأصالة القرطاجية والتفتح على الثقافة الإغريقية والرومانية، وهي التي جعلت من حنبعل قائدا كبيرا ومفكرا مبدعا⁽⁵⁾.

ويشار كذلك إلى أن ماسنيسا تلقى تعليمه في قرطاجة⁽⁶⁾، كونه تربى في قرطاجة بين كبار المدينة⁽⁷⁾، أما من كان والده ميسور الحال فكان يشد الرحال لإكمال دراسته خارج المدينة للرفع من مستواه التعليمي إلى إحدى المدن الكبرى مثل روما وأثينا قاصدين بعض أساتذتهم ليتلقوا التعليم على

(1) سعيد خاشة، المرجع السابق، ص 67.

(2) لمياء علي محمد، المرجع السابق، ص 102.

(3) أحمد فيصل عبد الحميد وآخرون، المرجع السابق، ص 8.

(4) المرجع نفسه، ص 8.

(5) فارس دعاس، التعليم الابتدائي في المغرب، المرجع السابق، ص 318.

(6) كمال سالم رزق، الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية في قرطاجة والمدن الثلاث، المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية،

ع 1، جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية، ليبيا، 2018، ص 50.

(7) نجلاء سقوان، الامتزاج الاجتماعي بين القرطاجيين والنوميديين من القرن الثالث إلى 146 ق.م، مجلة الحقيقة، ص 16،

ع 04، جامعة أحمد دراية ادرا، الجزائر، 2018/3/29، ص 513.

أيديهم مثل الإمبراطور سيبتيموس سيفيروس (Septimus Severus) (193-211 ق.م) الذي تلقى تعليمه الأول في لبّيس ماغنا (Leptis Magna)، ثم انتقل إلى روما لدراسة الحقوق، ثم انتقل إلى أثينا حيث إشتغل المحاماة⁽¹⁾.

وكذلك القديس أوغسطين الذي سعى والده لتوفير له كل سبل التربية والتعليم، ففي سن السادسة التحق بالمدرسة بمسقط رأسه بتاغست (Thagaste) سوق أهراس حاليا، أين تلقى المبادئ الأولى في الكتابة والقراءة والحساب، وفي حوالي 365م انتقل إلى مادور (Modauros) من أجل إكمال تعلمه، حيث برع في البلاغة خاصة وأنه يجيد اللغة اللاتينية بطلاقة عكس اليونانية، وفي حوالي 370م استطاع بشق الأنفس الانتقال قرطاجة لإكمال دراسته العليا هناك، فتأثر بكتابات الخطيب شيشرون واستطاع بمساعدة أحد أغنياء تاغست فتح مدرسة لتدريس الخطابة⁽²⁾.

ويشير أغلب المؤرخين إلى أن أغلب الأسر الغنية كانت حريصة على تعليم أبنائها الأدب وحضور دروس المؤدبين وفي المقابل كان ذوي الخلق المنبوذ يقضون جزءا من وقتهم بين الغواني وكؤوس الشراب⁽³⁾.

وبالرغم من أهمية التي يحظ بها الأطفال في المجتمع المغاربي القديم إلا أن هنالك فترات شهدت تقديمهم قرابين وكأنه لا يوجد أي علاقة وطيدة تجمع هؤلاء الأطفال والوالدين، وهذا الأمر ترك انطباع لدى المؤرخين أنه لم يكن هناك أي حنان أو خوف على هؤلاء الأطفال حتى من طرف الأم نفسها⁽⁴⁾.

نستنتج مما سبق أن التعليم في بلاد المغرب القديم كان ذكوريا بامتياز، لكن ذلك لم يمنع مزاولة الإناث للتعليم والدراسة خاصة الفتيات الأسر الحاكمة والنبيلة.

(1) أحمد فيصل عبد الحميد وآخرون، المرجع السابق، ص8.

(2) خديجة زموري، القديس اغسطين بين السلطة الرومانية والمجتمع المحلي، (أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم)، جامعة 8ماي 1945 قالمة، الجزائر، 2018/2017، ص ص68، 69.

(3) أحمد فيصل وآخرون، المرجع السابق، ص8.

(4) بنت النبي مقدم، المظاهر الاجتماعية، المرجع السابق، ص35.

II-5) التضحية بالأطفال:

لم تكن هذه الظاهرة منتشرة في بلاد المغرب القديم إلا مع قدوم الفينيقيين للمنطقة وتأسيس قرطاجنة، وكانت أول من قام بذلك الملكة القرطاجية عليسة، أثناء رمي نفسها في النار، ثم توارثها من بعدها شعبها، ثم إنتشرت على نطاق واسع بين النوميديين.

تقربت كل أمة إلى إلهها -بحسب ماتعتقده من آله- بنوع خاص من القرابين استرضاء له، واستدرازا لعطفه ورحمته وكان الإنسان قديما يقدم القرابين لكل ظاهرة طبيعية يخشاها، لأنه كان يتصور الزلزال والفيضان والعواصف والحروب ما هي إلا انعكاسا لغضب الآلهة فيبادر إلى تقديم القرابين لها حتى ترضى وتكف أذاها عنه⁽¹⁾.

والأمر الذي لا جدال فيه أن التضحية البشرية كانت من الطقوس التي عرفتھا العديد من الحضارات خلال مختلف المراحل التاريخية التي مرت بها الإنسانية، غير أن المنتج الأدبي والاركيولوجي المرتبط بالحضارة الفينيقية خصوصا القرطاجية منها كشفت عن ظاهرة اعتبرت في منظور الايستوريوغرافيا الإغريقية-الرومانية وحتى الحديثة بمثابة وسمة عار دنست لمدة طويلة تاريخ قرطاجنة الحافل بالأعجاز، تمثلت في عادة التضحية بالأبناء عن طريق الحرق، التي تعد من أكثر المظاهر الثقافية الدينية تميزا للمراكز ذات الأصول الفينيقية بحوض المتوسط⁽²⁾.

لكن في الواقع يجب علينا عند البحث في المسألة المتعلقة بالقرابين البشرية كنوع من الممارسات الدينية الفينيقية أولا والبونيقية ثانيا وأن ننظر إليها بمنظار ذلك الزمن الذي قدمت فيه، لكي ندرك بأية قيم روحية كانت ترتبط بهذه القرابين⁽³⁾، والظاهر أن هذه الممارسة الدينية ذات وقع خاص عند كثير من المؤرخين الذين درسوا الديانة الفينيقية والبونيقية، ذلك راجع إلى ما أثارته من جدل كبير

⁽¹⁾ هديل علي قاسم، القرابين في الديانة اليهودية، مجلة المعيار، مج.23، ع.4، جامعة العلوم الإسلامية الأمير عبد القادر قسنطينة، الجزائر، 2019، ص110.

⁽²⁾ محمد رضوان العزيفي، القرابين البشرية بالعالم الفينيقي- البونريقي من خلال التراث الأدبي والاركيولوجي، آداب الشرق القديم وتلاقح الحضارات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2005، ص93.

⁽³⁾ الأمين علي الأمين عبد العالي، القرابين البشرية عند القرطاجيين، المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية، (د.ع)، جامعة السيد محمد علي السنوسي الإسلامية، ليبيا، ديسمبر 2019، ص114.

حولها، حيث كانت هذه العادة تقتضي أن يضحي الأب بالابن البكر له وهو عرف لدى الكنعانيين منذ القدم⁽¹⁾.

وقد كانت هذه الطقوس مرتبطة بالإله (Molek)⁽²⁾، التي تقتضي بحرق الابن البكر خلال حالات الخطر أو حالات الحرب، وهي واجب على أمراء المدينة بتقديم أبنائهم عند الأخطار الصعبة والكوارث الطبيعية والأوبئة والصراعات⁽³⁾.

ويبدو أن هذه العادة إنتقلت من المؤسسين الفينيقيين إبان فترة التوسع الفينيقي، فمن الواضح أنهم مارسوها منذ بداية تأسيسهم لتلك المستعمرات وتأتي على رأسها مدينة قرطاجة⁽⁴⁾.

وجستنيان (Justin) يؤكد أن قرياك (المولك) أدخل إلى المنطقة من طرف مؤسسة قرطاجة الأميرة عليسة أولا لإنقاذ قرطاجة، وثانيا لإخلاصها لزوجها بعد أن طلب منها الملك والزعيم الليبي هيرباس الزواج، فقامت بحرق نفسها تعبيرا عن رفضها وخلاصها، وهاته التضحية التي قامت بها منحتها الرتبة الإلهية⁽⁵⁾.

وفي هذا الإطار تأتي إفادة ديودور الصقلي لتخلق مزيدا من الجدل والتشويق⁽⁶⁾، حيث يذكر أن الأطفال المقدمين كقرايين يختارون من أسمى وأعرق و أغنى الأسر القرطاجية وأبناء الأغنياء منهم⁽⁷⁾.

(1) الأمين علي الأمين عبد العالي، المرجع السابق، ص 115.

(2) المرجع نفسه، ص 116.

(3) نضار الأندلسي، المرجع السابق، ص 228.

(4) الأمين علي الأمين عبد العالي، المرجع السابق، ص 117.

(5) Justin, Histoire universelle, Trad: J.Pierrot, Ed: pankouke, Paris, 1833, XVIII, 6, 7.

(6) مولاي محمد جانيف، التضحية بالأطفال في العالم البونيقي قرطاجة نموذجا، (رسالة ماجستير في الآثار والانثروبولوجيا)، جامعة اليرموك، الأردن، 1997، ص ص 23، 24.

(7) Diodor de Sicile, Loc.cit, XX, 4-6.

ويقص هذا المؤرخ ما حل بالقرطاجيين بعد حملة اغاثوكليس (Agathocles) طاغية سيراكوزا على مدينة قرطاجة بمساعدة الملك القوريني فيلاس في أواخر 4 ق.م (310 ق.م) بعد حصار طويل وشديد⁽¹⁾.

حيث اعتبر القرطاجيين أن ما حل بهم هو غضب الآلهة عليهم وتعود أسباب هذا السخط والغضب إلى لجوئهم للخداع تجنباً لتقديم أطفالهم كقرايين للآلهة، ذلك أنهم عمدوا على النقيض من ذلك في الفترات السابقة إلى شراء أطفال عبيد وفقراء وتقديمهم بدلاً عن أبنائهم، وبعد اعتقادهم أن الإله بعل تولى عنهم لهذا السبب عدلوا عن شراء أبناء العبيد⁽²⁾.

وفي هذا المقام يدلي بلوتارخ (Plutarchus) بقوله: "حتى يحافظ القرطاجيون على أبنائهم ولا يقدمونهم قرايين عمدوا إلى شراء أطفال الفقراء كما يشترون الخرفان والطيور"⁽³⁾.

وبعد إنهمامهم وسقوطهم أمام أغاثوكليس عادوا إلى الأصول بأن ضحوا بمائتي طفل من أنبل واغني الأسر القرطاجية⁽⁴⁾.

وهكذا أصبح من شروط اللازمة للتضحية أن يكون المضحي به ولد حر وليس من نسل عبد ويكون من صلب الآباء⁽⁵⁾، وقد كانت تتم عملية تقديم القرايين البشرية داخل المعابد فكان

Diodor de Sicile, Loc.cit, XX, 5.

(1)

Ibid, XX, XIV, 4-6.

(2)

Plutarque, De La Superstition, Trad: Jaques Amyot, reproduit par Les belles lettres, Paris, 1972, p123.

(3)

Diodor de Sicile, Loc.cit, XX, IVX, 5.

(4)

(5) بنت النبي مقدم، المظاهر الاجتماعية. ، المرجع السابق، ص37.

القرطاجيون يتوجهون إلى سيد المعبد المهم الأعظم للتعبير عن مشاكلهم وانشغالهم، ويعدون به بتقديم أضحية بشرية إذا استجاب إله لطلب الداعي⁽¹⁾.

والمصادر تقدم وصفا لتمثال الإله كرونوس-بعل حامون- المصنوع من البرونز والمنتصب في مدينة قرطاجة، له ذراعان ممدودتان في اتجاه مائل نحو الأرض فيما كانت راحتاه موجهتين إلى الأعلى بطريقة تجعل القربان(الطفل) الموضوع على ذراعيه يتدحرج ليسقط وسط النار المتأججة، وأكتاف التمثال كانت تتعدى أعلى أسوار المدينة⁽²⁾، ويبدو أن وجوه الأطفال كانت تستر بقناع ضاحك الأمر الذي يفسر سبب موت هؤلاء الأطفال ضاحكين⁽³⁾، وتوجد حفرة متوهجة عند أقدام التمثال ويبدو المقصود منها هو التوفيت (Tophia)⁽⁴⁾.

ويعد التوفيت مكانا مقدسا كان القرطاجيون يقدمون داخله القربان البشرية من الأطفال للإلهين بعل حامون وتانيت⁽⁵⁾، وقد أشارت الباحثة لطيفة التهامي اندش انه معبد غير مبني، فهو عبارة عن مساحات واسعة في شكل فضاءات مقدسة محاطة بجدران من حجر أو طين أو مادة أخرى يفصلها عن العالم الديني، في وسطه مصلى يحتوي على مذبح وأحدود تخرج منه نار متأججة تمارس فيه الطقوس الدينية في الهواء الطلق⁽⁶⁾.

وتعود أولى الإكتشافات لهذا المعبد إلى عام 1916م، ولقد قاد هذه الاكتشافات العالم الأثري كارتون(P. Carton) الذي توصل عن طريق أبحاثه إلى أن هذا المعبد مخصص بالدرجة الأولى لتقديم الأضاحي البشرية، نظرا لاحتوائه على صناديق تقدر بحوالي ألفين صندوق مخصصة للأطفال الصغار

⁽¹⁾ عادل مصباح نصرات، المعتقدات الدينية الفينيقية وظاهرة التضحية بالأطفال قرطاجة نموذجا، المجلة الليبية للدراسات، دار الزاوية للكتاب، ليبيا، ع.13، 2017، ص86، 87.

⁽²⁾ Diodor de Sicile, Loc.cit, XX, IVX, 4-6.

⁽³⁾ محمد رضوان العزيفي، المرجع السابق، ص100.

⁽⁴⁾ الأمين علي الأمين عبد العالي، المرجع السابق، ص119.

⁽⁵⁾ ليندة عثمان، العادات الدينية والطقوس والشعائر الجنائزية في بلاد المغرب القديم في الفترة الليبية البونية، (رسالة ماجستير في التاريخ القديم)، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2014/2013، ص115.

⁽⁶⁾ لطيفة التهامي اندش، العقائد الجنائزية في قرطاجة(814-146ق.م)، (أطروحة دكتوراه في آداب التاريخ القديم)، جامعة عين الشمس، مصر، 2018، ص183.

كما احتوت تلك الصناديق بالضبط على بقايا عظام بشرية محروقة وتواصلت الأبحاث فيما بعد وبالضبط في عام 1922م حيث تم العثور على عدد هائل من العظام البشرية إضافة إلى نصب تذكارية في صلامبو⁽¹⁾.

ونجد من بين أهم النصب التذكارية التي تم إكتشافها في توفيت صلامبو على إحدى النقوش والتي إصطلح على تسميتها بلوحة الكاهن الذي تصور رجلا كاهنا يرتدي جلبابا طويلا وعلى رأسه قلنسوة يرفع يده اليمنى في وضع تعبدي فيما يحمل بيده اليسرى طفلا ملفوفا إشارة على انه سيقدمه قربانا⁽²⁾ (الملحق رقم 12 ص 335).

وما تم إكتشافه كذلك في قرطاجة، النصب التذكاري الذي يتمثل في طفل مقمط وملفوف يسقط داخل شعلة من النار المتوهجة⁽³⁾، أما بخصوص النصوص التكريسية التي اكتشفت في قرطاجة كانت في البداية تخص الإله بعل حامون، وإبتداء من ق 5ق.م باتت تخص كليهما أي بعل حامون والإلهة تانيت اللذان تربعا على عرش المجمع الإلهي القرطاجي منذ هذا القرن، وتأتي هذه النصوص الدينية بالصيغ التالية "إلا انه كان قد سمع صوته هو المكرس له" أو أنت سوف تسمع صوته وأنت سوف تباركه" وهي صيغ استرضائية تشفيعية⁽⁴⁾.

أو أنها تتبع النسق محدد كالتالي إلى السيدة تانيت وجه بعل وإلى السيد بعل حامون، ثم يأتي إلى ذكر اسم صاحب التضحية ابن فلان ثم يطلب استرضاء الآلهة، واستمرت هذه الصيغ الاسترضائية الاهدائية في الظهور حتى العصر الروماني مع اختلاف أسماء الآلهة من تانيت الى جونو (Juno) ثم حملت اسم كايليستيس (Caelestis) فيما بعد ومن بعل حامون إلى ساتورن (Saturne)⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ ليندة عثمان، المرجع السابق، ص ص 115-116.

⁽²⁾ الأمين علي الأمين عبد العالي، المرجع السابق، ص ص 122-123.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص 123.

⁽⁴⁾

Fantar(M.H), op.cit, P77.

⁽⁵⁾ الأمين علي الأمين عبد العالي، المرجع السابق، ص ص 121-122.

ف نجد مثلا في بعض النقائش المقدمة من قادة قرطاجة على شرف بعل حامون فنقرأ في النقش البوني الذي يقول: "إلى المعطاء الإله بعل (Baal)، عزو بعل (Asru baal) ابن بعل حنون (Ba 'al Hannon) خادم بعل المجيد⁽¹⁾ (الملحق رقم 13 ص 335)، وكذلك نجد نذر مقدم من حنون (Hannon) ابن ماقون (Magon)، ابن حنون البوني إلى بعل، الذي استجاب إليه وباركه⁽²⁾ (الملحق رقم 14 ص 335)، إلى العظيمة (Tanit) وجه بعل (Baal)، وإلى الإله بعل حامون (Baal Hammon)، تضحيات مكرسة من الحاكم هيلكار (Himilco) ابن بتان (Yatan) ابن ماتان (Matan)⁽³⁾.

وطبعا إستمر القرطاجيون في تقديم أضاحي من الرضع للإلهين حيث كانوا يقدمون كل سنة على الأقل طفلين ذكرين قربانا، إلا أن عدد الضحايا كان يبلغ المئات في حالات الفزع ووقت الحروب⁽⁴⁾، وهذا ما أكدته شيشرون (Cicero) (106-43 ق.م) بقوله: "انه من الشائع عند القرطاجيين تقديم القرابين البشرية"⁽⁵⁾.

وحسب ما تناولته المصادر لقد كانت تلك الطقوس تقام ليلا في الهواء الطلق بحضور جميع الأهالي، حيث يلتفون حول تمثال الآلهة يتربون عملية التضحية، ويصاحب الاحتفال الموسيقيون والراقصون حيث يسلم الطفل للكهان ثم يتقدم به نحو المذبح، ويقوم بطريقة سريعة وغامضة بذبح الضحية ويضعها بين يدي التمثال لتزلق نحو اللهب المقدس⁽⁶⁾، وكان يحرم على أباء الضحية البكاء

⁽¹⁾ Dussaud(R), Précisions épigraphiques sur Les Sacrifices puniques d'enfants, L'académie des inscriptions et belles lettres, N.3, 1946, pp384- 386.

⁽²⁾ Dussaud(R), op.cit, P386.

⁽³⁾ Chaboh(J), Les inscriptions Puniques de La Collection Marchant, L'Académie des inscriptions et belles lettres, N.1, 1916,p22.

⁽⁴⁾ نضار الأندلسي، المرجع السابق، ص 229

⁽⁵⁾ Cicéron, La république, Les belles lettres, Paris, 1980, III, 9-15.

⁽⁶⁾ مولاي الحاج أحمد بومعقل، مظاهر من التأثير القرطاجي في نوميديا (الزراعة، الديانة واللغة) من القرن الثالث إلى 146 ق.م، (رسالة ماجستير في التاريخ القديم)، جامعة يوسف بن خدة، الجزائر، 2009/2008، ص 90.

والتعبير عن ألمهم وحزنهم فكان عليهم كبت شعورهم رغم الأسى والحزن اللذان يزرعهما هذا الموقف في نفوسهم⁽¹⁾.

وذلك حتى لا يفقدون مكافأة التضحية من الإله التي ينبغي أن تقدم خالصة وعن طيب خاطر، ولذلك كان يوضع أمام الإله من يعزفون على المزامر ويدقون على الطبول حتى لا تسمع صرخات التضحية ورأفة بحال الأبوين⁽²⁾.

وبالرغم مما تتطلبه المعتقدات الدينية القرطاجية من تكاليف باهظة الثمن كالتضحية البشرية، إلا أنها وجدت استجابة عند النوميديين فاعتنقوها، والنقوش التي وجدت في قسنطينة والقبور في كل من جيجل وقوراية والقل تدل على تأثر الأهالي بالعادات والأعراف الدينية الشرقية⁽³⁾.

وأكدت الشواهد الأثرية أنه بعد سقوط قرطاجة بقيت بعض المدن النوميديّة حاملة لواء الحضارة القرطاجية في نوميديا واستمر الأهالي في تقديم الأضاحي البشرية للإلهين بعل حامون وتانيت، بالرغم من إصدار مجلس الشيوخ الروماني قوانين تمنع الأضحية البشرية، لكن هذه القوانين ضربت عرض الحائط خاصة في المعابد البعيدة التابعة للسكان النوميديين والقرطاجين الذين نجوا من الموت ونجد في حدرموت (سوسة) (Hadrumète) استمر الناس بالتضحية إلى غاية نهاية ق 1 ق.م⁽⁴⁾.

وبيكارد يرى أن الأضحية كانت ظاهرة بارزة في الديانة القرطاجية، وذلك أن النصب التذكارية تشير إلى هذه الظاهرة، حيث كان يجري حرق من يقدم كأضحية بشرية حيا وهي التي سميت ملك ادم (Molek Dm)، وهي تعني ملك الإله، وفي فترة متأخرة توسع مفهوم الأضحية وأصبح الاسم يصنف وفقا لنوع الأضحية وطبيعتها، حيث أصبح يطلق على الأضحية الحيوانية ملخومر (Molchomet)⁽⁵⁾ والتي تعني ملوك أو أمر أي قربان من كبش أو حمل⁽⁶⁾.

(1) عادل مصباح نصرات، المرجع السابق، ص 90.

(2) بنت النبي مقدم، المظاهر الاجتماعية، المرجع السابق، ص 35-36.

(3) مولاي الحاج احمد بومعقل، المرجع السابق، ص 143.

(4) المرجع نفسه، ص 144.

(5) عبد الحفيظ فيصل الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، دار الكتب الوطنية، ط. 1، بنغازي، ليبيا، 2001، ص 230.

(6) Fantar(M.H), Baal Hammon, Reppal, Tunis, 1990, p90.

لكن بالرغم من وجود بديل للأضحية البشرية إلا أن البونقيين المتشددون لم يقلعوا نهائيا عن ممارسة هذه الشعيرة، خاصة في الأماكن البعيدة عن السلطة الرومانية التي منعت فقط ممارسة التضحية البشرية التي تعوض بالحيوانية، وأصدرت عقوبة الموت في حق كل من يمارسها إلا أنها كانت تمارس في الخفاء⁽¹⁾، فقد إستمرت العملية في إفريقيا الرومانية إلى غاية عهد الامبراطور تيبيريوس (Tibère) (42ق.م-37م).

ورغم جهود هذا الأخير للقضاء عليها، إلا أن الكهنة ظلوا يقربون أطفالا صغارا في السن في السر على شرف ساتورن⁽²⁾، حيث قام هذا الإمبراطور بصلب كهنة هذا المعبود وذلك بربطهم إلى الأشجار التي كانت تخفي هذه الجرائم تحت ظلها⁽³⁾.

ويبدو أن التضحية البشرية التي كانت جذورها متجذرة في الشرق القديم، لم تكن بمثابة طقس ديني فحسب، بل كانت لهذه العادة أبعاد سياسية واجتماعية، وإذا كان الشرق منبع القربان البشري فان شكله النهائي وتثبيته كممارسة اجتماعية جماعية كان من ابتكار القرطاجيين⁽⁴⁾.

كان للطفل في بلاد المغرب القديم وضع خاص فهو يعد الركيزة التي تقوم عليها الأسرة سواء كانت صغيرة أو كبيرة، فمن اجل الحفاظ على كيان الأسرة كان لابد من وجود أطفال على الأقل ولدا واحدا حتى يكون وريثا لهاته الأسرة، ومن المعروف أن سكان المغرب القديم مهوسين بإنجابهم للأطفال، وذلك حسب ما أمدتنا به مختلف المصادر الأثرية منها أو كلاسيكية أدبية لذلك لجأ الملوك والرعية إلى الزواج بأكثر من امرأة واتخاذ الخليلات فكلما كان عدد الأطفال أكثر كان الاستقرار الأسري داخل القبيلة والمجتمع.

II-6) الوظائف الأسرية للمرأة في بلاد المغرب القديم:

بطبيعة الحال أسند للمرأة داخل الأسرة والمجتمع في بلاد المغرب القديم الكثير من الوظائف والمهام التي تناسبها، بل وشاركت حتى الرجل في بعض مهامه.

⁽¹⁾ ليندة عثمان، المرجع السابق، ص 124-125.

⁽²⁾ عبد الحميد عمران، الرومنة والتدين، المرجع السابق، ص 56.

⁽³⁾ نضار الأندلسي، المرجع السابق، ص 230.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه، ص 231.

تعد المرأة اللبنة الأساسية في المجتمع وأهم فئة فيه، لأنها تلعب دورا محوريا وحيويا وفعالا في بنائه والحفاظة على استمراريته، إذ تتجلى هذا الدور في رعاية أولادها وتربيتهم التربية الصحيحة، فهي تعمل جاهدة لأن تؤمن مستقبلهم لكن لا يقتصر دورها على التربية فقط⁽¹⁾.

وأكدت لنا النقوش والرسوم الصخرية أن المرأة كانت على شراكة تامة مع الرجل في كل تفاصيل الحياة، وصل ذلك حد مشاركته في حملات الصيد وإقامة حلقات الرقص والابتهاال إلى الآلهة، واهتمت بالكهف ليكون مستقرا ومرتبعا بعانية ومستقرا للعائلة التي تحتوي الأطفال ورجلا واحدا، ربما يكون زوجا بالمفهوم المعروف لدى العصور التي تلت هذا العصر⁽²⁾.

فجسد المرأة شكل الذات الفاعلة بامتياز في المنظومة الاقتصادية-الأسرية- حيث أصبح الوعاء الأساسي في عملية التكاثر والنماء، لارتباطها بالخصوبة والأرض من اجل ضمان الاستمرارية للجنس البشري⁽³⁾.

هذا خول لها سلطة وسطوة داخل مجتمعهما، وبالتالي كلفها المجتمع بمهام عديدة كالزراعة فأصبحت تمتلك المجال لممارسة هذا النشاط الأسري⁽⁴⁾.

ويتضح من خلال النقوش والرسوم الصخرية يتضح بوجود نوع من الخصوصية والألفة التي تتخذ طابعا عائليا، فنشاهد ما يشبه الجو الأسري المستقر الذي يصور فيه الرجل والمرأة والأطفال،

⁽¹⁾ نسيم الربيع ياحي، المرأة بين القيم والمتغيرات الاجتماعية دراسة سوسيولوجية لتأثير التغيرات على بعض القيم لدى المرأة بمدينة قصر الشلالة، (أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع والانثروبولوجيا)، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، الجزائر، 2018، ص75.

⁽²⁾ صديق بودوارة المغربي، المرجع السابق، ص36.

⁽³⁾ نضار الأندلسي، المرأة والزراعة في تاريخ شمال إفريقيا القديم، (د.ن)، تطوان، المغرب، (د.ت)، ص8.

⁽⁴⁾ مصطفى توريرت و زاهية مضوي، الدور الاقتصادي للمرأة في بلاد المغرب القديم، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، مج.4، ع.2، جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر، سبتمبر 2021، ص98.

كما نرى مشاهدا يمكن أن نطلق عليها صفة الرومانسية تجمع رجلا وامرأة، ولا يمكن القبول بهذه الصورة إلا في إطار اعترافنا بأنها نوعا من الانسجام العاطفي كان موجودا عند إنسان ذلك العصر⁽¹⁾.

II - 6-1) العناية المنزلية (رعاية العائلة):

تعد أولى مسؤوليات المرأة وأهمها على الإطلاق تتمثل في العناية العائلية بكل ما تقتضيها الضرورة المعيشية فلا بد من تأدية مهامها على أكمل وجه.

تعتبر المرأة الكيان الأساس للحفاظ على الأسرة وتكوين النشء والأولاد وأن تكون ربة بيت تسهر على تربية الأطفال، وتسير على قواعد محددة وأن تكون مديرة فتضبط نفقات البيت، ولا يعني هذا إدارة شؤون البيت الفردية، لأن الزوج هو القائد حيث أن جنس الذكر هو الذي يصلح للرئاسة من جنس الأنثى⁽²⁾.

لقد أشارت مختلف المعطيات أن المرأة كانت تقوم بكامل أشغال البيت اليومية وأشدّها شقاء، إذ يلقي الرجل بكل الثقل عليها تقريبا في تحمل عبء الحياة المادية⁽³⁾ وهذا ما يفسر إصابتها بالشيخوخة في وقت مبكر بسبب هذه الحياة القاسية⁽⁴⁾، خاصة وأنها اعتبرت متاعا فعرضت للبيع في الأسواق، فالليبيين إتسموا بغلظة الطبع وقسوتهم في معاملة المرأة مستعبدين إياها، فأرهقوها بالواجبات في ظل حياة بدوية تحت سلطة الرجل⁽⁵⁾.

فقد عدت مخلوقا أقل قيمة من الرجل ليقصر دورها بذلك على شؤون المنزل والأمومة والحضانة، كما اعتبرت كائنا منحطا بطبيعته ولم تتمتع بالحقوق المقررة للرجل إلا في وقت متأخر-

⁽¹⁾ صديق بودوارة المغربي، المرجع السابق، ص 24.

⁽²⁾ محمد زيان، المرأة في الفلسفة السياسية اليونانية (إشكالية قابضة بين ثنائية المركز والهامش؟)، مجلة العلوم الإنسانية، مج 20، ع 2، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2020، ص 849.

⁽³⁾ مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 99

⁽⁴⁾ المرجع نفسه، ص 99.

⁽⁵⁾ مليكة بلحاج، المرأة بين الديانات الوضعية والديانات المنزلة، مجلة انثروبولوجية الأديان، مج 9، ع 1، جامعة أبي بكر بلقايد

تلمسان، الجزائر، 2013/01/15، ص 95.

العهد الروماني-⁽¹⁾، لكن ذلك لا يعني أن الرجل لم يتكفل بأعمال شاقة خارج المنزل، بل قاد القوافل التجارية ومارس نشاط الفلاحة كذلك⁽²⁾.

فلا يمكن أن ننكر أن في مثل هذه المجتمعات لم يعتمد على تقسيم المهام حسب الجنس والسن كذلك، وهذا بغرض تحقيق مجموعة إجتماعية تتعايش فيما بينها بواسطة تبادل الخدمات وتوفير اليد العاملة⁽³⁾، في هذا الوقت الذي يشتغل الرجل خارج البيت تظل النساء فيه لإدارة شؤونه ورعاية الأطفال على مستوى عالي⁽⁴⁾. وقيمهن في عزلة منشغلة تماما بالمهام المنزلية⁽⁵⁾.

فكان من الواجب على أي امرأة أو زوجة أن تتدبر الأمور المنزلية الداخلية، بينما كان الأمر بالنسبة للرجل هو أن يتعامل مع أمور المنزل الخارجية⁽⁶⁾.

فقد زودتنا بعض اللوحات الصخرية التي عثر عليها في صفار بالطاسيلي ناجر على شواهد أكيدة على دور المرأة في تأسيس البدايات الأولى للأسرة المستقرة، حيث نلاحظ في إحدى اللوحات على اليمين ما يشبه مسكنا أسريا فيه حاجيات معلقة على الجدران، وتلك المرأة التي تلاعب طفلا وآنية الطعام الموضوعة على ما يشبه الطاولة، وفي خارج المكان نرى طفلا أكبر سنا بجواره سيدة يبدو أنها أمه وأخرى وكأنها تخاطب صغيرها، فيما تنهمك امرأة على يسار الصورة بحلب البقرة⁽⁷⁾. (الملحق رقم 15 ص 336).

⁽¹⁾ زاهية سي فضيل، الضمانات المقررة للمرأة العاملة في التشريع الجزائري والمقارن، (أطروحة دكتوراه في الحقوق)، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، الجزائر، 2018/2017، ص 10.

⁽²⁾ أحمد عبد الحليم دراز، مصر وليبيا فيما بين القرن السابع والقرن الرابع ق.م، مواقع تاوالت الثقافي، (د.ت)، ص 239.

⁽³⁾ حسينية صفريون، بؤادر ظهور النظام الأسري الأمومي في المجتمع التاسيلي وعلاقته بظاهرة جمع القوات خلال المرحلة البوفيدية من خلال مشاهد الرسم الصخري، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، مج. 3، ع. 1، مركز البحث في العلوم الإسلامية و الحضارة بالاغواط، الجزائر، فيفري 2018، ص 429.

⁽⁴⁾ أيمن عبد الله شندى، المرجع السابق، ص 8.

⁽⁵⁾ محمد السيد رشدي، المرجع السابق، ص 21.

⁽⁶⁾ صالح رمضان رضوان، نساء مهمشات في العالمين اليوناني والروماني، مجلة أوراق كلاسيكية، مج. 7، ع. 7، جامعة القاهرة، مصر، 2007، ص 2.

⁽⁷⁾ صديق بودوارة المغربي، المرجع السابق، ص 42.

وكذلك نجد أن المرأة النوميديّة إختصت بممارسة نشاط حلب المواشي من ماعز وأغنام وأبقار عن غيرها⁽¹⁾.

وقد إعتنيت بالأطفال و أيضا قمن بإعداد وطهي الطعام وإستحلاب المواشي، وجلبن الماء ليس للحاجة المنزلية فقد تعداه ذلك إلى سقاية الماشية، والإحتطاب للطبخ وتدفئة البيت خصوصا أيام

الشتاء البارد، وجلبن الحيوانات المستأنسة وصنعن الزبدة والجبنة⁽²⁾.

فقد تمثل طعام الرعاة الأساسي فحليب قطعانهم، خاصة حليب الأغنام والماعز كان يصنع منه جبن طري، أما الحيوانات نفسها فكان ذبحها غير مفضل، لأنها كانت تشكل بالنسبة لهم رأس المال، بل هي في الغالب الثروة الوحيدة، لأصحابها الذين كانوا يدخرونها أكثر وقت ممكن، والصيد بإعتباره متعة وضرورة هو الذي كان يمد السكان باللحوم التي يأكلونها⁽³⁾.

حيث أنهم حرموا أكل الخيل كذلك، فكانوا يفضلون لحوم الصيد، خاصة عجول الثيران البرية باعتبارها أكلة شهية، كما إستعملت طرق لحفظ اللحوم بتدخينها (قديد) بعد سحقها ودهنها بالشحم-وهذا كان من مهام المرأة⁽⁴⁾، إلا أنهم تناولوا لحم الماعز والأغنام المسنة، بالإضافة إلى لحم الجمال والنعام الذين يصطادونه وأحيانا يقومون بتربيته⁽⁵⁾.

ويشير بوزياني الدراجي أن اللحم عندهم يؤكل إما مشويا أو مطبوخا، ويضاف له التوابل⁽⁶⁾، حيث شهد للمرأة أنها تقوم بتوفير الأكل والاهتمام ورعي الماشية⁽⁷⁾، فهي لم تشارك الرجل

(1) صبيحة أوكيل و بلخير بقة، المرجع السابق، ص 87.

(2) Hérodote, Loc.cit, IV, 187.

(3) ابوبكر حسني عيسى أحمد سرحان، عادات وتقاليد سكان، المرجع السابق، ص 37.

(4) فاطمة علي عمر الشخي، الطعام عند الليبيين القدماء، المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية، ع.5، جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الاسلامية، ليبيا، 2020، ص 48.

(5) المرجع نفسه، ص 48.

(6) الدراجي بوزياني، ملامح تاريخية للمجتمعات المغربية، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، المغرب، 2010، ص 251.

(7) نجلاء عبد الله الزدام، المرجع السابق، ص 141.

الرجل في القنص والصيد فقط، بل حرصت وإهتمت بأمور الرعي والعناية بالقطيع وحراسته وجمع الحليب ومعالجته وتخزينه، كما جمعت الحبوب والإعشاب البرية وخزنتها في جرار وأواني من فخار كانت قد صنعتها⁽¹⁾. (الملحق رقم 16 ص 337)

فإذا أخذنا ما أدلى به هنري لوت في أبحاثه عن البقايا التي عثر عليها في العديد من مواقع الطاسيلي والتي تنتمي إلى عصر الرعاة (4000-1500 ق.م)، أو إلى ما أسماه بفترة الثيران تحديدًا، وما عثر عليه بعد تحليل تلك البقايا من أحجار كانت تستخدم لطحن الحبوب، تبين لنا أن للمرأة علاقة وثيقة بهذه المنتجات لا يمكن إهمالها أو التغاضي عنها⁽²⁾.

وقد تفننت بإستغلت الحبوب في نظام الطبخ والتغذية بالتعرف على المرق والحساء، والحبوب الجافة التي لم تكن لتؤكل لولا طبخها في الماء⁽³⁾، فالحبوب كانت لها قيمة اقتصادية كبرى، وإعتبرت الغذاء الرئيسي لسكان القرى والمدن معًا، وإن كانت النصوص لم تذكر منها سوى الشعير والقمح فقط⁽⁴⁾.

وكان الليبيون ربما يكتفون بتحميص الحبوب، إلا أنهم قاموا بطحنها والدليل على ذلك ما تم العثور عليه من مهارس ومدقات حجرية وخشبية⁽⁵⁾، وبهذه الأدوات يمكن الحصول على طحين يتم إعدادة بطرق مختلفة فصنعوا العصيدة والخبز⁽⁶⁾، وكذلك صنعت السلال والحبال وعالجت الجلود وخاطت اللباس وصنعت الشراب⁽⁷⁾ (الملحق رقم 17 ص 338).

(1) حسية صفريون، بادر ظهور النظام، المرجع السابق، ص 429.

(2) صديق بودوارة المغربي، المرجع السابق، ص 36.

(3) حسية صفريون، بادر ظهور النظام، المرجع السابق، ص 432-433.

(4) أبو بكر حسني عيسى أحمد سرحان، عادات وتقاليد سكان، المرجع السابق، ص 36.

(5) فاطمة علي عمر الشخحي، المرجع السابق، ص 52-53.

(6) المرجع نفسه، ص 53.

(7) حسية صفريون، بادر ظهور النظام، المرجع السابق، ص 429.

رغم أن السكان المحليين يشربون الماء واللبن بكثرة، بالرغم عدم توفر الخمر بكثرة حتى يشربوها، إلا أنه اشتهرت قبائل الماسيليين بصنع نوع من الخمر حلو المذاق التي يمكن الاحتفاظ بها لبضعة أيام⁽¹⁾.

كما صنعت أسرة للولادة وإعتنت ببيتها، ويبدو بأن الرجل "زوجها" كان يشاركها في العناية والإهتمام بأطفاله كذلك، كما أنها شاركته في الطقوس والإحتفالات الإجتماعية والدينية، رقصت وعزفت غنت وقدمت القرابين⁽²⁾، لأن الماشية التي كانوا يرفعونها يذبحونها كقرابين للآلهة وفي مناسبات معينة خاصة الأعياد⁽³⁾. (الملحق رقم 18 ص 337)

فالمرأة من خلال ما تبينه النقوش والرسوم الصخرية ليست هي المرأة التي كنا نتخيلها قبل إكتشاف هذه النقوش، إنها عنصر فعال في ثقافة ذلك المجتمع، تهتم بزيتها وتشارك في طقوس العبادة، وتتأثر بما حولها من متغيرات وتحصر على أجواء الأسرية الحميمية، وتشكل عماد اقتصاد الكهوف بإعدادها للطعام وطحنها للحبوب واهتمامها بالأطفال⁽⁴⁾، كما أنها عرفت صناعة السوائل المتمثلة في زيت الزيتون وغيرها من المواد الاستهلاكية⁽⁵⁾.

وقد كانت أشجار الزيتون منتشرة في مناطق واسعة غير أن أنواعا منها كانت ذات نوعية سيئة وصفها الشاعر اللاتيني جوفينال (Juvénal) قائلا: "أن الزيت الذي يوضع في صحنكم من صنف الزيوت التي جلبها أحفاد مكيسا في مواكب من قصب ذوات الجؤجؤ الحاد، وبما أن بوكار (Boccar) يستعمل هذا الزيت فلا أحد في روما يرضى بالاستحمام معه، وهذا الزيت يدفع سموم الثعابين السود"⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ أبو بكر حسني عيسى أحمد سرحان، عادات وتقاليد سكان، المرجع السابق، ص 37.

⁽²⁾ حسية صفريون، بوادر ظهور النظام، المرجع السابق، ص 429.

⁽³⁾ فاطمة علي عمر الشيعي، المرجع السابق، ص 48.

⁽⁴⁾ صديق بودوارة المغربي، المرجع السابق، ص 25.

⁽⁵⁾ مريم طياب، المرجع السابق، ص 72.

⁽⁶⁾ فاطمة علي عمر الشيعي، المرجع السابق، ص 54.

وقد إقتصر إستخدامه على الإنارة والتجميل فقط، فلم يكن مستطابا ومفضلا أكله⁽¹⁾، وبعيدا عن الطهي والخبز فقد تفننت في صنع مختلف أنواع السموم ليس لتداوي به طبعا، فتحضيره مرتبط كثيرا بالإنجاب والإجهاض⁽²⁾.

كما أنها داعبت الطين وقد صنعت الفخار والآنية الفخارية التي جمعت فيها الحليب والسوائل⁽³⁾، فسكان المنطقة كانوا يجذبون تناول الطعام في آنية من الفخار أو الخشب، حتى شرب اللبن والماء فيفضلون شربهما في أقداح فخارية أو خشبية⁽⁴⁾، وصنعت الخيمة وأقامتها وأفترشتها⁽⁵⁾.

وبينت الرسومات الصخرية مشاهد استقرار وتخييم مجموعات بشرية في مناطق حيوية ملائمة، لمدة شبه دائمة أو مؤقتة دلت عليها تلك الأشكال البشرية نساء ورجال وأطفال صورت بجانب زرائب أو خيم ذات أشكال مختلفة بالقرب من قطعان البقر والغنم، وهي بذلك تعبر عن بيئة ملائمة تتسم بنوع من الرطوبة تسمح لهؤلاء بالاستقرار⁽⁶⁾، بل مثلت في بعض المشاهد حتى مراحل وطرق انجاز الخيم الإهليجية أو المستطيلة أو ذات زاوية مقوسة أو على شكل حبة فصولياء التي وجدت خاصة صفار وجبارين بالطاسيلي أزجر، التي يبدو أن النساء هي التي تهتم بتركيب الخيمة⁽⁷⁾.

ففي منطقة اهرين (Iheren) مشاهد وسط الطاسيلي تظهر نساء وهن يركبن الأبقار ويرتلحن مع القبيلة، وفي نفس المنطقة توجد عدة مشاهد لنسوة يقمن بنصب الخيام، كما توجد مشاهد مماثلة في منطقة تيسوكاي (Tissoukai) غير بعيدة عن صفار، وأما في هذا العصر لا يزال اليوم لدى الطوارق المرأة هي من تصنع الخيمة وتستقبل الضيوف وتهتم بشؤون البيت⁽⁸⁾.

⁽¹⁾ شارل اندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، ج.1، تر: محمد ميزالي، البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1969، ص209.

⁽²⁾ أشرف نادي أحمد حسن، المرجع السابق، ص89.

⁽³⁾ حسية صفريون، بوادر ظهور النظام، المرجع السابق، ص432.

⁽⁴⁾ فاطمة علي عمر الشيعي، المرجع السابق، ص59.

⁽⁵⁾ حسية صفريون، بوادر ظهور النظام، المرجع السابق، ص429-433.

⁽⁶⁾ جوهرة ابراهيم، نماذج من الحياة اليومية للشعوب النيوليتية من خلال الفن الصخري الصحراوي، مجلة المفكر، مج.2، ع.2، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2018/06/10، ص36.

⁽⁷⁾ المرجع نفسه، ص36.

⁽⁸⁾ لخضر بن بوزيد، دور المرأة في المجتمعات، المرجع السابق، ص236.

إن إنشغال المرأة الكبير بأمور الأسرة والأعمال المنزلية لا يعني إهمالها لنفسها بإظهار جمالها ومفاتنها، فمخطئ من يظن أن إهتمامها بهندامها لم يبدأ إلا مع قدوم الوافدين من الحضارات الغربية كالإغريقية والرومانية-وقبلها الفينيقية-، إذ أن الأدلة التاريخية والشواهد الأثرية أكدت أن عناية النساء بالأزياء وتسريحات الشعر سبقت هذا التواجد، فقد بينت النقوش والرسوم الصخرية التي أبدعها فنان العصر الحجري الحديث على جدران كهوف الطاسيلي واكاكوس مدى عناية المرأة الليبية بزينتها وهندامها وأناقته⁽¹⁾. (الملحق رقم 19 ص 338).

رغم أن جيمس ويلارد في كتابه الصحراء الكبرى قد قلل من قيمة العديد من المشاهد المثيرة للجدل في تلك الرسومات واعتبرها مجرد شطحات لفنان ذلك العصر، كان الغرض منها التسلية أكثر من إبراز الحقائق، إلا أننا نعتقد خلاف ذلك ونرى أن فنان ذلك العصر ما كان ليرسم تلك المشاهد لنساء يعالجن شعورهن أو يرتدين ملابس مهندمة مبالغ في العناية بها لولا أنه ما رآها⁽²⁾.

خاصة إن كانت هي نفسها من قامت بذلك، فقد ساد الاعتقاد بين الباحثين أن المرأة لها علاقة بنسبة كبيرة مع الرسوم الصخرية، قد تكون هي نفسها من نفذت أغلبها، وربما يستدل على ذلك بكثرة مشاهد نساء الحوامل والحيوانات⁽³⁾.

كما أن معظم المشاهد لا تعبر عن العنف فمشاهد القتال قليلة جدا، وإن وجدت فهي لا تتضمن جرحى أو قتلى وذلك ما يتناسب مع طبيعة المرأة⁽⁴⁾.

وبصفة عامة كانت واجبات النساء تتمثل في إشرافهن على تربية الأطفال وغزل الصوف والنسيج وحياسة ملابس الأسرة⁽⁵⁾، مما جعل الرجل يطلب المرأة العفيفة الفاضلة النجيبة، التي لها دراية دراية في تدبير شؤون الأسرة والمنزل، ولها المقدرة على توفير الملابس لأهل بيتها.

⁽¹⁾ صديق بودوارة المغربي، المرجع السابق، ص 75.

⁽²⁾ صديق بودوارة المغربي، المرجع السابق، ص 75.

⁽³⁾ لخضر بن بوزيد، دور المرأة في المجتمعات، المرجع السابق، ص 239.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه، ص 240.

⁽⁵⁾ صونية صغور، المرأة الرومانية بين الحياة السياسية والعامة في العهد الإمبراطوري، المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية،

ع. 6، جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية، ليبيا، 2021، ص 143.

والقديس ترتليانوس قد عدد بعض الأعمال المناط للمرأة المتزوجة وهي: "تدبير المنزل وقيادة الخدم وحراسة المخازن والمفاتيح، وتوزيع الأعمال المتصلة بالصوف وواجب السهر على النفقات"، ويضيف "فليس هناك أحسن تدبير من بيوت الرجال المتزوجين ولا أسوأ من منازل العزاب"⁽¹⁾.

تنوعت وتعدد مهام المرأة داخل الأسرة بداية بالعناية بزوجها وأطفالها، مرور إلى العناية المنزلية من كنس، وطبخ، وحلب، وصناعة الادوية، والعناية بالحيوانات المستأنسة، كل هذا منحها صفات أشيد بها في الكثير من المناسبات، بل وصلت أن قدم لها نقائش إهدائية لإخلاصها وتفانيها في عملها.

II-6-2) المرأة والصفات الحميدة (الإشادة بها):

قدمت لنا النقوش اللاتينية سواء الإهدائية أو الجنائزية إعترافا صريحا على تفاني وإخلاص المرأة لزوجها، وأسرتها، والمجتمع.

لقد سجلت النقوش اللاتينية ببلاد المغرب القديم مجموعة من النصوص تشير إلى شهادات واضحة ومميزة للأزواج عن إخلاص ووفاء زوجاتهم وتفانيهم في خدمة الأسرة، وإن كان سنهن صغير⁽²⁾، حيث إتصفت و أشيد بالكثيرات منهن بالمتابرة والجد والإخلاص في العمل المنزلي ومع الأزواج، وتنطق الشواهد الجنائزية-الإهدائية- بعبارات الحب والإخلاص التي كتبها الأزواج بعد وفاة زوجاتهم⁽³⁾.

إلتزمت المرأة بالأخلاق الحميدة التي تبعتها وتميزها وتفرقتها عن تصرفات الرجل وأخلاقه⁽⁴⁾، بحيث يعترف بدورها بعد الزواج، كون لها دور تربوي وتعتبر المسئولة الأولى في نقل المبادئ لكامل أفراد الأسرة، حيث لقبت بعدد من الصفات أهمها صفة (De domina) (Mater Familias)

⁽¹⁾ جمعة البشير محمد الحارري، المرجع السابق، ص 206.

⁽²⁾ محمد بن عبد المومن، المرجع السابق، ص 563.

⁽³⁾ علي مؤمن إدريس مؤمن، الحياة الاجتماعية الرومانية، المرجع السابق، ص 48.

⁽⁴⁾ مالية بصال و احمد سايع مرزوق، واقع ومكانة المرأة في الحضارات القديمة و المغرب القديم، مجلة هيودوت للعلوم الانسانية و الاجتماعية، ع.5، مؤسسة هيودوت للبحث العلمي والتكوين، الجزائر، 2018، ص 44.

أو (Custer) بمعنى راعية أو مسئولة عن شؤون المنزل ما يزد تقدير المرأة من طرف المجتمع تشبثها بالأخلاق الطيبة والصفات الحميدة⁽¹⁾، والتي حددها المجتمع وهي ثلاثة: العفة (Pudicité) الحياء (Casta) والإخلاص (Fides)⁽²⁾.

واعتبرت الطاعة من صفات المرأة المحمودة حسب ما أشارت إليه النقوش خلال العهد الروماني بإفريقيا، فهذه زوجة بوستوميا المدعوة ماترونيلا (Postunia Matronilla) من فريانة (Thelepte) اجتمعت فيها أغلب الخصال الحميدة زوجة وأما صالحة تقيّة جديّة عفيفة محتشمة ونشيطة ومتيقظة حذرة وعاقلة فعالة، زوجة رجل واحد ولم تعرف رجلا غيره ماتت وعمرها 53 سنة و5 أشهر و10 أيام⁽³⁾.

وقد دأب الرومان على إحترام المرأة التي لم تتزوج إلا مرة واحدة حتى إنها إختصت بإقامة بعض الشعائر الدينية، إنما يعكس بوضوح إحترامهم لإستمرارية الزيجة ونجاحها فضلا عن الإعتراف بقيمة الوفاء التي تميز المرأة في حال بقائها على عهد الرجل الواحد⁽⁴⁾.

ونجد كذلك في مداورش انتونيا فكتوريا (Antonia Victoria) التقيّة ورعة قنوعة بسيطة حكيمة متعلقة ذات الأخلاق الجذابة ماتت وعمرها 34 سنة، ونفس الصفات حملتها اربينا فيكتوريا بعين الحجة (Agbia) (بتونس حاليا) فلقت بصاحبة الأخلاق الحميدة، ويوليا روغاتا (Lulia Ragata) التي جعلتها طاعتها تعيش 40 سنة مع زوجها أبيوس دوناتوس (G. Appius Donatus) من التوافق والتفاهم التام بعد أن تزوجته في سن 15 وماتت وعمرها 55 سنة⁽⁵⁾.

وقد نعتت الزوجة الهالكة انطونيا فيكتوريا (Antonia Victoria) في مدينة مادور بالعفيفة والمديرة، وأمدتنا أخرى بصورة مثالية عن عفة المرأة لسيدة تدعى أمادورا (Amadora) كانت نموذجا

(1) تسعديت اسماعيلي و فريدة عمروس، المرجع السابق، ص 7.

(2) المرجع نفسه، ص 7.

(3) بنت النبي مقدم، المرأة في بلاد الغرب القديم، المرجع السابق، ص 251. ينظر: (ILS, 8444).

(4) غادة محمد سيد أحمد جاد، المرجع السابق، ص 34.

(5) بنت النبي مقدم، المرأة في بلاد المغرب القديم، ص 251 - 252. ينظر: A. E., 1992, 80, 906.

يحتد به للزوجة المثالية والعفيفة وتضمنت نقيشة أخرى سيرة زوجة فاضلة ائتمنت زوجها على إدارة ثروتها وتفرغت لرعاية أبنائها وطاعة زوجها⁽¹⁾.

وقد إتصفت الكثير من النسوة بالمشابرة والجد والإخلاص في العمل المنزلي ومع أزواجهن، ونطقت شواهد القبور بالحب والإخلاص التي كتبها الأزواج بعد وفاة زوجاتهم، ففي نقش من هنشير زعاطلي بفريانة نجد نص يقول: "أن هذه المرأة كانت عاملة وقنوعة ومجدة ونشيطة" ومن قفصة نص يرثي فيه لسيوس زوجته اوبانيا لا لأنه فقد بفقدتها الزوجة الكريمة وخسر مستشارة وشريكة ناهجة في الأعمال، وعلى نفس الوتيرة يمتدح رجل من مكثر زوجته المدعوة باليا ساتورينما، لأنها: "لم تكن تقتطع شيئا من أملاكها أو أملاك زوجها بغرض الزينة، وكانت تتجاهل الحلي، فلا تترين إلا بأخلاقها الفاضلة ولا ترغب في شيء سوى غبطة منزلها"⁽²⁾.

فمكانة المرأة وقيمتها مرتبطة في المقام الأول بوضعها كأم وربة أسرة، والمرأة الفاضلة تلك التي أنجبت كثيرا، وتحترم حتى لو كانت عبدة، حيث خلد نص جنائزي طويل عبدة تدعى فنيس لأنها وضعت طفلا رغم اعتراض سيدها، ورفعت النصوص الأثرية من شأن أمثال هؤلاء النسوة "المنجبات" أو "الحاملات لأفضل عقب"، ويحدث أن يذكر عدد الأطفال الولدين منها فيمتدح نقش من بير المشاركة "شكينا كوفلتوس" التي تزوجت وأنجبت ثلاثة أبناء وبنيتين قبل الوفاة في سن الثلاثين⁽³⁾.

كما يلاحظ من النماذج الفنية والنصوص الأثرية ما تدل على المودة والألفة والتراحم بين الأزواج والأبناء، ففي النحت والألواح كثيرة الأزواج أيديهم متشابكة أو جالسين على مائدة، وبحوارها الأطفال واقفين أو يلعبون في مرج وحبور، ومن النصب المعبرة عن ذلك نص جنائزي من شمتو يذكر لنا ما آل إليه حال لبيوس بعد وفاة زوجته وابنة عمه فوستينا، فيذكر أنه هام بها حبا مدة سنة من الزواج، ورفض الزواج بأخرى بعد وفاتها وأعلن أنه لا حياة له بعدها⁽⁴⁾.

وفي مدافن ديماس سوسة، نقش رخامي به نص تأبين لمتوفية أوزيبيا (Eusebia) زوجها المدعو سوكسوس (Successus): "لقد كانت فريدة وشريفة، وحتى لها أن تعيش معي كزوجة ستة عشر سنة،

⁽¹⁾ نضار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص 74.

⁽²⁾ جمعة البشير الحراري، المرجع السابق، ص 206.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص 206.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه، ص ص 211-212.

وثمانية وعشرون يوما، لقد بارك الرب حياتها كزوجة ومثال نادر لبني جنسها، أنا مدير مكتب زوجها أطلب من الأخوة أن يتذكروها في صلاتهم، لقد عاشت اوزيا زوجة طاهرة عفيفة"⁽¹⁾.

وفي أحد المدافن بديماس صبراتة، عثر على تابوت رخامي باطنه منقوش بتأبين ومديح لمتوفية تدعى كايليستينا(Caelestina) من زوجها جاء فيها: "لزوجك العفة والوفاء وارتفعت سعادتك الدنيوية إلى السماء وبقيت على الأرض مثال لنساء، يقول مدحي أن صيتك اقترن بالحياء، وخرق قانون الموت ليظل في البقاء لك محاسن الأخلاق ولا تذهب للفناء، بكاك كل القوم كل الناس الشرفاء بمجري حياتك البراءة ذكراك لم تمت فالموت لا يزيل إلا البدن، تركت سريعا حياة لم تطل من الزمن"⁽²⁾.

ويقرأ في نقش هنشير زاتلي وصفت فيها "بستيميا(Pastumia Matronilla) من طرف زوجها ،بأجمل صورة للزوجة المثالية لقبت بـ(Loboriosa) المجتهدة ،والحاذقة ،ومثابرة(FFicaxs)، (Frugi) والجادة، (Totius Industtae Matroma)السيدة النشيطة، أما(Sabine) المرأة التي في مدينة دوقة ، كانت صادقة(Vera) ،وطيبة(Proba) ،وفاضلة(Sancta) ،وحكيمة(Prudeus)، الحضنة(Féconda) أنجبت أفضل الخلق وزودت أبنائها أفضل تربية وثقافة"⁽³⁾.

ويقرأ في نقش لنص بمدينة ماكثيرس(Mactaris) بتونس ليوليوس ماكسيموس(Julius Maximus) ،لزوجته بالياساتورنينا(Pallia Saturnina) ،وولده توفيا قبله: "هذا العمل هو إهداء إلى بالياساتورنينا من زوجها يوليوس ماكسيموس ليكون هبة خالدة لها، ولتذكر القارئ بذكرى زوجته الورعة التي يرجو أن يكون في جوارها بعد نهايته، بعد 30 سنة من حياة مشتركة عاشتها معه بإخلاص ولم تكن تريد شيئا سوى أن يعم الفرح بيتها، وكرست حياتها لزوجها بكل تواضع كأم لعائلتها، ولم تكن تاستهويها الحلي وكان جمالها في أخلاقها والحياء كان الرفيق الأوحده لروحها الطيبة"⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ المرجع نفسه، ص212.

⁽²⁾ جمعة البشير الحراري، المرجع السابق، ص212.

⁽³⁾ تسعديت اسماعيلي و فريدة عمروس، المرجع السابق، ص8.

⁽⁴⁾ جيلبار شارل بيكار، المرجع السابق، ص276-277.

وهاهو صائغ من سيرتا بريكليوس فورتوناتوس يقدر زوجته حق التقدير ويمتدح فضائلها: "أنا الصموت الآن أعبر في هذه الأبيات عن حياتي ، كنت مستمتعا بالنور الساطع الذي أضاء دنيائي كل الوقت ، أنا بريكليوس المقيم بسيرتا كنت صائغا، كنت محبوبا بإيماني وبصدقني دائما من قبل الجميع فلماذا لايتأسفون علي؟ كنت مرحا دائما مع أصدقائي الأعزاء أقاسمهم كل الفرص السعيدة ، ولكن بعد وفاة زوجتي(فاليريا) لم أتمكن من العثور على زوجة في إخلاصها وأخلاقتها لقد عشت حياة هنيئة قدر إستطاعتي مع زوجتي القديسة، أتمنى لو أحتفل بعيد ميلادها المائة لكن يومها الأخير فاجأني وروحها غادرت كياني المتجمد"⁽¹⁾.

أما نقيشة قيصرية(Caesarea) شرشال الجنائزية ،فكانت هي كذلك تصب في نفس السياق ،عن حال المرأة المتوفية تأسف الزوج بلاندوس(Blandus) لموتها ،الذي يعتبر نفسه أنه أخذ منها الأمل وحرمتها من الأولاد، كما أنها أوصته أن يتذكرها بتشريف الآلهة مانوس(Manes)⁽²⁾.

أما نقيشة قرطاجة فكانت من نوع آخر ،وأثبتت أن تلك النقائش التكريمية لم تقتصر على النساء ذوات الجاه فحسب ،بل شملت عبيدهم أيضا، فنجد العبدة تدعى سيفيرا(Severa) عاشت حياة مستقيمة، شكرت زوجها الذي لم ييخل عليها بشيء في حياتهما تقدم النصائح لكل امرأة محترمة بإمكانها أن تعيش في عفة وتكسب محبة الجميع إذا حافظت على مبادئ الوفاء طيلة حياتها.

وحتى المعتوقين قدموا الإهداءات لعطف أسيادهم ،فنجد المدعوة نانا(Nana) من واليلي(Volubilis) ،قدمت لسيدتها العطوفة ايليا موريليا(Aelia Maurellia) ،التي عاشت 70 سنة إهداء تشكرها فيه ،وتذكر صفاتها 'بل تعدى ذلك أن المرأة تتكلم بلسان حالها عن تفانيها وإخلاصها في خدمة أسرتها وسلوكها الرفيع الواجب إتباعه لبلوغ العالم الآخر-الاعتقاد بحياة ما بعد الموت- مثل المرأة النوميدي بلانكينا(Plancina)،التي كانت مقيمة في سيكافنيريا(Siccaveneria) الكاف بتونس، إذ تتكلم عن نفسها بأنها كانت من سلالة ملكية وأنها كانت أم وزوجة رائعة وجيدة⁽³⁾.

⁽¹⁾المرجع نفسه ، ص278.

⁽²⁾محمد بن عبد المؤمن، المرجع السابق، ص564.

⁽³⁾المرجع نفسه، ص564.

وقد إعتبرت مسألة التذلل والخضوع التي تفقد فيها الزوجة كبريائها ربما لا تنفصل عن معيار الطاعة للزوج حيث أن ما يجلب الزوج هو عفة زوجته وليس ما أوتيت من جمال وزينة، فالطهارة هي شرف الجسد وزينة الأخلاق ورباط الحشمة⁽¹⁾.

ويتضح من خلال أغلب النقائش مهداة من الأزواج لزوجاتهم عددوا مناقبهن وحسن عشرتهن وشهدوا لهن بالعفة والفضيلة⁽²⁾، ويعطينا القديس أوغسطين نموذج حقيقي للأم فاختار والدته مونيكا التي لم تكن سيدة البيت فحسب، والتي تعمل على القيام بكل ما بوسعها لأجل أبنائها وتنظيم البيت وإبقائه قدر الإمكان هادئاً بالتزام الصمت والطاعة لزوجها، بل يبدو أنها كانت قلقة أيضاً على إيمانهم واعتناقهم التعاليم الصحيحة للدين⁽³⁾.

رغم أن العيش في بيت سيده وثني ليس بالأمر السهل، لكن مهما كانت تعاني منه لم تترك يوماً أولادها وتتخل عنهم أو تشتكي من زوجها، وتعمل على راحة أبنائها مهما عانت أو واجهت من صعاب من الطرف الآخر، وكانت ممن يعبر عن حبه لأبنائه فهو يشهد أنها كانت تناديه بإبنها الحبيب⁽⁴⁾.

ولعل هذا ما يؤكد أن ميزة تفوق المرأة في فترة المسيحية هو أخلاقها وعدت العفة رأس مال رمزياً تتمتع به، ولذلك صارت العفة قيمة أنثوية لا ترد في نص من النصوص الكلاسيكية إلا ويراد بها الزوجة، وقد وصفن بالسيدات الفاضلات العفيفات، فهن إلى جانب عفتهم يتميزن بحسن تديرهن وتركهن للتبرج والتزين بكل أنواع الحلي بل واعتبر تغطية الزوجة لرأسها بخمار مثلاً حياً لعفتها⁽⁵⁾.

كما عدت عفة ووفاء الزوجة ضرورة في المجتمع لضمان صحة النسب، لذا كانت العفة ضماناً لبقاء الجنس كذلك، وعفة الفتاة نابعة طبعاً من عفة والدتها⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ نضار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص74.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص74.

⁽³⁾ بنت النبي مقدم و عائشة سعدان، المرجع السابق، ص36.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه، ص36.

⁽⁵⁾ نضار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص74.

⁽⁶⁾ المرجع نفسه، ص125.

وفي نفس الوقت يشير القديس أوغسطين إلى جدته التي لم تثن عليها ابنتها مونيكا في تربيتها والتي يبدو أنها تركت تربية بناتها للخادمة، وهي ذاتها من ربت والدته مونيكا ويبدو أن أمها كانت ممن يترك العبء للخادمة دون الاكتراث بتتبع خطوات بناتها، ولو كانت كذلك لما تعلمت ابنتها مونيكا شرب الخمر، وتعودت الشرب بشراهة القدح تلوى الأخرى حين اغتراف الخمر من البرميل كلما أمرها والدها بصبه، لأنه يعتبرها الأكثر رصانة بين أخواتها، ولو كانت والدتها تراقبها لما وقعت في هذا بخاصة وأن المريية كانت عجوزا قد يعزى غيابها وعدم تتبعها في كل صغيرة وكبيرة لشيخوختها⁽¹⁾.

لكن لا ننكر دورها في تعلمها الآداب وحسن التعامل والتربية لتكون وأخواتها جاهزات لبيت الزوجية ويحسن التصرف، وقد عرف عن هاته العجوز بالصرامة والعقلانية لولا كبر سنها⁽²⁾، مع ذلك لا يبدو أن جل الأسر كانت تعيش في الصورة المثالية من الوفاء بين الزوجين التي صورتها النصوص الأدبية و النقائش الأثرية، فقد شكلت العلاقات الجنسية خارج مؤسسة الزواج موضوعا جذبا لبعض الكلاسيكيين⁽³⁾.

II-6-3) المرأة والتفكك الأسري:

رغم كل الإشادات التي حصلت عليها المرأة من جراء تفانيها وأخلاقها ورزنتها، إلا أن هنالك فئة معينة قلبت كل الموازين فأصبح ينظر للمرأة نظرة الخائنة للزوجها وأسرقتها.

كان الزواج بمفهومه العام عبارة عن رباط مقدس بين كلا الزوجين يجمع بينهما مدى الحياة، وهو الرغبة السلمية السليمة الصادقة بينهما عن طريق التعاون فيما بينهما، وإنجاب أطفالا يكونون سندا لهما، غير أن هذا المفهوم تغير حسب التطورات التي طرأت على المجتمع ليصبح الزواج مجرد عقد تقليدي يسهل التحلل منه، الأمر الذي أدى إلى شيوع ما يعرف بالزيجات الصورية⁽⁴⁾.

فمنذ القرن الثاني ق.م بدأت بوادر التفكك الأسري تنمو بشكل ملحوظ، وذلك نتيجة للترف والانحلال الأخلاقي للمرأة بعد تحررها من سيطرة زوجها وأهلها⁽⁵⁾.

(1) بنت النبي مقدم، عائشة سعدان، المرجع السابق، ص38.

(2) بنت النبي مقدم، عائشة سعدان، المرجع السابق، ص42.

(3) نضار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص75 - 76.

(4) لمياء علي محمد، المرجع السابق، ص54.

(5) محمد احمد أنديشة و حميدة عويدات القماطي، المرجع السابق، ص187.

فبحصولها على ميراثها من أبيها، مما خولها التصرف بأموالها وأراضيها على حساب كرامتها وإشباعاً لرغباتها، فانتشرت ظاهرة العلاقات غير شرعية، وكان نتيجة ذلك انتشار الطلاق بنسبة كبيرة وغير معهودة آنذاك⁽¹⁾، وبذلك تحررت من القيود والأغلال التي كانت تربطها بالبيت وأسرتها وصارت أكثر حرصاً على المشاركة في الحياة العامة⁽²⁾، فالبيئة المتحررة التي صنعتها النساء بميراثهن كان لها أثر مباشر عليهن فاتخذن الخلان والعشاق بأعداد لا تحصى⁽³⁾.

وأضحى شغل المرأة الشاغل منصبا على العناية بمظهرها وجمالها وإهدار أموالها على ذلك لشراء الملابس والحلي الثمينة والتنافس على ذلك، مما جعل الإمبراطور تيريوس يتحدث شاكية من هذا الترف: "كم نحن مولعون بالملابس وأدوات الزينة لنسائنا ولدينا رغبة جامحة في اقتناء الحلي والأحجار الكريمة من الشرق، وكل هذا يستنزف ثروة الإمبراطورية-ومقاطعاتها- من أجل الحلي، فإن أموال الإمبراطورية نرسلها للأمم الأجنبية حتى العدو منها⁽⁴⁾."

والقديس ترتليانوس يرى أن بعض النساء بلغ بهن حب البهجة والسطحية لدرجة أنهن بددن بسهولة ثروات أزواجهن، رغم أنها ليس ملكا لهن، وقد وصل الحال بهن إلى سرقة أموال أزواجهن والتصرف بها، وكأنها ثروة وملك لهن والتهمنها بسهولة دون مراعاة⁽⁵⁾، وقد أهملن ربات البيوت إدارة شؤون منازلهن والعناية بأزواجهن وأولادهن فكسرن بذلك الروابط الزوجية المقدسة ولم يبالين⁽⁶⁾.

بل وصل بهن الحال إلى الامتناع عن الإنجاب واستعمال وسائل وأدوية منع الحمل، فكثر عمليات الإجهاض وقتل الأطفال-غير شرعيين- بالرغم من تحريمها قانونياً، لكن ذلك لم يمنع الكثير من النساء من فعل ذلك⁽⁷⁾. كما شاعت ظاهرة أخرى هي ظاهرة التخلي عن الأطفال الرضع

(1) حسين الشيخ، تاريخ وحضارة اليونان والرومان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1987، ص 318.

(2) ماجدة النويمعي، المرأة والموسيقى في روما القديمة، Papyri-Délit، ع. 2، جامعة الاسكندرية، مصر، 2013، ص 3-4.

(3) محمد أحمد انديشة، حميدة عويدات القماطي، المرجع السابق، ص 188.

(4) المرجع نفسه، ص 188-189.

(5) بنت النبي مقدم، المرأة في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص 250.

(6) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان من أقدم العصور حتى عام 133 ق.م، ج. 1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1978، ص 431.

(7) محمد أحمد أنديشة وحميدة عويدات القماطي، ص 188.

مباشرة بعد الولادة خوفا من التعرض لفضيحة الزنا، أو لعدم القدرة على إعالتهم، حيث يترك في زاوية ما في الشارع، فيكون مصيره إما الموت من شدة البرد والجوع، وإما الوقوع في يد تجار العبيد، وفي أفضل الأحوال تقوم إحدى الأسر اللاتي لم تنجب أطفالا من تربيته⁽¹⁾.

والحرية التي حصلت عليها المرأة كان لها دور في عزوفها عن الزواج، حيث أصبحت تعيش وسط مجتمع متحرر كان له الأثر المباشر على أخلاقها وتصرفاتها حيث اتخذت عشاقا لها⁽²⁾. في حين قصرت المتزوجة منهن في حق زوجها، ما ترتب عليه انتشار ظاهرة الخيانة الزوجية بين معظم النساء⁽³⁾، وفي هذا الصدد يقول الشاعر أوفيد (Ovid) (43ق.م-18م) في كتابه فن الهوى: "ليس ثمة نساء طاهرات إلا اللاتي لم يطلبهن أحد، وإن الرجل الذي يغضب من صلات زوجته الغرامية رجل جلف"⁽⁴⁾، وهذا ما جعل من الرجل يتخذ العديد من الإماء والخليلات كرفيقات في الفراش⁽⁵⁾.

ويضيف أوفيد في كتابه قيتارة الحب: "إن روما لا تشكو من قلة النساء الفاتنات، فلا بد أن تجد هناك مفهوما في العالم أجمع إنهن وافرات، الجميلات اللواتي تزخر بهن روما ككثيرات كالنجوم"⁽⁶⁾.

وهنا يبين أنه ليس في حاجة زوجته تلك فمن السهل أن يلقي أحسن منها ترضيه، فيؤكد على كلامه على أن بعض النساء في روما-ومقاطعاتها- فاتنات وجماليات ومن السهل الحصول عليهن ببساطة، لذلك لا يرهق الرجل نفسه في البحث عن النساء، لأنه أينما ينظر سوف تقع عينه على الجميلات منهن⁽⁷⁾، حيث كان للرجل من العائلات الغنية العديد من العاهرات (Meretrix)، وهن جزء من الموظفين المستعبدين في المنزل والتي يمكن المتاجرة بهن، وقد وجدت قلادة في مدينة بلاريجيا (Bullaregia)، مكتوب عليها أديلتيرا العاهرة (Adultéra Meretrix)⁽⁸⁾.

⁽¹⁾ فارس دعاس، مكانة الأطفال، المرجع السابق، ص 183.

⁽²⁾ عائشة عيسى أبو حجر، المرجع السابق، ص 45.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص 45.

⁽⁴⁾ أوفيد، فن الهوى، تر: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992 ص 89-90.

⁽⁵⁾ عائشة عيسى أبو حجر، المرجع السابق، ص 45.

⁽⁶⁾ أوفيد، قيتارة الحب، تر: علي كنعان، إصدارات الجمع الثقافي، أبو ظبي، 2003، ص 210.

⁽⁷⁾ عائشة عيسى أبو حجر، المرجع السابق، ص 45.

⁽⁸⁾ فارس دعاس، مكانة الأطفال، المرجع السابق، ص 165.

في المقابل شهد أبوليوس أن زوجة سيده تخونه: "وقد زاد في إظطهادها حب اطلاعي الفطري على سيرتها، فأدركت أن شابا يتردد على غرفتها، وكنت أرغب في رؤية وجهه رغبة قصوى...وما كنت لولاها لأعدم حيلة لفضح فجور تلك اللئيمة بطريقة أو بأخرى..."⁽¹⁾، والظاهر أنه بعد أن مست الخيانة كلا الزوجين كثر الطلب على الطلاق⁽²⁾.

بل وأدى ذلك إلى إمتناع وعزوف الرجل عن الزواج فقد تغيرت نظرتة للنساء فهو يراهن عديمت الأخلاق، والعفة، والحياء، ومارسن حرياتهن الممنوحة بشكل سيء للغاية⁽³⁾.

حيث فضل كثير من الرجال العزوف عن الزواج بحجة أن حياء المرأة، قد ذهب وأسرفت في حريتها، واكتفى كثير منهم باتخاذ الإماء رفيقاتهم في الفراش وأصبح الأطفال من الكماليات التي لا يطبقها إلا الفقراء⁽⁴⁾.

ففي هذا العصر بالذات إستخفت المرأة بالزواج ووجدت في الصلات الجنسية غير الشرعية الحب والعاطفة اللذين حرمت منهما في الزواج، سواء لمصالح سياسية أو اقتصادية، بل حتى النساء الصالحات حذون حذوهن فالحرية الجديدة أخذت تحطم ما كان للأب من سيطرة تامة على أسرته⁽⁵⁾، ولذلك امتنع الرجل عن الزواج فانحصرت في تغير نظرتهم للنساء فهم يرون أنهن أقل حياء، وأنهن أفرطن في ممارسة الحرية الممنوحة لهن وأصبحن لا يحترمن أزواجهن⁽⁶⁾.

وها هو أبوليوس يصف لنا ذلك من خلال ما عايشه من إغراءات من فوتيس الخادمة فيقول: "لو لفحك لسان من ناري لاتقد حتى الصميم ولن يستطيع إخماد أحد سواي، أنا التي أجد الطبخ وأعرف كيف أهز أعذب الهز القدر والتخت"⁽⁷⁾.

⁽¹⁾ لوكيوس أبوليوس، الحمار الذهبي (التحولات)، تر: عمار الجلاصي، (د.ن)، (د.ب)، 2000، ص 221.

⁽²⁾ بلوتارخ، تاريخ أباطرة وفلاسفة الإغريق، تر: جرجيس فتح الله، مج 2، الدار الدولية للموسوعات، بيروت، 2010، ص 1175-1176.

⁽³⁾ محمد أحمد أنديشة و حميدة عوييدات القماطي، المرجع السابق، ص 189.

⁽⁴⁾ علي مؤمن إدريس مؤمن، الحياة الاجتماعية الرومانية، المرجع السابق، ص 52.

⁽⁵⁾ المرجع نفسه، المرجع السابق، ص 52.

⁽⁶⁾ لمياء علي محمد، المرجع السابق، ص 55.

⁽⁷⁾ لوكيوس أبوليوس، المصدر السابق، ص 37، 38.

لكن هنالك من يرى ويظهر له أن المصادر الأدبية تحطم أحيانا الصورة الجميلة للمرأة الفاضلة صاحبة الأخلاق العالية، فها هو ترتليانوس يتحدث عن النساء اللواتي يتصفن بالتبرج والطيش والتبذير والفسق وإعتبر المرأة بوابة الشيطان، ولم يعد ما يميز السيدة عن العاهرة إلا اللباس فسيادات المجتمع كن يلبسن الستولا (Satola) التي تميزهن عن بقية النساء إلا أن تبرجهن وكثرة حيلهن وحيلهن تشبه الساقطات⁽¹⁾.

فأبوليوس يصف ذلك بقوله: "بل إن الكثيرات لإثبات جاذبيتهن الطبيعية، يخلعن كل رداء ويتجردن من كل غلالة، ويجبن أن يتقدم حسنهن عاريا، ليفتن بنضرة بشرتهن المتوردة أكثر مما يبرهن في ملابسهن"⁽²⁾. ويضيف قائلا في وصفه لابنة روفينوس (أحد خصومه) على جرأتها والمبالغة في التبرج "وكم كانت تتجاوز كل الحدود في تبرجها أمام الحاضرين، من لم يتعرف على تعليم الأم وهو يرى في البنت الفم المخضب بالأصباغ، والخدين المطرين بالمساحيق والعينين المفعمتين بالإغراء." ⁽³⁾.

ناهيك عن الطيش والتبذير والوقاحة والإنفاق والموجون والفسق وحتى الكسل والثرثرة والإدمان على الخمر⁽⁴⁾، لذلك وصفت من قبل عدد من الشعراء كالشاعر هيزيود أنها شر جميل، والشاعر المسرحي يوريبيديس (Euripide) (480-406 ق.م) بالشر المستطير وهي رجس من عمل الشيطان⁽⁵⁾، كون أصبحت المرأة كل همها زينتها وأناقته ولا تبادل زوجها الاحترام والاهتمام، ولها مطلق الحرية في الذهاب إلى الأماكن العامة والمنزهات⁽⁶⁾.

وغالبا ما تظهر مع زوجها في استقبال الضيوف وفي الاحتفالات العامة والمآدب⁽⁷⁾ ومن المرجح المرجح أن خروج النساء لم يقتصر على الذهاب إلى الحفلات والمآدب، بل ذهبن إلى أبعد من ذلك

⁽¹⁾ بنت النبي مقدم، المرأة في بلاد المغرب، المرجع السابق، ص 249-250.

⁽²⁾ لوكيوس أبوليوس، المصدر السابق، ص 38.

⁽³⁾ لوكيوس أبوليوس، المرافعة أو دفاع صبراته، تر: عمار الجلاصي، (د.ن)، (د.ب)، 2001، ص 92.

⁽⁴⁾ بنت النبي مقدم، عائشة سعدان، المرجع السابق، ص 32.

⁽⁵⁾ نضار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص 85.

⁽⁶⁾ علي مؤمن إدريس مؤمن، الحياة الاجتماعية الرومانية، المرجع السابق، ص 53.

⁽⁷⁾ المرجع نفسه، المرجع السابق، ص 43.

مثل الخروج إلى الحمامات العامة، فلم يكن هناك قانون يمنع النساء من التردد على الحمامات التي يتردد عليها الرجال⁽¹⁾.

حيث كانت الحمامات مواضع لإرضاء شهوات النساء والرجال حيث كانت توجد فيها غرف خاصة لممارسة البغاء⁽²⁾ وبالرغم من محاولات القياصرة منع الحمامات المختلطة، إلا أن ذلك لم يؤثر على انتشارها لكونها تجارة رابحة وقد كانت النساء تدفع أكثر من الرجال من أجل الدخول إلى هذه الفضاءات⁽³⁾، كما أنها تحب الذهاب للتنزه في الحدائق والساحات وهذا يحدث كثيرا في الأسرة المترفة فالمرأة في هذه الأسرة لم يكن لديها مشاغل كثيرة- لها عبيد للخدمة- الأمر الذي يتيح لها الذهاب للتنزه⁽⁴⁾.

بعدما آلت إليه الأوضاع في روما ومقاطعاتها من فساد أخلاقي خاصة عند فئة الإناث، فكان لزاما على الحكومة تدارك ذلك بهدف الإصلاح والتقويم، وكان من أشهر الإصلاحات الاجتماعية والأخلاقية التي سنّها الإمبراطور أوغسطس، وهذا الأمر طبيعي فالمجتمع آنذاك كان في حاجة ماسة إلى تلك الإصلاحات، بعد أن اضمحلت الأخلاق والقيم العليا إبان الحروب الأهلية وتخلي الناس عن الأعراف والتقاليد فأدى ذلك إلى تفكك الأسرة، وخاصة التي فقدت عائلها جراء الحروب فقل عدد الرجال وتزايد عدد النساء، مما أدى إلى شيوع الفساد والانحراف الأخلاقي⁽⁵⁾.

وكان من أهم القوانين التي أصدرت هو القانون اليولياني الخاص بالعفة ومنع الزنا عام 18 ق.م الخاص بتنظيم الزواج تحت سلطة الدولة والإيجاز بقتل الزاني من كلا الجنسين⁽⁶⁾.

بالرغم من المكانة التي احتلتها خلال العهد الروماني وتحررها من قيود الأسرة والمجتمع إلا أن ذلك التحرر لم يكن في صالحها، تم استغلاله بشكل سلبي، واثّر ذلك على أخلاقها .

⁽¹⁾ المرجع نفسه، ص 43-44.

⁽²⁾ زهية بن عبد الله، الجسد والعناية الصحية به في رحاب حضارات الماء قراءة انثروبولوجية لعادات الاغتسال في التراث المتوسطي، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع.18، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، مارس 2015، ص 92.

⁽³⁾ زهية بن عبد الله، الجسد والعناية الصحية، المرجع السابق، ص 92.

⁽⁴⁾ علي مؤمن إدريس مؤمن، الحياة الاجتماعية الرومانية، المرجع السابق، ص 44.

⁽⁵⁾ محمد أحمد أنديشة، حميدة عويدات القماطي، المرجع السابق، ص 191.

⁽⁶⁾ بولخراس حمادوش، إصلاحات أغسطس في الدولة الرومانية وانعكاساتها على المغرب القديم، (أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ القديم)، جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر 2، الجزائر، 2019/2020، ص 137.

يمكن القول أن المرأة إستطاعت أن تحقق ذاتها داخل الأسرة والمجتمع ببلاد المغرب القديم رغم كل القيود والأعراف التي تمنعها من ممارستها لحريتها لكن ذلك لم يستمر، فخلال التواجد الروماني بالمنطقة برزت قوة المرأة الحقيقية، وتمكنت أن تحجز مكانا فعليا بموجبه تمارس كل حريتها وصلاحياتها حتى أنها نافست الرجل في أغلب حقوقه، كما أنها تخلصت من قيود المهام والرعاية الأسرية التي كانت مفروضة عليها بالقوة، لكن سرعان ما أفسدت الحرية المطلقة أخلاقها وطباعها وصفاتها فأصبح غير مرغوب فيها كزوجة صالحة .

III) الفصل الثالث: الحياة السياسية والعسكرية للمرأة في بلاد المغرب القديم

- III-1) الإرهاصات الأولى لتولي المرأة السلطة فيما قبل التاريخ
- III-2) المكانة السياسية والدبلوماسية للمرأة في بلاد المغرب القديم.
- III-3) مكانة المرأة العسكرية (المرأة والجيش).
- III-4) المصاهرة السياسية.

إستطاعت المرأة عبر التاريخ أن تحجز مكانا يليق بها ، بالأخص إذا كانت صاحبة نفوذ وسلطة أي من الطبقة الحاكمة النبيلة فهذه المكانة خولت لها امتيازات ومزايا وصلاحيات مكنتها من الحصول على التقدير والإحترام الذي أوصلها لكرسي العرش ، ومن هذا الباب استطاعت أن تحجز لنفسها مقعدا في عدة مجالات خاصة السياسية والعسكرية منها ، لكن تلك المكانة و السلطة لم تخول لها الحماية فعلى قدر الامتيازات والمزايا الممنوحة لها.

III-1) الإرهاصات الأولى لتولي المرأة السلطة فيما قبل التاريخ:

قبل الخوض في سرد أحداث تولي المرأة للسلطة و العرش في بلاد المغرب القديم ،لابد من الإشارة إلى مكانتها وسلطتها خلال العصور الحجرية.

تناول بعض المؤرخين والباحثين أسماء لملكات حظين بالتقديس في ثنايا مؤلفاتهم ،وصاغوا لكل ربة صورة تلاءم مقامها، ولكل دور تقلدته أسبابا فكرية وأخلاقية تستند إليها، وتبعا لذلك تقلدن السلطة والتشريف والعبادة في الوقت نفسه، وهي مرحلة كانت الصلة وثيقة بين نظام الحكم والوالدين⁽¹⁾.

وكانت اليونان(الإغريق) من أوائل من تبنت هذه العقيدة لفترة طويلة دون أن يخبو ضوءها، فارتقت الربة أرتميس إلى مقام الحاكمة صنع عرشها من الذهب الخالص، كما لقبت الربة جونو بالمملكة أو ملكة السماء، وأسند إلى الربة فينوس حكم الكون وحرمة باقي الآلهة من ذلك واختصت بها وحدها لسبب أنها تستمد قوانينها في السماء.

وبعض الشعراء أمثال فرجيل ويروي لنا قصصا عن وصول الآلهات للحكم، خصوصا أن بعضهن طمحت إلى السلطة بقوة السلاح التي تمتلكه، وقد أصبغ الرواة فيما بعد أمجادا عظيمة عن الملكة الربة هذه، فتقلدت الربة كايليستيس النوميديّة السلطة حيث توجت ملكة للسماء والنجوم والأرض والبشر، وسيطرت على العالم الآخر أي عالم الأموات⁽²⁾.

⁽¹⁾ نضار الأندلسي، شخصيات نسائية في تاريخ شمال إفريقيا القديم، مطبعة الخليج العربي، ط.1، تطوان، المغرب، 2013، ص103.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص ص103-104.

وبطبيعة الحال لم تكن فكرة ألوهية المرأة وتحكمها في نواميس الطبيعة بكل مواردها الحيوية كالشمس والنجوم أمرا بغیضا ومكروها ، بل على العكس من ذلك إنهم نسبوا إليها اكتشاف عديد من النباتات والثمار، فارتبطت بمظاهر الخصب والطبيعة بما في ذلك تكاثر الحيوان بالخصوبة التي تستمد من الآلهة الأم، هكذا كان حال الحكم في ليبيا قديما في هذه المرحلة الغامضة من تولي النساء السلطة.

ونجد إنعكاس هذا الطرح في صنع التماثيل، والتي تكمن أهميتها في أنها أقدم دليل أثري سجل السلطة النسوية، أي أنهن أولى الآلهات الحاكمات الحقيقيات، ونستطيع بذلك أن نطمئن إلى أنهن موجودات بالفعل، ونرصد هنا تمثال لربة جالسة على العرش وبجانبتها الإله هرميس أطلق عليها السيدة الكبرى، وصارت مقدسة من طرف ساسة قرطاجة⁽¹⁾.

وخير مثال على ذلك الآلهة تانيت القرطاجية التي تتربع عرشا يحيط به السفينكسات (Les Phénix) وهي كائنات أسطورية لها أجسام أسود ورؤوس نساء ترمز إلى القوة والسلطة، وتحمل الآلهة فوق رأسها تاجا وتمسك بيدها صولجان (Caducée) في تماثيل أخرى، وكان النحات هنا متعمد أن يبرز القوة المتصلة بالسلطة⁽²⁾ (الملحق رقم 20 ص 339).

و تفسيراً لسلطة المرأة يقدم الباحثون أدلة وهو أن رجل العصور القديمة كان يقضي معظم وقته في رحلات القنص، ويترك المرأة وحدها مسئولة عن كمية المحصول ونوعية الثمار، وأن تكون المرأة هي مكتشفة الزراعة في الحضارات الشرقية القديمة، وفسر ذلك بأنه عندما يذهب الرجل للقنص، تتفرغ هي لشؤون البيت مما دفعها إلى التفكير في طريقة أخرى للعيش، ثم ربط فكر الإنسان بين خصوبة الأرض وجسد المرأة، فصورتها التماثيل امرأة بدينة منتفخة الأثداء وذات بطن بارز، وقد نحت النحات تفاصيل الأعضاء الجنسية بوضوح⁽³⁾.

ولهذا السبب ظلت شعوب عديدة طوال تلك الحقبة زمنية توحد بين الأرض المزروعة ورحم المرأة والعمل الزراعي، وصار للمرأة نصيب الأسد في السلطة، وبذلك ارتبطت مظاهر الخصب والتكاثر والطبيعة بما في ذلك تكاثر النبات والحيوان إلى قوة الخصب المتمثلة برحم الأم، هكذا بدت

⁽¹⁾ نضار الأندلسي، شخصيات نسائية في ، المرجع السابق، ص 104.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 104 - 105.

⁽³⁾ المرجع نفسه ، ص 102.

علاقة المرأة بالسلطة واضحة في أرجاء الحضارات الأولى، وهي تقوم على عمق الارتباط بالأنثى وانبثاق الحياة منها وتعهدها برعايتها وتنميتها⁽¹⁾.

نجد في الرسومات والنقوش الصخرية أكثر من دليل على هذه الحقيقة، خاصة أنها تعد شهادات ثقافية فريدة من نوعها، بعضها يعود إلى 12000 سنة، فقد عبر الإنسان عن مشاهد لنساء يبدو أنهن تقلدن الحكم من خلال هيئتهن، وحملهن للعصا والذي وجد فيهما بعض الباحثين رمزا للسلطة⁽²⁾ (الملحق رقم 21 ص 339).

ويعد يعد الريش رمزا من رموز السلطة، فتظهر المرأة بعصابة توضع على الرأس يظهر ذلك بوضوح في لوحة صخرية بموقع أوان بندر (Ouan Bander) بصحراء الجزائر، كما تظهر نساء يزين شعورهن بعصابة مكللة بالريش، حيث لا تظهر اللوحات الجدارية المصرية الريش إلا لدى الزعماء من الرجال، وقد أدى هذا ببعض الباحثين اعتباره رمزا للسلطة والحظوة لديهم⁽³⁾.

و الجدارية مصرية المكتشفة والتي تعود إلى عهد الأسرة الرابعة تمثل امرأة ليبية ببشرة بيضاء وشعر أشقر توجه شعب التحنو كملكة، ثم ورث الحكم من بعدها الملك أوناس (Ounas) ودامت مدة حكمه 30 سنة من عام 2345 ق.م إلى 2375 ق.م⁽⁴⁾، حقيقة لا ندري لماذا خلد المصريون صورة الملكة الليبية على جدران أحد معابدهم، علما أن أغلب رسوم الليبيين على الجداريات المصرية تخلد المعارك، فلربما أن هذه الملكة لها دور في إحدى المعارك ضد المصريين⁽⁵⁾.

أما فيما يخص النسب إلى الأم الذي يثبت سلطتها داخل الأسرة والمجتمع، فلا توجد في النصوص الأدبية الكلاسيكية التي خصت التاريخ الاجتماعي لبلاد المغرب القديم إشارات لذلك،

(1) نزار الأندلسي، شخصيات نسائية في، المرجع السابق، ص 102 - 103.

(2) المرجع نفسه، ص 127 - 128.

(3) المرجع نفسه، ص 127 - 128.

(4) المرجع نفسه، ص 128.

(5) المرجع نفسه، ص 129.

لكن هذا لا ينفي وجودها⁽¹⁾، فبعض الباحثين يتعرض بحديثه عن الأثيوبيين الذين يشيدون بأخوالهم عن طريق التكريمات، ويورثون الحكم لأبناء أخواتهم وليس لأبنائهم⁽²⁾.

وبعض علماء الأنثروبولوجيا أقر بوجود النسب الأمومي في المجتمعات البدائية القديمة وعلى أنه سابق لنظام الأبوي⁽³⁾.

ونجد بعض المجتمعات مثل المجتمع الجرمانى رغم ما قيل عنه لممارسة الإباحة بلا قيود من طرف المؤرخين الكلاسيك على رأسهم هيرودوت، لكن المقابر الملكية الموجودة بفزان و ما تحتويه من حلي ومجوهرات الخاصة بالنساء توحى بالمكانة المرموقة التي حظيت بها المرأة في ذلك المجتمع⁽⁴⁾.

وقد ربط بعض الباحثين والعلماء ما يوجد في المجتمع الجرامنتى بالمجتمع الطوارقي ومجتمعات الفن الصخري، وفرضية وجود نظام النسب للأم، كون المجتمع الجرامنتى قريب جدا للمجتمع الطوارقي الحفيد والمجتمعات الرعوية التي عاشت في الطاسيلي فيما قبل التاريخ⁽⁵⁾.

وخير دليل وأفضله على وجود النسب الأمومي عند الطوارق فيما تناوله أسطورة ملكة الهقار تين هنان، التي أنجبت ابنة أطلقت عليها اسم كيلة وهي التي انحدرت منها قبيلة كيل ريلة، في حين أنجبت تاكامات ابنة كيلة بنتان تنحدر منهما القبيلتان التابعتان لكيل ريلة وهما داق والى وأيت لوابين⁽⁶⁾.

ونجد أنه هناك رواية شفوية متناقلة ومتوارثة عند سكان المنطقة حين يلاحظ قوة الذكاء والفتنة على طفل ما أو العكس فيقال: "شفوا شكون خالوا"⁽⁷⁾ بمعنى أن أفعاله تنسب إلى أخواله⁽⁸⁾.

⁽¹⁾ فارس دعاس، مكانة الأطفال، المرجع السابق، ص 130.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 30.

⁽³⁾ فارس دعاس، مكانة الأطفال، المرجع السابق، ص 131.

⁽⁴⁾ محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص 155 - 156.

⁽⁵⁾ Gsell(S), H. A. A. N, Tome5, op.cit, p38.

⁽⁶⁾ فارس دعاس، مكانة الأطفال، المرجع السابق، ص 132.

⁽⁷⁾ المرجع نفسه، ص 132.

⁽⁸⁾ المرجع نفسه، ص 132.

من خلال ما سبق يتبين أن المرأة تقلدت مهام عسكرية سلطوية داخل الأسرة والعشيرة ، وهذا ما دلت عليه مختلف النقائش والرسومات الصخرية

III-2) المكانة السياسية والدبلوماسية للمرأة في بلاد المغرب القديم:

حظيت المرأة خلال العصور التاريخية بمكانة سياسية وعسكرية بارزة ، وذلك منذ بداية تأسيس قرطاجة ، و البداية مع الملكة علسة ثم صوفونيزب وصولا إلى الملكة تين هينان.

III-2-1) الدور السياسي للمرأة القرطاجية:

لقد سيطرت على المشهد السياسي خلال الفترة القديمة من تاريخ المنطقة نساء ينتمين إلى مجمع الآلهة أو إلى العائلات الملكية العريقة أمثال علسة وصوفونيزب، وظلت علاقتهن بنظام الحكم من أكثر الأمور غموضا، في مرحلة كانت شمال إفريقيا تعاني من اضطرابات نتيجة الأوضاع السياسية والحروب⁽¹⁾.

لكن مع كل ما قدمه الفن الصخري من أدله لكن لا يزال الغموض يلف بداية تقلد المرأة للسلطة الفعلية، رغم المعطيات التي سردتها الأساطير وتعد تأسيس قرطاجة الانطلاقة الحقيقية لنظام حكم ملكي تتربع قمة هرمه امرأة، ولحسن الحظ أن خيط التاريخ منذ هذه الانطلاقة الجديدة لا ينقطع ولا يعترضه فجوات⁽²⁾، لذلك كشف عن ملكات استطاعت أن يشكلن نظام ملكي سهرن فيه على تسيير شؤون البلاد الداخلية-والخارجية-، يتم من خلاله سن القانون وإسناد المناصب السياسية والعسكرية، وإقرار السلم والأمن للمملكة⁽³⁾.

وقد تطرق الكتاب الكلاسيكيون إلى دوافع وأسباب تأسيس قرطاجة ونوعية نظامها السياسي، وتنافسوا في وصف عرش مؤسسها وعظمة قصرها ، التي تسن منه القوانين وتطبق العدالة بين رعيها وتوزع الأعمال وتخطط لمستقبل شعبها، وبذلك أرست هذه المرأة في نظرهم قواعد أول نظام ملكي في شمال إفريقيا القديم⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ نضار الأندلسي، شخصيات نسائية في تاريخ، المرجع السابق، ص101.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص109.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص108.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه، ص109.

1) الملكة القرطاجية عليسة ونظام الحكم:

إمتزجت رواية تأسيس قرطاج في سواحل شمال إفريقيا القديمة بين ما هو أسطوري وما يقال عنه فرضيات تاريخية، وقد تمحور النقاش حول تلك المرأة التي يعتبرها المؤرخين المؤسسة الفعلية لهاته المدن الجديدة، حيث ينسب لهاته الأميرة الفينيقية بنائها في ظل ظروف أقل ما يقال عنها متأزمة حسب ما جاء في الأسطورة التي تروي ظروف التأسيس التي جاءت بالصدفة بعد فرارها وأعوانها من البيت الملكي، فحطت رحالها في أبعد نقطة وصلت إليها، ورغم ذلك استطاعت بحنكتها وجمالها أن تحصل على قطعة أرض تكفيها وأعوانها عن طريق المقايضة مع من يتواجدون بها. حيث أنشأ عليها مستوطنة وسهرت على تطويرها فجعلها مطمع حتى لمن فاوضته عليها، ونظرا لخبرتها السياسية استطاعت أن تنهض بها ورفضت تسليمها إلا على جثتها.

أ) عليسة وتأسيس قرطاج:

قبل التطرق إلى نشأة قرطاج والروايات التي حبكت حولها لابد من الإشارة والتعريف بمؤسستها أو بالأحرى ملكتها، التي أثارت جدل كبير بين المؤرخين والباحثين حول طريقتها في بناء قرطاج رغم الظروف القاهرة آنذاك، وفي ظل غياب النصوص البونية ونقصها توجب علينا اللجوء إلى النصوص الإغريقية واللاتينية في محاولة استنطاقها، خاصة وأن الحياة السياسية لقرطاج في حروبها ضد الإغريق والرومان أخذت الحيز الأكبر في التدوين التاريخي، وقد لوحظ إهمال الجانب الاجتماعي، ومع ذلك تم الإشارة لثلاثة نساء لمعن في التاريخ القرطاجي وهي عليسة وصوفونيزب وامرأة أسدريل⁽¹⁾.

أ-1) من هي عليسة ديدون؟: كنيها:

لقد أطلق على مؤسسة قرطاج العديد من الأسماء فدعيت تيوسو (Theiosso)، أما في اللغة الفينيقية تسمى عليسة (Elissa)⁽²⁾.

⁽¹⁾ Yazidi Zeghal(S), La Femme Carthaginoise état de La recherche, Reppal IX, Tunis, 1995, p203.

⁽²⁾ نوال مغاري، قرطاج والليبيون 480 ق.م - 146 ق.م، قرطاج والليبيون 480 ق.م - 146 ق.م، (رسالة ماجستير في التاريخ القديم)، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2013، ص 3، 4.

أما الليبيون فقد أطلق عليها اسم ديدون أي الفارة⁽¹⁾، وقد تم تسميتها هكذا من قبل السكان الأصليين لتعدد ترحلها، و يشير محمد فنطر أن اسمها يعني السعادة أو الشخص الذي يلف⁽²⁾. كما أطلق عليها ابنة بعل، أو الشجاعة، أو قاتلة نفسها⁽³⁾ وحسب فنطر إعتبرت محبوبة بعل المعطاة⁽⁴⁾.

أ-2) أصولها:

كانت عليسة امرأة فينيقية الأصل يجري في عروقتها دماء الملوك⁽⁵⁾، وهذا يدل على أنها ذو أصول سامية وهو الجنس الذي ينتسب إليه الفينيقيون، الذي شكل النسبة العظمى من سكان عدة مناطق في الشرق الأدنى القديم لاسيما مدن الهلال الخصيب وذلك في حوالي (3500-300 ق.م)⁽⁶⁾، وبالرغم من اختلاف الآراء حول أصول الفينيقيين أنفسهم فالبعض يرى أنهم حاميون⁽⁷⁾ بينما يرى آخر أنهم من الساميين نسبة إلى سام بن نوح عليه السلام، وأنهم نزحوا من أواسط الجزيرة العربية من هجرات متتالية حوالي منتصف الألف الثانية قبل الميلاد، واستقروا ببلاد الشام أو بالأحرى بالساحل الفينيقي⁽⁸⁾.

وعليه في ظل هذا الغموض ظل التساؤل مطروح إن كان الفينيقيون ساميون أم حاميون ونقلنا عن عبد الحميد أحمد ابوسلة بأن التوراة تذكر أن حام أنجب أربعة أبناء هم مصرييم وكنعان، كوش

(1) إبراهيم العيد بشي، مدخل إلى تاريخ حضارات بلاد المغرب القديم دراسة حضارية منذ فترة ما قبل التاريخ حتى الفتح الإسلامي، منشورات زاد الطالب، المحمدية، الجزائر، 2011، ص4.

(2) Fantar(M. H), Elyssa de carthade, op.cit, p5.

(3) لطيفة التهامي أندش، المرجع السابق، 2018، ص16.

(4) Fantar(M), Elyssa de carthade, op.cit, p7.

(5) محمد علي دبور، تاريخ المغرب الكبير، ج.2، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2010، ص103.

(6) منصور خديجة، أصناف النساء ببلاد المغرب القديم من خلال الآثار والمصادر الأدبية، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم

الإسلامية، مج.23، ع.1، جامعة العلوم الإسلامية الأمير عبد القادر قسنطينة، الجزائر، 2008، ص271.

(7) إسماعيل حامد، تاريخ اليهود، دار طيبة للطباعة، الجيزة، مصر، 2011، ص171.

(8) محمد بيومي مهران، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية، لبنان، 1994، ص124.

وفوط⁽¹⁾ "وهذه مواليد بني نوح سام وحام وياث ولد لهم بعد الطوفان...وبنو حام: كوش مصريام فوط كنعان"، وهذا حسب ما ورد في سفر التكوين في الإصحاح العاشر⁽²⁾.

وما يتم ملاحظته وإستخراجه من نصوص التوراة أن حام أنجب كنعان والمؤرخون يقولون أن الابن الرابع الذي غرق في الطوفان اسمه يام هو كنعان نفسه، فإن كان كذلك فكيف يكون كنعان ابن حام وهو ابن نوح عليه السلام وقد غرق⁽³⁾.

وحسب رواية العهد القديم أن الفينيقيين من نسل كنعان وقد وصفهم بأنهم حاميون فبماذا يفسر لغتهم السامية؟ وبما أن الأميرة الفينيقية تنتمي إلى هذا النسل فهل يمكن إعتبارها سامية الأصل بحتة؟.

أ-3) مكانتها الملكية:

يذكر المؤرخ جستيان(Justinus)، أن عليسة هي الابنة الوحيدة لملك صور متون(Metten) ، وكان لها شقيق وحيد يدعى بيغماليون(Pygmalion)، حيث عينهما لخلافته على العرش بعد وفاته⁽⁴⁾، و محمد فنطر يشير أن هذين الشقيقين الوريثان الوحيدان للعرش بعد موت متون⁽⁵⁾، لكن من المعروف في النظام السياسي للأسرة الحاكمة أن الملكة تقع مباشرة بعد الملك في التسلسل الهرمي للحكم أي قبل ولي العهد والموظفين الكبار، حيث تحتل الموقع السياسي والدبلوماسي الأول بين رعايا الملك، وبالرغم من وجود أكثر من زوجة للملك إلا أنه امرأة واحدة فقط من بينهم تستحق لقب الملكة، وغالبا ما كانت أم ولي العهد⁽⁶⁾.

⁽¹⁾عبد الحميد أحمد أبوسلة، الكنعانيون والعبريون وصراع المسميات، المجلة العلمية لكلية التربية، مج.1، ع.10، جامعة مصراته ، ليبيا، مارس 2018، ص166.

⁽²⁾سفير التكوين، الإصحاح 10، الفقرة: [1-6].

⁽³⁾عبد الحميد أحمد أبوسلة، المرجع السابق، ص197.

⁽⁴⁾

Justin, Loc.cit, XVIII, 4-6.

⁽⁵⁾Fantar(M), Elyssa decarthade, op.cit, p5.

⁽⁶⁾ريم توفيق عمران، دور المرأة الأوغارتية في الواقع والأسطورة خلال القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد، (رسالة ماجستير في تاريخ سوريا القديم)، جامعة تشرين، سوريا، 2016/2017، ص78.

لكن ما يدعو إلى التساؤل لماذا لم يتم ذكر أو إعطاء إشارة لمن هي والدة عليسة؟ هل هي متوفاة، هل كانت تنتمي إلى الطبقة الأرستقراطية أم من عامة الشعب؟ ألم يكن لها دور في المملكة؟ وهل حقا عليسة و بيغماليون الشقيقان الوحيدان ومن نفس الأم.

طبعاً المؤرخ جيستيان يؤكد أن للملك صور فقط ولدان، لكن فرجيل له رأي آخر في الأمر فهو يؤكد على وجود أخت لها كانت بجوارها طيلة حكمها وأثناء اتخاذ قرار انتحارها وتلك الأخت تدعى آنا (Anna)⁽¹⁾، فشقيقتها هاته هي من حملت رسالتها إلى عشيقها اينياس متوسلة له "فأشفقي على أختك إذ التمس منك هذا الجميل الأخير الذي إن حققته لي سوف أردّه إليك مضاعفاً بعد موتي"، وبمثل هذه الكلمات كانت ديدون تتوسل وفي تأثر بالغ حملت أختها الرسالة الباكية إلى آينياس مرة بعد مرة، غير أنه لم يتأثر ببكاء أو نحيب- ولم يستسلم لأي من هذه الكلمات، فألهات القدر يقفن في طريقه وكان الإله أصم أذنه عن التوسلات⁽²⁾.

وقد أشارت الباحثة نضار الأندلسي أن علاقة الأختين كانت وطيدة وذلك بقولها: "...فقد أهدت الأميرة عليسة وأختها عناة قرابين حيوانية عبارة عن أغنام إلى مجمع الآلهة..."⁽³⁾، وتشير ماجدة النويعمي نقلاً عما تصوره فرجيل ديدون القرطاجية امرأة حساسة متفهمة عطوفة ومتعاطفة⁽⁴⁾ ومتعاطفة⁽⁴⁾ وتعد من أشهر الشخصيات النسوية، بل وأكثرها تأثيراً في المجتمع القرطاجي والمغاربي القديم⁽⁵⁾.

وقد عرفت كذلك بذكائها وقوة شخصيتها التي ورثتها عن أبيها وكذلك حنكتها السياسية مما دفع أختها بتنحياتها وإبعادها عن الحكم، واشتهرت بجمالها الخلاب فجعلت كل من يراها يرغب بها⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ ماجدة النويعمي، أسطورة آينياس ملحمة الإنياذة للشاعر فرجيليوس، مجلة الفكر الكويتية، مج. 40، ع. 4، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2012، ص 17.

⁽²⁾ فرجيليوس، الإنياذة، تر: كمال ممدود حمدي وآخرون، مج. 1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011، ص ص 2015-2017.

⁽³⁾ نضار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص 233.

⁽⁴⁾ ماجدة النويعمي، أسطورة آينياس، المرجع السابق، ص 14.

⁽⁵⁾ مالية بصال و أحمد سايب مرزوق، المرجع السابق، ص 8.

⁽⁶⁾ محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص 271.

ومحمد فنظر يؤكد أن جمالها أسر شخص يدعى آشرباص (Acharbas) الذي طلبها للزواج⁽¹⁾.

أ-4) عليسة في مواجهة شقيقها بيغماليون:

وبمجرد وفاة ملك صور استغل بيغماليون الفرصة لإبعاد أخته عن العرش ضاربا بوصية أبيه عرض الحائط واستفرد بالحكم، وحسب ما ذكرته خديجة منصورى أن سكان صور هم من اعترفوا به ملكا عليهم دون شقيقته عليسة⁽²⁾.

فقد أشتهر عنه أنه ذو طباع سيئة تمثلت في الجشع وحبه للمال وجمعه، واشتهر بطغيانه وظلمه والخوف منه دفع بالسكان إلى الاعتراف به ملكا عليهم رغما عنهم لتجنب بطشه وخطرسته، فحاولت عليسة أن تتأقلم مع الظروف حتى تنسى قضية العرش الذي حرمت منه غصبا، فحاولت أن تحافظ على مكانتها المرموقة فاستغلت جمالها حين طلبها عمها الكاهن آشرباص (Achar bas) الذي كان من أثرياء المدينة وأعظم شخصية بعد الملك، وكاهن المعبد ملقارت فوافقت وتزوجت منه دون تردد⁽³⁾.

هنالك بعض الباحثين يرجحون أن آشرباص هو خال عليسة وليس عمها، ولكن إن كان حقا خالها كان الأولى أن تذكر والدتها بما أن خالها موجود ومن أسرة نبيلة يعني والدتها كذلك، لكن بما أن الأدلة والأبحاث حول هذا الموضوع شبه معدومة فالأرجح أنه عمها من تزوجها بما أن أصولها واضحة المعالم فهو شقيق الملك، وكذلك حين أشار محمد علي دبوز أنه يحتل المرتبة الثانية بعد الملك مباشرة فهو يؤكد بأنه لولا وجود أبناء يستلمون الحكم من أخيه لعاد الحكم الوراثي تلقائيا للكاهن آشرباص.

وطبعا زواج عليسة من رجل غني له كنوز كثيرة ووجيها ومحبوبا لدى الفينيقيين جعل شقيقها بيغماليون في حيرة من أمره وشعر أنه مهددا وملكه، فخطط للتخلص منه والحصول على أمواله التي

Fantar(M), Elyssa decarthade, op.cit, p5.

(1)

(2) خديجة منصورى، أصناف النساء، المرجع السابق، ص 271.

(3) محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص 103.

أخفها آشرباص خوفا عليها من الضياع أو السرقة فقام بدفنها تحت جدران المعبد⁽¹⁾، وعندما وصل نبأ الكنوز المدفونة مسامع بيغماليون فإعتقد بأن الحيلة إنما إتخذت من أجله، فاستشاط غضبا وعزم على قتل عمه حتى يتسنى له الحصول على ثروته وكذلك لضمان استمرارية حكمه، فمن يدري لعل لشعب يسأم لسوء سياسته فيتجه إلى عمه بدلا منه لما يتمتع به من حب واحترام فيصبح هو الملك على صور، فلا بد من إزالته نهائيا⁽²⁾.

غير أن عليسة عرفت كيف تحتال على أخيها بتظاهرها أمامه بعدم الاكتراث بالحادثة التي كانت تقطع قلبها خفية، حتى تأمن شر أخيها فحملت أموال زوجها وأبحرت رفقة أعوانها وحاشيتها نحو قبرص، حيث كان في انتظارها الكاهن جونو (Juno) وأسرتة، التي ستسند إليه بالإشراف الديني في المدينة الجديدة، كما حملت معها من قبرص 80 فتاة من فتيات المعبد⁽³⁾، حتى يكن زوجات للشباب الذين كانوا معها حتى تضمن استمرارية نسلها وشعبها في المدينة الجديدة⁽⁴⁾.

وأیضا مشكلين السكان الأوائل الذين سيعمرون المدينة التي تريد تأسيسها، ولما علم بيغماليون بهروب أخته قرر إرسال قواته لملاحقتها، لكنه اضطر إلى التراجع عن قراره تلبية لتوسلات والدته وخوفا من تهديدات الآلهة⁽⁵⁾.

ويذكر فرجيل أن زوجها تمثل لها في الحلم وطلب منها الفرار بأمواله من أخيها وبطشه⁽⁶⁾، لكن ما أشارت إليه الباحثة منصورى خديجة في غاية الأهمية، حين قالت أن جستيان أشار إلى والدته بيغماليون التي استجاب لمطالبها بعدم مطاردة عليسة لكن دون ذكر اسمها، وهذا يثير الكثير من التساؤلات من بينها: لما والدته ظهرت في هذا التوقيت بالذات؟ لما لم تذكر حين وفاة الملك أو مقتل زوج عليسة؟ فهل يمكن الجزم أن عليسة و بيغماليون أشقاء من الأب فحسب؟ وهذا ما يفسر حقد

⁽¹⁾ محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في الحوض الغربي للمتوسط، المؤسسة الجامعية للدراسات ديوان المطبوعات الجامعية، لبنان، 1982، ص 107.

⁽²⁾ محمد علي دوز، المرجع السابق، ص 105.

⁽³⁾ محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي، المرجع السابق، ص 107.

⁽⁴⁾ محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، دار الهدى، الجزائر، 2006، ص 107.

⁽⁵⁾ خديجة منصورى، أصناف النساء، المرجع السابق، ص 271.

⁽⁶⁾ Vergile, Enede, Trad: T. b. J. Perret, Paris, 1981, 1-4.

بيغماليون على عليسة و أمه سببا في ذلك؟ ، وهل يمكن القول أن آشرباص خالها؟ وأن والدة بيغماليون من الإيماء لهذا لم نرى لها ذكر قبل هاته الحادثة؟ لا نستبعد أن يكون للملك صور زوجتين خاصة من انتشار ظاهرة تعدد الزوجات في المجتمعات القديمة، فالمجتمع الفينيقي عرف بذلك⁽¹⁾.

ويمكن القول أنه كانت هناك إضطرابات سياسية داخل الأسرة الحاكمة في مدينة صور نتج عنها انسحاب المهزوم إلى المناطق النائية ليبدأ حياة جديدة⁽²⁾، وهناك من له رأي آخر فالباحث محمود الصديق أبو حامد يعتبر أن خوف الصوريون من استيلاء أعدائهم الأشوريين على ثروتهم هو الذي حملهم على تهريب تلك الثروة مع الأميرة عليسة وأصحابها⁽³⁾.

والباحثة لطيفة التهامي ترجح الفرضية أن هروب عليسة بالأموال والكنوز التي أخذتها بعد مقتل زوجها اتفاقا مع أخيها الملك لكي تؤسس مدينة جديدة مطابقة للمدينة الأم، لكن الملك اضطر لتأليف قصة هروبها خوفا من وصول الغزاة الأشوريين إليها⁽⁴⁾.

ب) مستوطنة قرطاجة:

ب-1) بناؤها:

يشير محمد فنطر حول تأسيس قرطاجة أنها مؤسسة أنثوية بامتياز وثمره مشروع نسائي حيث أنها لم تؤسس بواسطة أحد الأبطال ، بل نحن مدينون لها لامرأة صورية عاشت خلال النصف الثاني من القرن 9 قبل الميلاد⁽⁵⁾.

وقد أدت الاضطرابات السياسية داخل البيت الملكي في مدينة صور بين الشقيقين إلى فرار عليسة نحو بلاد المغرب القديم فنزلت بالقرب من مدينة أوتيكا (Utique) حيث لقيت ترحيبا كبيرا من

(1) محمد علي حسين الدراوي، المرجع السابق، ص 182.

(2) لطيفة التهامي أندش، المرجع السابق، ص 17. وينظر كذلك: أحمد حامد، من مظاهر الحياة العائلية في المجتمع الكنعاني الفينيقي، مجلة الدراسات تاريخية، ع. 79-80، جامعة دمشق، سوريا، 2002، ص ص 67-69.

(3) لطيفة التهامي أندش، المرجع السابق، ص 17.

(4) المرجع نفسه، ص 18.

(5) Fantar(M), Carthage approche d'un Civilisation, Tome1, Alif, Tunis, 1993, p1.

سكان المنطقة⁽¹⁾، وحينها اطمأنت عليسة على نفسها ومن معها وقررت أن تنشئ مدينتها بالقرب من منطقة هؤلاء السكان بعد أن أخذت الموافقة من زعيم قبيلتهم، حيث طلبت منه أن يمنحها قطعة من الأرض لتقيم عليها مع من يرافقها، فمنحها قطعة أرض مقدار جلد ثور لتحديد الرقعة التي تناسبها، ونظرا لدهائها وسعة ذكائها قامت بتقطيع ذلك الجلد إلى أشرطة رقيقة وطويلة فأحاطت بها مساحة واسعة من الأرض تسعها وأعوانها⁽²⁾.

وأطلقت الأميرة عليسة على مدينتها اسم "قرت حدشت"، والتي تعني المدينة الجديدة وهو ما فسر بكون أن المدينة قد ورثت مركزا أكثر قدما منها في ذلك، أو أنها ألحقت به وبالتالي قد تعني "مدينة جديدة" بالنسبة لأوتيكا الأقدم منها والتي لا تبعد عنها إلا 30 كلم⁽³⁾، وحسب سترابون تكون كارديخون(قرطاجنة) من تأسيس ديدو بعد أن أحضرت معها جمعا من الشعب من تيروس(صور)، وقد كانت المستعمرة سعيدة ومحظوظة بالنسبة للفينيقيين إلى درجة كبيرة وهكذا فإن أفضل قسم في قارة أوروبا والجزر القريبة حتى الآن يسكنها الفينيقيون⁽⁴⁾.

طبعاً لم يكن إختيار الفينيقيين لإنشاء مدينتهم إختياراً عشوائياً، بل كان لمعرفتهم الجيدة بالمنطقة فموقعها يعد من أهم المواقع الإستراتيجية في شمال إفريقيا⁽⁵⁾، حيث تقع مدينة قرطاجنة في عمق خليج خليج تونس على شبه جزيرة، يحدها من جهة الشمال سبخة أريانة(Eriana) التي تمثل عمق خليج أوتيكا(Utique)، وتحيط الروابي بالمدينة من جهة الغرب، وهذا يبين المهارة الكبيرة والمعرفة الدقيقة التي يتمتع بها الملاحون الفينيقيون في القدرة على إختيار المواقع الإستراتيجية الممتازة والاستيطان⁽⁶⁾.

(1) محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي، المرجع السابق، ص 107.

(2) Justin, Loc.cit, 5, 6.

(3) البشير كيحل، قرطاجنة والممالك النوميديّة دراسة في الأصول التاريخية من القرن 12 قبل الميلاد إلى 146 قبل الميلاد، مجلة الدراسات التاريخية، مج. 21، ع. 1، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2020، ص 5.

(4) سترابون، جغرافية سترابون وصف ليبيا ومصر، تر: محمد المبروك الدويب، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، 2002، ص ص 15-17.

(5) مولاي الحاج أحمد بومعقل، مظاهر من التأثير، المرجع السابق، ص 25.

(6) المرجع نفسه، ص 36.

والباحثة لطيفة التهامي تقول: "أسست قرطاجة على أرض مرتفعة في مدخل الخليج التونسي، محصورة بين رأسين هما الرأس الأبيض ورأس البونة، وتمتد عرضا هضبة من التلال المنخفضة مسافة 4 أميال تقريبا، ويبلغ ارتفاعها قرب طرفها الشمالي زهاء 500 قدم و 200 قدم قرب طرفها الجنوبي ويقع داخلها وادي نهر مجردة⁽¹⁾."

وحسب محمد الصغير غانم أن قرطاجة لا تتصل باليابسة إلا عن طريق برزخ ضيق يبلغ طوله حوالي 4.5 كلم، وهي شبيهة بالسفينة الراسية⁽²⁾، ووصفها بوليبيوس (Polybius) (208-126 ق.م) أنها عبارة عن لسان من اليابسة أو شبه جزيرة واقعة في خليج يحميها البحر أو يربطها برزخ مع لوبيا⁽³⁾.

ويصفها سترابون شيدت كرديخون (قرطاجة) على شبه جزيرة توصف بان لها سورا محيطا بها "ويشغلها المضيق (البوغاز) الذي يمتد من البحر إلى البحروفي وسط المدينة تقريبا تقع الأكربول التي كانوا يسمونها فيرسا (بيرسا-بورسا)، وهي تل مرتفع مستقيم تقريبا مسكون في جميع جوانبه ويوجد في قمته معبد أسكليبيوس⁽⁴⁾"، ويأتي في وصفها فيرجيل على أنها مدينة شرقية مزدهرة، ولم يحاول إخفاء إعجابه بها ولا إعجاب الطروادي اينياس فيقول: "تعجب اينياس من تلك الكتلة من المباني التي كانت ذات مرة أكواخا، وتعجب من البوابات والطرق الممهدة"⁽⁵⁾.

وبرغم من أن المدينة كانت آنذاك تحت الإنشاء إلا أن فرجيل صور قدرا من الروعة والعظمة يغمر كل شيء بها، ووصف تفصيلا كيف يجري العمل على قدم وساق بتنظيم منقطع النظر، فالبعض يبني الأسوار والبعض يشيد القلاع والبعض يدرج الحجارة بالأيدي والآخرون يتخيرون مكانا للسكن ويحيطونه بخندق، والبعض الآخر يحفر الموانئ والبعض يرسى أسس عميقة لمسرح، وآخرون ينحتون من الصخور الضخمة أعمدة كي تكون زينة ملائمة لمسرح المستقبل وفي عمله

⁽¹⁾ لطيفة التهامي أندش، المرجع السابق، ص 9.

⁽²⁾ محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي، المرجع السابق، ص 107 - 108.

⁽³⁾ Polybius The histories, Trad: W. Paton, The new York Public Library, (s. d), I, 73.

⁽⁴⁾ سترابون، المصدر السابق، ص 14-17.

⁽⁵⁾ ماجدة النويصي، أسطورة آينياس، المرجع السابق، ص 10-11.

الدؤوب يشبههم أنهم كالنحل في مطلع الصيف بين الحقول المزهرة ينكب على عمله تحت قيط الشمس" ⁽¹⁾.

إن وصف فرجيل مبالغ فيه لأسباب أن المدينة حديثة النشأة في بدايتها، وما تطرق إليه كذلك يحتاج لعدد من الأفراد واليد العاملة، حتى وإن افترضنا السكان المحليين قاموا بمساعدتها في البناء لكن المدة من التأسيس إلى غاية انتحار عليسة قصيرة، فمتى تم بناء كل تلك المباني والعمران والمنشآت بسرعة وكذلك وصفه مستوحى من المدن والعمارة الإغريقية والرومانية وكأنه قام بالإسقاط لتصور ذلك لسرد الأحداث ووصفها، والأهم لم يزر المنطقة أو يعايش عليسة ومرافقها.

والظاهر أن توفر مدينة قرطاجة على مؤهلات جعلت مدينة صور توكل إليها مهمة رعاية المصالح الفينيقية في غربي المتوسط، لكن ما يجدر الإشارة له أن قرطاجة ظلت منذ تأسيسها تدين بالولاء والتبعية لصور ويظهر ذلك في تقديم القرابين والهدايا السنوية لمعبد "ملقرت"، إلى أن ضعفت مدينة صور بعد سقوطها على يد نبوخذ نصر سنة 574 ق.م وظهرت كمدينة مستقلة لتتطور وتترغم المدن الفينيقية الغربية وتنشأ إمبراطورية تنافس الإغريق ⁽²⁾.

لكن بالحديث عن العلاقة التي تربط قرطاجة بعلاقات متينة مع الأم صور تثير الكثير من الجدل، فما أشرنا إليه سابقا يدل أنه يستحيل أن تربط المدينتين علاقة ودية وسلمية مادام بيغماليون على عرش صور وعليسة ملكة قرطاجة، كما أن تأسيس قرطاجة لم يكن مباركا وبتركية من ملك صور، فهل يمكن القول أن بعد وفاة أحد الشقيقين الملكين للمدينتين نشأت هذه العلاقة؟ لكن ما يقوله أغلب المؤرخين والباحثين أن منذ تأسيس قرطاجة كان هنالك اتصال بصور، فهل يعود ذلك لوفاة عليسة بعد مدة قصيرة من تأسيس مدينتها؟ أم أن تلك الهدايا والقرابين ودفع الضريبة لصور كانت كفيلة لحل المشاكل بين الشقيقين المتخاصمين.

ب- 2) ميلادها:

إتفق الباحثون على أن ذلك المكان -قرطاجة- هو الذي إختارته الأميرة عليسة لتأسيس مدينتها، أما بالنسبة للإطار الزمني لتلك المدينة فلقد أثار جدل كبير بين الباحثين جعلهم ينقسمون

⁽¹⁾ المرجع نفسه، ص ص 10 - 11.

⁽²⁾ البشير كيحل، قرطاجة والممالك النوميديّة، المرجع السابق، ص 5.

إلى مجموعتين بنظريتين متناقضتين: الأولى النصوص الأدبية التي يتزعمها الكم الهائل من المؤرخين الإغريق الذين أرحوا لتأسيس قرطاجنة قبيل حرب طروادة⁽¹⁾، لكن لابد من التعرض لمشكلة قيام هذه المدينة من مستوطنة فينيقية سابقة أو أنها أسست كمدينة مباشرة، وهناك أسطورة أخرى تنسب إلى فيلوسستوس (Philistus)، وهو يوناني من سيراكيوز عاش في القرن 4 قبل الميلاد.

"ذكر فيها أن تأسيسها يرجع إلى شخصين من صور هما أزورس (Azoros) أو زوروس (Zoros) وكارتشيدون (Karhe)، لكن تبدو هذه الرواية لا تتفق مع الواقع والأرجح قرطاجنة التي تعني المدينة الحديثة تدل على أنها كانت جديدة، ومع ذلك لا يستبعد أن تكون قد أسست في موضع كان معروفا من قبل الفينيقيين"⁽²⁾.

أما الرأي الثاني: "فهو ترجيح الباحثين لأن تكون تلك المدينة قد أسست من قبل شعب قدم من سورية أو من أرمينيا، واجتاز بحر المورة وتوقف في تلك المنطقة وبني فيها تلك المدينة، ويقول أحد المؤرخين أنها تأسست على يد قوم جاءوا من برقة، وكان قد سبق أن أجلاهم ملك مصر عن مملكته عام 413 ق.م"⁽³⁾.

أما بخصوص الأدلة الأثرية التي تثبت أن الفينيقيين أنشؤا عددا من المحطات التجارية منها قرطاجنة الدليل على ذلك اللقى الأثرية التي عثر عليها في هيكل غير مغطى أطلق عليها اسم التوقيت، وهي تتكون من جرة شرقية الأصل وأواني فخارية يرجع تاريخها إلى قبيل الأواني الكورنثية، وبالتالي أرخ عهد تأسيس قرطاجنة بين سنتين (730-700 ق.م)⁽⁴⁾، إلا أن الرأي السائد و الغالب عند أغلب الروايات والدراسات التاريخية يرجع تأسيسها إلى الربع الأخير من القرن 9 ق.م أي حوالي 814 ق.م⁽⁵⁾، لكن بعض المؤرخون لا يتفقون وهذا الرأي من بينهم المؤرخ اليهودي يوسفوس

(1) لطيفة التهامي أندش، المرجع السابق، ص 13.

(2) محمد أبو محاسن عصفور، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص 64.

(3) لطيفة التهامي أندش، المرجع السابق، ص 13-14.

(4) المرجع نفسه، ص 14.

(5) محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي، المرجع السابق، ص 106.

فلافيوس (Joseph Flavius) (37-93م) في مؤلفه ضد أبيون الذي ألفه اعتمادا على رواية الكاتب مينادروس الأفيوسي (Ménandre d'ephèse)⁽¹⁾.

وهو مؤرخ سوري يجيد اللغة الإغريقية عاش في بداية القرن 4 قبل الميلاد⁽²⁾، والذي كان قد اطلع على الأرشيف الملكي بصور التي سجلت فيها الأحداث الواقعة في عهود الملوك الذين حكموا طيلة قرن ونصف، حيث يرى أن مدينة قرطاجة قد تأسست قبل 814 ق.م بزمان قليل أي حوالي 825 ق.م أو 819 ق.م، حيث يقول: خلف بيغماليون ماتون وعاش 56 سنة حكم خلالها 47 سنة وفي السنة السابعة من حكمه هربت أخته عليسة وأست مدينة قرطاجة شمال إفريقيا بعد 155 سنة و8 أشهر من استلام "أحي رام" صور وفي سنة 12 من حكم هذا الملك شيد هيكل سليمان عليه السلام، وبين تأسيس قرطاجة وتشيد الهيكل 143 سنة و8 أشهر⁽³⁾.

في حين يؤكد محمد فنظر أنها أنشأت في العام السابع لحكم بيغماليون حاكم صور⁽⁴⁾، وهناك من المؤرخين والباحثين على سبيل المثال ريس كريا نثر (Rohys Carpenter) يرفضون الرواية التقليدية التي نقلها المؤرخ جيستيان عن تيمايوس حيث أن جيستيان يذكر أن تأسيسها بحوالي 72 سنة قبل تأسيس روما، مما يعطينا سنة 825 ق.م في حين يؤرخ تيمايوس لهذا الحدث بسنة 38 قبل الألعاب الأولمبية أي حوالي 814 ق.م، مما يجعل التواريخ متقاربة إذ تعود كلها إلى أواخر القرن 9 ق.م⁽⁵⁾.

لكن ريس كريانثر يرجع تأسيسها إلى منتصف القرن 8 ق.م أي حوالي 750 ق.م معتمدا في ذلك على المعطيات الأثرية المادية التي تم اكتشافها في قرطاجة⁽⁶⁾، كما أشرنا إليها سابقا غير أن

⁽¹⁾ نوال مغاري، قرطاجة والليبيون، المرجع السابق، ص 4.

⁽²⁾ Fantar(M), Elyssa decarthade, op.cit, p2.

⁽³⁾ نوال مغاري، قرطاجة والليبيون، المرجع السابق، ص 4، 5. وينظر كذلك: Flavius(J), (S. d), Contre apion, Trad: R. hormand, éd: publication de la société des éd des Juives, I, p17, 18.

⁽⁴⁾ محمد حسين فنظر، الحرف والصورة في عالم قرطاج، المرجع السابق، ص 18.

⁽⁵⁾ نوال مغاري، قراءة في تطور العلاقات السلمية بين قرطاجة والليبيين خلال الفترة (480-146 ق.م)، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج 3، ع 6. مؤسسة الحكمة، الجزائر، 2015، ص 8.

⁽⁶⁾ مولاي الحاج أحمد بومعقل، مظاهر من التأثير، المرجع السابق، ص 34.

التناقض بين المصادر الأدبية والأثرية قد ساهم في تعميق الخلاف بين المؤرخين المعاصرين حول تحديد تأريخ تأسيس المدينة منذ منتصف القرن 9 ق.م، فكون الموضوع متشعب فنتج عن ذلك ظهور نظريتين متناقضتين تعتمد إحداها على المعطيات الأدبية والأخرى المادية، إلى أن كشفت حفريات البعثة العالمية لإنقاذ موقع قرطاجة، وانتهت بذلك إلى ملائمة المعطيات الأثرية ورواية التأسيس في أواخر القرن 9 ق.م⁽¹⁾.

وبالرغم من الاختلاف الذي وقع فيه الباحثون والمنقبون فقد تم الاتفاق على أن تأسيس قرطاجة هو بين عامي 814-813 ق.م⁽²⁾.

ج) نهاية عليسة:

كانت النهاية جد مأساوية بنسبة لهذه الملكة ذات الأصول الفينيقية.

ج-1) عليسة والملك الليبي هيرباص (Hiarbas): من هو الملك هيرباص؟

هذه الشخصية التي لا تزال إلى يومنا تحوم حولها هالة من الغموض، فمن هذا هيرباص الذي ظهر فجأة للتفاوض مع عليسة حسب الرواية الأسطورية لتأسيس قرطاجة؟.

إن المتفق عليه عند أغلب المؤرخين أن هيرباص ملك ليبي من السكان الأصليين لكن لاشيء يثبت ذلك إن كان ملك أين مملكته شعبه، قبيلته جيشه أي رمز من الرموز التي تشير إلى كيانه؟ وإجابة على بعض التساؤلات هاهي الباحثة لطيفة التهامي تذكر أنه كان للملك الليبي أسرة وابنة تدعى أسبتي التي أقيم لها جنازة حيث تم حرقها⁽³⁾.

ونجد فرجيل أنه أعطى أصولا محددة للملك فقد اعتبره من الجرامنتيين في قوله "كان يارباص هذا هو ابن أمون من جارمنتيين وكان قد شيد لجوبيتر مائة معبد شامخ ومائة مذبح في مملكته المترامية الأطراف"⁽⁴⁾، وهنا فرجيل أزال الغموض على أن هيرباص مجرد شخصية أسطورية، بل هو ملك على مملكته في جرمة شيد فيها معابد ومذابح تحتوي بوابات مزخرفة وله حرس وحاشية، لكن يقع فرجيل

⁽¹⁾ الشاذلي بورويبة و محمد الطاهر، قرطاجة البونية تاريخ وحضارة، مركز النشر الجامعي، تونس، 1999، ص 18.

⁽²⁾ لطيفة التهامي أندش، المرجع السابق، ص 16.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص 98.

⁽⁴⁾ فرجيليوس، المصدر السابق، ص 208.

في تناقض مع نفسه، حين أشار في موضع آخر في حديثه عن عليسة "ماذا أفعل؟ أأحاول الرجوع إلى من سبق أن طلبوا مني الزواج وأنا محتقرة منهم؟ هل أبحث ضارعة عن الزواج مع أحد النوميديين الذين كثيرا ما ازدريت أن يكونوا لي أزواجاً"⁽¹⁾.

هنا يؤكد على أن عليسة تفاوضت مع النوميديين والملك النوميدي الذي طلب منها الزواج إذن هل هيرباص جرامنتي أم نوميدي؟، وكذلك بالنظر إلى موقع قرطاجة الساحلي وموقع مدينة جزمة إحدى المدن الداخلية ينفي أن هيرباص من جزمة، وحسب الأسطورة القائلة بأن عليسة التقت به عند الساحل، فبعد المسافة يدل أنه كان باستطاعة عليسة إنشاء مدينتها دون تفاوض ولما التقت هيرباص أصلاً، فبالنظر إلى حدودها أن الجرامنت قبائل ليبية استوطنت الجنوب الليبي وتحديد منطقة فزان، وكان هيرودوت أول من تحدث عنهم أنهم يستوطنون إقليم البدو الرعاة الداخلي وتم تحديد موطنهم على مسافة 10 أيام من أوجلة ولم تتضح صورة مواطن الجرامنت إلا في القرن 1 ق.م⁽²⁾، لكن الأدلة تثبت أن الجرامنت ارتبط بعلاقات تجارية منذ وقت مبكر مع من جاورهم من القبائل الليبية سواء الواقعة على الساحل أو الداخل ثم تطورت باحتكاكها مع الشعوب المجاورة أي المصريين والقرطاجيين على أساس التبادل التجاري⁽³⁾.

فهل يمكن القول أن الجرامنت حدث بينهم و قرطاجة مفاوضات تجارية حول قطعة الأرض التي ابتاعتها عليسة؟، لكن حسب جيستيان التبادل التجاري الجرامنتي القرطاجي بدأ بعد بسط قرطاجة نفوذها على المناطق الواقعة إلى الغرب منها في القرن 6 ق.م⁽⁴⁾.

ج-2) زواج عليسة:

أثار جمال عليسة وذكاءها وحنكته السياسية إعجاب الملك هيرباص الذي طلبها للزواج⁽⁵⁾ لذلك استدعى 6 من الأعيان وأبلغهم أنه يريد عليسة زوجة له، ففكروا ملياً وأدركوا أن رفض طلبه

⁽¹⁾ فرجيليوس، المصدر السابق، ص 220.

⁽²⁾ فاطمة سالم العقيلي، الصادرات الجرامنتية من خلال النصوص الأدبية والمخلفات الأثرية، المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية، ع. 3، جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية، ليبيا، 2019، ص 70.

⁽³⁾ فاطمة سالم العقيلي، المرجع السابق، ص 71.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه، ص 70.

⁽⁵⁾ Yazidi Zeghal(S), op.cit, p204.

يعني قرع طبول الحرب لكنهم أجمعوا على عدم إبلاغ الملكة بالأمر⁽¹⁾، لكن سرعان ما تفتنت للأمر وألقت اللوم على الأعيان، وعاتبتهم لإخفاء أمر مهم هكذا خاصة بعد تهديدات هيرباص في حالة الرفض أنها ستكون الحرب، فأنهت باكية وهي تردد اسم زوجها أشرباص بحسرة⁽²⁾.

ثم قررت أن تواجه قدرها، وقد منحها هيرباص مهلة 3 أشهر للتفكير ظنا منه أنها ستوافق على طلبه تجنباً للحرب، فبعد نفاذ المدة الممنوحة وبعد تفكير علية جيداً في الموضوع، وأحضرت كومة من الحطب وتظاهرت بتقديم الأضاحي الاستغفارية لروح زوجها الراحل قبل زواجها بملكهم، فحملت سيفاً ووضعته على المحرقة وتوجهت نحو شعبها قائلة: إني ذاهبة إلى جانب زوجي ثم انتحرت حرقاً بعد أن طعنت نفسها⁽³⁾.

لقد كانت التضحية والموت هو السبيل الوحيد لعلية تعبيراً عن رفضها للزواج وإخلاصاً لزوجها الراحل⁽⁴⁾، فلم تتردد هاته الأميرة بالتضحية بنفسها لحماية وطنها الجديد⁽⁵⁾، كي يعيش حراً متمتعاً بالاستقلال وحتى لا تخضع شعبها للهيمنة المحلية⁽⁶⁾، فهي على دراية بأن هذا الزواج ما هو إلا وسيلة لبسط هيرباص لنفوذه على قرطاجة والاستفادة من ثروتها، فكيف لها أن تقبل بذلك وهي لم تسمح حتى لأخيها بالاستحواذ على ثروة زوجها، فهل يعقل أن تتخلى عن مدينتها بسهولة لهيرباص⁽⁷⁾.

طبعاً ما جمال علية لطلب الزواج منها إلا سبباً وهمي فالأبحاث الأثرية دلت أن لهيرباص ابنة تدعى أسبتي- كما ذكرنا سابقاً- وهذا يعني أنه متزوج لا يحتاج علية زوجة له، بل يريد مدينتها والغرض من المصاهرة سياسي محض⁽⁸⁾. لكن ما يثير التساؤل هو أن الملك الليبي هدد بالحرب في

⁽¹⁾ نجلاء سقوان، الامتزاج الاجتماعي بين القرطاجيين والنوميديين من القرن الثالث الى 146 ق.م، مجلة الحقيقة، مج16، ع.04، جامعة احمد دراية ادرار، الجزائر، 2018/3/29، ص516.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص516.

⁽³⁾ نجلاء سقوان، الامتزاج الاجتماعي بين القرطاجيين، المرجع السابق، ص516.

⁽⁴⁾ حسية باحمان، سكان بلاد المغرب القديم في العهد القرطاجي، المرجع السابق، ص128.

⁽⁵⁾ Yazidi Zeghal(S), op.cit, p204.

⁽⁶⁾ نوال مغاري، قراءة في تطور، المرجع السابق، ص7.

⁽⁷⁾ خديجة منصوري، أصناف النساء، المرجع السابق، ص272.

⁽⁸⁾ لطيفة التهامي أندش، المرجع السابق، ص98.

حالة الرفض إلا أنه لم يقم بذلك تفاديا لخسارة المدينة التي كانت هدفه للحصول عليها، لذلك سلك سلوك آخر وأوجبهم دفع ضريبة مستمرة مقابل هاته الأرض التي قامت عليسة بكرائها إلى غاية القرن 5 ق.م⁽¹⁾.

تتفق جل الروايات و المصادر الأدبية أن الإنتحار سببه رفض الزواج، إلا أن فرجيل في ملحمة عن الطروادي آينياس فله رأي آخر حيث يقول: دفعت العاصفة برجال طروادة نحو ساحل ليبيا ثم أخذ آينياس يجوب الأرض التي حوله، فلقيته أمه فينوس متكررة وأخبرته أن المدينة القريبة هي مدينة صور(قرطاجة)، وأن ديدو ملكتها قد فرت من أخيها الذي قتل زوجها سيكوس(Sécheuse) فساعدوها جمع من خصوم الملك فاستولوا على السفن وحملوها ذهباً ورحلوا، فتوجه آينياس بعد ذلك رفقة مجموعة من الطرواديين إلى المدينة وامتلوا أمام ديدو، وطلبوا حمايتها وقبلت إقامتهم في المدينة⁽²⁾.

ويرى فرجيل أن الأقدار هي من ألقت بآينياس على ساحل شمال إفريقيا في موقع مدينة قرطاجة حيث التقى بملكها التي وقعت في حبه وغرامه⁽³⁾، حيث أن الإلهتين جونو وفينوس عملتا جاهدتين على زرع مشاعر الحب في قلب الملكة اتجاه هذا البطل أملا في إضعافها والاستيلاء على مملكته⁽⁴⁾، وهاته العلاقة الغرامية التي نشأت بينهم أثارت رد فعل هيرباص، فاتجه متضرعا للآلهة قائلاً قائلًا حسب فرجيل "...إن امرأة متجولة شيدت في مملكتنا مدينة صغيرة ابتاعتها بالمال، حيث منحناها سهلاً صالحاً للزراعة، وطبقنا قوانين منطقتنا عليها، لقد رفضت طلبنا للزواج واتخذت آينياس سيداً في مملكته..". فسمع الإله الأكبر جوبيتر ندائه الذي خاطب ميروكوريوس لتذكيره بمهمته وأن يترك قرطاجة حالاً⁽⁵⁾.

(1) عبد الحميد عمران، الرومنة والتدين، المرجع السابق، ص 52.

(2) نوال مغاري، قرطاجة والليبيون، المرجع السابق، ص 5-6.

(3) ماجدة النويصي، أسطورة آينياس، المرجع السابق، ص 9.

(4) نضار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص 95.

(5) فرجيليوس، المصدر السابق، ص 208-209.

وحينما تدخل الإله الأكبر جوبيتر وبعث برسوله مركوريوس، ليذكر آينياس بوجهته الأصلية، فبادر هذا الأخير - آينياس - إلى إعلام عليسة بحبه لها ولكنه سيرحل وهذا ما أثر فيها وجعلها تقرر الانتحار⁽¹⁾. وخاصة وأنها طلبت منه أن يكون زوجها لها⁽²⁾.

فيقول فرجيل: "عندما غلبها الحزن واستبد بها الغضب عزمت على الموت، وأخذت تدبر بنفسها الوقت والطريقة الملائمة، وتوجهت الحديث إلى أختها الحزينة تخبرها أنها اكتشفت الطريقة التي سوف تخلصها من عذابها، أي أختي العزيزة إني أشهدك والآلهة وأني قد لجأت إلى السحر رغما عن إرادتي فأبقي هذا الأمر سرا، وأقيمي في الفناء نصبا جنائزيا عاليا، وضعي فوقه أسلحة ذلك الرجل الذي تركها في جحود معلقة في حجرتي وسرير الزوجية وكل ما ترك لأخو كل أثر لذلك الرجل"⁽³⁾. "وبعد أن أقيم النصب غطت الملكة المكان بمشاعل الزواج وإكليل الورود، وتوجته بالأغصان الجنائزية على السرير وضعت ملابس آينياس والسيف الذي تركه وبدأت تستغيث بالآلهة وهي مقبلة على الموت"⁽⁴⁾.

كما منحت لآلهتهم قرابين حيوانية بلحظات قبل الرمي بنفسها في المحرقة⁽⁵⁾، وتسلمت النصب النصب العالي في جنون وجردت السياف من غمده وألقت بنفسها على السرير وهي مطعونة بذلك السياف ونظقت بأخر كلماتها "⁽⁶⁾، وقد تم تأليه عليسة بعد هذا العمل البطولي التي قامت به"⁽⁷⁾.

وقد وصف المؤرخون بخصوص الأسى والحزن اللذين إنتابا عليسة، فقد جعلت هذه المشاعر منها ملكة تعيسة في نظر الشعراء على مر العصور، رغم ما أوتيت من سلطة وجاه، ورغم تأسيسها

(1) نوال مغري، قرطاجة والليبيون، المرجع السابق، ص 6.

(2) ماجدة النويصي، أسطورة آينياس، المرجع السابق، ص 9.

(3) فرجيليوس، المصدر السابق، ص 218 - 219.

(4) المصدر نفسه، ص 219.

(5) نضار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص 233.

(6) فرجيليوس، المصدر السابق، ص 224.

(7) Fantar(M), Carthage approche, op.cit, p74.

للمدينة ذاع صيتها في أرجاء العالم القديم، وتبقى مشاعر الحب واللوعة التي انتابت ديدون في مخيلة بعض الشعراء لأغراض سياسية محضة⁽¹⁾.

وبهذا إرتبط تاريخ مدينة قرطاجة ونهاية عليسة بقصة الحب التي جمعت هذه المؤسسة لمدينة قرطاجة ديدون بالبطل الطروادي اينياس⁽²⁾.

ج-3) النظام السياسي في قرطاجة:

بعد أن إستطاعت عليسة أن تبني مدينتها، لا بد لها أن تضع اللبنات الأولى للأنظمة السياسية التي يتتبعها هاته المدينة، يقول محمد الصغير غانم أن النظام السياسي المتبع في بداية الأمر في قرطاجة عبارة عن نسخة طبق الأصل عن النظام في الوطن الأم صور⁽³⁾.

وأشار رشيد الناضوري أن هذا النظام الملكي في الواقع إستمرارا لما كان موجودا في حكومات المدن الفينيقية في الشرق، ولكن النظام الملكي القرطاجي كان مختلف وفريد من نوعه فهو ليس مثل النظام المصري القديم أو السومري ذي الطابع الإلهي المقدس، بل كان الملك القرطاجي يختار من طبقة معينة في الدولة وهي الطبقة الثرية الارستقراطية ويعتمد على التوريث للحكم⁽⁴⁾، لكن استبدل الحكم الملكي في قرطاجة منذ منتصف القرن 5 ق.م بحكم القضاة، مع بروز طبقة جديدة في المجتمع القرطاجي متمثلة في طبقة ملاك الأراضي الزراعية⁽⁵⁾.

ومعرفتنا بالحياة السياسية القرطاجية تستند في مجملها العام إلى الدستور القرطاجي الذي ذكره المؤرخون القدامى، وعلى رأسهم الفيلسوف أرسطو (348-322 ق.م)، الذي عدت من أرقى الدساتير في العالم القديم، بل وفضله على غيره من الدساتير الأخرى التي نالت إعجاب كثير من الفلاسفة آن ذاك كالدستور الاسبرطي والكريتي⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ نضار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص 79.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 95.

⁽³⁾ محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي، المرجع السابق، ص 26.

⁽⁴⁾ رشيد الناضوري، المغرب الكبير، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص 180.

⁽⁵⁾ المرجع نفسه، ص 183.

⁽⁶⁾ مفتاح محمد سعد، الملكية في قرطاجة، مجلة عصور الجديدة، ع. 21-22، جامعة وهران 1 احمد بن بلة، الجزائر، ماي 2016، ص 14.

أما بخصوص عن تاريخ نشأة هذا الدستور فإننا لا نكاد نعرف له تاريخا معينا، ولكن الشيء المؤكد أنه كان في عصر مبكر من تأسيس قرطاجة السياسي المصاحب لحياء علية إلى غرب المتوسط أو بعد ذلك بقليل، حيث نجد الدستور متجذرا وناظرا ومعمولا به عند أول إشارة وصلتنا عنه خلال القرن 6 ق.م. فقد ذكرت المصادر التاريخية أنه خلال منتصف ذلك القرن كان هناك مجلسا لإدارة قرطاجة، وإن لم تشير إلى اسمه إلا أنه ومن خلال الاطلاع على قراراته⁽¹⁾.

ومن المرجح أن يكون هو الذي عرف فيما بعد تحت اسم مجلس الشيوخ، والظاهر من الإشارات التاريخية أن الملكة علية أثناء قدومها قد اصطحبت معها أعضاء مجلس الشيوخ الصوري⁽²⁾ ويؤكد فرجيل بقوله: "وشيدت علية معبدا مهيبا لجونو، وأقاموا الأسوار و شيدوا القلاع... وشرعوا القوانين ووزعوا وأنشئوا الوظائف وكان لهم مجلسا مقدسا للشيوخ."⁽³⁾، وكذلك هيئة محكمة المائة التي كانت موجودة هي الأخرى ومصاحبة لمجلس الشيوخ وأحد أجهزته⁽⁴⁾.

ومن خلال الإطلاع على الدستور القرطاجي نجد أنه ليس حديث التكوين، وحتى وإن أضيفت له مجموعة من المؤسسات السياسية حسب متطلبات هذا النظام، خاصة بعد تحوله من وراثي ملكي إلى جمهوري انتخابي لكن لا يستثني دور الملكة المؤسسة لقرطاجة في تكوينه واستمراره بعدها، فلو فرضنا عدم طلب هيرباص الزواج منها وعدم انتحارها لكانت هي من سيرته، لكن في قضية التوريث علية لم يكن لها من يخلفها لذلك الأسرار الارستقراطية النبيلة التي جلبتها معها تسلموا الحكم من بعدها في قرطاجة، لكن فرجيل له رأي آخر فيذكر في انيادته أن لعية ابن من آنياس قبل أن يهجرها بقوله " فقد حظيت منك بطفل قبل هجرك لي قد تواتب في فناء قصري ومنحني رغم كل ذلك صورتك في ملامحه..⁽⁵⁾، إن كان حقا لعية ابن إذن لما لم يسلم له حكم قرطاجة من بعدها؟.

(1) مفتاح محمد سعد، الملكية في قرطاجة، المرجع السابق، ص 16.

(2) إبراهيم العيد بشي، مدخل إلى تاريخ، المرجع السابق، ص 132.

(3) فرجيليوس، المصدر السابق، ص 97-100.

(4) مفتاح محمد سعد، المرجع السابق، ص 16.

(5) فرجيليوس، المصدر السابق، ص 213.

إستطاعت الملكة القرطاجية عليسة أن تفرض التواجد القرطاجي في بلاد المغرب القديم بكل السبل ،رغم تعرضها للضغوطات من طرف الملك الليبي هيرباص ،مما جعلها تضحي بنفسها في سبيل بقاء قرطاجة على أراضي بلاد المغرب القديم.

(2) الملكة صوفونيزب (Sophonisbe):

لم تحظ الملكة صوفونيزب بالشهرة التي حظيت بها الملكة عليسة، إلا بعد زواجها من الملك النوميدي سيفاكس ومشاركتها في الصراع القرطاجي الروماني.

تحتفظ المصادر ببضعة أسماء النساء حصلن على لقب ملكة اثر زواجهن بالملوك، ورغم أهمية الدور الذي كان لبعضهن في البلاط الملكي، إلا أنه لم تسند لهن أية مهام سياسية محددة ،ونذكر في هذا السياق الملكة صوفونيزب⁽¹⁾. فمن تكون هذه الملكة؟.

أ) كنيثها وأصولها:

تدعى صفنبعل (Saphanbnal) أي راعية الإله بعل⁽²⁾، فقد كانت تحت حماية الإله بعل حسب ما ورد في المصادر الكلاسيكية⁽³⁾

وكذلك عرفت بصفنية وهي من أصل ارستقراطي⁽⁴⁾، ابنة عزربعل بن جيسكون يرجح أنها ولدت حوالي 221 ق.م⁽⁵⁾.

ب) صفاتها وسلوكها:

كانت شابة في مقبل العمر اشتهرت بجمالها وآدابها وشدة تدينها⁽⁶⁾، وعرفت بعبادتها للآلهة القرطاجية في مدينة سيقا عاصمة زوجها سيفاكس⁽⁷⁾، ومما لا ريب فيه أنه كان لهذه الملكة دور هام

(1) خديجة منصوري، أصناف النساء، المرجع السابق، ص 276.

(2) مالية بصال و أحمد سايع مرزوق، المرجع السابق، ص 47.

(3) صبيحة أوكيل و بلخير بقة، المرجع السابق، ص 71.

(4) مها عيساوي، المجتمع اللوي، المرجع السابق، ص 206.

(5) صبيحة أوكيل و بلخير بقة، المرجع السابق، ص 71. وينظر كذلك: مالية بصال و أحمد سايع مرزوق، المرجع السابق، ص 48.

(6) مالية بصال و أحمد سايع مرزوق، المرجع السابق، ص 48.

(7) خديجة منصوري، أصناف النساء، المرجع السابق، ص 276.

في نشر الثقافة والديانة القرطاجية في بلاد الملك سيفاكس، وأنها كانت وراء الدعم الذي قدمه هذا الأخير للقرطاجيين، ولعل أهم ما يلفت الإنتباه هو مدى قوتها ورزانة عقلها وتمسكها بالديانة القرطاجية، وهذا ما يتجلى من سجودها لماسينيسا المنتصر إثر انهزام القرطاجيين، فهذا السجود ليس تعبير صريح عن الهزيمة فقط بل سجودا للآلهة التي حققت النصر للمنتصر⁽¹⁾.

وطبعا وردت أخبار متفرقة عنها- ليس شأنها شأن الملكة عليسة-، ذكرت خلال مرحلة ضعف الدولة القرطاجية وعلاقتها بالدولة النوميديّة، وقد حصلت خلالها على لقب زوجة الملكة بزواجها من سيفاكس ملك نوميديا الغربية، الذي أصبح حليفا قويا لقرطاج في 205 ق.م وبذلك مارست الملكة مهامها الدبلوماسية وربط العلاقات بين قرطاج ونوميديا الغربية، خاصة وأن هذه الأخيرة قبل ذلك كانت حليفة لغريمه قرطاج روما⁽²⁾.

ج) زواجها من الملك سيفاكس (205 ق.م):

كان زواجها من الملك ليس عبثا بل مخططا له لأهداف ومصالح سياسية تهم الدولة القرطاجية للحفاظ على كيائها وممتلكاتها وأرضها يصعب تحديد بداية ونوعية العلاقة التي جمعت سيفاكس بالدولة القرطاجية، غير أنه يمكن أن نعتقد أنها تعود إلى بداية الحرب البونية الثانية (218 ق.م).

وأنها شملت مجال التعاون العسكري، والظاهر أنه في سنة 213 ق.م اندلعت الحرب بينهما مما أدى إلى استدعاء القائد صديعل من اسبانيا⁽³⁾.

إن ميل المملكة القرطاجية إلى هذا الملك ناتج عن الموقع الممتاز الذي احتلته مملكته القريبة من شبه الجزيرة الأيبيرية، حيث كانت ترابط القوات القرطاجية استعدادا للحرب البونية الثانية وبالتالي ستضمن خط الرجعة لجيوشها عبر أراضي مملكة سيفاكس وحماية ظهر جيوشها وضمان الإمدادات اللازمة من أقرب الطرق⁽⁴⁾.

(1) خديجة منصوري، أصناف النساء، المرجع السابق، ص 277.

(2) صبيحة أوكيل و بلخير بقة، المرجع السابق، ص 71.

(3) خالدية مضوي، المسيرة الحضارية للملك صيفاكس (Syphax) (220 ق.م- 202 ق.م) حاكم مملكة الماسيسيل، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع. 1، جامعة معسكر، الجزائر، ديسمبر 2007، ص 207.

(4) محمد بن عبد المومن، الملك صيفاكس و لقاء سيغا الدولي 206 ق.م صفحة من الدبلوماسية النوميديّة، مجلة عصور، مج. 6، ع. 1، جامعة وهران 1 احمد بن بلة، الجزائر، 2007/6/30، ص 269.

والظاهر أنه كان من مصلحة هؤلاء المحافظة على هذا الحليف القوي⁽¹⁾، فكان الحل عرض عليه الزواج من الأميرة صوفونيزب ابنة القائد عزربعل سنة 205 ق.م⁽²⁾ فتشارك معه الحكم ضمناً، حيث كان لها دور كبير في توجيه الحرب ضد الرومان، وكذلك تجسدت مظاهر هذا التحالف في إعادته أراضي كان قد انتزعها منهم والد ماسينيسا غايا (Gaia).

كما أخذ على عاتقه الرد على الهجمات التي تعرضوا لها من طرف ماسينيسا وفرسانه سنة 205 ق.م، وأرسل سنة 204 ق.م مبعوثين عنه للقنصل الروماني سكيبيو الذي كان بمعسكر سراقوسة (Syracuse) بجزيرة صقلية ليخبروه بانضمامه إلى القرطاجيين في الحرب⁽³⁾.

(د) صوفونيزب والحرب:

إتضح أولى مظاهر التغيير في إستراتيجية التخطيط عندما خططت هذه الملكة لكسب حليف قوي لوطنها قرطاجة في محنته، حيث يصور بعض المؤرخين تفاصيل هذا المخطط الذي أملتة على زوجها الملك سيفاكس، بل الأدهى من ذلك أنها كانت متتبعة لتطورات⁽⁴⁾، وهي متواجدة بقصرها في سيرتا (Cirta) تنتظر ما يسفر عنه من نتائج، بينما يؤكد كورني (Corneille) (1606-1684م) في إحدى مشاهد مسرحيته أنها رافقت زوجها الملك إلى ساحة الحرب، وتابعت خيوط مخططها عن كذب وتحكمت بمساره من خلال رؤيتين: رؤية الملكة، ورؤية الزوجة الذكية.

وقد حاول القائد العسكري الروماني سكيبيو من جهته أن يقنع الملك النوميدي بالعدول عن مناصرته للقرطاجيين، غير أنه لم يفلح في ذلك، وأرجع بعض المؤرخين فشل هذا الأخير في مهمته إلى قوة شخصية صوفونيزب ومدى تأثيرها على زوجها الذي كانت تشاركه الحكم⁽⁵⁾.

وبدأت المواجهة و الحرب بمجرد نزول الحملة الرومانية برأس سيدي المكّي (Apollonius Promonium)-الواقع شرق خليج السرت الصغير- بقيادة سكيبيو في ربيع سنة 204 ق.م.

(1) خالدية مضوي، المرجع السابق، ص 208.

(2) Titus Livius, Loc.cit, XXIX, 23, 4.

(3) خالدية مضوي، المرجع السابق، ص 208.

(4) نضار الأندلسي، شخصيات نسائية، المرجع السابق، ص ص 47 - 48.

(5) المرجع نفسه، ص 48.

وقد إنضم إلى الجيش القرطاجي بقيادة صدرعل على رأس 60 ألف جندي ثم ساهم في رفع الحصار الذي فرض على مدينة برج بوشاطور (Utica)، وتدخل في المناوشات الأولية بين الرومان والقرطاجيين التي أدت إلى هزيمة هؤلاء وحليفهم⁽¹⁾.

وكذلك شارك ماسنيسا في وقائع هذه الحرب، بإستدرجه القوات القرطاجية إلى مكان اختفاء القوات الرومانية التابعة "لكورنيليوس سكيبيو"، مما أدى إلى هزيمتهم في معركة هنشير الباي (Salaca)، كما لعب دورا هاما في معركة السهول الكبرى سنة 203 ق.م، حيث تعقب إلى جانب "الايوس" نائب القائد الروماني، حليف القرطاجيين الملك سيفاكس "عدوه الأزلي" الذي عندما أحس بالهزيمة ترك ساحة المعركة واتجه نحو عاصمته سيرتا⁽²⁾.

فأمر القائد سكيبيو من نائبه لايوس وحليفهم ماسنيسا بمطاردته، غير أن سيفاكس دخل عاصمته دون صعوبة، وجمع تحت تأثير زوجته صوفونيزب جيشا قويا ثم خرج مسرعا ليتعرض سبيلهما، وليحول دون محاصرتهم لمدينة سيرتا (قسنطينة)، لكنه إنحزم في المعركة التي دارت بالقرب من المدينة ووقع أسيرا في يد ماسنيسا سنة 203 ق.م⁽³⁾.

الذي ناد على الحراس من أمام أسوار المدينة الذين كانوا يجهلون هزيمة ملكهم ولم يصدقوا ماسنيسا عندما ذكر لهم ما حدث، وعندما قدم لهم ملكهم مكبلا في أغلاله، فتحوا له أبواب المدينة التي استولى عليها بعد أن سلم ملكها كأسير حرب للقائد سكيبيو⁽⁴⁾.

ونستنتج مما تقدم إلى أن صوفونيزب اختارت بمخططها ما يمكن أن يسهم في التعبير عن بعد شرطها ورؤيتها الفكرية، والإفصاح عن خطاب سببه الصراع الدائر بين خصمين، حتى أن بعض المؤرخين المعاصرين ينسبون إليها أفعالا شيطانية بسبب قدرتها الفائقة على التخطيط ودرايتها الكبيرة بسيرورة الأحداث ومصير التحالفات، إضافة إلى شخصيتها المؤثرة في شخص زوجها، وهذا الزوج الضعيف وهو يعيش صراعاته خوفا من سلطة روما، ونلمس أن هذا المسار الأحادي في التخطيط

(1) خالدية مضوي، المرجع السابق، ص 208.

(2) خالدية مضوي، من سير ملوك الجزائر القديمة الملك النوميدي ماسينيسا (238-148 ق.م)، مجلة عصور الجديدة، مج 11،

ع 1، الجزائر، جامعة وهران 1 احمد بن بلة، الجزائر، مارس 2021، ص 15.

(3) خالدية مضوي، المسيرة الحضارية للملك، المرجع السابق، ص 208-209.

(4) خالدية مضوي، من سير ملوك، المرجع السابق، ص 15.

لمصير الأحداث الجسيمة غريب على تجربة المرأة، وهذا يعني الملكة صوفونيزب هي أول من كسر هذه القواعد الحربية للوصول إلى أهدافها حاملة لشواغل وطنها قرطاج⁽¹⁾.

هـ) نهاية الملكة صوفونيزب:

يذكر تيت ليف في هذا الصدد: "أن صوفونيزب التي كانت متواجدة بقصر المدينة سيرتا أنها توسلت للملك ماسنيسا أن لا يسلمها للرومان"⁽²⁾، فقرر الزواج منها غير أن هذا الزواج دام يوما واحدا فقط، ويعود ذلك بسبب الضغط الذي تعرض له ماسنيسا لتسليمها للسلطات الرومانية، حتى تعامل حسب ما يقرره الرومان، لأن ماسينيسا حتى وإن كان من المنتصرين إلا أن صوفونيزب لم تكن أسيرته طالما أن الحرب اندلعت تحت إشراف الآلهة الرومانية التي حققت لهم النصر، وبالتالي لا يجوز حرمان هذه الأخيرة من غنائمها، زيادة على ذلك كان الرومان يعتقدون أن ماسنيسا أراد أن يعبر من خلال هذا الزواج عن وراثته لعرش سيفاكس بعد إحتلاله مدينة سيرتا و الإستيلاء على قصره⁽³⁾.

ورغم ذلك إختلف المصادر في مصيرها فمنهم من قال أن ماسينيسا سقاها كأس من السم، ومنهم من قال أنه كلف أحد خدمه للقيام بذلك والبعض الآخر يقول أنه سلمها للرومان، ومما لاشك فيه أن ماسنيسا إضطر للتضحية بها ليتمكن من إسترجاع مملكته والمحافظة على صداقة الرومان⁽⁴⁾، والبعض الآخر يرى أنها كانت وفية لزوجها سيفاكس بعد أن إنتصر عليه ماسنيسا، فحافظت على مكانتها وانتحرت بعد إلقاء القبض على زوجها من طرف روما لكي لا تقع هي الأخرى أسيرة لروما⁽⁵⁾ سنة 203 ق.م وبذلك كررت تصرف جدتها عليسة مما يبين لنا تمسكها بالتقاليد والأعراف البونية المحافظة⁽⁶⁾.

(1) نضار الأندلسي، شخصيات نسائية، المرجع السابق، ص 48.

(2) Titus Livius, Loc.cit, XXX, 14, 15.

(3) خديجة منصوري، أصناف النساء، المرجع السابق، ص 277.

(4) خالدية مضوي، المسيرة الحضارية للملك، المرجع السابق، ص 209.

(5) صبيحة أوكيل و بلخير بقة، المرجع السابق، ص 71.

(6) مالية بصال و أحمد سايح مرزوق، المرجع السابق، ص 48.

وليس فقط الملكة عليسة وصوفونيزب رمزا للوفاء، فقد ضربت زوجة أسدريعل (Hasdbiaal) مثالا في التضحية والتفاني، وأظهرت شجاعتها وقوة شخصيتها وموقفها من زوجها الضعيف، الذي تخلى عنه جنوده بعدما وثقوا فيه ليلتجأ إلى القنصل الروماني ويطلب منه الحياة شرط أن يلتحق بعد ذلك بصفوف العدو⁽¹⁾. وقد لفتت أنظار شجاعة هذه المرأة وإستماتتها في التحصن في مدينتها قرطاجة، إهتمام جمهرة من المؤلفين وذلك حين وصف وحشية روما حين خربت قرطاجة فتصدت بكل ما أوتيت من قوة ورفضت الانصياع لأوامر قادتها، حيث رمت نفسها وطفليها في النار رفضا للضعف والإهانة التي لحقت بزوجها من طرف خصومه، فخلدت ذكراها في قرطاجة بحيث أنشئت مقبرتها في بيرسا فوق هضبة مرتفعة تشرف على المدينة ككل⁽²⁾.

وقد عرف وإشتهر عن الملكات والنساء القرطاجيات من الأسر الأرستقراطية عادة رمي النفس في النار، كنوع من التضحية للآلهة من أجل حماية الوطن من الخضوع والذل وكذلك للحفاظ على كرامتهن والحرية.

3) الملكة الطرقية تين هينان (Tinhinan):

تعتبر هذه الملكة من أهم الملكات في بلاد المغرب القديم، خاصة لأصولها المحلية لذلك لا بد من الإشارة والتطرق لها لما كان لها من دور سياسي في المنطقة.

تتفق كل المصادر القديمة -خاصة الأدبية- والدراسات الحديثة منها على وجه خالص على إعتبار أن كل من حكم المغرب القديم من النساء ذوات أصول أجنبية، وتفنند النقوش الصخرية تماما هذا الإدعاء، فلقد تبوأَت المرأة شرف تقلد المناصب السياسية منذ العهود السابقة ودعمت طرح إنتماء الملكات للمنطقة ورد على بعض الإشكاليات المطروحة على الباحثين⁽³⁾.

وإذ ما رجعنا اليوم لتاريخ روما الكلاسيكي المدون على النقائش، فإننا سنجد حافلا بأسماء نساء تقلدن مناصب سياسية داخل مدينة ويلي، "فقد كانت تحضر جوليا صوفينيلاس (Julia Sophinias) جلسات مجلس الشيوخ (Senat) وإحتلت مقعدا قريبا من قنصل (Consul) المدينة،

⁽¹⁾ نضار الأندلسي، شخصيات نسائية، المرجع السابق، ص 49-50.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 50.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص 129.

كما حصلت السيدة جوليا داما (Julia Dama) على لقب أم السيناتور (Mère de Sénat)، وقامت جوليا ماميا (Julia Mamia) بمساعدة حفيدها بالمهام السياسية بوليبي، وتكشف لنا نقيشة أخرى أن زوجة حاكم وليبي فالينتينيا سوترونيا (Sutronia Valentina) دعت بلقب زوجها⁽¹⁾.

رغم أهمية هذه المناصب التي إحتلتها المرأة، والتي تدل على مكانتها داخل المجتمع الوليلي مقارنة بغيرها في باقي المقاطعات الرومانية، فإننا نجد سكان المدينة غير مكترئين لأنهم يفضلون قيادة الرجل، ونستدل على ذلك بقلة أن لم نقل ندرتها، النقائش المخصصة للنساء مقابل تلك التي نسبت للرجال، إلا أن التنقيبات الأركيولوجية في بداية القرن 20م في منطقة الأهقار (Hoggar) بالصحراء الكبرى عن قبر ملكة الطوارق تين هينان التي فرضت سلطتها على الجزء⁽²⁾. فمن تكون هذه الملكة؟.

أ) الأصول والتسمية:

قليلة جدا هي المعطيات التي تفيدنا بها المصادر حول الملكة تين هينان، مما لا يسمح للباحثين بإزالة الغموض المحيط بهذه الشخصية⁽³⁾ تدعى تين هينان وتعني ناصبة الخيام⁽⁴⁾، وهي كلمة بلغة التماق ويعود ذلك إلى ولعها بالتنقل والرحال⁽⁵⁾ والتي حكمت في القرن الخامس ميلادي⁽⁶⁾. وقد قدمت - حسب ما يروى - من منطقة تافيلات مسقط رأسها جنوب شرق الأطلس المغربي ممتطية راحلتها وهي ناقة بيضاء متجهة إلى منطقة الأهقار بجنوب الجزائر⁽⁷⁾.

⁽¹⁾ نضار الأندلسي، شخصيات نسائية، المرجع السابق، ص 129.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 129 - 130.

⁽³⁾ خديجة منصوري، أصناف النساء، المرجع السابق، ص 273.

⁽⁴⁾ صبيحة أوكيل و بلخير بقة، المرجع السابق، ص 70.

⁽⁵⁾ حسية صفريون، أثر وآثار المرأة في كتابة تاريخ البشرية وتاريخ الجزائر، مجلة الآثار، جامعة الجزائر 2 معهد الآثار، الجزائر، 2010، ص 216.

⁽⁶⁾ صبيحة أوكيل و بلخير بقة، المرجع السابق، ص 70.

⁽⁷⁾ حسية صفريون، أثر وآثار المرأة، المرجع السابق، ص 216.

(ب) سلوكها وصفاتها:

لقد كانت تتمتع بقدر كبير من الجمال، إستطاعت توحيد الصحراء الأفريقية الكبرى، أو منطقة الساحل أي جنوب الجزائر ليبيا وموريطانيا والنيجر ومالي وتشاد، فقد عرفت بشجاعتها ودهائها وحنكتها الكبيرة، وكذلك المشاعر النبيلة، وأدخلت إلى مجتمعها تقاليد جديدة خاصة بسياسة التخزين والتوفير لوقت الشدة لمحاربة الغزاة أوسنين الجفاف والقحط⁽¹⁾.

(ج) الأسطورة والتاريخ:

وتروي الأسطورة أنه خلال قدومها من المغرب، كاد الجوع والتعب أن يقضي عليها رفقة خدمها وعبيدها وفي لحظات صعبة تפטنت خادمتها (تاكامات) إلى قوافل النمل، وهي حاملة الحب من القمح والشعير فأمرت الملكة بالسير في الاتجاه المعاكس لهذه القوافل إلى أن وصلت إلى منطقة الأهقار، أين وجدت الأمن والماء وباقي مقومات الحياة⁽²⁾.

وإستطاعت أن تسيطر على المنطقة بجمالها وحنكتها الكبيرة فطبقت عليها سياستها وإستطاعت كذلك توحيد الصحراء الأفريقية الكبرى-حسب ما أشرنا سابقا-وتزوجت بأبالسة حيث أعترف بها الإيزيتن ملكة عليهم فأنجبت تين هينان صبية أسمتها كيلة وهي التي تنحدر منها قبيلة كيل ريلة⁽³⁾.

وفي دراسة علمية حديثة أكدت أن هذه الملكة ربما كانت عرجاء، فقد وردت عند بعض المؤرخين إشارة إلى وجود ملكة كانت تحكم الرجال المثلثين، أي الطوارق وكانت ربما عرجاء، أما ابنها الأكبر "هقار" الذي أطلق إسمه على المنطقة فهو أول من وضع اللثام على وجهه بعد العار الذي أصابه في إنهزامه في معركته⁽⁴⁾، وقد تم العثور على هيكلها العظمي في ضريح الأبالسة مع أدواتها وحليها الذهبية الفضية وحتى الحديدية وكل أثارها الجنائزي⁽⁵⁾ (الملحق رقم 22 ص 340).

(1) صبيحة أوكيل وبلخير بقّة، المرجع السابق، ص 70.

(2) حسية صفريون، أثر وآثار المرأة، المرجع السابق، ص 216.

(3) خديجة منصوري، أصناف النساء، المرجع السابق، ص 273.

(4) حسية صفريون، أثر وآثار المرأة، المرجع السابق، ص 217.

(5) صبيحة أوكيل، بلخير بقّة، المرجع السابق، ص 70.

حيث أجري (الضريح) إلى حفرة من طرف فرقة بحث أمريكية-فرنسية سنة 1925م، حيث ترقد الملكة رفقة زينتها وأثاثها، وما تم ملاحظة أن الضريح يشبه ذلك الموجود بالمغرب الأقصى وهو ضريح سيدي سليمان في تافاللت مسقط رأسها، كما يشبه في عمارته معظم الأضرحة المعروفة في شمال إفريقيا والبحر المتوسط أثناء فجر التاريخ كالمداغاسن ببانتة ولجدار بتيارت وقبر الرومية بتيبازة حيث تشترك هاته الأضرحة بمدخل وحيدا يطل على الشرق⁽¹⁾.

وعثر سنة 1969م بعين صالح على مخطوط جاء فيه أن تين هينان ابنة السيد الملك مرت بالمنطقة في سنة 1020 هجرية الموافق لسنة 1642 ميلادية، وأن ابنتها أو حفيدتها أكيلا هي زوجة السيد الثالث الذي حكم الأهقار، وبالتالي تكون تين هينان حسب هذا المخطوط ملكة بربرية مسلمة عاشت على الأقل في القرن 11هـ الموافق ل 17م⁽²⁾.

ومن المستبعد أن تكون الأسطورة المعروفة لدى الطوارق قد أخذت من هذا المخطوط، الذي لعله اعتمد بدوره على رواية شفوية قديمة توارثها الأجيال دون المحافظة على مصداقيتها، وأي كان المصدر فإن المعلومات التي تفيدنا بها الأسطورة والمخطوط تتعارض مع المعطيات الأثرية المكتشفة⁽³⁾.

حيث تثبت البقايا أن ضريح تين هينان بني قبل الفتح الإسلامي، لاسيما المصباح الروماني الذي لم يعد يصنع منذ نهاية ق 3م، وإن كان لا يزال يستعمل بهذه المنطقة البعيدة، وعلامة نقود الإمبراطور قسطنطين التي ضربت بين سنة 308 و 324م، وبصورة خاصة خشب السرير الجنائزي الذي يرجع حسب الكاربون 14 إلى ما بين 430 و 660م فكل هذه المعطيات تؤكد على أن الملكة دفنت بين ق 4 و 6م⁽⁴⁾.

والظاهر أن الملكة قد تمتعت بمكانة خاصة عند أهل الطوارق وظلت تعتبر الملكة الشرعية والأم والجددة ل 12 قبيلة من نبل الطوارق الحاليين⁽⁵⁾. وتمت الإشارة إلى اسم أميرة أخرى حكمت المنطقة نفسها وهي الملكة تيسكي (Tiski)، لكنها تتميز بنفس مواصفات الملكة تين هينان، فهل يمكننا أن

(1) حسية صفريون، أثر وآثار المرأة، المرجع السابق، ص 217.

(2) خديجة منصوري، أصناف النساء، المرجع السابق، ص 273.

(3) المرجع نفسه، ص ص 273 - 274.

(4) المرجع نفسه، ص ص 275 - 276.

(5) صبيحة أوكيل، بلخير بقعة، المرجع السابق، ص 70.

نفترض أن الإسمين يعودان إلى ملكة واحدة وهي صاحبة القبر التي أسفرت عنه نتائج الأبحاث الأثرية في منطقة الأهقار⁽¹⁾.

ويتوضح لنا من خلال ما تقدم، أن المرأة في بلاد المغرب القديم كانت لها علاقة مباشرة بالحكم في النصوص الأدبية والإغريقية، وذلك إبان الفترات التي طغت على أحداثها الأسطورة ودعمت الوثيقة الأركيولوجية من خلال ما ورد في الجداريات المصرية، على أن حال المرأة في المنطقة كان لها شأن عظيم في شتى العصور سواء كانت أما أو أختا أو زوجة⁽²⁾.

إستطاعت الملكة تين هينان أن تكون ملكة على مساحة واسعة من أراضي بلاد المغرب القديم وتمكن من توحيد الاقاليم، بالرغم من صعوبة ذلك .

III-3) مكانة المرأة العسكرية (المرأة والجيش):

أثبتت مختلف المصادر خاصة الأدبية منها، أن المرأة أستطاعت أن تقود الجيوش وتحارب مثل الرجل، وهذا ما سنأتي على ذكره.

لقد تبوأَت المرأة بشمال إفريقيا القديمة أدوارا حربية طلائعية في الأدبيات الكلاسيكية، لتكون لها بمنزلة جواز عبور في مجتمعات أخرى لا تحتفي كثيرا بموهبتها القتالية، ومواقفها الشجاعة في ساحة الحرب، بينما لم يعد التوجس من قبول المرأة المحاربة في المجتمعات المحلية والشك في قدراتها، حتى شاع القول بأن ظاهرة النساء المحاربات تفشيت في القبائل الليبية القديمة التي كانت تعرف مشاعة النساء دون سواها⁽³⁾.

III-3-1) المحاربات الأمازוניات (Amazons):

ليس في الأعراف والتقاليد في المجتمع المغاربي القديم ما ينتقص من مكانة المرأة، فقد إحتلت أعلى المراتب الاجتماعية بحيث تقبل المجتمع أن تكون ملكة، وأن تقود الجيوش وأن تكون مستشارة في شؤون السياسة والحرب (سيريا أخت الثائر فيرموس)، ولعل هذا الوضع المتميز هو الذي كان وراء الأسطورة التي رواها ديودور الصقلي عن النساء الأمازוניات في المنطقة الغربية من ليبيا (الشمال

⁽¹⁾ نضار الأندلسي، شخصيات نسائية، المرجع السابق، ص 130.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 130.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص 26.

الإفريقي القديم)، وعموما فمن هذه التقاليد لا يزال لها بعض الامتدادات إلى اليوم، في عموم الشمال الإفريقي بنسب متفاوتة ،وأهمها مشاركة المرأة في الحرب ووجودها في القطاعات ذات الطابع العسكري⁽¹⁾.

1) الأمازونات أسطورة أم حقيقة:

قبل التطرق لدور هؤلاء النسوة لابد من الإشارة إلى محتوى الأسطورة بين ما هو حقيقي ،وما هو تاريخي نسبي.

أ) محتوى الأسطورة:

تقول الرواية: "كان هناك مجتمع تحكمه النساء، نمط عيشه يختلف تماما عن المؤلف (المؤلف بالنسبة للإغريق)، فلقد كان العرف يقضي أو يفرض على تلك النساء التعاطي للأنشطة الحربية ،لقد كن مجبرات على أداء الخدمة العسكرية مدة معينة في حياتهن مع الحفاظ على بكارتهن"⁽²⁾.

وبعد إنتهاء سنوات الخدمة العسكرية يحق لهن الإقتراب من الرجال لإنجاب الأطفال، وفي نفس الوقت لا ينقطعن عن ممارسة مهامهن السياسية ،فقد كن يتابعن ممارسة السلطة وإدارة الشؤون العامة، أما الرجال فقد كانت وضعيتهم شبيهة بوضعية النساء الإغريقيات أي أنهم كانوا يقضون أوقاتهم في المنازل خاضعين لأوامر رفيقاتهم دون أدنى حق سياسي، وعندما تولد الطفلة كان العرف يقضي بإحراق ثدييها⁽³⁾ حتى لا ينموان في فترة البلوغ، وحتى لا يشكلا عائقا لها على الحركة أثناء العمليات الحربية.

وهكذا يفسر بعض المؤرخين الأصل في كلمة الأمازون باعتبار أن هذه الكلمة بالإغريقية تعني: "عديمات الأثداء، وستقوم الأمازוניات القاطنات بجزيرة هيسبيرى الواقعة ببحيرة تريتونيس بمحاربة الشعوب المجاورة كالغورغونات ،ثم الأنطلنتس(الشعب الأطلنطي) وبعد ذلك سينطلقن في غزوة

⁽¹⁾ محمد العربي عقون، المجتمع والثقافة في الشمال الإفريقي القديم نظرة موجزة في إسهامات الجزائر في الحضارة الإنسانية، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، ع.43، جامعة قسنطينة 2 ، الجزائر، جوان 2015، ص23.

⁽²⁾ أحمد سراج، صورة المرأة في الأسطورة القديمة أو التاريخ بين الصورة والأسطورة، مجلة الأمل، مج.5، ع.13، 14، الدار البيضاء، المغرب، 1998، ص21.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص21.

كبرى نحو الشرق، حيث ستحتاج تلك النساء شمال إفريقيا، وبعد ذلك مصر ثم آسيا الصغرى حيث سيهزم أمام شعب ترأس الذي سيجهرن على العودة إلى منطقتهم الأصلية أي شمال إفريقيا⁽¹⁾.

أ) النقد والتحليل: (الموطن الأصل والنسب):

من خلال ترصد و التعمق في أساطير الغورغونات المدونة في المصادر الإغريقية، فقد جادت في وصفهن على أنهن مخلوقات غريبة ومخيفة تعيش في الصحراء، وتمت الإشارة إلى جزيرة هيسبيروس (Hesperus)، وإتخذن القرن الغربي كمستقر لهن، وقيل أنها تعيش بها ثلاث غورغونات، حيث تتمتع الغورغونة ميدوزا (Medusa) بقدرات خارقة، تمكنها من تحويل السكان إلى حجر مثل ما حدث لسكان إثيوبيا المجاورين⁽²⁾، وعلى نفس الجزيرة أطلق الرحالة حنون (Hannoun) إسم كوريي (Corelli).

و مالت إنتباهه — من زارها— أنها مملوءة بالنساء، ولتأكيد على قوله ألقى القبض على ثلاثة منهن ثم قتلهن وسلخ جلدهن وحمله إلى معبد قرطاجة، رغم ما أحيط بهذه الرحلة من شكوك⁽³⁾، إلا أنه يوجد من أكد على ذلك وهو عالم الطبيعيات بلين الشيخ أكد على صحة المعلومات⁽⁴⁾، وقد بإعطاه حدودا دقيقة لموقع الجزيرة بالضبط الممتدة في نواحي جبال الأطلس أقصى الجهة الغربية، وقد أطلق على الجزيرة اسم غورغاد (Gorgade)⁽⁵⁾.

لكن هنالك من الباحثين والعلماء من يشكك في ذلك وفي صحة المناطق التي حددها حنون في ق 5 ق.م في خريطة طريق رحلته، ويتساءلون لماذا لم يتم العثور على هذه المناطق إلى حد الساعة، وإن كان البعض الآخر يعتقد مفترضا أن وجودها كان سببه أهداف إقتصادية محضة لا غير⁽⁶⁾.

(1) أحمد سراج، المرجع السابق، ص 21.

(2) نضار الأندلسي، شخصيات نسائية، المرجع السابق، ص 26.

(3) المرجع نفسه، ص 26-27.

(4) المرجع نفسه، ص 27.

(5) Pline L'ancien, Loc.cit, VI, 197, V, 8.

(6) نضار الأندلسي، شخصيات نسائية، المرجع السابق، ص 27.

لكن مهما يكن من شأن هذه الرحلة المشكوك فيها وتضارب الآراء حول صحتها ومن عدمها، يبقى أهم ما في الدراسة هو تحديد موطن الغورغونات الذي يقع بالمجال الصحراوي وبالضبط في القرن الغربي بالجنوب المغربي الحالي قبالة جزر الكناري، حيث بدت معالم هذا المكان جلية في الرحلة المزعومة⁽¹⁾.

لكن المصادر العربية كان لها رأي آخر وأعطت لهاته النسوة وطن آخر في جزيرة "السعالي"⁽²⁾ فالإدريسي (493-559هـ) يقول عنها: "وجزيرة السعالي فيها خلق كخلق النساء لهم أنياب بادية وعيونهم كالبرق، ولا نفرق بين الرجال منهم والنساء إلا بالذكور والفروج"⁽³⁾. أما الجغرافي زكرياء القزويني (605-682هـ) فقال: "ومنها أمة على صورة نساء لهم شعور وثدي لافحل فيهن يلقحن بالريح ويلدن أمثالهن"⁽⁴⁾.

إلا أن أصدق المصادر التي سبق المصادر الأدبية حول هاته النسوة ما دونه المؤرخ ديودور الصقلي في الجزء الثالث من كتابه حول المحاربات الأمازونات، الذي وصفهن بمحاربات لبيات شجاعات وجماليات، مقرهن جزيرة هيسبيري الواقعة أقصى غرب العالم القديم على ضفاف بحيرة تريتونيس، ذلك النهر الكبير الذي يصب في البحر الليبي قرب مدينة سيرتا الصغرى⁽⁵⁾.

ومما سبق ذكره فنحن أمام مجتمعين متجاورين من النساء الأمازونات، الغورغونات طغى على علاقتهما الحروب والنزاعات، غير أن أسطورة الأمازونات حظيت بقسط وافر من الاهتمام خاصة عند المؤرخ اللاتيني ديودور الصقلي⁽⁶⁾.

وطبعا تبقى مسألة النسب هي أكبر مشكلة في دراسة مثل هذه المواضيع، فبخصوص نسب المحاربات فقد أثار إنباه النسب المقدس للملكات المحاربات إلى جانب الأب كان حاضرا، ولعلنا لا نذهب بعيدا إذا ما لاحظنا حرص المؤلفين على ضرورة هذا النسب في البداية، بحيث تتساوى من

⁽¹⁾ نضار الأندلسي، شخصيات نسائية، المرجع السابق، ص 27.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 28.

⁽³⁾ الشريف الإدريسي، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، مطبعة بريل، لبنان، 1998، ص 53.

⁽⁴⁾ زكرياء القزويني، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، منشورات دار الأفاق الجديدة، ط. 1، بيروت، 1973، ص 492.

⁽⁵⁾ نضار الأندلسي، شخصيات نسائية، المرجع السابق، ص 28. وينظر كذلك: Dédore de Sicile, Loc.cit, III, 51, 52.

⁽⁶⁾ المرجع نفسه، ص 29.

خلاله النساء مع الرجال في المكانة وتنفصل فيه عن وضعهن التقليدي حتى جعل منه البعض موضوعا يفرض نفسه ويتكرر في الأحداث السياسية والحربية الجسيمة، وهو في نظرهم كان وراء كل ما سجلته هؤلاء المقاتلات من انتصارات وإنجازات وكل ما حققته من بطولات خارقة⁽¹⁾.

وحسب الباحثة نضار الأندلسي "فكان من ذلك أن رفع بعض المؤرخين نسب ملكة الأمازونات بونتسيلي (Penthesilee) إلى الإله مارس (Mars)، حيث منحها هذا الأخير القوة والشجاعة لمجابهة الرجال وقهرهم، وقلدت أتباعها من المقاتلات مناصب مرموقة في مملكتها ونسبت المحاربة أسبوتي (Abyste) إلى أبيها أيرباس (Iarbas)، الذي ينحدر من سلالة إله آمون، تمكنت بفضل هذا النسب من الانطلاق والتحرر من قيد المرأة المعيلة كقهر وتدين اجتماعي، واكتسبت قدرات قتالية مكنتها من التكيف على نمط الحياة القاسية في الغابات الموحشة"⁽²⁾.

"كما وهبت القوة والشجاعة فقاتلت البطل الروماني موبسوس التراقي (Mopsus) ونجحت من الموت المحقق، وامتلكت قدرات خارقة استطاعت أن تنتصر على الجيوش الرومانية الجارة في منطقة المارمريك (Marmarique) (شرق القرنائية)، وأن تكبدهم هزيمة نكراء، في الوقت نفسه فرضت هيبتها التي ذاع صيتها جعلت الشعوب الأخرى تنطوي تحت لوائها جراء الخوف من بطشها دون قيد أو شرط"⁽³⁾.

وطبعا بفضل هذا النسب المنحدر من سلالة الآلهة المقدسة، رفع من قدر الملكات المحاربات، وتبلور ذلك في تعظيم قوتهن العسكرية والمبالغة في وصف لشجاعتهن وتقلدن بذلك مقاليد السلطة وحماية مملكتهن والتوسع على حساب الممالك الأخرى المجاورة⁽⁴⁾.

ولكن هناك جدل قائم حول سبب غياب الإشارات عن نسب باقي الملكات المحاربات الأمازونة ميرينا (Myrina)، والغورغونة ميدوزا في ثنايا الكلاسيكيات الأدبية، بالرغم مما كانت تمثله هذه الأخيرة من قوة وشجاعة وريادة وما حققته من انتصارات وتوسعات بفضل انضمام الفتيات

⁽¹⁾ نضار الأندلسي، شخصيات نسائية، المرجع السابق، ص 31.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 31.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص 32.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه، ص 32.

المقاتلات المتمرسات إلى جيشها. ومن ثم أضحي النسب المقدس ذو أهمية بالغة لتحقيق البطولات الحارقة في المنطقة قديماً⁽¹⁾.

إلا أنه من المرجح أن نسب الملكات والمحاربات خضع لمراحل ومتغيرات إجتماعية فانتقل من النسب المقدس إلى نسب الأب لإثبات أحقية المرأة في وراثة الملك والسلطة الشرعية في ظل غياب وريث ذكر داخل نظام أبوي، يمكن تقويضه والإحاطة بأساساته مثل هذه المجتمعات⁽²⁾.

وقد أسندت للمرأة العادية التي لا تنسب إلى إله أو ربة مهام حربية لم تكن جديدة عليها، في الوقت الذي كانت سبابة للمشاركة في النشاط الاقتصادي والمشاكل العامة، فأضحت هذه الأخيرة كراعية للحياة في السلم والحرب على حد سواء، حيث تتولى نساء قبائل الزوسيس (Zauécés) قيادة العربات في الحروب لمساعدة المقاتلين⁽³⁾، وتمتطي الموريات ظهور الخيول صحبة أزواجهن وتتكلف نساء الاثيوبيين الغربيين بحمل السلاح عوض الرجل في فترات معينة من السنة، لإجتيازهن لفترة تدريب قاسية ومضنية⁽⁴⁾.

2) الحروب والتوسع:

إتضح أولى مظاهر التخطيط في النصوص عندما خططت الأمازونة ميرينا للقضاء على مملكة ميدوزا، فسارعت إلى شن هجوم مباغت عليها تلبية لنداء الأطلسيين، الذين عانوا من بطشها وجبروتها، فكان أن احتدم القتال بينهما انتهى بهدم وحرق مملكة ميدوز⁽⁵⁾.

ثم توجهت للتوسع ناحية الشرق وإجتاحت العديد من المناطق وحققت التوسع الذي طمحت إليه، وحصلت على عدة موارد بأنواعها من أسرى وثروات، بينما أنصبت خطط الملكة أمالتي (Amalthee) على إخضاع الشعوب الأخرى المجاورة بالقوة غير مقتنعة بفكرة التوسع، ورغم ذلك جنت أسلاباً جمّة، فضلاً عن سحر الزعامة التي تمتعت به، ويبدو واضحاً أن الملكة ميرينا

(1) نضار الأندلسي، شخصيات نسائية، المرجع السابق، ص 32-33.

(2) المرجع نفسه، ص 32-33.

(3) المرجع نفسه، ص 33-34.

(4) المرجع نفسه، ص 33-34.

(5) المرجع نفسه، ص 39.

هدفت من مخططاتها الحربية إلى إجتياح مناطق واسعة⁽¹⁾، وسعت إلى المغامرة والسعي في طلب الغنائم لكي تدعم بها قواتها العسكرية، بينما أكتفت أمالتي بكسب ولاء الشعوب المجاورة⁽²⁾.

وقد إهتمت الملكات الأمازونات بشدة بالتوسع على حساب الشعوب المنهزمة، بعد أن أحكمن حولها الحصار ومنعن عنها المؤن والإمدادات، فقد توسعت ميرينا بداية على حساب أراضي الأطلسيين المجاورة لمملكته، وتذكر المصادر أنه منذ بداية الغزو والمحاربات يجتحن عددا من المدن الليبية المجهولة، باستثناء مدينة مين (Mène) التي أشارت إليها المصادر لكونها مدينة مقدسة، كما أخضعن مدن أخرى بقوة السلاح بمجال الأطلسيين، لدرجة أن الكثير من سكانها فروا خوفا من بطشهن، وتعد كيرني (Cerné) (قورينة) من أهم المدن التي إستولين عليها عنوة⁽³⁾.

وسيطرت ميرينا بعد ذلك على مصر بوابة الشرق التي كان يحكمها ملك مصر حورس (Horus) وإله الشمس آنذاك، وكان فحو هذا التوسع خارج الحدود الليبية الوصول إلى بلاد العرب وسوريا ثم صقلية، واستمرت في حملاتها التوسعية إلى أن ضمت شواطئ فريجيا (Phrygia) (تركيا حاليا) ثم القوقاز (Caucase)، وهي المنطقة الحدودية التي توجد بين أوروبا وآسيا، كما احتلت مجموعة من المناطق الأخرى المجاورة وأسست بها مدنا⁽⁴⁾.

وهذا بفضل جيشها المحكم التنظيم الذي كان يتألف من ثلاثين ألف من النساء المشاة وعشرين ألف من الفارسات، ويبدو أن قيادة الأمازونة المحاربة لجيوشها اتسمت في البداية بالتبصر والذكاء والتنظيم المحكم لفرق الفارسات والمشاة، وقبل أن تتوجه لغزو مناطق الشرق قامت بخطوة جريئة وذكية وذلك حين ربطت علاقة صداقة مع ملك مصر، بعدما تأكدت أن مصر بوابة الشرق بالنسبة لإفريقيا وممر طبيعي إستراتيجي لتحقيق مشروعها التوسعي⁽⁵⁾.

أما بخصوص الحفيدة بونتيسلي لم تكن بارزة في الكتابات الأدبية، غير أن منصب القيادة كانت في مقدمة الامتيازات التي ورثتها، حين تزعمت جيش مكون من آلاف النساء مسلحات

(1) نضار الأندلسي، شخصيات نسائية، المرجع السابق، ص 39.

(2) المرجع نفسه، ص 39 - 40.

(3) المرجع نفسه، ص 40.

(4) المرجع نفسه، ص 41.

(5) المرجع نفسه، ص 58.

بالأقواس والدروع، وأحكمت قبضتها على الشعوب الأخرى، وبذلك ذاع صيتها في البقاع التي احتلتها.

وإستطاعت بفضل قيادتها الحكيمة والمتبصرة أن تصل إلى حدود تانايس، كما كلفت جزء من جيشها الذي تألف من 300 محاربة لاستقبال الأسكندر الأكبر (356-323 ق.م) عند زيارته، والجزء الآخر لحراسة الحدود⁽¹⁾.

وتشير الأساطير الإغريقية أن أقدم قبيلة للنساء المحاربات في الشرق تتزعمهن الملكة بونتسيلي، يبدو أنها سارت على نفس نهج جدتها الكبرى الأمازونة الليبية ميرنا، وهنا ندرج محاولات بعض الباحثين التي تربط ملكة الأمازونات الليبيات بالقيادة العسكرية منذ فجر التاريخ، وأنهن كان لهن السبق في هذا المجال عن غيرهن من المحاربات⁽²⁾.

3) العذرية والجيش:

إرتبطت مسألة العذرية بعوامل جنسية منذ فجر التاريخ -والعصور الحجرية- في حياة المرأة حين إقترنت برداء الفضيلة وبعفة الروح والجسد، لكن هذا لم يجعلها سجيناً وراء أسوار البيت وإنما كانت عنصراً إيجابياً يشارك بحرارة في مختلف الأنشطة حتى الحربية والسياسية.

ولقد مجد وتفاخر الرواة كثيراً بالإلهة العذراء، والتي دورها هو الفصل الحاسم بين النفس والجسد كفصلها بين الخير والشر، وعليها أن تضمن للنفس التطهر في إرتباطها بالجسد حتى تضمن لنفسها البقاء الى جوار الآلهة، فقد قيل أن الإلهة مينيرفا احتفظت بعذريتها وهي على دراية كبيرة بفنون القتال وحمل السلاح⁽³⁾.

وتزعمت وقادت بشجاعة جيشاً من الأمازونات العذروات، بينما تقلدت الآلهة العذراء ديانة المهام الصعبة، فهي قوية بالتوحد مع مثيلاتها من المقاتلات وضعيفة وخاضعة عند التفرق عنهن⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ نضار الأندلسي، شخصيات نسائية، المرجع السابق، ص 59.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص ص 59 - 60.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص ص 60 - 61.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه، ص 61.

وبونتييسيلي لم تخش مجابهة الرجال بالسلاح ،وهي العذراء العفيفة وتزعمت آلاف من المحاربات العذروات وحتى المتزوجات، وحاربت أسبوتي الرومان وتكلفت بقيادة جيش قوي ضم الفتيات العفيفات لنصرة وطنها المههد بالخضوع كما تخلصت المحاربة العذراء من ثديها الأيمن لكي لا يعيق حركتها أثناء حمل السلاح، وهكذا أصبح هذا التقليد ساريا في زمن الأمازونات الحفيدات فهن مجبرات على الإبقاء على عذريتهن عند تلاقيهن للتدريبات⁽¹⁾.

صحيح أننا نستند في إعطاء الحقائق حولا هؤلاء المحاربات إلى الاسطورة ،لكن ذلك لايعني إقصاء دورهن في المجال العسكري للمنطقة ،رغم عدم التأكد من صحة الأسطورة المطروحة أثريا.

III-3-2) سيريا نوبل (Cyria Nuvel):

لا نمتلك معلومات كثيرة حول هذه الشخصية المحاربة إلا شذرات جمعت من فقرات متناثرة هنا وهناك تناقلتها المصادر الكلاسيكية خاصة ما تناوله المؤرخ الروماني أميانوس ماركلنوس (Ammianu Marcellinus). فمن هي سيريا نوبل؟.

1) أسرة نوبل (Nuvel):

أن المعلومات المتوفرة لدينا حول هذه الأسرة محدودة جدا أوردها المؤرخ الروماني أميانوس ماركلنوس، الذي يذكر أن قبيلة يوبولاني تنحدر من منطقة جبال البيبان، وأنها مرومنة ومعظم أفرادها مسيحيون حيث نجد اسم نوبل أو نوفل من قبله والده ساتورنينوس (Saturninus) ووالدته كلوكيا (Colecea)، التي تعني المرأة الشريفة⁽²⁾.

وقد كان الأب نوبل يحتل وضعاً هاماً في حضن المقاطعة فهو الملك الأكثر تأثيراً على القبائل المورية⁽³⁾.

⁽¹⁾ نزار الأندلسي، شخصيات نسائية، المرجع السابق، ص 61.

⁽²⁾ محمد الحبيب بشاري، أوضاع الإمبراطورية الرومانية في النصف الثاني من القرن الرابع ميلادي ثورة جيلدون (397-398م)، مجلة الاتحاد العام للأثريين العرب، ع. 13، المجلس العربي للدراسات العليا والبحث العلمي، اتحاد الجامعات العربية، يناير 2012، ص ص 247 - 248.

⁽³⁾ عبد الحميد عمران، الديانة المسيحية في المغرب القديم النشأة والتطور (180-430م)، (أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ القديم)، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2011/2010، ص ص 264 - 265.

ويعتقد أنه مات في شرف القديس لأكروا (Stcroix)⁽¹⁾. ولقد ترك هذا الأب أسرة كثيرة العدد تتكون من أبنائه فيرموس (Firmus)، جيلدون (Gildon)، ومكزيزل (Mascizel) وسماك (Samac) وهو ابن نوبل من إحدى خليلاته، ديوس (Dius)، ومازيكا (Mazuca)، وأختهم سيريا (Cyria)⁽²⁾. و طبعا لم ينحصر نفوذ أسرة نوبل في القبيلة ولا حتى في منطقة صغيرة، وهو ما يتجلى في أملاك أفرادها التي انتشرت في المنطقة الممتدة من حوض الصومام شرقا، فقد إمتلك فيرموس ووالده ضيعة واسعة في بني عيشة قرب الثنية⁽³⁾، بينما أخاه سماك فقد إمتلك ضيعة (منطقة ملاكو Mlakou) تدعى بيترا (Petra)⁽⁴⁾.

في حين وجدت ممتلكات مازوكا في حوض وادي شلف، أما الابن جيلدون فكانت أملاكه شاسعة جدا حتى أن السلطة الرومانية اضطرت بعد قضاءها عليه ومصادرة أملاكه الى تكوين لجنة خاصة للإشراف عليها، في حين نجعل أملاك بقية الأبناء⁽⁵⁾.

2) الإبنة سيريا ودورها العسكري:

سيريا نوبل تعتبر الإبنة الوحيدة للقائد الموري نوبل من زوجته (أم) شرعية⁽⁶⁾، عاشت في القرن الرابع الميلادي، وهي من أشهر النساء اللواتي كان لهن دور عسكري في بلاد المغرب القديم ووذلك بمشاركة أخاها فيرموس في مقاومته للعدو الروماني⁽⁷⁾.

⁽¹⁾ زاهية مضوي، دور المصاهرة السياسية في توطيد العلاقات بين بلاد المغرب القديم وبلدان الحوض المتوسطي قديما (ق26 ق.م -

ق4م)، مجلة المعيار، مج.12، ع.2، جامعة تسمسيلت، الجزائر، ديسمبر 2021، ص954.

⁽²⁾ عبد الحميد عمران، مقاومة الاحتلال الروماني "ثورة فيرموس 372م نموذجاً"، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية،

مج.6، ع.2، جامعة الوادي، الجزائر، 2015، ص4.

⁽³⁾ محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص248.

⁽⁴⁾ Ammien Marcellin, Histoire, Trad: Sous La direction de: M. Nisard, Paris, 1862, XXIX, 5,

13.

⁽⁵⁾ محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص248.

⁽⁶⁾ زاهية مضوي، دور المصاهرة السياسية، المرجع السابق، ص954.

⁽⁷⁾ صبيحة أوكيل و بلخير بقة، المرجع السابق، ص72.

حصل خلاف حول العرش بين أبناء نوبل بعد وفاته ،خصوصا بين فيرموس الإبن البكر وسماك(الإبن غير شرعي) من أجل الخلافة، فاختارت سيريا صف أخيها فيرموس فكانت غنية وتمكنت من إستقطاب الثوار لأخيها أثناء حربه ضد الرومان⁽¹⁾.

وكذلك برزت المرأة في الفترة البيزنطية كمحاربة تشارك في قرع طبول الحرب وإثارة حماس الجند أو في أعقاب الأمير، وهذا يؤكد ما تناوله بعض المؤرخين مثل بروكوبيوس، أن المرأة المورية كانت تشارك في الحروب وفي حفر الخنادق ونصب الخيام للجند والإعتناء بالخيول والإبل⁽²⁾. وكل هذا يؤكد على المكانة العسكرية التي وصلت إليها المرأة ببلاد المغرب القديم.

III-4)المصاهرة السياسية:

إتضح أن دور المرأة لم يكن فقط على المستوى الأسري فحسب ،فما تدل عليه المصادر خاصة الأدبية منها أنه كان لها دورا بارز في تسيير شؤون الدولة ،وهذا ما اكتشفناه من خلال موضوع المصاهرة السياسية.

تمكنت المرأة عبر التاريخ أن تحجز مكانا مكان يليق بها، بالأخص إذا كانت صاحبة سلطة ونفوذ ،أي من الطبقة الحاكمة النبيلة فهذه المكانة خولت لها امتيازات ومزايا وصلاحيات مكنتها من الحصول على التقدير والإحترام الذي أوصلها لكرسي العرش والسلطة أحيانا بدعم الرعية لها⁽³⁾.

III-4-1)المصاهرة مع بلدان الشرق الأدنى:

وتم تناول الموضوع على نطاق حضارتين المصرية القديمة والفينيقية .

1)مع المصريين القدماء:

يوجد أكثر من الأدلة على أن القبائل الليبية القديمة كانت في تواصل دائم ومستمر مع أصحاب أول حضارة في العالم القديم، ويرجح بدايات ذلك منذ فجر التاريخ أو ما قبله بقليل

⁽¹⁾عبد الحميد عمران، مقاومة الاحتلال الروماني، المرجع السابق، ص 4، 5.

⁽²⁾صبيحة أوكيل و بلخير بقة، المرجع السابق، ص72.

⁽³⁾زاهية مضوي، دور المصاهرة السياسية، المرجع السابق، ص945.

وكانت هذه العلاقات الداخلية الأصلية التي تربط الطرفين لا تتعدى تلك العلاقات السياسية الظاهرة التي نراها في الفترة التاريخية⁽¹⁾.

فالباحث لتاريخ بلاد المغرب القديم لا يجد أحسن وأفضل من المصادر المصرية -القديم- ليستند إليها في طرحه من حيث الأخبار المسجلة عن مصر وجيرانها منذ بداية التدوين خلال فترة فجر التاريخ، فقد زدونا بالكثير عن القبائل الليبية عن عاداتهم وتقاليدهم⁽²⁾، فقد شهد توافد الليبيون إلى مصر بشكل كبير وملحوظ منذ مطلع القرن 13 ق.م إلى غاية القرن 8 ق.م، مما أدى إلى إمتزاج بين هاذين الشعبين وربطتهما علاقة تأثر وتأثير متبادلة فأدى ذلك إلى إختلاط الدم المصري بالليبي عن طريق المصاهرة⁽³⁾.

وتعطي الأدلة التاريخية إشارة أن المرأة الليبية كانت تحتل مكانة مرموقة، رغم ما يتبادر الى الذهن عند بعض القراء غير ذلك، و خير دليل على ذلك اتخاذ الملك خوفو (Khufu) (2558-2532 ق.م) أحد زوجاته من أسرة ليبية (Wilkinson's)، وإن لم يوضح سبب هذا الزواج السياسي، لتجنب الحروب مع الليبيين، إذ يذكر أنه أرسل بعثة الى منطقة واحة الداخلة في الصحراء الليبية للحصول على الفيروز والنحاس⁽⁴⁾، وتأكيدا على ذلك فقد ظهرت زوجته مع إبنتها تدعى مرسي عنخ الثالثة بملاحمها التي تشبه ملامح أهل التمحو⁽⁵⁾.

وتعد هذه الزيجة بين الطرفين في وقت باكر على مدى انصهار الليبيين في المجتمع المصري القديم⁽⁶⁾، وهنالك كذلك من يعتقد بأن أسماء بعض أبناء ملك طيبة (Herihor) حريحور (1080-1074 ق.م)، هي أسماء ليبية على اعتبار أن أحد زوجاته كانت ليبية، وهذا يعتبر دليلا آخر على المصاهرة الموعلة في الزمن بين المصريين والليبيين⁽⁷⁾.

(1) أم الخير العقون، مظاهر المجتمع والحضارة، المرجع السابق، ص 1.

(2) المرجع نفسه، ص 1-2.

(3) سليم حسن، مصر الفرعونية عصر مرنباح ورمسيس الثالث، ج.7، الهيئة العامة للكتاب، مصر، 1992، ص 268، 269.

(4) نعيمة علي سليم البجباح، المرجع السابق، ص 2.

(5) سليمان بن السعدي، المرجع السابق، ص 319.

(6) زاهية مضوي، دور المصاهرة السياسية، المرجع السابق، ص 946.

(7) سليمان بن السعدي، المرجع السابق، ص 319.

ولعل أبرز مرحلة تم فيها الإختلاط بشكل كبير مع الأسرتين هي (22-23) حيث أكتشف علماء المصريات خلال القرن 20 م برديات تتناول تفاصيل عن الحياة اليومية للمجتمع المصري ،خاصة التي تعود للأسرتين اللويتين رغم تعرضها للتلف والتحليل سبب وجودها في منطقة الدلتا التي تتميز بالرطوبة ،ورغم ذلك حفظت للمؤرخين بعض الملامح المهمة فيما يتعلق بالزواج والمصاهرة الذي تميز بطابع الود والمسامحة⁽¹⁾.

ويبدو أنه بلغ أقصاه مع الأسرة 21(1069-945ق.م) وبالضبط مع بداية حكم الأسرة الشيشنقية (950ق.م) التي ربطتها علاقات مصاهرة والعائلة المالكة المصرية حيث ذكر أن شيشنق الجد رجلا عجوزا أنجب أبناء يافعين خلال حكم بسوسنس الثاني (PSUEMMESII)(967-943ق.م) مما أكسبه علاقات كثيرة مع العائلات البارزة⁽²⁾.

ولقد كان لهذا الفرعون الأخير للأسرة 21 ابنة تدعى مكاري(MAKARE) تزوجها أوسركون الأول(929-893ق.م)، وأنجب منها الكاهن الأعظم بسوسنس الثاني جد شيشنق الأول من أمه، لكن المصادر تقول أن شيشنق(950-929ق.م)⁽³⁾ نفسه من تزوج ابنة بنسوسنس الثاني وأنجب منها خليفته أوسركون الأول ،وهذا مدون على نقش نصبي لإله النيل، وهنالك رواية أخرى تشير إلى أن شيشنق الجد أنجب ابنا اسمه "نملوت" أو "نمرود" وهو بدوره أنجب شيشنق الأول الذي تزوج ابنة بسوسنس الثاني⁽⁴⁾.

وتقول الباحثة أم الخير العقون بعد وفاة شيشنق خلفه في الحكم ابنه أوسركون الأول الذي بدوره تزوج من أميرة مصرية تدعى "ماعت كارع" (الأسرة 22)⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ وفاء بوغرة، ظاهرة تعدد الزوجات في ، المرجع السابق، ص294.

⁽²⁾ زاهية مضوي، دور المصاهرة السياسية، المرجع السابق، ص946. وينظر كذلك:ريدولف دونالد، مصر وكنعان وإسرائيل في العصور القديمة، تر: بيومي قنديل، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2004، ص450.

⁽³⁾ شيشنق: ورد اسمه في المصادر القديمة باسم(شيشنق، شاشانق، شوشنق)، وقد عرفه الإغريق وأسموه(سوساكوس)، أسس الأسرة 22 التي حكمت مصر الفرعونية قرنين من الزمن...ينظر: مبروكة محمد سعيد الفاخري، الفرعون الليبي الأول شيشنق(950-929ق.م)، مجلة كلية الآداب، ع.26، جامعة سبها ،ليبيا،ديسمبر2018، ص311.

⁽⁴⁾ وفاء بوغرة، ظاهرة تعدد الزوجات، المرجع السابق، ص295.

⁽⁵⁾ أم الخير العقون، دولة الأمازيغ في مصر ، المرجع السابق، ص207.

ويبدو أن الإختلاط اللوبي المصري عن طريق المصاهرة له أسباب عديدة ، ولعل أبرزها الوصول بطريقة شرعية إلى الحكم عن طريق الدماء الملكية للملكة ، فيخول لهم الحكم والعرش الفرعوني وتوريثه للأبناء فالأحفاد، وقد مس ذلك حتى السلم الكهنوتي ما يعطي للملك الشرعية الدينية والسياسية للحكم⁽¹⁾.

وكذلك حتى يكسب الحاكم اللوبي تأييد الشعب المصري لا بد له أن تكون مسيرته مليئة بالإنجازات وهذا ما يؤكد عليه ديودور الصقلي أن الملك شيشنق الأول حين تولى حكم مصر اهتم اهتماما بالغا بالمجتمع المدني⁽²⁾.

لقد حظي الزواج خلال تولي الأسرة الليبية للحكم من الناحية الاجتماعية باهتمام غير مسبوق، واعتبر الزواج علاقة لها آثار قانونية وروحية المترتبة عن التمازج النفسي والعاطفي بين الطرفين، وقد ظهر ذلك في نصوصهم الأدبية التي تقدس الزواج التي أفرادها بالتقدير والاحترام⁽³⁾.

وقد كان السائد أن يتم عقد القران آنذاك شفهيًا بمجرد التراضي دون العودة إلى الكتابة على يد الكاهن، لكن حين تمصر المجتمع الليبي بفعل المصاهرة والإحتكاك بينهما تم اللجوء إلى عملية التوثيق لعقود الزواج والطلاق⁽⁴⁾، ولم تنته هذه العلاقة بنهاية حكم الأسرة الليبية لمصر الفرعونية ، بل تواصلت إلى فترات متأخرة خاصة أن المرأة في المجتمع المغاربي القديم أصبحت تحتل مكانة سياسية مرموقة.

وعدت دبلوماسية على سبيل المثال المستوطنة الإغريقية قورينة التي تأسست في 631 قبل الميلاد على الأراضي الليبية الحالية، التي تداول على حكمها عدة ملوك من بينهم باتوس الثالث ثاني ملوكها الذي كانت له ابنة تدعى "لاديكي" والتي تزوجت من فرعون مصر بهدف التقارب السياسي بين الدولتين⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ زاهية مضوي، دور المصاهرة السياسية، المرجع السابق، ص 946.

⁽²⁾ Diodor de Sicile, Loc.cit, I, 94.

⁽³⁾ مها عيساوي، المجتمع اللوبي، المرجع السابق، ص 137.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه، ص 137.

⁽⁵⁾ صبيحة أوكيل و بلخير بقة، المرجع السابق، ص ص 70-71.

وكذلك الأميرة "بيرينقي" (MAGAS) ابنة الملك ماجاس القوريني الذي تولى الحكم عام بعد فترة إضطراب سياسي مرت به المنطقة ، أن يتبنى زواجا سياسيا بالدرجة الأولى ، بتقديمه ابنته كزوجة لوريث العرش البطلمي في مصر، وقبل ذلك لابد من الإشارة إلى الأوضاع في كل من قورينة ومصر البطلمية قبل هذا الزواج وأسبابه وعواقبه، حيث خضعت قورينة للسيطرة البطلمية لكن أهالي المدينة لم يرضوا بهذا الحكم، فلجأ إلى استخدام كل الطرق للتخلص من هذه السيطرة⁽¹⁾، وكانت الفرصة الوحيدة التي في أيديهم عندما نشب نزاع وخلاف بين قادة الإسكندر المقدوني، وفي سنة 313 ق.م. معلنين الثورة في مدينة قوريني ضد بطليموس الأول (PTOLEMAIOSI) (323-284 ق.م)، ولم تكن أمامهم إلا القلعة البطلمية التي تدار فيها الوصاية على قوريني فحاصروها سنة 313 ق.م.⁽²⁾

ويبدو أن التواجد العسكري البطلمي في قورينة خلال هذه الفترة كان محدودا جدا مما سهل على القورينيين القيام بثورات و تمردات ضد الحكم البطلمي⁽³⁾، فلقد حاول بطليموس تهدئة الأمور والسيطرة على الوضع، إلا إنه لم تكن تنقضي إلا تسعة أعوام على إخضاعها وإقامة أوفيلاس (OPHELLAS) حاكما عليها حتى هبت هذه الثائرة⁽⁴⁾.

لم يأبه سكان قورينة إلى رسائل بطليموس الموجهة لهم لإمتصاص غضبهم، وكانوا غير مباليين بتهديداته وأمام عناد أهالي تلك المدينة أرسل بطليموس جيشا بشريا بقيادة أجيس (AGES) وأسطولا بحريا بقيادة إيباينتوس (APAINETOS)، وتمكنت هذه القوات فك الحصار على تلك القلعة ورجعت المدينة تحت سيادة بطليموس وعين أوفيلاس نائبا عنه في الحكم⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ علي بشير مصباح الهدار، مدينة الإسكندرية في عهد لاسكندر الأكبر وخلفائه وعلاقتها بكوريني الليبية (356-96 ق.م) دراسة تاريخية أثرية، (رسالة ماجستير في الآثار الكلاسيكية)، جامعة المرقب، ليبيا، 2008، ص 102.

⁽²⁾ زاهية مضوي، دور المصاهرة السياسية، المرجع السابق، ص 946.

⁽³⁾ أندريه لاروند، برقة في العصر الهلنستي من العهد الجمهوري حتى ولاية أغسطس، تر: محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، 2002، ص 389.

⁽⁴⁾ حميدة عويدات القماطي، الحياة الفكرية والثقافية في اقليم قوريناية خلال العصر الإغريقي (631-96 ق.م)، (رسالة ماجستير في التاريخ القديم)، جامعة الفاتح، ليبيا، 2010، ص 81.

⁽⁵⁾ علي بشير مصباح الهدار، المرجع السابق، ص 120.

طبعاً عادت الأمور في عهد حكومة أوفيلاس في قوريني على مجاريها إلى حد ما، حيث أصبح هو القيم على شؤونها منذ سنة 322 ق.م⁽¹⁾، ولكن سرعان ما بدا يتطلع إلى السلطة والاستقلال بالحكم واستغل ذلك حين رأى سيده منشغلاً في حربه في غزة سنة 311 ق.م⁽²⁾. حيث انتهز النكبات التي نزلت على بطليموس في سوريا للاستقلال بقورينة⁽³⁾، حيث إشتد الصراع بين بطليموس والمملك السلوقي، وفي عام 313 ق.م أعلن أوفيلاس استقلاله ببرقة⁽⁴⁾.

وإستقبل في صيف سنة 309 ق.م أوفيلاس القائد السيراكوزي الصقلي أورثون (ORTHON) الذي قدم إلى مدينة قوريني من أجل إبرام معاهدة بإسم سيده⁽⁵⁾ أغاثوكليس ولكي يدعم مركزه تحالف مع الطاغية الذي كان في حرب ضد قرطاجة⁽⁶⁾، فهو لم يكتف بهذا بل مد يده إلى الإستيلاء الإستيلاء على الإمبراطورية القرطاجية بهذا التحالف⁽⁷⁾.

وحسب ديودور الصقلي إتفق المتحالفان على أن يقدم أوفيلاس المساعدات العسكرية من جيش وعتاد، أما أغاثوكليس سيتنازل له عن الحكم في شمال إفريقيا بعد انتصاره⁽⁸⁾. ولكنه ما لبث أن أن قتل وهو يقود هذه للحملة الفاشلة ضد قرطاجة في عام 309 ق.م على يد حليفه أغاثوكليس وفي 308 ق.م نجح بطليموس في إستعادة قوريني بفضل ماجاس ابن زوج برنيكي فأقامه نائباً عنه في حكمها⁽⁹⁾.

وبعد القضاء النهائي على أوفيلاس أصبحت قورينة ولاية بطلمية تدار من نائب يتم توكيله من قبل بطليموس، حيث أسندت المهمة إلى ماجاس- كما أشرنا سابقاً- ريب بطليموس من زوجته

⁽¹⁾ أندريه لاروند، المرجع السابق، ص 400.

⁽²⁾ علي بشير مصباح الهدار، المرجع السابق، ص 120 - 121.

⁽³⁾ حميدة عويدات القماطي، المرجع السابق، ص 61.

⁽⁴⁾ زاهية مضوي، دور المصاهرة السياسية، المرجع السابق، ص 947.

⁽⁵⁾ أندريه لاروند، المرجع السابق، ص 400 - 401.

⁽⁶⁾ حميدة عويدات القماطي، المرجع السابق، ص 62.

⁽⁷⁾ علي بشير مصباح الهدار، المرجع السابق، ص 44.

⁽⁸⁾

Diodor de Sicile, Loc.cit, XX, 40.

⁽⁹⁾ زاهية مضوي، دور المصاهرة السياسية، المرجع السابق، ص 947.

بيرينكي الأولى التي كان لها على ما يبدو وقع كبير في قلب بطليموس وبتشجيع منها أصبح ماجاس نائبا لبطليموس على قورينة⁽¹⁾.

وروستوفتزنز يؤكد أن هناك صداقة بين البطلمة في مصر وسيراكوزا، ولعل هذه الظروف جميعا هي التي أدت إلى القضاء على أوفيلاس⁽²⁾، وذلك بإتهام أغاثوكليس حليفه بخيانة التحالف، وكان لبطليموس يد في ذلك لصداقته المتينة وأغاثوكليس⁽³⁾.

وظل ماجاس على عرش قورينة بالنيابة عن بطليموس الأول حتى وفاته سنة 283 ق.م⁽⁴⁾، ولما تولى بطليموس الثاني فيلادلفوس (PHILADELPHOS) (283-246 ق.م) أخو ماجاس من أمه عرش مصر رفض هذا الأخير بسط سلطانه تحت حكم أخيه⁽⁵⁾.

وإشتد في زمن بطليموس الثاني النزاع بينه وبين الملك السلوقي الأول أنطيوخوس (ANTIOCHOS) (281-260 ق.م) للسيطرة على المدن الساحلية في آسيا الصغرى وسوريا وعرف هذا الصراع بالحرب السورية الأولى⁽⁶⁾، حيث عمد هذا الأخير إلى كسب ود ماجاس لاستخدامه ضد غريمه بطليموس، فزوجه ابنته أباما (APAMA) وشجعه على الإستقلال بقورينة وإعلان نفسه ملكا عليها⁽⁷⁾.

حيث وجد نقش أثري في أبولونيا تذكر أن ماجاس لقب بلقب الملك وهذا النقش عبارة عن تقديم شخص ما تمثال النصر تكريما للملك ماجاس⁽⁸⁾.

ويستنتج من خلال ما تقدم من أسباب وإن وجدت النية لدى ماجاس في الانفصال، إلا أنه لم يستطع أن يقدم على هذا الانسلاخ من الإمبراطورية البطلمية، إلا أن يكون له حليف قوي يشد أزره ضد أخيه والمتمثل في أنطيوخوس الأول بن سلوقس ملك سوريا الذي زوجه ابنته، ولم يستقل أو

⁽¹⁾ علي بشير مصباح الهدار، المرجع السابق، ص 121.

⁽²⁾ رجب عبد الحميد الأثرم، محاضرات في تاريخ ليبيا، المرجع السابق، ص 203.

⁽³⁾ رجب عبد الحميد الأثرم، تاريخ برقة السياسي والاقتصادي، المرجع السابق، ص 49.

⁽⁴⁾ علي بشير مصباح الهدار، المرجع السابق، ص 122.

⁽⁵⁾ المرجع نفسه، ص 122 - 123.

⁽⁶⁾ حميدة عويدات القماطي، المرجع السابق، ص 62 - 63.

⁽⁷⁾ رجب عبد الحميد الأثرم، تاريخ برقة السياسي، المرجع السابق، ص 49.

⁽⁸⁾ علي بشير مصباح الهدار، المرجع السابق، ص 122.

ينادي بنفسه ملكا إلا بعد هذا التحالف⁽¹⁾، وبعد إمتحانه للوقوف إلى جانب السلوقيين في صراعهم ضد البطالمة تمكن بالإستقلال ببرقة وأعلن نفسه ملكا⁽²⁾، وما إن تحالف ماجاس مع أنطيوخوس الأول سنة 274 ق.م حتى حرض الأخير ماجاس على الزحف بجيوشه إلى مصر⁽³⁾، وكاد يصل إلى مدينة الإسكندرية، ولكنه توقف عند بلدة "خي" (CHI) عندما علم أن قبائل، المارمايادي (MARMARIDDAE)، قد ثارت خلفه تهدد خطوط إتصالاته ومواصلاته حيث تمكنت الملكة أرسينوي الثانية (ARSINOEII) زوجة وأخت بطليموس الثاني أن تؤلب عليه هذه القبيلة ولم يجد ماجاس حلا إلا الانسحاب والعودة سريعا إلى قورينة وإخماد التمرد⁽⁴⁾.

بعد هذه المكيدة وفشل حملته لم يقيم ماجاس بأي محاولة عدوانية، وكذلك الإنتصارات التي حققها بطليموس الثاني في الحرب السورية الأولى، حينها اتفق الأخوان على أن يدين ماجاس بالطاعة إلى أخيه مقابل اعترافه به ملكا على قورينة⁽⁵⁾، وقد عمل ماجاس على توطيد العلاقة بين الإسكندرية والإسكندرية و قورينة وذلك بربط أسرته الحاكمة في مصر⁽⁶⁾، بأن رتب زواج ابنته بيرنيقي من ولي عهد مصر بطليموس الثالث (246-221 ق.م)⁽⁷⁾، إلا أن هذا الزواج لم يتم لسببين الأول وفاة الملك الملك ماجاس سنة 255 ق.م⁽⁸⁾، والثاني بسبب صغر سن الأميرة آنذاك فكانت تبلغ من العمر 14 سنة وحرص ماجاس أن يظل سيد قوريني الأوحده حتى مماته⁽⁹⁾.

وقامت بعد ذلك أباما أرملة ماجاس بفسخ خطوبة إبنتها من وريث العرش البطلمي، وإختارت لها خطيبا آخر هو ديميتريوس (DEMETRIOS) أخو ملك مقدونيا أنتيجونوس

(1) علي بشير مصباح الهدار، المرجع السابق، ص 122.

(2) زاهية مضوي، دور المصاهرة السياسية، المرجع السابق، ص 948.

(3) علي بشير مصباح الهدار، المرجع السابق، ص 123.

(4) حميدة عويدات القماطي، المرجع السابق، ص 62-63.

(5) علي بشير مصباح الهدار، المرجع السابق، ص 123.

(6) المرجع نفسه، ص 123-124.

(7) حميدة عويدات القماطي، المرجع السابق، ص 64.

(8) علي بشير مصباح الهدار، المرجع السابق، ص 124.

(9) أندريه لاروند، المرجع السابق، ص 443-444.

جوناتاس (GANATES) غير الشقيق، وابن ديميتريوس بوليورسيتيس (DEMETRIO POLLORCETES) من زوجته بطوليماتيس (PTOLEMATIS) ابنة بطليموس الأول⁽¹⁾.

فأعلنت الأرملة التي تحمل كراهية شديدة للبطالمة تزويج ابنتها على وجه السرعة من الأمير المقدوني ديميتريوس⁽²⁾، وقد تم الزواج بينهما وتمكن ديميتريوس من تسلم مقاليد الحكم بزواجه من وريثة العرش⁽³⁾، والظاهر أن جوناتاس قد إتفق مع حليفه أنطيوخوس الثاني شقيق أباما على هذا المشروع الذي يخدم أهدافهما العدوانية ضد الإسكندرية وقدر لهذا المشروع ألا يعمر طويلا وذلك بعدما وقع ديميتريوس في غرام والددة برينيقي ما أثار غضبها فقتله في فراش أمها⁽⁴⁾.

إنتهت قصة الغرام المأسوية بين الأرملة والأمير المقدوني بمقتله، ويبدو أن الأميرة برينيقي لم تتمكن من الاستحواذ على المدينة وتدير شؤونها، ونتيجة لهذه الأوضاع فقد تم استدعاء المشرعين الفيلسوفين أكديموس (ECDEMUS) وديموفانيس (DEMOPHANES) من مدينة ميجالوبوليس (MGALOPOLIS) لوضع حد للاضطرابات التي وقعت في قورينة⁽⁵⁾.

وبنجاح هذين المشرعين في مهمتهما تلك فإنه لم يعد هنالك أمل بالنسبة للأميرة في تولي السلطة، ولذلك فإنها لم تجد حلا إلا الاستعانة بخطيبها القديم ولي العهد البطلمي طالبة منه التدخل العسكري في قورينة، وهذا ما يفسر زواجهما في نهاية المطاف وأدجت قورينة في المملكة البطلمية⁽⁶⁾.

كما تواصلت هذه الزيجات بين الجارتين في ظل الهيمنة الرومانية التي تكللت بزواج يوبا الثاني (JUBA II) (25 ق.م - 23 م) من كليوباترا سيليني (40 ق.م - 6 ق.م).

ابنة كليوباترا السابعة ملكة مصر سليلة البطالمة التي حكمت مصر في القرن 4 ق.م، والغالب تم الزواج سنة 19 ق.م⁽⁷⁾.

⁽¹⁾ أندرية لاروند، المرجع السابق، ص 444.

⁽²⁾ علي بشير مصباح الهدار، المرجع السابق، ص 124.

⁽³⁾ حميدات عويدات القماطي، المرجع السابق، ص 60.

⁽⁴⁾ علي بشير مصباح الهدار، المرجع السابق، ص 124.

⁽⁵⁾ حميدات عويدات القماطي، المرجع السابق، ص 64.

⁽⁶⁾ المرجع نفسه، ص ص 64-65.

⁽⁷⁾ عبد الحميد بن شنهو، يوبا الثاني وزوجته كليوباترا سيليني، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص 30.

2) مع الفينيقيين :

لا يمكننا معرفة إلا القليل حول هذا الموضوع وذلك من خلال النقوش والمخلفات الأثرية وبعض النصوص الأدبية التي تدل وتؤكد على زواج القرطاجيين من النساء الأجنبية في بعض الأحيان ،مما ولد زواج مختلط⁽¹⁾، وقد كانت أغلب الزيجات المختلطة بسبب إعتبارات سياسية ،حيث أن النسوة في القديم كن يوظفن في خدمة الطموح والأغراض السياسية والمصالح التوسعية⁽²⁾، وإحتلت العلاقات الاجتماعية بين الليبيين والقرطاجيين أهمية كبيرة في عدة مجالات خاصة السياسية منها، وقد إختلط دم النوميديين بالدم القرطاجي منذ فترة مبكرة جدا⁽³⁾.

ونحن ندري أن ظاهرة الزواج المختلط كانت متجذرة بالمجتمع البونيقي منذ تأسيس قرطاجة ، ففي رواية عليسة مثلاً نجد أنها قامت بإختطاف فتيات من قبرص لتزوجهن برجال من حملتها خلال رحلتها إلى الغرب⁽⁴⁾، أما الباحثة مادلين هورس تؤكد أن هذه العلاقات تعود إلى عهود قبل تأسيس مدينة قرطاجة 814 ق.م، وذلك بإنشاء عدة إسكالات في شمال إفريقيا م، ما حثهم على الإحتكاك المباشر بالسكان بموجب التبادل التجاري وإقامتهم لفترة من الزمن بعيدين عن موطنهم الأصلي فينقيا⁽⁵⁾.

لذلك وجب عليهم إنشاء علاقات إجتماعية طيبة وودية مع الأهالي⁽⁶⁾، وأول البوادر على هذه العلاقات كانت مع تواجد الأميرة عليسة على الأراضي بلاد المغرب القديم التي لقيت ترحيباً من طرف السكان المحليين فبادلتهم المودة باحترام قوانينهم وهذا ما شجع الملك الليبي هيرباص على طلب يدها بعد تأسيسها لمملكته قرط حشت⁽⁷⁾.

⁽¹⁾ بنت النبي مقدم، المظاهر الاجتماعية للأسرة، المرجع السابق، ص18.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص35.

⁽³⁾ نجلاء سقوان، الامتزاج الاجتماعي بين القرطاجيين ، المرجع السابق، ص512.

⁽⁴⁾ عبد الحق مسعي، المؤثرات الحضارية الإغريقية في المغرب القديم من القرن السابع قبل الميلاد إلى القرن الأول ميلادي، (أطروحة دكتوراه العلوم في تاريخ القديم)، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2017/2018، ص8.

⁽⁵⁾ مادلين هورس ميادان، تاريخ قرطاجة، تر: إبراهيم بالش، منشورات عويدات، بيروت-باريس، 1881، ص36.

⁽⁶⁾ عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج.1، دار الثقافة، 1980، ص54.

⁽⁷⁾ زاهية مضوي، دور المصاهرة السياسية، المرجع السابق، ص949.

حيث إستدعى 06م أعيان المدينة القرطاجية وأبلغهم أنه يريد لها زوجة له، بلهجة توشي بالتهديد، حينها أدركوا أن رفض طلبه يعني الحرب، وحين علمت علية بالأمر فقررت أن تضحي بنفسها حرقا رافضة الزواج منه⁽¹⁾، ولكن من المؤكد أنه قد حدثت بعد ذلك الكثير من حالات الزواج بين الشعبين، ولا يستبعد أن يكون ذلك بتأثير من العوامل السياسية فقد ارتبطت العديد من الزيجات بالتطورات السياسية الحاصلة في المنطقة فكثيرا ما كان القادة القرطاجيون يلجئون إلى تدعيم تحالفاتهم السياسية مع القادة الليبيين بالروابط العائلية⁽²⁾.

ويذكر لنا التاريخ عدة أسماء لشخصيات عرفت هذا الزواج المختلط ،كزواج أوزليس(OEWALECES) عم ماسينيسا بامرأة من الأسر النبيلة القرطاجية ،حيث يرجح أنها ابنة أخ الأمير القرطاجي حنبعل(كما وعد هملكار برقة(AMILCAR BARCE) الأمير الليبي نرفاص(NEHARVAS) بأن يزوجها من إحدى بناته⁽³⁾.

كما تزوج رجل أرستقراطي من ابنة ماسينيسا⁽⁴⁾ وتتفق وتجمع أغلب المصادر التي تداولت قصة الأميرة صفونيزب ابنة عزربعل القرطاجي التي تزوجت من الملك سيفاكس النوميدي ،رغم أنه وعدت بالزواج بماسينيسا قبله⁽⁵⁾، لكن تزوجها الملك سيفاكس ملك نوميديا الغربية لأسباب ومصالح ومصالح سياسية⁽⁶⁾، لكنها بعد موت الملك سيفاكس تزوجت الملك النوميدي ماسينيسا⁽⁷⁾.

والظاهر أن الصورة المقدمة عن النساء الأرامل صورة تعكس أرامل الطبقة الحاكمة فقط، حيث كلفن بمهمة الانتقام من قتلة أزواجهن وفي الوقت نفسه إلتزامهن بالعفة والوفاء، ونذكر منها أرملة الملك سيفاكس فقد تزوجت بالأغليد ماسينيسا بيوم واحد من وفاته⁽⁸⁾.

⁽¹⁾نجلاء سقوان، المرجع السابق، ص513.

⁽²⁾نوال مغاري، قراءة في تطور العلاقات السلمية، المرجع السابق، ص7.

⁽³⁾نجلاء سقوان، المرجع السابق، ص513.

⁽⁴⁾عبد الحق مسعي، المرجع السابق، ص81.

⁽⁵⁾Bosquet(G. H), Le berbères, presse universitaires de france, Ed 'que sais-Je, 1974, p33.

⁽⁶⁾حسنية باحمان، المرجع السابق، ص144.

⁽⁷⁾عبد الحق مسعي، المرجع السابق، ص81.

⁽⁸⁾نضار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص85.

ويفسر بعض الباحثين والمؤرخين ظاهرة الزواج المختلط بين الطرفين لانفتاح القرطاجيين على الشعوب الأخرى وغير متعصبين لرابطة الدم الفينيقي⁽¹⁾، فقد كان هملاكار ماقون ابنا لامرأة سرقوسية، وصدر بعل تزوج بامرأة ثانية من اسبانية ولا يقتصر الأمر على القرطاجيين فقط بل كان الليبيون بدورهم منفتحين على الأمم الأخرى⁽²⁾.

وبطبيعة الحال لم يكن الزواج مقتصر على طلب الليبيين ليد القرطاجيات، حيث نقلت لنا الكتب القديمة أن إحدى بنات ماسينيسا قد تزوجت بأحد أفراد الطبقة الارستقراطية القرطاجية- كما أشرنا سابقا-⁽³⁾، فوجد غابريال كامبس يعبر عن هذه الروابط العائلية واصفا ماسينيسا الذي نشأ في قرطاجـ "إن هذا النوميدي كان بونيقيا شكلا ومضمونا، وكان يجري في عروقه من الدم القرطاجي بنفس القدر الذي كان يجري في عروق حنبعل من الدم الإفريقي"⁽⁴⁾.

وهذا يثبت تماما أن الزواج المختلط انتشر على نطاق واسع في العاصمة البونية أكثر من المناطق القرطاجية الأخرى الممتدة ما بين السرتيين و ماوراء أعمدة هرقل⁽⁵⁾، وبفضل هذه العلاقات العائلية عاش الكثير من النوميديين في مدينة قرطاجـ والمدن التابعة لها، فتغيرت نظرة الليبيين إلى الفينيقيين ولم يعدوا ينظرون إلى تلك الحضارة الشرقية أنها غريبة عنهم⁽⁶⁾.

ونظرا لهذا الإمتزاج أدى إلى تلاحم الثقافات والعادات بين الطرفين فسالوست(SALLUSTUS) (86-35 ق.م) يؤكد هذا الإمتزاج لغويا خلال حديثه عن لبدة الكبرى: "أن سكانها قد حافظوا على أخلاقهم وقوانينهم لكن لغتهم قد تغيرت جراء التزاوج مع النوميديين"⁽⁷⁾ ومن خلال هذا يظهر مدى الإمتزاج الذي حدث بين الليبيين والقرطاجيين عن طريق المصاهرة الذي أخلط دماء الشعبين مع بعض، وكان لهذا الإمتزاج آثار حضارية وثقافية وحتى

(1) زاهية مضوي، دور المصاهرة السياسية، المرجع السابق، ص 949.

(2) نوال مغاري، قراءة في تطور العلاقات السلمية، المرجع السابق، ص 7.

(3) Bosquet(G. H), op.cit, p31.

(4) زاهية مضوي، دور المصاهرة السياسية، المرجع السابق، ص 949. Camps(G), Les Berbères : mémoire et identité, éd errance, Paris, 1952, p46.

(5) نوال مغاري، قراءة في تطور العلاقات السلمية، المرجع السابق، ص 7.

(6) نجلاء سقوان، المرجع السابق، ص 513.

(7) ساليستيوس، الحرب اليوغرطية، تر: محمد المبروك الذويب، منشورات جامعة قاريونس، ليبيا، 2007، ص 98.

سياسية كبيرة في بلاد المغرب القديم، كما أن هذا الإمتزاج كان بمثابة سياسة تسعى لإستمالة الليبيين عموماً، لذلك أسست علاقات صداقة وتحالف بين الملوك النوميديين و قرطاجة⁽¹⁾.

III-4-2) المصاهرة مع بلدان غرب البحر المتوسط:

وتم تناول الحضارة الإغريقية والرومانية وعلاقتها السياسية ببلاد المغرب القديم.

1) مع الإغريق:

نشأت علاقات إتسمت بالود والسلم والصداقة بين الأغارقة والليبيين ،منذ نزول الإغريق لأول مرة على الأراضي الليبية، وقد إمتزجت قصة مجيء الإغريق إلى شمال إفريقيا بأساطير متمحورة حسب رأيهم حول الإله الإغريق أبوللو (APOLOH)، وهو إله إغريقي يعتبر إله الشمس والمعرفة والتوازن والفنون عند اليونان ،وله عدة معابد منها بولاريجية وكرونوس⁽²⁾.

وتبدأ القصة مع الحورية كيريني حيث يقول الشاعر بندراوس أن الإله شاهدها وهي تصارع أسدا في غابات تساليا (THESSALIEH) فأعجب بها فأخذها وطار بها إلى كيريني⁽³⁾.

و يؤكد فرنسوا شامو أن هذا الإنتقال بالحورية كيريني ما هو إلا ذريعة يقصد به إضفاء الشرعية على تأسيس المستعمرة الإغريقية وإستقرار الثرائيين بها⁽⁴⁾، وإعتدا قدماء الإغريق أن يربطوا إنشاء المدن والمدن والمستعمرات بقصص أسطورية تعكس حقيقة الواقع السياسي والإقتصادي و الإجتماعي المتري، الذي كانت تعاني منه الدويلات الإغريقية التي أثرت بشكل مباشر على السكان وأدت إلى خوفهم على مستقبلهم المجهول الذي بدأ ينذر بحلول كارثة اقتصادية خطيرة، ولعل خير من يستطيع

⁽¹⁾نجلاء سقوان، المرجع السابق، ص 514-516.

⁽²⁾محمد الصغير غانم، الملامح الباكورة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2005، ص 123.

⁽³⁾Pindar, The odes of Pindar, The lobe classical Library, London, 1961, IX.

⁽⁴⁾فرانسوا شامو، المرجع السابق، ص 78-79.

أن يتحمل الأعباء الملوك و السياسيين والمثقفين⁽¹⁾، والذين بدءوا يترددون على معبد دلفي يستفسرون عن سوء أحوالهم من كاهنته⁽²⁾.

وتم عبر العصور تناقل قصتين حول الموضوع فالأولى تخص الثرائين، " أن ملك جزيرة ثيرا (THERA) جيرنوس (GRINNUS) توجه إلى معبد دلفي وكان برفقته شاب يدعى باتوس بن بولييه نيستون (631-591 ق.م)، فخاطبه كاهنة المعبد قائلة بأن عليه أن يذهب إلى ليبيا لإنشاء مستوطنة لكنه تذرع بكونه طاعنا في السن ونصحها بتكليف " باتوس " الذي اختاره صدفة، لكن عند عودتهم لثيرا لم يطبقا ما أمرت به الكاهنة، فتعرضت الجزيرة لكارثة الجفاف فتوجهوا مرة ثانية إلى معبد دلفي فذكرتهم بالأمر الإلهي ، واستفسروا عن كيفية الاتجاه إلى ليبيا فأرشدتهم أحد الصيادين يدعى كورويوس وقادهم إلى جزيرة تقع عند الساحل الليبي تسمى جزيرة بلاتيا (PLATEA)، وبعد عودتهم قرروا بعث وحدات لتنفيذ القرار الإلهي وتأسيس مستعمرة هناك"⁽³⁾.

يؤكد هذه الرواية هيرودوت فيقول: " أن العرافة البيثية في معبد دلفي أخبرت أهل جزيرة ثيرا ستتحسن أحوالهم ما إن ساعدوا باتوس في تأسيس كيريني"⁽⁴⁾، ويؤكد سترابون يقول: كيريني مستعمرة من تأسيس الثيريين"⁽⁵⁾.

وفرونسوا شامو يؤيد ما جاء به المؤرخين: "حيث أن ابوللو قد أمر باتوس والثرانيين صراحة بالعمل على إنشاء قوريني، فإن جميع الثرائين قرروا إرسال باتوس إلى ليبيا كقائد وملك"⁽⁶⁾.

ثانيا ما جاء على لسان القورينائيين حول تأسيس مدينتهم: "أنها كانت توجد في كريت بلدة تدعى "واكسوس" (OAXOS) وأصبح أتيارخوس (ATEACHOS) حاكما عليها، وكانت له ابنة

⁽¹⁾ محمد أحمد سالم، الحياة الدينية والفكرية في قورينائية أثناء العصر الإغريقي، (أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم)، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2006/2005، ص46.

⁽²⁾ رجب عبد الحميد الأثرم، هيرودوتس والليبيون، المرجع السابق، ص 40-41.

⁽³⁾ علي صوشة المدني، العلاقات الليبية المصرية في ظل الصراع الفارسي الإغريقي، (رسالة ماجستير في التاريخ القديم)، جامعة أحمد بن بلة وهران1، الجزائر، 2016/2017، ص28.

⁽⁴⁾ Hérodote, Loc.cit, IV, 156.

⁽⁵⁾ سترابون، المصدر السابق، ص 17-19.

⁽⁶⁾ فرانسوا شامو، المرجع السابق، ص126.

تسمى فرونيمي (PHRONIME) فقدت أمها فتزوج أبوها ولكن الزوجة الجديدة تسيء معاملتها فاتهمتها بالفساد ،واستطاعت إقناع زوجها بذلك، وكان في المدينة تاجرا اسمه تيمسون (THEMISON) فاتخذة تياخوس صديقا ،وبعد مدة طلب منه أن يأخذ ابنته ويرمي بها في البحر فغضب غضبا شديدا لكنه قبل الأمر على مضض ،وأخذ الفتاة⁽¹⁾ .

"وفي الطريق التجأ إلى حيلة تجعله ينفذ وعده حيث ربط الفتاة بالحبال وغطسها في عرض البحر ثم أخرجها ومضي إلى ثيرا ،وهناك التقى أبولو مستوس وكان أحد وجهاء ثيرا، واتخذ من الفتاة محضية التي أنجبت له ولدا وبه تأتأة وهو باتوس الذي أنشأ المدينة"⁽²⁾.

وبطبيعة الحال باتوس ورفقائه سمعوا بالأسطورة القديمة المتداولة عن حورية قوريني التي إنبهر بجمالها الإله أبوللو الذي إختطفها من على جبل "بيلوت" في تساليا ونزل بها عند الجبل الذي أسست فيه مستعمرة قورينا فلذلك حين أسس باتوس المدينة أطلق عليها إسم الحورية إستجابة لرغبة الإله أبوللو⁽³⁾.

أما عن الجانب الآخر ونقصد بهم الليبيون فإن المؤشرات الأولى تدل على أنهم لم يستقبلوا أهل ثيرا بالترحاب، بل منعوا الإتصال بهم لمدة سنتين أثناء وجودهم ،مما أدى إلى عودتهم إلى معبد دلفي ، لكن هناك تم أمرهم بالعودة مجددا والاستقرار على الرغم من تعرضهم للمخاطر وإعراض من طرف السكان المحليين، فخاطبتهم العرافة قائلة:عجبت لذكائكم إذ عرفتم أن أرض ليبيا ذات المراعي وأنتم لم تطأووها أكثر مني وقد خيرتها"⁽⁴⁾.

وبعد أن بلغ مسمعهم ما قالته الكاهنة عادوا مسرعين نحو بلاتيا من جديد ب،عدما تأكدوا أن هاته رغبة الإله ابوللو حسب رأيهم أن يؤسسوا مستعمرة في تلك الأراضي الخصبة⁽⁵⁾، فلما نزلوا

(1) علي صوشة المدني، المرجع السابق، ص ص98-99.

(2) المرجع نفسه، ص99.

(3) محمد أحمد سالم، المرجع السابق، ص55.

(4) علي صوشة المدني، المرجع السابق، ص99.

(5) محمد الطاهر الجراي، الغاية من تأسيس قورينة، مجلة البحوث التاريخية، ع.1، قسم الوثائق التاريخية ، ليبيا، جانفي 1986، ص10.

على اليابسة اشتغلوا ببناء مدينة لهم جنوب بلاتيا في منطقة تدعى أزيريس بوادي الخليج وهو موقع بديع يمر به أحد الأنهار وتحيط به الوديان⁽¹⁾ وهناك أقاموا لمدة 6 سنوات⁽²⁾.

إلا أن الحذر والحيلة كان يرافق الليبيين وعلى ما يبدو عرفوا هدفهم الأساسي وخوفهم من بقائهم مدة أطول اقتادوهم ليلا إلى قورينة حتى لا يروا الأراضي الخصبة التي هم في الحاجة لها، لذلك طلب منهم أصحاب الأرض مغادرة المكان⁽³⁾، وهي قبيلة الجلجماي (LES GILIGAMMES) وهي تمتد من جزيرة افروديسياس (جزيرة كرسة) وفي الوسط جزيرة بلاتي وعلى الشاطئ يوجد مرفأ ومنه يبدأ إقليم بلاد السيلفيوم حتى مدخل خليج السيرت⁽⁴⁾، فقد لجأ هؤلاء إلى قبيلة الاسبوستاي وهي قبيلة تلي قبيلة الجلجماي غربا وبلادهم ابعد من قورينا وتتميز هذه القبيلة باستخدام العربات⁽⁵⁾.

وأقنعوهم في العام السابع بترك هذا المكان قائلين لهم أنهم سيأخذونهم إلى مكان أفضل وقادوهم إلى الغرب بحيث لا يمرون إلا ليلا بأخصب بقعة في إقليمهم يدعى إيراسا (IRASA) خشية أن يراها الإغريق أثناء مرورهم، ثم أتوا بهم إلى مكان يدعى نبع ابوللو⁽⁶⁾ وقالوا لهم: أيها الإغريق هذا المكان المناسب لإقامتكم لوجود هنا فتحة في السماء⁽⁷⁾.

وبعد إستقرار الإغريق في برقة بدأت العلاقات الودية بين الطرفين في الإتضاح حيث أن بعض القبائل المجاورة للإغريق إكتسبت بعض عاداتها وتقاليدها، وهذا الإحتكاك أدى إلى عمليات التزاوج والمصاهرة بين الوافدين والمحليين، خاصة وأن الملاحظ على الوافدين الأغارقة لم يصحبوا معهم نساءهم فبادروا للزواج من البنات الليبيات، ويؤكد هيرودوت على ذلك بقوله: "...قد أبحر باتوس للمرأ الأولى مع رفاقه بمركبين"⁽⁸⁾.

⁽¹⁾ علي صوشة المدني، المرجع السابق، ص 99.

⁽²⁾ محمد الطاهر الجباري، المرجع السابق، ص 10.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص 10.

⁽⁴⁾ مصطفى أعشي، أحاديث هيرودوت عن الليبيين، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، 2009، ص 60.

⁽⁵⁾ حسنية باحمان، المرجع السابق، ص 60.

⁽⁶⁾ رجب عبد الحميد الأثرم، هيرودوتس والليبيون، المرجع السابق، ص 41.

⁽⁷⁾ كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 56.

⁽⁸⁾ Hérodote, Loc.cit, IV, 156.

وباتس (BATTES) يحدثنا على ما جاء به الشاعر بندراوس أن زواجا حصل بين أليكسداموس (ALEXIDEMOS) أحد أبناء قورينة مع ابنة الملك قبيلة الجلجماي⁽¹⁾، وللفوز بها كان لابد أن يشترك مع غيره مع الأغارقة والليبيين في سباق ومن يفوز بالفتاة ومن حظه كان هو الفائز، خاصة وأن المنافسة تحلت بالروح الرياضية حيث أن منافسيه الخاسرين حيوه وهنتوه بعد انتهاء السباق⁽²⁾.

ويبدو أن الأغارقة لجئوا إلى الزواج من الليبيات مستغلين العلاقة الطيبة التي تجمعهم مع الأهالي آنذاك، وبذلك تكونت أسر جديدة ذات زيجة مختلطة انجر عنها تمييز على مستوى المواطنة الإغريقية الممنوحة لأبناء هؤلاء ذوي الأصول الليبية الإغريقية — وسنأتي على ذكرها لاحقا—.

إن هذا الزواج المختلط بقدر ماله من إيجابيات على الأغارقة له سلبيات كذلك خاصة على أبنائهم، خاصة بعد التقسيم التي انتهجته قورينا المطابق للتقسيم القائم في جزيرة ثيرا المدينة الأم، حيث تم توزيع مواطني قورينة بين 3 قبائل فضمت الأولى المهاجرين الأوائل من ثيرا و"البيري أويكوي" والثانية القادمين من البلوبونزوس (PELOPONNESE) وجزيرة كريت كورفو (CORFU)، والثالثة سائر الإغريق الذين وفدوا حديثا من شتى أرجاء العالم الإغريقي وكان من الطبيعي أن تستأثر القبيلة الأولى بكافة الحقوق والامتيازات⁽³⁾.

وهذا التقسيم يدل على إقصاء العنصر الليبي من المجتمع القوريني، وبالتالي لم تحظى المرأة الليبية المتأغرقة بنفس المكانة التي تحظى بها المرأة الإغريقية الأصل، واعتبر أبناء هؤلاء المتأغرات ضمن الأطفال مختلطي النسب.

فلم يكن المجتمع الإغريقي يعترف إلا بالأطفال الذين يولدون عن طريق الزواج الشرعي، وكان الزواج الشرعي هو السبيل الوحيد لتكوين الأسرة في المجتمع، ومن ثم إنجاب أطفال الشرعيين والجدير بالذكر أن بعض الكتاب يعرف الطفل غير الشرعي بأنه ابن لأمه أو محظية الأب، أو ابن زوجة

⁽¹⁾ Bates(O) , op.cit, p232.

⁽²⁾ Ibid, p232.

⁽³⁾ عبد الكريم الميار، قورينائية في العصر الروماني، المرجع السابق، ص136.

أجنبية(ليبية)، ولهذا فإن قانون المواطنة قد حرم على الأطفال الذين يكون أحد أبويه أجنبيا مع التمتع بحقوق المواطنة⁽¹⁾.

إلا أن الوضع لم يدوم وتغير مع نهاية العهد البطلمي في القرن 4 ق.م حيث نقرأ في دستور مدينة قورينة أنهم منح المواطنة للمولودين من سيدات ليبيا وآباء الإغريق القاطنين ببرقة⁽²⁾. ولم يقتصر الزواج والمصاهرة من طرف الرجال من الإغريق للنساء الليبيات، بل عكس ذلك حصل فنجد أن الملوك الليبيين تزوجن من إغريقيات كبوغود (BOGUD) الذي اختار الإغريقية أونوي(EUNOE) زوجة له⁽³⁾.

وقد كانت أونوي مجرد فتاة من الجواري أعجب بها بوغود لمواهبها العديدة والاستثنائية منها الموسيقى والعزف والغناء، فاتخذها محضية له وبعد ذلك جعلها زوجة شرعية وأصبحت شؤون المملكة تحت رهن إشارتها⁽⁴⁾. وعرف عنها علاقات مشبوهة مع الملوك من بينهم(CESAR) يوليوس قيصر الذي جمعها به علاقة عاطفية⁽⁵⁾.

كما أوضحت لنا النصوص التاريخية حالات عن الزواج بين البونقيين والإغريق فهميلكار الماغوني، ابن امرأة سيراكوزية، وأيضاً الفيلسوف الذي عرف باسمين أحدهما بونيقي والآخر إغريقي "اسدريعل"-كليتوماخوس" الذي ولد في قرطاجة حوالي(186-187 ق.م) من أب يدعى ديانتوس(DIOGNTOS)، والذي يبدو من اسمه أنه مهاجر إغريقي، وكذلك الضابطان في جيش حنبعل برقة(247-202 ق.م)، وهيبوقراط(HIPPOCRATE) وإيبيسيد(IPICYDE) كانوا أحفاد شخص سيراكوزي نفي من بلاده ليلجأ إلى إفريقيا وكانت والدتهم قرطاجية⁽⁶⁾.

وأيضاً الملك يوبا الثاني الذي ارتبط بكليوباترا سلمي حيث دلت الآثار أنها ظهرت صورتها على عملة لمقاطعة موريتانيا القيصرية عقب عقد قرانها على يوبا الثاني فيما بين عامي 20 أو 19 ق.م إما

(1) حصّة بنت الهذال التركي، المرجع السابق، ص256.

(2) مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص138.

(3) بنت النبي مقدم، الأسرة في بلاد المغرب القديم خلال العهد، المرجع السابق، ص42.

(4) نضار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص61.

(5) المرجع نفسه، ص90.

(6) عبد الحق مسعي، المرجع السابق، ص82.

رفقة زوجها أو بمفردها⁽¹⁾. ولم يكتف يوبا الثاني بكليوباترا سلمي فحسب بل كانت له زوجة إغريقية تدعى أورانيا (URANIA)⁽²⁾. وهذا ليس بالأمر الغريب لأحد ملوك الليبيين الذين عرف عنهم في أعرافهم ظاهرة تعدد الزوجات.

2) مع الرومان:

قبل التطرق للزواج والمصاهرة التي سنتناولها في البحث لابد من الإشارة إلى أن أمر الزواج والمصاهرة في الحضارة الرومانية مع الآخر كانت غير موجودة إن لم نقل شبه معدومة رغم احتكاكها بشعوب البحر المتوسط، إلا أن ذلك لم يخول لها أن تقتني زوجات من المقاطعات، ولكن ذلك لم يستمر مع متطلبات ومصالح السياسية للإمبراطورية الرومانية مما جعلها تقدم على ما يسمى بالمصاهرات السياسية، في الماضي في القانون الروماني يعد الزواج المختلط محظورا من قبل الحكوم الرومانية⁽³⁾، بحيث تم تحريم الزواج بإمرأة بربرية أو أي امرأة أجنبية من المقاطعات الرومانية بإستثناء المرأة اليهودية، بل ومن يخترق القانون يعاقب ومصيره الإعدام⁽⁴⁾.

إلا أن هذا الحظر لم يستمر فمنحت الحرية لمن منح لهم حقوق المواطنة والتزاوج بالرومانيات، وبشكل عام و يبدو أن الحكومة الرومانية قامت بتحريم الزواج على فئات معينة من المجتمع فلا يمكن أن يكون رابط أسري بين الطبقة الأرستقراطية و العامة على سبيل المثال بين الأحرار والعبيد بين المسيحيين واليهود والوثنيين والهراطقة، لكن إن كان للرومان والبرابرة وضع قانوني متساوي لا يبدو أن هنالك ما يمنع أو يحرم زواجهم⁽⁵⁾.

لكن قبل التطرق للزواج الذي جمع البرابرة بالرومان لابد من التعريف بالأسرتين التي حدثت بينهما هذه الزيجة وما الغرض منها؟.

(1) شافية شارن، كليوباترا سلمي، المرجع السابق، ص234.

(2) بنت النبي مقدم، هيودوت يتحدث عن الحياة الاجتماعية، المرجع السابق، ص332.

(3) Mathis(R), Les mariages entre Romains et Barbares comme stratégies familiale pendant L'Antiquité tardive, chbadelch, chettipani L'Antiquité tardive 2012, p1.

Ibid, pp2.

(4)

Ibid, pp2, 3.

(5)

أ) أسرة الإمبراطور ثيودسيوس (379-457م):

أ-1) من هو ثيودسيوس الأول (EODOSIUS I) (379-395م):

هو إسباني الأصل عرف باسم الأول أو الكبير⁽¹⁾، تولى الحكم بعد وفاة (فالنز) فالينتيان (VALENS) (363-364م) آخر سليل لأسرة قسطنطين (272-373م)⁽²⁾، وقد حكم بيزنطة كإمبراطور سنتين (379-395م)، وقد أخذ اسم عائلته يلمع منذ منتصف القرن 4م نتيجة جهود والده الذي كان اسمه ثيودسيوس أيضا، والذي تولى منصب قائد عسكري في الغرب خلال حكم فالينتيان الأول، وتم تعيين ثيودسيوس الابن كأغسطس في الشرق حينها أصبح من المهتمين بالقضايا الدينية متحمسا للمسيحية الأرثوذكسية حماسا كبيرا⁽³⁾.

أ-2) حكمه:

وبعد أن تسلم مقاليد الحكم كان عليه أن يغير اهتمامه لأمرين على جانب كبير من الخطورة أولهما: إقامة وحدة داخل الإمبراطورية التي تمزقها الخلافات الدينية وثانيهما حماية الإمبراطورية من تقدم البرابرة الجرمان القوط المستمر الذين كانوا زمنه يهددون وجود الإمبراطورية بأكملها⁽⁴⁾، فقد عانت الإمبراطورية الرومانية الأمرين من هجمات القبائل البربرية التي اشتدت ضراوة وقسوة منذ الثلث الأخير من ق 4م وعملت على تفويض النظام الروماني⁽⁵⁾.

إلا أن فطنة وحنكة هذا الإمبراطور جعلته يتبع خطة جديدة في تعامله مع القوط، فقد أدرك أنه أصبح من المستحيل هزيمتهم بقوة السلاح وحده⁽⁶⁾، لذلك لجأ للصالح وبفضل حسن معاملته لهم لهم تمكن أن يجعل منهم أتباعا للإمبراطورية سواء في الجانب المدني أو العسكري⁽⁷⁾، فعرض على

(1) محمد سعيد عمران، الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها، دار النهضة العربية، جامعة بيروت العربية، بيروت، ط.1، لبنان، 2002، ص 37.

(2) محمد مرسي الشيخ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1994، ص 30.

(3) نبيه عاقل، الإمبراطورية البيزنطية، دراسة في التاريخ السياسي والثقافي والحضاري، جامعة دمشق، 1969، ص 41.

(4) المرجع نفسه، ص 41.

(5) عبد القادر أحمد اليوسيف، الامبراطورية البيزنطية، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1984، ص 41.

(6) محمد مرسي الشيخ، المرجع السابق، ص 30.

(7) محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص 37.

القوط النزول في الأراضي الإمبراطورية والاستقرار بها وعقد معهم اتفاقا اعترف فيه لهم باستقلالهم الذاتي وأعفاهم من دفع الضرائب... الخ⁽¹⁾.

كما استطاع في عام 387م من عقد معاهدة جديدة مع الفرس أعاد بها نصف أرمينية إلى حظيرة الإمبراطورية⁽²⁾.

ولقد لعب ثيودسيوس الأول دورا هاما في إعلاء شأن المسيحية بموجب المذهب النيقية⁽³⁾، وجعلها الدين الرسمي للأوحد للإمبراطورية، و انجر على ذلك مكافحة الأريوسية، فأصدر أوامره إلى بطريق القسطنطينية الأريوسي يأمره بالعدول عن مذهبه والرجوع إلى العقيدة الأصلية التي أقرها مؤتمر نيقية، واتبعت كافة الكنائس في الإمبراطورية سياسة الإمبراطور بالرغم من احتجاج البطريق واعتزاله المنصب⁽⁴⁾.

وكان عليه - الإمبراطور - أن يحدد موقفه من الهراطقة والوثنيين فأصدر أوامره باعتبار المسيحي الحق هو الذي يتبع مذهب مجمع نيقية، وما عداه فهو هرقي، أما الوثنيون فقد اعتبروا زمرة خاصة لوحدها وأخذ يضيق الخناق على الهراطقة والوثنيين ويفرض عليهم العقوبات ويزداد قسوة في معاملتهم كلما طال الزمن به، ومن أجل ذلك دعا إلى عقد مجمع ديني سنة 381م في القسطنطينية⁽⁵⁾.

أشتهر بإسم مجمع المسكوني الثاني، وأعلن تطبيق المذهب الأريوسي وأعقب ذلك سياسة العنف ضد الوثنيين، وكانت نهاية الدين الوثني بصفة نهائية في عهده فلقد اتخذ خطوات صارمة جدا

⁽¹⁾ محمد مرسي الشيخ، المرجع السابق، ص 30.

⁽²⁾ محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص 37.

⁽³⁾ **المذهب النيقية (مجمع نيقية):** إن من أهم المجامع التي لها صلة بقضايا العقيدة وخاصة عقيدة التوحيد وعقيدة التثليث هي أربعة مجامع كنسية أولها المجمع المسكوني الأول في نيقية سنة 325م والسبب الذي عقد من أجله والمشكلة الأساسية في فلسفة القديس (القس) أريوس (Arius) في الابن والأب ووحداية الله وهي عقيدة التوحيد الذي قال أن الابن لا يمكن أن يساوي الأب جوهرًا و قدسية

وأولية... ينظر: سعيد محمد سعيد غريدة، السلطة الزمنية بالإمبراطورية البيزنطية ورسما للسياسة الدينية بالكنيسة المسيحية بين عقيدة التوحيد والثالوث المقدس فيما بين القرنين الأول والخامس الميلاديين، المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية، ع 3،

جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية ، ليبيا، 2019، ص 126.

⁽⁴⁾ عبد القادر أحمد اليوسف، المرجع السابق، ص 36.

⁽⁵⁾ نبيه عاقل، المرجع السابق، ص ص 42 - 43.

ضدهم منعهم من تقديم القرابين لألهتهم ،وزيارة معابدهم وأغلق الكثير منها وبهذا كان ثيودوسيوس يختلف عمن سبقه من الأباطرة الذين كانوا يقبلون بنوع من التسامح مع خصومهم الدينيين، وقد تمكن قبل وفاته بقليل أن يجمع تحت حكمه نصفي الإمبراطورية الغربي والشرقي الممتدة من الفرات إلى الجزر البريطانية⁽¹⁾.

أ-3) خليفته:

وإضطر وهو على فراش الموت في سنة 395م إلى تقسيم الإمبراطورية إلى قسمين⁽²⁾، فتولى ابنه هونوريوس (HONORIUS) (395-423م) الابن الأصغر أمر الغرب ،بينما تولى أمر الشرق الابن الأكبر أركاديوس (ARCDIUS) (395-408م) الذي خلفه وعمره 75 سنة ابنه ثيودوسيوس الثاني⁽³⁾، وبوفاته انفصل الشرق عن الغرب إلى الأبد⁽⁴⁾.

ب) من هو جيلدون؟؟:

ب-1) حياة جيلدون:

إن كل ما نمتلكه وما يتعلق بحياة الشخصية لهذا القائد ما تم الإشارة إليه في بعض المصادر التي ذكرت أنه كان وثنيا، وقد تزوج من امرأة مسيحية نجعل كم أنجبت له من أبناء، لكن كل ما نعرفه أن إحدى بناته كانت تدعى صالفينا (SALVINA) وكانت مثل أمها مسيحية⁽⁵⁾.

ب-2) الصراع بين الأشقاء والسلطة الرومانية:

برز من أبناء نوبل كل من فيرموس وجيلدون، حيث أثار الأول ضد الرومان بين سنوات (372-375م) وسانده إخوته ماسكزال وديوس ومازوكا وسيريا، في حين تحالف جيلدون مع القائد الروماني ثيودوسيوس وكان مساعدا له ضد أخيه⁽⁶⁾. وبدأت بوادر الصراع بين أبناء نوبل

⁽¹⁾ نبيه عاقل، المرجع السابق، ص ص 43- 44.

⁽²⁾ محمد مرسي الشيخ، المرجع السابق، ص 31.

⁽³⁾ نورمان بينز، الإمبراطورية البيزنطية تاريخها وحضارتها وعلاقتها بالإسلام، (ترجمة: حسين مؤنس، محمود يوسف زايد)، مطبعة اللجنة، القاهرة، 1950، ص 42.

⁽⁴⁾ محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص 37.

⁽⁵⁾ محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 249.

⁽⁶⁾ المرجع نفسه، ص 248.

حول الإرث الذي تركه لهم والدهم وبالأخص الحكم، هو الذي كان من أقوى الملوك المورية⁽¹⁾، وانحصر الخلاف بين فيرموس الابن الأكبر وسماك⁽²⁾، فإختار الكونت الروماني رومينوس الذي كانت له علاقة وصداقة قوية بسماك فرشحه للخلافة ووراثته حكم أبيه ويعتقد أنه الزعيم الشرعي لذلك⁽³⁾.

وبهذا يكون رومانوس قد لجأ إلى سياسة التفرقة بين أبناء الملك على اثر وفاته بمساندته لسماك ضد فيرموس، فما كان من هذا الأخير إلا أن اغتال شقيقه سماك، فكان ذلك بسبب القطيعة بين فيرموس والإمبراطورية الرومانية⁽⁴⁾، وبعد قتل أخيه أراد رومانوس الثأر لحليفه القتل واستخدم كل الوسائل ليوقع به وأطلق إشاعات أنه تمرد على السلطة⁽⁵⁾.

ليعلن رومانوس بذلك عليه الحرب بمساندة جيلدون وبعض أثرياء الرومان، وبالمقابل ناصرت بعض القبائل الموريطانية فيرموس⁽⁶⁾، وأعلن فيرموس انفصاله عن السلطة الرومانية، و كان دافع العصيان دوافع شخصية عائلية، لأنه كان يطمح لخلافة والده كملك للقبائل المورية⁽⁷⁾.

وفي ظل عجز الكونت رومانوس للتصدي لثورة فيرموس كلف الإمبراطور فالينتيان الدوق ثيودوسيوس بالقضاء على الثورة، باعتباره أفضل القادة العسكريين لتبدأ مرحلة جديدة من عمر الثورة حيث تمكن ثيودوسيوس من عقد حلف مع أخ فيرموس جيلدون القائد الذي ظل وفيا للإمبراطورية الرومانية في مواجهة أخيه، واستمرت الحملة لمدة 3 سنوات من (372-375م)، وشهدت القضاء على ثورة فيرموس⁽⁸⁾، والتي كلفت فيرموس الانتحار حتى لا يقع في يد الأعداء⁽⁹⁾، و طبعا تم مكافأة مكافأة القائد جيلدون على جهوده ولما قدمه لروما ولعلاقته مع ثيودوسيوس في حربه ضد أخيه، فعين

(1) عمران عبد الحميد، مقاومة الاحتلال الروماني، المرجع السابق، ص 4-5.

(2) عبد الحميد عمران، الديانة المسيحية في المغرب، المرجع السابق، ص 265.

(3) عبد الحميد عمران، مقاومة الاحتلال الروماني، المرجع السابق، ص 4-5.

(4) محمد الهادي حارش، دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة، دار الهومة، الجزائر، 2013، ص 58، 59.

(5) عبد الحميد عمران، مقاومة الاحتلال الروماني، المرجع السابق، ص 4.

(6) عبد الحميد عمران، الديانة المسيحية في المغرب، المرجع السابق، ص 265-266.

(7) عبد الحميد عمران، مقاومة الاحتلال الروماني، المرجع السابق، ص 4.

(8) عبد الحميد عمران، الديانة المسيحية في المغرب، ص 269-270.

(9) محمد الهادي حارش، دراسات ونصوص، المرجع السابق، ص 66.

قائدا لفرقتين من الميليشيا برتبة دوق لمدة 10 سنوات أو أكثر، واستقر في قرطاجنة إلى غاية 394م⁽¹⁾.

ب-3) المصاهرة والمصلحة السياسية:

كان القائد جيلدون قد وطد علاقاته مع روما وصلت إلى حد المصاهرة مع ثيودسيوس حيث طلب هذا الأخير يد صالفينا ابنة جيلدون إلى أحد أقربائه المدعو نبريديوس (NEBRIDIUS)⁽²⁾ حفيد الإمبراطورة فلاسيا (FLACILLE) زوجة الإمبراطور ثيودسيوس⁽³⁾ وتم تنظيم حفل الزفاف عام 390م⁽⁴⁾.

لكن رغم ما عرف عن الرومان بعدم اختلاطهم بين الشعوب الأخرى ونقص بالأمم عدم الزواج منهم أو المصاهرة فيما بينهم، مما جعل حادثة المصاهرة التي جمعت الأسرتين السابقتين الأولى من نوعها، إلا أن المؤرخ بلوتارخ كان له حديث آخر حين سرد قصة عن الأميرة أو الملكة أريتافيل (Aretaphila).

ج) زواج أريتافيل:

لا نمتلك معلومات وافية حول نشأة حياة هاته الأميرة فكل ما وصلنا وتناقله المؤرخين وهي قصة زواجها القسري.

في ذلك الوقت هذا أيون حذو والده الذي أوصى بالمدن وأراضيها للرومان أكثر مما فعل أثالوس الثالث ملك برجاموم، فأورث الشعب الروماني في وصيته التركة التي خلفها له والده، وكذلك الريف المحيط بالمدن بسكانه الوطنيين من القبائل الليبية، التي تركت وشأنها حتى عام 75-74 ق.م،

⁽¹⁾ عبد الحميد عمران، الديانة المسيحية في المغرب، المرجع السابق، ص 276.

⁽²⁾ الربيع عولمي، المسيحية في بلاد المغرب القديم ودورها في أحداث القرنين الرابع والخامس الميلاديين، ج. 1، (أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم)، جامعة باتنة 1، الجزائر، 2015/2016، ص 649.

⁽³⁾ محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 249.

⁽⁴⁾ Mathis(M), op.cit, p5.

لأن مجلس الشيوخ الروماني لم يتسلم إدارة قورينة بطريقة فعالة، واقتصر الأمر على إدارة الأراضي الملكية ومراقبة زراعة نبات السلفيوم الى جانب جباية الضرائب⁽¹⁾.

وكان في ذلك الوقت على روما أن تواجه العناصر التي أصبحت تنازع على الموقف في قورينة، وهم الرومان الايطاليون باعتبارهم العنصر الحاكم ،والإغريق من مواطني المدن الإغريقية، وإغريق الريف والليبيين الذين تمكنوا بعد موت(أبيون) بفترة قصيرة التدخل في الشؤون الداخلية لقوريني، ومشاكل جاليات اليهود قبل عام 75-74 ق.م وهي الفترة التي تولى فيها حكم الولاية قضاة من الرومان⁽²⁾، وكان القيم على إدارة الحكومة أيضا موظفون من الرومان وكان مجلس الشيوخ الروماني قد أرسل وكلاء منهم مهمتهم الأولى المحافظة على نبات السلفيوم، وأعلن المجلس حرية المدن وأصبحت قورينة تابعة للشعب الروماني وانتهت بذلك ملكية البطالمة⁽³⁾.

ومن بين أهم الأحداث التي شهدتها العلاقة بين المستوطنين الرومان الجدد والليبيين ،تلك الحادثة التي يقصها بلوتارخ، والتي كانت القبائل الليبية طرفا فيها وهي قصة أريتافيللا، ذلك أنه كان هناك طاغية يدعى نيكوكراتس (Nicocrates) يتسلط على قوريني ويقتل العديد من مواطنيها، وحدث أن كان من بين القتلى ميلانيوس فايديموس (Phaedimus Molanipus) كاهن الإله أبوللو زوج أريتافيللا، وكان نيكوكراتس مولعا بها فتزوجها قسرا غير أن المرأة استطاعت بدهائها التخلص منه بمساعدة الزعيم الليبي أنابوس (Anabus) الذي هاجم قوريني للقضاء على شقيق الطاغية الذي أراد أن يثأر من أريتافيللا⁽⁴⁾.

وعندما آلت الأمور في روما وإمبراطوريتها الى الإمبراطور أغسطس عام 27 ق.م، التحقت قوريني بجزيرة كريت وكونتا معا ولاية مزدوجة من جديد ،اذ كانتا كذلك من قبل عام 67 ق.م⁽⁵⁾. فهل يمكن القول أن ما حدث هو مصاهرة سياسية أم زواج قسري لمصالح سياسية.

⁽¹⁾ سعد صالح عوض الدلال، المجتمع الروماني في قوريني (96-ق.م-248م)، (أطروحة دكتوراه في الفلسفة قسم التاريخ والآثار يوناني وروماني)، جامعة بنها، مصر، (د.ت) ، ص155.

⁽²⁾ سعد صالح عوض الدلال، المرجع السابق، ص ص155 - 156.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص ص155 - 156.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه، ص156.

⁽⁵⁾ المرجع نفسه، ص156.

ويمكن القول أنه من الواضح أن أهم أسباب الزواج والمصاهرة هو كسب المساندة والولاء بين الأسرتين المتصاهرتين، وذلك بين شعبيهما لتوطيد العلاقات في ظل ظروف وجود عدو مشترك ما يلزم إتحادهما عن طريق الدماء الملكية، لضمان مستقبلا أي حركة مناوئة أو تمرد في صفوف الجيشين ولتزايد النفوذ والقضاء على الثورات الداخلية وتجنب الانهيار الاقتصادي التي تعاني منه إحدى الدولتين المتحالفتين⁽¹⁾.

ويبدو أن أهم أسباب الزواج والمصاهرة هو كسب يد العون والولاء بين الأسرتين المتصاهرتين، وذلك بين شعبيهما لتوطيد العلاقات وحل الخلافات والأزمات التي بينهما وكذلك لمحاربة عدو مشترك ما يلزم إتحادهما عن طريق الدماء الملكية لضمان مستقبلا محاربة أي حركة مناوئة أو تمرد في صفوف الجيشين ولتزايد النفوذ والقضاء على الثورات الداخلية وتجنب الانهيار الاقتصادي التي تعاني منه إحدى الدولتين المتحالفتين.

⁽¹⁾ زاهية مضوي، دور المصاهرة السياسية، المرجع السابق، ص 955.

VI (الفصل الرابع: الحياة الاقتصادية للمرأة ببلاد المغرب القديم:

1-VI) المرأة والصيد والرعي خلال العصور الحجرية.

2-VI) المرأة وممارسة الزراعة فيما قبل التاريخ.

3-VI) المرأة والصناعة.

4-VI) المرأة وعالم التجارة.

لم ينحصر دور ومهام المرأة في بلاد المغرب القديم على الإنجاب وتكوين الأسرة، بل تعدى ذلك إن شاركت الرجل في مختلف المهام التي كانت حكرا عليه من صيد ورعي وزراعة وحتى التجارة فيما بعد، مما حول لها مكانة إن لم نقل أعلى مرتبة من الرجل ذاته نظرا للمجهودات التي تقوم بها، حتى أنها اعتبرت هي التي أوجدت عدة حرف وأنشطة. كما برزت قوتها ودهائها حين أصبحت هي المسيطرة على اقتصاد الأسرة والمروجة له داخل المجتمع بعد أن أصبحت تمتلك الأراضي والثروات التي مكنتها من البروز كطرف فاعل في الحياة اليومية للمجتمع، أما عن ممارستها للصناعة فهي لا تقل أهمية عن باقي المجالات الأخرى وبرعت فيها، كما استطاعت أن تتعلم حرف متنوعة وكل هذا جعل لها مدخول كافي تقنيات منه وأسرتها، وما لبثت أن طورته بمساعدة شريكها في ذلك فغزت الأسواق وأصبحت تدير عدة أعمال كانت حكرا على الطبقة الأدنى، بل برعت فيه فأصبحت تلك الحرفة لا يمارسها غيرها⁽¹⁾.

VI-1) المرأة والصيد والرعي خلال العصور الحجرية:

تمكنت المرأة أن تفرض وجودها الإقتصادي في بلاد المغرب القديم منذ العصور الحجرية والثورة الزراعية، التي حولت لها دورا في التسيير الإقتصادي للأسرة.

لقد إهتم سكان بلاد المغرب القديم بمختلف الجوانب الإقتصادية من رعي وصيد وزراعة، بالموازاة مع ممارسة الصناعة والتجارة، رغم أنهم إشتهروا بطابعين أساسيين هما الزراعة والرعي وكلاهما ساهم بالنهوض باقتصاد المنطقة، وسرعان ما حولها إلى منطقة تجارية جعلتها محطة أنظار مختلف شعوب البحر المتوسط، و أقدم الإشارات التي تؤكد على أن سكان المنطقة مارسوا مجالا اقتصاديا معينا تعود لما تناولته المصادر المادية والأدبية خاصة المصرية، ثم ما خلده المؤرخين الكلاسيكيين على رأسهم هيرودوت الذي قسم السكان بين رحل ومستقرون⁽²⁾.

وقد سادت نظرية في العصور القديمة فحواها أن المرأة وحدها كانت متحركة في نوااميس الطبيعة في العصور البدائية، وأن دور الرجل يقتصر على تنشيط حافز الإنجاب لديها⁽³⁾.

⁽¹⁾ مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 83.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 84.

⁽³⁾ نزار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص 11.

مما لا شك فيه أن منذ بداية التاريخ ومنذ أن خلق الإنسان شكلت المرأة الدور الرئيسي في المجتمع والأسرة، ولكن من الصعوبة بمكان تكوين فكرة عامة عن وضع المرأة في العصور التي سبقت الزراعة ونقصد بها العصور الحجرية، فهي بدون شك كانت تساعد زوجها وتعني بتربية الأطفال، وبذلك فهي نواة الأسرة وعمودها الأساسي، وتألف الأسر نشأت المجتمعات والقرى ثم المدن فدولة المدينة، فمملكة لاحقاً⁽¹⁾.

وقد عملت المرأة في عدة نشاطات في حياتها اليومية، حيث شاركت الرجال في أهم الأعمال التي يقومون بها خارج السكن منذ القدم، حيث يرجع بعض الباحثين دور المرأة إلى فترة ما قبل التاريخ، وذلك من خلال المعثورات المنزلية التي وجدت داخل القبور إن صح ذلك يمكن إطلاق عليها تسمية الأثاث الجنائزي، ومن المتعارف عليه أن خلال العصر الحجري الحديث (Le Néolithique) بدأ الاستقرار البشري، مع إنتشار تقنية الزراعة وتدجين الحيوانات وإستئناسها على نطاق واسع⁽²⁾، وتحسين ظروف الحياة للإنسان فازدادت الروابط العائلية أكثر مما كانت في مرحلة الصيد والجمع والالتقاط، و لقد كان للمرأة دور كبير في هذا التحول حيث كانت المسؤولة عن إكتشاف الزراعة، وكذلك لها دور فعال في تربية الحيوانات مما أكسبها مقاما رفيعا داخل الأسرة⁽³⁾.

VI-1-1) القنص و الصيد:

إستطاعت المرأة أن تشارك الرجل في عمليتي القنص والصيد، ان لم نقل كان يعتمد عليها في صيد الطراءد لبراعتها في التمويه وجلب الطريدة للفتح دون أي ضرر.

سيطر نشاط الصيد والجمع والالتقاط على الإنسان لمدة زمنية طويلة، وربما تصل إلى مئات الآلاف من السنين⁽⁴⁾، ويعد ممارسة الصيد بكل أنواعه من أقدم النشاطات التي قام بها الإنسان منذ

⁽¹⁾ عماد طارق، المرجع السابق، ص 152. وينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 85

⁽²⁾ مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 86.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص 86.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه، ص 86.

ظهوره على الأرض، وإن كان الدافع الأساسي من وراء ذلك هو الحصول على الغذاء خصوصا خلال العصر الحجري القديم، الذي لم يتوصل فيه بعد لممارسة الزراعة⁽¹⁾.

وكون الطبيعة كانت حينها في أوج عطائها، فشكل بذلك القنص الدعامة الأساسية في المنظومة الغذائية، و قد انعكس ذلك على الحياة اليومية التي أصبحت زاخرة جدا بمشاهد خلفها لنا الإنسان في الكهوف من رسومات ونقوش صخرية، وعادة ما كانت تتضمن طقوسها طلبا للطرائد⁽²⁾.

وهيرودوت أشار أن المنطقة التي يسكنها البدو الرعاة مليئة بالحيوانات البرية، ومنها البقر الوحشي والضباء والنمور والنعام والثعابين والثعالب والضباع وابن أوى والفئران⁽³⁾، ونظرا لكثرة هذه الحيوانات في المنطقة فمن المسلم به أن الليبيين مارسوا حرفة الصيد والقنص⁽⁴⁾.

وتفنن الإنسان في هذه الفترة في تجسيد مشاهد لعلاقته بعالم الحيوانات مستخدما وسائل متنوعة لترويضها، إما سحرا أو استعطافا عن طريق تقديم القرابين أو بممارسة العلاقات الجنسية⁽⁵⁾.

ومن الملاحظ أنه إرتبط الحصول على الطرائد الوفيرة عند القناصين بصورة كبيرة بالممارسة الجنسية، إختلطت فيه الغريزة بمقتضيات إستمرار الحياة بهدف زيادة في الثروة الحيوانية، حيث قدمت

⁽¹⁾ سليم سعيد، صيد الحيوانات المفترسة من خلال الفسيفساء بشمال إفريقيا، مجلة عصور، مج.18، ع.1، جامعة وهران 1 احمد بن بلة، الجزائر، 1 جوان 2019، ص40. ينظر كذلك: مصطفى توربرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص86.

⁽²⁾ نضار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص11 ينظر كذلك: مصطفى توربرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص86

⁽³⁾ Hérodote, Loc.cit, IV, 180.

⁽⁴⁾ علي مؤمن إدريس مؤمن، مظاهر الحضارية، المرجع السابق، ص ص6-7. ينظر كذلك: مصطفى توربرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص86

⁽⁵⁾ نضار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص11. ينظر كذلك: مصطفى توربرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص87

بعض اللوحات مشاهد يكون فيها القنص في وضعية معينة حيث يصوب سهمه نحو طريدته بجانبه امرأة تربط بينهما علاقة جنسية بدليل وجود الرابط الذي يصل بين أعضائهما التناسلية⁽¹⁾.

وترجح الباحثة نضار الأندلسي أنه كان لساكنة المغرب القديم آلهة للقنص على غرار الآلهة الرومانية ديانة (Diana)، مادام القنص شكل عصب الحياة البدائية في منطقة اشتهرت بوفرة حيواناتها⁽²⁾، فقد كانت حاجة الآلهة إلى القرابين كبيرة وغضبهم شديدا، ولذا عمل الكل على إرضائهم خاصة وعامة، وإذا اخترنا من المتعبدين فئة القناصين نجدهم لا يتوانون عن منح القرابين للآلهة الخاصة بالقنص⁽³⁾.

ويقول آريان: "إذا أهمل القناصون جميع الآلهة فإنهم لن ينجحوا في مهمتهم، وستجرح كلابهم وتصاب خيولهم، وستخيب نتائج القنص آمالهم"⁽⁴⁾، كما نقرأ في فيسيفساء قرطاجة التقرب للإلهين ديانة وابولون (Apollo) قبل خوضهم لمضمار مطاردة الطرائد، بل محاولة إدخال أسد بداخل قفص، وذلك بوضع جدي كطعم لاستمالته، بديهي أن يكون ذلك نوع من القران⁽⁵⁾.

ولقد فضل الإنسان العيش في مجموعات من النساء والرجال والأطفال، وكان الهدف من ذلك هو حماية الأفراد من الأخطار التي تمثلت في المجموعات البشرية الأخرى والحيوانات المفترسة⁽⁶⁾. وكذلك من الحيوانات التي تدمر حقوله وبساتينه، ولاسيما أن منطقة المغرب القديم، كانت أرضا للحيوانات المفترسة من اسود وفهود ودبة... الخ⁽⁷⁾.

⁽¹⁾ نضار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص 11. ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 87

⁽²⁾ نضار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص 17.

⁽³⁾ بلكامل البيضاوية، هدايا وجوائز وقرابين من خلال فيسيفساء الشمال الإفريقي القديم، أعمال ندوة تكريم للأستاذة زينب عواد التاريخ القديم قضايا وبحاث، الدار البيضاء، 2005، ص 66.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه، ص 66. ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 87

⁽⁵⁾ المرجع نفسه، ص 71. ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 87

⁽⁶⁾ لخضر بن بوزيد، دور المرأة، المرجع السابق، ص 225. ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 87

⁽⁷⁾ سليم سعدي، المرجع السابق، ص 40. ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 87

فتلك الحيوانات شكلت خطرا كبيرا على الإنسان وأسرته⁽¹⁾، وهذا ما نفهمه من قول سالوستيوس "هم في العادة يموتون بسبب الشيخوخة باستثناء أولئك الذين تقضي عليهم الأسلحة والحيوانات المتوحشة، ونادرا ما يصابون بالأمراض"⁽²⁾، وأيضا كانت تهاجم الماشية مما جعل من استئناسها وتربيتها أمرا شبه مستحيل، لذلك دأبوا على صيدها للتخلص من أخطارها⁽³⁾.

والرسوم الصخرية توضح لنا كثرة وتنوع الحيوانات التي كانت موجودة في تلك الفترة والأسلوب المتبع في اصطيادها، والأدوات المستخدمة في ذلك، حيث تظهر لنا بعض الرسومات الصيادين في جماعات منتظمة تعمل على صيد الحيوانات بالشباك والرماح والنبال، فمن الطبيعي أن هذه الرسومات ارتبطت بالبيئة التي عاش فيها هذا الإنسان الرسام، وإن الحيوانات كانت من أهم المقومات لإستمرار حياة إنسان الصحراء⁽⁴⁾.

ويبدو أن المشاهد الصخرية التي تعود إلى حقبة القناصين كثيرة العدد ومتنوعة، وتظهر أن القنص كان يشكل العمل الرئيسي لهذه الفترة⁽⁵⁾.

وأجبرت كل تلك الظروف المرأة بأن تساهم في ضمان القوت اليومي لها ولعائلتها فكانت تشارك في عملية الصيد والقنص⁽⁶⁾، فبعض نماذج الفن الصخري تشير إلى رحلة لاكتشاف دور المرأة، وكيف يمكنها أن تجلب مزيدا من الطرائد، وأن تجعل الطبيعة أكثر إنتاجية وأكثر عطاء، حين أصبحت تبذل الجهد أثناء عملية القنص، فقد كشفت لوحة عن قناص مقنع بقناع حيواني (Zoomor Phe) يصوب سهمه نحو طريدته، وعن وجود امرأة بجانبه مقنعة بقناع الأيل.

كما إستخدمت في مشاهد أخرى أقنعة لتقليد أنواع مختلفة من الحيوانات، كالفهود والغزلان والأفراص وغيرها، ويبقى الغرض من ارتدائها هو التمويه، وتقليد هيئة الحيوانات لجلب أكبر عدد من

⁽¹⁾ مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 87.

⁽²⁾ سالوستيوس (سالست)، المرجع السابق، ص 31، ف 6.

⁽³⁾ سليم سعدي، المرجع السابق، ص 42. ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 88.

⁽⁴⁾ علي مؤمن إدريس مؤمن، المظاهر الحضارية للمجتمع، المرجع السابق، ص 7.

⁽⁵⁾ نزار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص 15. ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 88.

⁽⁶⁾ نزار الأندلسي، المرأة من خلال النقوش الصخرية في المغرب القديم، تطوان، المغرب، ص 1. ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 88.

الطرائد⁽¹⁾، وقد كانوا يرتدون جلود الحيوانات البرية والمستأنسة على حد سواء⁽²⁾ (الملحق رقم 23 ص 341)

إن وضع وإستخدام الأقنعة الحيوانية تبين إعتقاد الإنسان البدائي بقوة السحر القائم على مبدأ التشبه بالحيوان، بل وجسدت في بعض المناطق هاته الأقنعة آلهة مقدسة، وبهذا شاركت المرأة في بناء المنظومة الإقتصادية القائمة على نشاط القنص، عن طريق عملية التمويه ومطاردة الحيوانات بالسلاح كذلك⁽³⁾.

وتوضح لنا المشاهد الموجودة في منطقة الطاسيلي ناجر التي ترجع إلى العصور القديمة، أن صورة المرأة تظهر في أغلب المشاهد السحرية والدينية، منذ مرحلة الجاموس المتميزة بنقوشها الطبيعية التي تتضمن كثرة المشاهد الجنسية⁽⁴⁾.

إن الأشكال الآدمية والرسوم ذوات الرؤوس المقنعة شائعة ومنتشرة في الصحراء الجزائرية خصوصا بمنطقة الطاسيلي، وقد أظهرت بعض المشاهد صيادين يضعون أقنعة من رؤوس الغزلان فوق رؤوسهم، وربما الغاية من ذلك التمويه حتى يتقربوا بها من الفريسة المارد صيدها، وقد رأى البعض أن هذه الأقنعة التي يتنكر فيها الصيادون،⁽⁵⁾ أو ربما هذه الأشكال قد تكون لراقصين مقنعين قد عثر عليهم في مختلف مناطق العالم، وأن هؤلاء المقنعين يمثلون صيادين يقومون بوضع هذه الأقنعة حتى يخدعون به الحيوانات التي كانوا يقومون باصطيادها، ويرى هؤلاء أن هذه الأقنعة أو أن التنكر بحد ذاته يمثل قوة سحرية روحية⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ نضار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص 13. ينظر كذلك: مصطفى توربرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 89

⁽²⁾ أم الخير العقون، مظاهر المجتمع والحضارة، المرجع السابق، ص 5. ينظر كذلك: مصطفى توربرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 89

⁽³⁾ نضار الأندلسي، المرأة من خلال النقوش، المرجع السابق، ص 1-2. ينظر كذلك: مصطفى توربرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 89

⁽⁴⁾ إبراهيم العيد بشي، مكانة المرأة الطوارقية، المرجع السابق، ص 165.

⁽⁵⁾ عبد الحميد بعبطيش، المحتوى التاريخي للنقوش الصخرية في الصحراء الجزائرية، مجلة دراسات وأبحاث، مج 6، ع 16، جامعة زيان عشور الجلفة، الجزائر، 2015/9/15، ص 71.

⁽⁶⁾ المرجع نفسه، ص 71.

إن ظاهرة التخفي ظاهرة مألوفة في اللوحات الصخرية التي تحاكي عمليات الصيد، حيث يظهر بعض الصيادين وهم يرتدون جلود الحيوانات التي تتدلى ذيلهم من خلفهم، ويضعون على رؤوسهم أقنعة من رؤوس الغزلان الذئاب والفهود، ولعل ذلك يرجع إلى أغراض دينية محضة- كما أشرنا سابقا-، وأنه يمثل تكتيكا عاديا للتمويه والاقتراب من الفريسة قدر الإمكان تسهيلا لعملية الصيد⁽¹⁾.

وهناك من الباحثين من يرى أن التباعد بين الوسيلة والغاية يبدو في بعض الأحيان كبيرا يحتمل تأويل المشهد بطقس سحري، بينما يرى البعض الآخر تفسيراً لبعض لوحات الصيد بأنها تصوير لطقس ديني يبدو أمراً مبالغاً فيه، فما هي في الحقيقة إلا مناظر لممارسة الصيد بالتنكر في أشكال حيوانية، في حين ربط آخر استعمال الأقنعة وجلود الحيوانات وذيلها بطرد الأرواح الشريرة، فالعديد من مرتدي الأقنعة في اللوحات الصخرية لا علاقة لهم بعمليات الصيد حيث يظهرون معزولين عن الحيوانات⁽²⁾.

وقد أطلق على دور الحيرم كذلك دور عصر الصيادين حيث رسمت الحيوانات التي تحتاج إلى مصادر دائمة من الماء والحشائش الكثيفة كالغزالة الزراف أفراس النهر وحيد القرن التماسيح القردة والكركدن والبجع، يظهر إلى جانبها صيادون في جماعات يستعملون الشباك والهروبي، الترس الرمح عصا الرمي، وقد تنكروا بارتدائهم لجلود الحيوانات، ووضع أقنعة بغرض التمويه والتقرب منها لاصطيادها⁽³⁾.

فالعديد من الرسومات الصخرية تعبر عن الرأس المقنع، وذلك بإعطاء الشخص لنفسه مظهر يشبه الحيوان أو الكائن الأسطوري⁽⁴⁾، فمن غير المستبعد أن يكون قناع الطقوس قد تطور عن قناع كان يستعمل من أجل الصيد⁽⁵⁾ (الملحق رقم 24 ص 341).

⁽¹⁾ وريدة علي المنقوش، الفن الصخري بالصحراء الكبرى المراحل وإشكالية التفسير والتأريخ، المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراته، ليبيا، مج.1، ع.11، سبتمبر 2018، ص 260.

⁽²⁾ وريدة علي المنقوش، الفن الصخري بالصحراء، المرجع السابق، ص 260.

⁽³⁾ فتيحة شلوق، قراءة في الرسومات الصخرية بوادي التل ببسكرة، مجلة العلوم الإنسانية، ع.46، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، مارس 2017، ص 175.

⁽⁴⁾ عبد الحميد بعبيطيش، المحتوى التاريخي، المرجع السابق، ص 74.

⁽⁵⁾ وريدة علي المنقوش، المرجع السابق، ص 260.

وأشارت الرسوم الصخرية إلى جوانب عن الحياة الدينية كالطقوس التعبدية التي كان يمارسها الإنسان و أيضا اللباس الذي يرتدى أثناء الطقوس⁽¹⁾.

ومما يجدر الإشارة إليه أن عملية التمويه كان من إختصاص المرأة⁽²⁾ كما وضحت لنا مشاهد بالطاسيلي والهقار وصفار فتاة صغيرة تطارد الحيوانات بسلحها، وهي تحمل سهما، وأخرى تحمل قوسا أو كنانة، ونساء أخريات يحملن أقواسا وسهاما، فضلا عن لوحة أخرى لامرأة تحمل فوق صدرها حمالة السيف يعود تاريخها إلى حوالي 5000 ق.م⁽³⁾. (الملحق رقم 25 ص 342)

برغم من أن مفهوم القنص والصيد تغير في الفترات التاريخية، وأصبحت المرأة تمارسه كهواية وترفيه وترويح عن النفس وبالأخص عند الملكات، وعلى سبيل المثال ما كانت تفعله الملكة القرطاجية عليسة ديدون رفقة الطروادي آينياس، حيث يتم تجهيز موكب ضخمة لها يضم الحاشية وعدد كبير من الحرس لرحلتها الصيدية⁽⁴⁾.

وبالرغم من مساهمة المرأة في عملية الصيد والقنص من أجل أسرتها إلا أنها شكلت خطرا عليها كذلك، فقد لاحظ العلماء أثناء دراستهم عشرات المقابر أن البقايا العظمية للنساء قليلة مقارنة بالرجال، وبذلك إستنتج العلماء أن الأمر يتعلق بحروب ما قبل التاريخ بين 5700 و 5000 ق.م فال مجموعات المتحاربة التي عاشت خلال هذه الفترة أبقت على حياة النساء في حين تم قتل جميع الرجال، وعلى ما يبدو أن تلك الحروب كانت تشن من أجل النساء⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ منها محمود عيساوي، صورة الأسرة في الرسوم الصخرية قراءة سوسيو-تاريخية، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، مج.1، ع.1، جامعة العربي التبسي تبسة، الجزائر، 2017، ص 205.

⁽²⁾ مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 88.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص 89.

⁽⁴⁾ نضار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص 7. ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 89

⁽⁵⁾ لخضر بن بوزيد، دور المرأة في، المرجع السابق، 225-226. ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 90

وربما لا تكون تلك الحروب من أجل النساء فقط ، بل للحصول والإستيلاء على مناطق الصيد والغذاء، لكن ذلك لا يمنع معاناتهم من قلة المواليد والتعرض لمختلف الأخطار، مما يجعل تكاثر أعداد المجموعة ضرورة ملحة، وهو ما ينعكس على مكانة المرأة في تلك المجتمعات⁽¹⁾.

VI-1-2) الرعي وإستئناس الحيوان:

يعود الفضل في تربية وإستئناس الحيوان للمرأة التي كانت مأكثة في بيتها فكان من مهامها اليومية العناية بالحيوانات المستأنسة وحلب الماشية منها.

الظاهر أن الألفة كانت هي الخطوة الأولى في عملية الاستئناس، بمعنى أن يتعود الحيوان على شكل الإنسان فلا ينفر منه أو يهرب ، إذا أحسن الأخير معاملته، ومن ثم خلقت الألفة بينهما ثم أدرك الإنسان أن من صالحه تربية هذا الحيوان والإستفادة منه، ولم يصل إلى هذه المرحلة إلا بعد دراسات طويلة لطباع الحيوان وتجاربه بنجح بعضها وأكثرها فشل⁽²⁾.

ويعد الكلب هو أول الحيوانات التي نجح الإنسان في إستئناسها⁽³⁾، ومع ذلك يصعب كثيرا تحديد الزمن الذي تحول فيه الإنسان من الصيد إلى الرعي، وحتى الأماكن الأولى التي حدثت فيها التدجين لأول مرة، فنهالك مناطق عرفت التدجين في فترة مبكرة بينما ظلت الأخرى تمارس الصيد إلى فترة مبكرة بينما ظلت الأخرى تمارس الصيد إلى فترة قريبة جدا⁽⁴⁾، أما بخصوص أهم الحيوانات التي تم إستئناسها من قبل أناس العصر الحجري الحديث فهي الأغنام الماعز الجاموس الأبقار والخنازير، قصد الإستفادة من لحومها وحليبها وجلودها⁽⁵⁾.

فالأغنام تم تدجينها فيما بين 7000 و 6000 ق.م فقد وجدت بقاياها في الصحراء الليبية في منطقة الاكاكوس(ليبيا حاليا) وأرخت بين 6470 و 6060 ق.م، أما الماعز فقد تم تدجينه لأول مرة

⁽¹⁾ لخصر بن بوزيد، دور المرأة في، المرجع السابق، ص 226

⁽²⁾ محمد رشدي جراية، ثورة الإنتاج إبان العصر النيوليتي(من خلال تدجين الزراعة واستئناس الحيوان)، مجلة البحوث والدراسات، ع.10، جامعة الوادي، الجزائر، 2010، ص 136.

⁽³⁾ محمد رشدي جراية، الأسس الأولى، المرجع السابق، ص 15.

⁽⁴⁾ لخصر بن بوزيد، دور المرأة في، المرجع السابق، ص 227.

⁽⁵⁾ محمد رشدي جراية، ثورة الإنتاج إبان، المرجع السابق، ص 137.

في حوالي 7500 ق.م في إيران، سوريا وفلسطين، في حين الأبقار فقد دجنت في الشرق الأدنى ما بين سوريا وتركيا في حوالي 7800 ق.م⁽¹⁾.

والظاهر أنه بدأ إستئناس الأبقار مبكرا في الصحراء الوسطى فقد تم تأريخ الأبقار المستأنسة في ملجأ "وان موهيجاج" جنوب ليبيا بحوالي 5400 ق.م، وفي ملجأ "تين ثورها" بنفس المنطقة بـ 6470 و 6060 ق.م، ومن الممكن أن يكون الاستئناس أقدم من ذلك، فلعل الحياة الرعوية قد بدأت بشكل متزامن مع الأطوار الأخيرة لمرحلة الجاموس العتيق والرؤوس المستديرة، فقد أرخت بعض رسوم الرؤوس المستديرة في ملجأ "وان تلوكت" في تاداررت أكاكوس بحولي 6754 ق.م، مما يعني أنها متزامنة مع رسوم مرحلة البقرات⁽²⁾.

ولكن بشكل عام وواضح يمكن إعتبار الألف السادسة هي الفترة التي بدأت فيها الحياة الرعوية واستمرت لعدة آلاف من السنين، لكنها انقطعت عدة مرات بسبب الجفاف وقد قسمت إلى 3 مراحل: الرعوية القديمة، الوسطى والحديثة⁽³⁾.

وتعتبر الخصائص المناخية والنباتية من جعلت المنطقة مناسبة لتربية الحيوانات بامتياز حتى بعد ظهور الزراعة والاستقرار، فقد ظل النشاط الرعوي يحتل الدرجة الأولى كما تشير إلى ذلك الدلائل الأثرية، فقد كانت البلاد الإفريقية أهلة بقطعان الأغنام الماعز والأبقار⁽⁴⁾.

وكذلك الشاعر هوميروس (Homer) (ق9-ق8 ق.م) أشاد بأغنام وأبقار المنطقة⁽⁵⁾، وتبين المصادر المصرية إلى الأعداد الكبيرة من الحيوانات الأليفة التي كان المصريون يستولون عليها من

⁽¹⁾ لخضر بن بوزيد، دور المرأة في، المرجع السابق، ص 227. ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 90

⁽²⁾ لخضر بن بوزيد، أوائل البربر في الصحراء الوسطى بين 3000 و 1000 ق.م، مجلة التاريخية الجزائرية، مج 2، ع 3، جامعة المسيلة، الجزائر، سبتمبر 2018، ص 41.

⁽³⁾ لخضر بن بوزيد، أوائل البربر في الصحراء، المرجع السابق، ص 41.

⁽⁴⁾ نضار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص 18. ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 90

⁽⁵⁾ هوميروس، الإلياذة، تر: احمد عثمان وآخرون، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2008، ص 352-491.

الليبيين وقت الحرب وفي عهد الأسرة الرابعة (2930-2750 ق.م) حيث استولى سنفرو (Snfro) على 13100 راس من الماشية لليبين⁽¹⁾.

وهيرودوت كذلك أدلى بشهادته أن الجرامتيون يربون نوعا من الثيران ترعى متقهقرة إلى الخلف، بسبب قرونها المنحنية إلى الأمام وتغرس في الأرض فلا تستطيع السير إلى الأمام⁽²⁾.

في حين عرفت الخيول في ليبيا في فترة متأخرة من الزمن بعد أن تم إدخالها إلى المنطقة من مصر، وأول إشارة إلى وجودها تعود إلى فترة حكم مرنتاح (Merntah) (1223-1211 ق.م) حيث استولى هذا الفرعون على خيل الزعيم الليبي، أما رمسيس الثالث (1198-1160 ق.م) إستولى على 183 حصانا من الليبيين⁽³⁾. غير أننا لا نستطيع أن نجزم أن جميع هذه الحيوانات قد إستأنست إستئناسا كاملا⁽⁴⁾.

وينحصر دور المرأة بعد عملية التدجين في هذه المجتمعات فهي كانت تعني بالقطيع، وتجلب المواشي وتجمع خيراتها وحرست على سلامة قطيعها⁽⁵⁾.

والظاهر أن زوجات الصيادين المشتغلات بالزراعة كن يقدمن بقايا الحشائش والحبوب لبعض الحيوانات التي اصطادها الرجال ومن ثم استئناس البعض منها على الأقل⁽⁶⁾.

ولقد إعتد إقتصاد إنسان في العصر الحجري الحديث بالطاسيلي بصفة عامة على الزراعة وتربية الحيوانات، فمعظم البقايا الحيوانية تنتمي إلى أنواع مستأنسة، ولا يعرف حتى اليوم ما هي المراحل الأولى التي سبقت إستئناس هذه الحيوانات⁽⁷⁾.

⁽¹⁾ علي مؤمن إدريس مؤمن، المظاهر الحضارية للمجتمع، المرجع السابق، ص 336. ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 91

⁽²⁾ Hérodote, Loc.cit, IV, 183.

⁽³⁾ رجب عبد الحميد الاثرم، تاريخ برقة السياسي والاقتصادي، المرجع السابق، ص 64. ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 91

⁽⁴⁾ عبد الحميد بعبطيش، مظاهر الحياة النيوليتية، المرجع السابق، ص 206.

⁽⁵⁾ حسينية صفريون، بوادر ظهور النظام، المرجع السابق، ص 432.

⁽⁶⁾ محمد رشدي جراية، الأسس الأولى، المرجع السابق، ص 15.

⁽⁷⁾ عبد الحميد بعبطيش، مظاهر الحياة النيوليتية، المرجع السابق، ص 201-202.

وعلى أي حال هناك عدد من النظريات و الفرضيات التي تنادي بأن الخطوة الأولى لإستئناس الحيوان أخذت مباشرة من ممارسة الصيد، هذه النظرية تعتمد على كون النساء قد أحدثن تقدما ملحوظا في الزراعة، الأمر الذي ترتب عليه وجود فائض من الطعام سمح بإطعام الحيوانات الجائعة، وبازدياد اقتراب الحيوانات وملائمة حياتها للوحدات الموجودة في الصحاري أعطت للرجال فرصة معرفة عاداتها، الأمر الذي جعلهم يحاولون ترويضها بدلا من قتلها ومن ثم بدؤوا يربونها⁽¹⁾.

وقد ظهرت المرأة في مشاهد عديدة تهتم بالخيول وترعاها و كذلك إبتكرت اللحام وأصبحت ماهرة في ترويضها، كما تمكنت في المرحلة البوفيدية(مرحلة الرعاة) أن تمتطي الثور أثناء عملية رعي بقطيعها⁽²⁾(الملحق رقم 26 ص343).

كما زودتنا مختلف المشاهد المكتشفة منظر في جبارين(Jabbaren) بالطاسيلي تحتوي على أربعة أشخاص ثلاثة منهم يسرعون إلى رد قطع الأبقار ، وآخر يجري باتجاههم في الجهة الأخرى، والأشخاص الثلاثة هم امرأة وطفل ورجل، ويلاحظ أن المرأة زنجية الملامح والرجل بملامح متوسطة والإبن ظهر وكأنه هجين بين الجنسين ،فإذا صح التفسير لهذه اللوحة بان هؤلاء الأشخاص الثلاثة هم من أسرة واحدة⁽³⁾.

ولعبت المرأة أو الأنثى دورا هاما في الحياة والثقافة الإجتماعية خلال المرحلة البوفيدية سواء في تلك المرحلة التي عاشت فيها على القنص والقطف، أو في المرحلة الثانية بعد أن ظهر الإستئناس، وخلال كل هذه المرحلة جاءت لتظهر في نفس المكانة الإجتماعية التي كان يعرفها الذكر لأنها تكون قد مارست جميع الوظائف مثله، لقد شاركته في جميع الوظائف أو الأعمال المتعلقة بسفك الدماء كالصيد والقنص والجزارة والسلخ وربما حتى تقديم القرابين⁽⁴⁾(الملحق رقم 27 ص342).

وخلاصة القول أن الإنسان بقي أكثر من مليوني سنة لا ينتج طعامه معتمدا على الصيد والجمع والالتقاط ،وحتى في الأربعين ألف سنة الأخيرة بعد ما اكتملت فيه صفات الإنسان العاقل

(1)عبد الحميد بعبيش، مظاهر الحياة النيوليتية، المرجع السابق، ص202.

(2)نزار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص19. ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص91

(3)حسيبة صفريون، بوادر ظهور النظام الامومي، المرجع السابق، ص432.

(4)المرجع نفسه ، ص438. ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص91

بقي معتمدا على الطبيعة للحصول على طعامه، مما اضطره إلى حركة الترحال الدائمة ولم يعرف الاستقرار إلا بمعرفته الزراعة وإملاكه وسائل الإنتاج خلال العصر الحجري الحديث⁽¹⁾.

VI-2) المرأة وممارسة الزراعة:

يعود الفضل في إكتشاف الزراعة في الحضارات القديمة عامة، وبلاد المغرب القديم خاصة إلى المرأة التي إكتشفت طرق الزراعة والحرث والبذر.

VI-2-1) المرأة و الخصوبة:

توفر الشمال الإفريقي القديم على مؤهلات اقتصادية هامة، وكانت الفلاحة الركن الأساسي في هذا الاقتصاد البدائي، وأثبتت المصادر أن البلاد توفرت على ثروات طبيعية كبيرة، وإمكاناتها كانت تفوق حاجات سكانها، ولم تعرف المنطقة الخلل الذي عرفته مناطق أخرى من العالم القديم⁽²⁾.

أحدث العصر الحجري الحديث تغيير في ملامح الإقتصاد بالمغرب القديم، وذلك عندما عوض تدجين الحيوانات ومغامرة الصيد والقنص بالزراعة، ووضع بذلك حدا لتنقل الإنسان المتكرر من أجل القطف والإلتقاط، ومهد أولى السبل لإستقرار الأسرة، وبذلك تطور المجتمع شيئا فشيئا تحت ستار القبيلة⁽³⁾.

وقد مرت حرفة الزراعة بمرحلتين أساسيتين هما الزراعة اليدوية (الفأس)، ثم زراعة المحراث، والذي تطور من الفأس، حيث أدى إبتكاره إلى سرعة العمل وزراعة مساحات أكبر من الزراعة اليدوية، كما ساعد على التوسع الرأسي في الزراعة بتجديد خصوبة التربة⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ محمد رشدي جراية، الدعائم الحضارية للنيلوتي ذو التقاليد القفصية بالصحراء الشمال افريقية، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج.16، ع.2، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2016/12/31، ص226.

⁽²⁾ نضار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص21. ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص92.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص22. ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص92.

⁽⁴⁾ عمران أحمد حسين الشريف، إقليم المدن الثلاث في العصر الروماني دراسة تاريخية لتطور الإنتاج الزراعي من سنة (47ق.م- 235م)، المركز الوطني للمخطوطات والدراسات التاريخية، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، ط.1، طرابلس، ليبيا، 2010، ص99.

وفارو(Varro)(116-27ق.م) ذكر أن الإنسان العصر القديم عاش مرحلتين قبل الوصول إلى هذه المرحلة، الأولى تمثلت في اعتماد الإنسان على المنتجات الطبيعية التي تقدمها الأرض دون تدخل منه، والتي جمعها من الأشجار البرية، وكذلك صيد الحيوانات، وتعرف بإسم: المرحلة الرعوية، والثانية وهي إكتشاف الإنسان للزراعة، ويعد إبتكار الزراعة ثورة في تاريخ البشرية، وبها خطا الإنسان أول خطواته في طريق السيطرة على الطبيعة⁽¹⁾.

وبطبيعة الحال إن عملية حث الأرض وبذرها وجني محصولها من البديهيات للعقل المعاصر، لكن لا يمكن إسقاط هذا التصور على الإنسان البدائي منذ 2000 سنة، بمقومات فكره وتصرفاته وإستنتاجاته العقلية البسيطة التي ظل ينميها بالممارسة العملية البطيئة من خلال الكثير من المحاولات والأخطاء، ولهذا ربما تعلم حصد وطحن الحبوب البرية قبل أن يتعلم بذرها بزمان طويل⁽²⁾، ومن أهم المحاصيل التي زرعت حينها تمثلت في القمح والشعير⁽³⁾.

وقد إرتبطت بؤادر ظهور الزراعة من خلال ما عرف بثروة إنتاج الطعام في موقع في الأطلس الكبير و يشاركه في ذلك عدة مواقع أخرى حسب ما تدل عليه المخلفات الأثرية المكتشفة، والتي صورت لنا كافة التفاصيل من بداية الحضارة القفصية(Le Capsien)(7000-4000ق.م) وتعاطي الإنسان للزراعة⁽⁴⁾.

ويستدل بوجود المطاحن والمهارس والرحى على وفرة الغذاء النباتي، الذي أضحى أكثر إنتشارا منه في العصر الحجري المتأخر، مما قد يتخذ كبرهان على وجود الزراعة⁽⁵⁾.

أما بخصوص أثار فجر التاريخ فتأكد أن الإنسان مارس الزراعة خلال تلك الفترة التي صورتها الرسوم الصخرية، إذ نقف على مشهد حث في كهف الاوربة بالشافية -شرق قسنطينة- وكذلك مشهد حث آخر في لوحة صخرية بالأطلس الكبير بالمغرب⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ عمران أحمد حسين الشريف، المرجع السابق، ص 99، 100.

⁽²⁾ محمد رشدي جراية، ثورة الإنتاج إبان، المرجع السابق، ص 132.

⁽³⁾ محمد رشدي جراية، الأسس الأولى لثورة، المرجع السابق، ص 12.

⁽⁴⁾ نضار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص 21.

⁽⁵⁾ محمد رشدي جراية، الدعائم الحضارية للنيوليتي، المرجع السابق، ص 227.

⁽⁶⁾ نضار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص 21.

وكانت لخصوبة التربة ووفرة المياه في بعض المناطق الليبية أكبر أثر في إستغلال الأرض والعمل على الزراعة، ونجد ذكر في المصادر المصرية القديمة أن المصريين كانوا يحصلون على زيت التحنو الثمين، وهذا أكبر دليل على وجود الزراعة المبكرة في المغرب، وكانت أول إشارة صريحة إلى الزراعة الليبية في عهد الأسرة 19 (1350-1205 ق.م)، فقد سجلت في لوحة (اتريب-هي) إحدى وثائق الحرب الليبية في عهد مريبتاح، حيث أن هذا الملك بعد إنتصاره على الليبيين أخذ كل عشب يأتي في حقولهم، ولم يكن هنالك حقل مزروع⁽¹⁾.

كما أن خصوبة نهر كينيوس (وادي كعام) ومنطقة سيوسيريدس (بنغازي)، حيث كانت الأولى من أخصب المناطق التي زرعت قمحا في العالم القديم⁽²⁾، و هيرودوت يذكر أن قبائل النمامون كانوا يذهبون في الصيف إلى أوجلة (Awlga) لجني البلح من النخيل الذي ينمو بكثرة في المنطقة، ويؤكد أن الليبيين مارسوا الزراعة على نطاق واسع⁽³⁾.

وقد أثبتت المرأة مهاراتها وجدارتها في مجال الزراعة في جميع مراحل الإنتاج، من حرث وغرس البذور والحصاد وسخرت لذلك أدوات متنوعة سواء أثناء حرث الأرض وزرع البذور وحتى الحصاد والدرس⁽⁴⁾. (الملحق رقم 28 ص 344).

ويشهد لها أن ساعدت الرجل بحمل الفأس لزراعة الأراضي، بينما إنشغل هو بالصيد والرعي⁽⁵⁾، وبعض الباحثين يؤكدون أن المرأة شاركت الرجل في موسم الزراعة والحصاد⁽⁶⁾، فقد شهد

⁽¹⁾ علي مؤمن إدريس مؤمن، المظاهر الحضارية للمجتمع، المرجع السابق، ص 7. ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 93

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 7-8. ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 93

⁽³⁾ Hérodote, Loc.cit, IV, 183.

⁽⁴⁾ نضار الأندلسي، المرأة من خلال النقوش، المرجع السابق، ص 3. ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 93

⁽⁵⁾ محمد رشدي جراية، الأسس الأولى لثورة، المرجع السابق، ص 13.

⁽⁶⁾ مصطفى توريرت وزاهية مضوي، المرجع السابق، ص 94.

شهد المرأة في الطاسيلي وفي أكثر من مشهد وهي تعكف بجد على جمع الأعشاب وتذرية الحبوب⁽¹⁾ وجسدت الرسوم في منطقة صفار مجموعة من الأشخاص يحملون نوعا من القصب الطويل بشكل مذراة، وربما هم يقومون ببذر الحبوب، لأن في أسفل هذا الرسم يوجد أشخاص كذلك جالسون يقومون بدرس الحبوب على أرجلهم، وكذلك يوجد مشهد آخر في منطقة جبارين يمثل نساء يضعن أقنعة برؤوس الطير ويحملن سنابل، وهو مشهد ربما يوحي إلى تقديس الإنسان لربات الزراعة⁽²⁾.

حيث شهد المرأة منهمكة في حصد ماجادات به الأرض من محاصيل زراعية مستخدمة في ذلك أدوات بسيطة، وتكفل المرأة المزارعة عملها بدرس الحبوب وسحقها في مطحنة حجرية بعد أن تكبدت عناء نقلها من الحقل إلى أماكن التخزين وتكشف لنا نقوش منطقة أكاكوس عن حمل النساء للمنتج بالسلال فوق ظهورهن أو رؤوسهن، وهكذا عدت المرأة منتجة ومشاركة في الإنتاج بل هي من تقوم بأعمال الحقل دون مشاركة الرجل⁽³⁾. فقد كانت تعمل ولا تمل منذ بدء وضع البذور في التربة وسقايتها حتى حصادها، ولأنها كانت ترمز بالأرض أي الأم لذلك كان موضوع الزراعة متعلق بها⁽⁴⁾. (الملحق رقم 29 ص 343).

ويبدو أن مكوثها في الكهف الذي يعد بيتها وكل عالمها ومملكتها جعلها تهتدي إلى الزراعة وتربية الحيوانات في العصر الحجري الحديث⁽⁵⁾، حيث ساهم ذلك في إنتهاء تنقلها المتكرر من أجل القطف والإلتقاط وبذلك ساهم في إستقرارها⁽⁶⁾.

وقد رجح الباحث فراس السواح أنها مكتشفتها، وفسر ذلك بالإرتباط الوثيق بين خصوبة الأرض وجسد المرأة⁽¹⁾.

⁽¹⁾ حسية صفريون، بادر ظهور النظام الأمومي، المرجع السابق، ص 427.

⁽²⁾ عبد الحميد بعيطيش، مظاهر الحضارة النيوليتية، المرجع السابق، ص 204.

⁽³⁾ نضار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص 24. ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 94

⁽⁴⁾ اشرف نادي احمد حسن، المرجع السابق، ص 10. ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 94

⁽⁵⁾ عماد طارق، المرجع السابق، ص 125. ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 95

⁽⁶⁾ نضار الأندلسي، المرأة والزراعة، المرجع السابق، ص 1.

ونظرا لأهمية الحياة الزراعية ببعض المناطق الليبية فقد أطلق الأهالي على الأرض اسم الآلهة الأم أو كيريس (Cérès)، كلفت خاصة برعاية فترات الحصاد وجني الثمار⁽²⁾.

كما قدم على شرفها قرابين حيوانية ضمانا لوفرة المحاصيل والثمار، وكذلك قصد التقرب منها، ويعود لها الفضل في كثرة النباتات البرية والحلة الخضراء وتكاثر الحيوانات ووفرة الألبان، وتقلب مظاهر الطبيعة⁽³⁾. (الملحق رقم 30 ص 344)

وحسب المعتقد السائد آنذاك فقد مثلت الآلهة الزراعة المتحركات في الطبيعة صورة النساء النموذجيات، لذا يجب أن تقدم على شرفهن كل سنة قرابين، وعلى مدار التاريخ جرى التماثل بين النساء والأرض وأصبح لهن الفضل في نمو النباتات والأعشاب وكثرة المراعي الخضراء ووفرة الحيوانات، ولذلك نجد الميثولوجيين القدماء يطلقون على الأرض اسم ثيوني (Thyone)، مثل ما سميت الأم كيريس التي أهدت الأميرة عليسة ديدون على شرفها قرابين حيوانية لضمان وجود المحاصيل الزراعية بمدينةتها — قرطاج — المزدهرة⁽⁴⁾.

ولهذا السبب إنتشرت طقوس كيريس الحيوانية كل المناطق المجاورة لقرطاج بسرعة كبيرة لإعتقادهم بسيطرتها على الموارد الطبيعية الحيوية، وبمنحها أجود الغلال في موسم الحصاد لأهالي المنطقة التي قدستها⁽⁵⁾.

كما حظيت الآلهة تانيت (Tanit) بالتقديس والتكريم وكان يرمز لها بالسنبلة رمزا للخصوبة والنماء في قرطاج⁽⁶⁾، كما توجد مشاهد بمنطقة جبارين لآلهة برؤوس الطير نجد فيه سنابل وبعض تلك السنابل تحملها الآلهة الأنثوية للزراعة⁽¹⁾.

⁽¹⁾ فراس السواح، لغز عشتار، دار الكندي، ط. 1، سوريا، 1988، ص 126. ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 95

⁽²⁾ نضار الأندلسي، المرأة والزراعة، المرجع السابق، ص 3-4. ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 95

⁽³⁾ نضار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص 27. ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 95

⁽⁴⁾ مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 95

⁽⁵⁾ نضار الأندلسي، المرأة والزراعة، المرجع السابق، ص 3-4.

⁽⁶⁾ المرجع نفسه، ص 5. ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 95

كما قدس وعبد النوميديون آلهتان للزراعة هما ديميتير (Déméter) وكوري (Korè) اللتان تشتركان في خصائص متكاملة، ولهما الفضل في خصوبة المراعي لذا تقلدا لقب كيريس لكونهما تحفظان جميع المحاصيل الزراعية ،كالأعشاب والخضروات، وأقيمت على شرف آلهات الحبوب أبناء الاغليد ماسينيسا أعياد واحتفالات بطقوس خاصة لكونهن يضمن محصولا سنويا جيدا من الحبوب⁽²⁾.

وقد تبنى المزارعين المحليين منذ تلك الفترة آلهات تضمن محصولا جيدا من الحبوب، مما ساهم في ازدهار الفلاحة النوميديّة⁽³⁾.

وظهرت الآلهة كايليستيس (Caelestis) في الفترة الرومانية كوريثة وخليفة لتانيت القرطاجية تضمن الخصب والنماء للأرض، ومثلت بعدة أشكال منها وهي تحمل غرابا أو رمانة أو تمسك بسعفة النخيل، وكل هذه الرموز تدل على طلب الخصوبة لبعض الأنواع الزراعية⁽⁴⁾، إن تواصل الآلهات مع الطبيعة خلق لديهن نزوعا لحبها وإستنطاق أسرار مكوناتها ويغدوا حوارا معها على نحو ما تصل قوتن أحيانا إلى اقتحامها وإخضاعها⁽⁵⁾.

وحب بعضهن للأزهار جعلهن يقمن برعايتها على أكمل وجه ،فقد عشقت النريذات الأزهار ونسجن أفرشة من مختلف أنواع الورود⁽⁶⁾، وحسب ديودور الصقلي فقد إعتبرن بنات الطبيعة ،وأقيمت طقوس لها وقدمت قرابين على شرف الآلهة الرومانية فلورا (Flora) التي إعتبرت حامية وراعية الورود⁽⁷⁾.

(1) لخضر بن بوزيد، الأثر الديني، المرجع السابق، ص 111.

(2) نضار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص 21.

(3) مصطفى توريرت وزاهية مضوي، المرجع السابق، ص 96.

(4) نضار الأندلسي، المرأة والزراعة، المرجع السابق، ص 5. . ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 96

(5) نضار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص 5.

(6) المرجع نفسه، ص 29. . ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 96

(7) Diodor de Sicile, Loc.cit, III, 68.

بخصوص منطقة كيريني التي عرفت بوفرة زهورها التي حثت الأهالي على صنع منها مختلف العطور⁽¹⁾، كما صنعت الآلهة ديانة عصيرا ساما بمزج بعض أنواع الزهور البرية بالماء، وإكتشفت الآلهة مينيرفا (Minerve) زيت شجرة الزيتون وصنعت زيتة عطرا تعطرت به ليشعر أتباعها بأهميته وإرتياح في إستعماله⁽²⁾، وهذه الإشارات توحى إلى دور الكبير للمرأة في إكتشاف زراعة الزيتون أو على الأقل طريقة عصره وإستخلاص زيتة⁽³⁾.

وبما أن المرأة عدت مصدر الخصوبة والتكاثر، فقد برزت عقيدة عبادتها خصوصي خلال العصر الحجري الحديث، وإعتبرت أول معبودة في التاريخ⁽⁴⁾، لذلك تم الإهتمام بها ونلاحظ ذلك من خلال خلال الفنون الصخرية، حيث إهتموا بتصوير المرأة وإبراز عناصر الخصوبة و الأنوثة لديها، فهناك بعض القبائل البدائية الذين يعتقدون بأن المرأة تنقل خصوبتها إلى الأرض الزراعية⁽⁵⁾.

وهذا ما تم ملاحظته من خلال دراسة حيثيات الفن الصخري في الطاسيلي، أن هناك إرتباط واضح بين المرأة وخصوبة الطبيعة، وتمثل هذا كذلك في الأمطار فوجود المرأة ضروري في طقوس إستدراار المطر في معظم الصور⁽⁶⁾.

ونجد أنه تكثر مشاهد الرقص في الطاسيلي التي يكون الهدف منها الحصول على ماء المطر، ونذكر منها مشهد تين تزاريف (Tin Tzarift) الذي يمثل ستة أشخاص يرقصون ويحملون في أيديهم أداة تشبه رؤوس سهام تمثل نبات الفطر، و يوجد مشهد آخر في منطقة صفار تمثل مجموعة من النساء والرجال، وبعض النساء ذوات بطن بارز وعليهن زينة يقومون بالرقص في شكل دائري ويمسكون بحيط، وهنالك مشهد مماثل له في وادي عكري بالأكاكوس⁽⁷⁾.

⁽¹⁾ نضار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص29.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص21. ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص97

⁽³⁾ نضار الأندلسي، المرأة والزراعة، المرجع السابق، ص8. ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص97

⁽⁴⁾ عماد طارق، المرجع السابق، ص125.

⁽⁵⁾ أماني سلامة، الجنس قبل التاريخ، دار التنوير، الجزائر، 2013، ص56.

⁽⁶⁾ لخضر بن بوزيد، الفن ومعتقدات، المرجع السابق، ص242.

⁽⁷⁾ المرجع نفسه، ص242. ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص97

وكذلك رسومات تمثل راقصين في منطقة جبارين ويضم المشهد ما يقارب 20 شخصا يضعون أقمعة وهم ينظرون إلى السماء، مما يدل على طقوس استدرار المطر واستعطاف الآلهة من أجل خصوبة الطبيعة وإخضرار الأرض⁽¹⁾، وأيضاً مشهد آخر في نفس المنطقة يمثل محاربون يصطحبون قبيلتهم وماشيتهم في رحلة بحث عن الماء والكلاء، ونرى في مشهد في أوزيناى (Ozaneare) يمثل كذلك مجموعة من الرماة في عملية البحث عن المراعي والعيون، حيث يشير الشخص الذي في المقدمة بيده إلى الأراضي من بعيد.⁽²⁾

وأما بالنسبة لرسومات منطقة الفينوسات (Vénus)، فتفسر الباحثة مارسيا الياد علاقة إنسان الطاسيلي بالأرض من خلال هذه الرسوم بأنها علاقة مجسدة بالخصوبة، وأن خصوبة الأرض متضمنة بالخصوبة النسوية، فالحقل مثل المرأة والعمل الزراعي أصبح يمثل بالفعل الجنسي⁽³⁾.

ولكون مشكل المياه كان مطروحا بإلحاح في بعض المناطق بشمال إفريقيا القديم، و بالأخص الداخلية منها التي تعاني من قلة التساقطات المطرية، فتطلب الأمر القيام بطقوس لطلب الماء على شرف الآلهة كإيليسيتيس الآلهة الأم، حيث تحدث عن طقوس تقيمها المستحمامات وهن عاريات (La nudité des baiyneuses) في مدينة هيبون⁽⁴⁾، وهي عبارة عن ممارسات جنسية تقام على شرف الآلهة عذراء مرتبطة باعتقادات سحرية تساعد على طلب استدرار المطر.

وبعض المؤرخين أكد على إستمرارية مثل هذه الطقوس على شرف الآلهة لجلب الخصوبة والنماء في المجتمعات الوثنية، ويمكن القول أن عادة الإستحمام المقدس مرتبطة بمرحلة قدس فيها الأهالي آلهات الماء، لذا إنتشرت عبادة النيريدات (Les Néréides) آلهات الأودية في المناطق الشبه جافة، كما إعتبرت تقديس الحوريات (Nymphes) آلهات المجاري المائية كعبادة رسمية في إفريقيا الرومانية، بسبب حاجة بعض المناطق في شمال إفريقيا للمياه وأقيمت طقوس خاصة لتشريفهن⁽⁵⁾.

(1) عبد الحميد بعبطيش، مظاهر الحضارة النيوليتية، المرجع السابق، ص 204.

(2) المرجع نفسه، ص 205.

(3) المرجع نفسه، ص 205.

(4) نضار الأندلسي، المرأة والزراعة، المرجع السابق، ص 7. ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 97-98.

(5) المرجع نفسه، ص 7.

والظاهر أن الأفارقة مارسوا طقوس وإحتفالات من أجل طلب الغيث والتي إستمرت لفترات تاريخية متأخرة ومن أهم هذه الإحتفالات "تسيلت ونزار" أو عروس المطر، ويظهر أنزار مثل عنصر مخصب يقوي الطبيعة ويعطي الزرع والغلة، وللحصول على المطر لابد من استعطافه والعمل على إثارة قوته الإحصائية، وتتضمن طقوس أنزار طوفا طقسيا يتمثل في حمل دمية من خشب مغطاة بقماش في مسورة عروس ويدها عبارة عن ملعقة موجهة لاستقبال المطر بشكل رمزي ويعرف هذا الطقس بـ"تاغنجة" ويشارك في هذا الطواف الطقسي الناس والأطفال ويتضمن الغناء وبعض الابتهالات وينتهي بإقامة مأدبة⁽¹⁾.

VI-2-2) المرأة وطقوس الإستمطار:

إن قيمة و أهمية الماء في حياة الإنسان جعلته يكتسي طابعا متميزا في الموروث الشعبي، ويتجلى ذلك في ضرورة توفره، والبحث عنه مهما كلف الأمر، لأنه يمثل الحياة لكل الكائنات الحية، ويتضح ذلك من خلال الممارسات الطقسية التي يقوم بها سكان المنطقة⁽²⁾، وتعد ظاهرة الإستمطار من الطقوس القديمة في الحياة الإنسانية حيث كان الناس يلجئون إلى معابدهم وألهتهم، وقيمون فيها صلواتهم وطقوسهم ويقدمون قربانهم راجين سقوط المطر⁽³⁾.

وقد قدست وألهمت الشعوب القديمة الماء، ولعل سبب حسب الباحثين يعود إلى طبيعة المناخ الجاف الذي ميز المنطقة (المغرب القديم)، حيث أوجب على سكانه الحصول على الأمطار الضرورية لتأمين محاصيلهم الزراعية، لذلك قاموا بتقديس هذه المياه وإسترضائها تفاديا لغضبها وشرها والروح التي تسكنها⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ نضار الاندلسي، الحياة اليومية للمرأة، ص 34.

⁽²⁾ جيلالي هناني، الممارسات الدينية والطقوسية لطرق الاستمطار ببلاد المغرب الأوسط خلال العهد الزياني (ق7-10هـ/13-16م)، مجلة الانثروبولوجية الأديان، مج.17، ع.2، جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2021/6/5، ص 179.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص 179.

⁽⁴⁾ زاهية مضوي، المرأة و الماء في الميثولوجيا الأمازيغية لمنطقة بومرداس بين الماضي والحاضر، بومرداس الذاكرة الانسان والمجال، وزارة الثقافة الجزائر، الجزائر، 2022، ص 57.

فمثلا مايجده عند قبيلة النسامونيون، من عادات حيث كان أفراد هذه القبيلة إن لم يجدوا ماء يأخذون التراب من الأرض ويقومون بلعقه⁽¹⁾، ويشير محمد الصغير غانم أنهم كانوا يخرجون على شكل جماعات لأداء هذا الطقس في الهواء الطلق معربين عن حاجاتهم للمطر ويظهرون ضعفهم وخضوعهم لاعتقادهم أن الجفاف الذي حل بهم وأرضهم ما هو إلا عقابا لهم وان الآلهة التي تسكن السماء والأماكن العليا في قمم الجبال غاضبة عليهم⁽²⁾.

وقد عرف المجتمع المغاربي القديم طقوس الإستسقاء و الإستمطار منذ زمن مبكر أي قبل الفتح الإسلامي، وهي لا تزال راسخة بالذاكرة الشعبية للمنطقة بأسماء عديدة: أنزار، تاسيليت، عروس المطر، مغرف بوغنجة، وهي طقوس مرتبطة بالاحتفالات الدنيوية على حد تعبير إميل دور كايم (Emile Dur Kheim) حيث ترتبط بطقس مقدس يتواصل من خلاله الفرد في علاقة حميمة مع الإله (أنزار)⁽³⁾.

وذلك عبر ترسيمات يرددها الأطفال تتواصل روابط روحية بين الإله والفرد، تترجم براءة وطهر العلاقة بين "تسيليت" واله المياه مما يحول المكان إلى جغرافيا مقدسة بما النساء أملا في الظفر بزواج يقاسمها أعباء الحياة، وطقس الإستسقاء في الحقيقة مرتبط بالنار⁽⁴⁾ وقد اشتهر وعرف "بمغرفة بوغنجة" وهذا الإيمان متكرر، لأن النار ولدت من الماء حسب ما أخبرت به الأساطير القديمة، ويعد هذا الطقس من أقدم الطقوس الإستسقائية المعروفة في شمال أفريقيا التي يمارسها سكان المنطقة في جلب المطر ورفع البلاء والضرر على الإنسان والحيوان لأن الماء هو الحياة⁽⁵⁾.

أ) أسطورة أنزار عروس المطر:

⁽¹⁾ زاهية مضوي، المرأة و الماء في ، ص 57.

⁽²⁾ محمد الصغير غانم، بعض من ملامح الفكر الديني الوثني في بلاد المغرب القديم، مجلة الحوار الفكري، ع. 2، الجزائر، (د.ت)، ص 61.

⁽³⁾ أمال ماي، استدعاء طقس الاستسقاء "تلاغنجا" عروس المطر" في ديوان تاسيليا، مجلة النص، مج. 7، ع. 1، جامعة جيلالي الياس سيدي بلعباس، الجزائر، 2021، ص 120.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه ، ص 120.

⁽⁵⁾ أمال ماي، المرجع السابق، ص 120.

الدكتور محمد جلاوي يتحدث عن أسطورة أنزار فيقول: "هذه الأسطورة عرفت رواجاً واسعاً في الأوساط الاجتماعية للمنطقة وظلت تمارس ممارسة طقسية إلى عهد قريب إذ كلما عم الجفاف وأصبحت الأرض بالقحط والجفاف إلا وانبعثت أصولها الأولى من أعماق الذاكرة الجماعية من جديد ليناشد بها الأهالي اله الأمطار أنزار ليعيد إليهم الغيث المفقود"⁽¹⁾.

ومن بين العادات والممارسات التي عرفها وتنقلها سكان المنطقة و القيام بها إرضاء وتبركا لإله المطر، عادة رش موكب العروس بالماء وعادة رش الماء حين الخروج من البيت وهناك من يصلي (لأنزار) متمنيا موسماً مطراً وخصيباً، وهذا كله نابع من الثقافة والتي ورثتها عن الأجيال السابقة دون الاهتمام بالرقص الديني لمثل هذه الأنواع من المعتقدات والممارسات الطقسية⁽²⁾.

و نجد من بين الممارسات المرتبطة بقداسة الماء في المنطقة عادة رش العروس بالماء⁽³⁾ إثر خروجها من منزل العبور- كما أشرنا سابقاً-، وهذا الطقس عبارة عن ممارسة تهدف إلى إعادة إحياء خرافة لا يعرفها الكثير من ممارسيها اليوم ولا يعرفون مدلولها فهم بالتالي يمارسون طقساً ميثياً يدعو إلى تقديس الماء⁽⁴⁾.

والدكتور محمد جلاوي يروي لنا بعض الممارسات الطقسية التي كان سكان يمارسونها في زمن ليس ببعيد، وقد نجدها تمارس في وقتنا، لان هناك من لا يزال يعتقد بها، لأنها موروث شعبي راسخ في الذاكرة، وهو ما نراه من خلال القيام ببعضها كرش موكب العروس بالماء سواء كان ماء عادي أو ماء الورد المقطر، وإذا أردت التقصي عن سر هذه العادة لوجدتها نابعة من الفكر الإنساني القديم له علاقة بأسطورة أنزار⁽⁵⁾.

وحسب الروايات الشفوية المتداولة التي تقص لنا نص أسطورة: "عاشت (تيسليت) تتحول بين الجداول والينابيع، حيث تحمل بيديها الماء وتستلذ باللحظات الجميلة من الحياة، حيث تحمل الماء في

⁽¹⁾ سالم بن لباد، رمز المرأة في الأسطورة الأمازيغية الجزائرية-أسطورة أنزار أنموذجاً-، مجلة معارف، مج.12، ع.22، جامعة البويرة، الجزائر، 2017، ص ص294، 295.

⁽²⁾ إبراهيم بن عرفة، الممارسات الطقسية والاحتفالية وعلاقتها بالنشاط الفلاحي دراسة انثروبولوجية في منطقة بئر الذهب ولاية تبسة، (أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع)، جامعة علي لونيسى البليدة، الجزائر، 2018/2019، ص295.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص120.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه، ص ص245-246.

⁽⁵⁾ سالم بن لباد، المرجع السابق، ص295.

كفيها وترميه نحو السماء ليتفرق إلى قطرات متألثة وهي تنشد وتغني بصوتها العذب، وتكررت هذه العملية أياما عديدة، وكانت (تيسليت) تنتقل بين الوديان والينابيع وكأنها تعبر عن عفافها وجمالها، حيث تمضي أوقات طويلة بعيدة عن أنظار القرية وشبابها، ومرت الأيام وزادت (تيسليت) جمالا، وبينما كانت كعادتها ترتوي من احد الينابيع⁽¹⁾.

"تلبدت السماء بسحب كثيفة ومرت سحابة رعدية كان يقودها اله المطر أنزار-حسب إعتقادهم -، نحو إحدى البلدات يسقي أرضها ويحي زرعها ويشر قاطنيها بموسم حصاد وفير، ولوهلة إنتبه الإله أنزار لشعلة مضيئة فوق الأرض أية في الجمال، فقرر التوجه نحو تلك الزجاجة المشرقة وما زاد انتباهه ذلك الصوت العذب المنبعث من هذه الشعلة فأقترب أكثر فوجد فتاة فاتنة الجمال كاشفة الساقين تهم بالدخول إلى المنبع وتغني بصوت أصيل، توقف أنزار لحظات يتأمل في هذه الفتاة لأنه لم يرى إنسية فائقة الجمال مثل تيسليت وبما انه اله يرى بعين الآلهة نظر إلى عمق روحها فاستغرب لنقاء وصفاء روحها وأبصر في فكرها فوجد ذلك الحياء والتعفف"⁽²⁾.

"فقرر أنزار الاستقرار أياما فوق هذه البلاد منزلا على المنطقة كل أشكال الغيث تعبيرا منه عن حبه وغرامه لـ(تيسليت) فاخضرت الأرض وأنتجت الخيرات، ولاحظ قوم(تيسليت) هذا التغير الذي لم يحدث من قبل وخاصة عندما تصعد(تيسليت) إلى الجبل وامتألت السماء بالسحب، فأصبحت الفتاة قديسة واضحني أنزار يعاني عاطفيا يتساءل: هل يصارحها بحبه لها ورغبته في الزواج منها او يحافظ على كبريائه الإلهي؟، وبعد تفكير طويل قرر مصارحتها وطلبها للزواج بعد أن قدم مهرها المتمثل في الغيث الذي حول المنطقة إلى جنة"⁽³⁾، "نزل أنزار وكأنه برق خاطف نازل من السماء على شكل عاصفة ضربت الأرض بقوة اهتز لها كل شيء، تحول فيها إلى رجل شاب في مقتبل العمر لكن هذه الحركة أفرغت الفتاة وبقيت جامدة في مكانها خوفا وفرعا، تقدم إليها بكل احترام وطلبها للزواج مبينا لها عدم إمكان البشر من ملاقات الآلهة إلا إذا بلغوا تلك الدرجة من العظمة التي يبينها

⁽¹⁾ سالم بن لباد، سوسيولوجية الأسطورة الامازيغية في الجزائر "أنزار طقس الاستمطار أمودجا"، مجلة كلم، مج.1، ع.2، جامعة وهران 1 احمد بن بلة، الجزائر، 2016، ص6.

⁽²⁾ زاهية مضوي، المرأة و الماء، المرجع السابق، ص59.

⁽³⁾ سالم بن لباد، رمز المرأة، المرجع السابق، ص296.

حسن الخلق ونقاء الروح"⁽¹⁾، " لكن(تيسليت) رفضت بشدة وأخبرته بذلك بكل شجاعة لأنها رأت انه من العار ملاقة رجل غريب دون علم والديها، فهي بالنسبة لها خيانة لهم ولإخوتها وأهلها، لم يتقبل أنزار ما حصل، فغضب كثيرا وقرر أن يسلط غضبه على المنطقة ويحرمها من الغيث، فعادت الشمس الحارقة وبدأت البرك والبحيرات تتقلص وأضحت الوديان والينابيع تجف وتنقص"⁽²⁾.

"طال هذا الأمر أشهر عديدة وحل بالمنطقة الجفاف حتى قضى على كل الاخضرار وأصاب الناس اليأس وفقدت المنطقة رونقها، فضاعت تيسليت في هذه الحالة وعرفت مدى تعلق أنزار بها وقررت قبول عرضه فراحت تناجيه وتتضرع إليه راجية عودته"⁽³⁾، "وطلبت منه أن يعيد لها ماء الوادي، وفجأة تجلى هذا الإله على شكل برق عظيم وأعاد النهر إلى سابق عهده وإخضرت الأرض، وكان لها ما أرادت، فرقص السكان فرحا مستبشرين بذلك، وقدموا الولائم وأعلنوا الأفراح والإحتفالات"⁽⁴⁾.

وهذه الأسطورة تقدم لنا نموذجا عن النصوص الروائية العالمية التي ترى بضرورة إتصال السماء بالأرض، فإتصال أنزار السماوي مع الفتاة الأرضية هو المسئول حسب الأسطورة عن الخصوبة والاختضار، بما يعني أن هطول المطر إنما ينتج عن زواج كوني بين سيد المطر وعروسه، وبالتالي فإن طقس الإستمطار ما هو إلا إحياء للأسطورة وإحتفال بأحداثها"⁽⁵⁾.

ومن هنا يكون الإعتقاد حول الأسطورة ورسخ في المخيل الشعبي ، وأصبح المجتمع يقوم بالممارسات الطقسية كلما حل الجفاف بالمنطقة معتقدين بغضب إله المطر أنزار على المنطقة ولا بد من إرضائه بمنحه(تيسليت) عروسا له"⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ زاهية مضوي، المرأة و الماء، المرجع السابق ، ص60.

⁽²⁾ المرجع نفسه ، ص60.

⁽³⁾ سالم بن لباد، رمز المرأة في، المرجع السابق، ص296

⁽⁴⁾ سالم بن لباد، سوسيولوجية الأسطورة، المرجع السابق، ص8.

⁽⁵⁾ زاهية مضوي ، المرأة و الماء ، المرجع السابق، ص61.

⁽⁶⁾ سالم بن لباد، رمز المرأة في، المرجع السابق، ص297.

ب) أداء الطقس وإحيائه:

و الدكتور محمد جلاوي يسرد هذه الوقائع التي تقام لإحياء الأسطورة قائلا: "ولما يحين الموعد المحدد تجهز العروس بكامل تجهيزات الزفاف وبعدها ينطلق الموكب الذي يتشكل من نساء وفتيات وأطفال ليطوف الجميع بالقرية بيتا اثر بيت وأثناء الطواف يردد الجميع بصوت واحد " أنزار يا أنزار، ياإله لطف هذا الحر، لتينع خيرات الجبال، وكذا غيرها من السواحل⁽¹⁾ .

ويستمر في سرد الممارسات بقوله: "وعند كل باب تجمع الصدقات من زيت ولحم ودقيق وبصل وينظم إلى الجمع عدد آخر من النساء والأطفال، وعند آخر نقطة -عادة ما يكون معبدا او مسجدا- حينها تبدأ عملية إعداد الوليمة بما جمع من صدقات ولما تنتهي الوليمة تغسل الأواني وترتب وتصب مياه الغسيل في ساقية(Targa) كتذكير الإله بعدم حرمان جريانها".

وبعض الروايات التي تم الحصول عليها من أحد العجائز تقول: إن في هذا اليوم وهو يوم الجمعة تذبج الذبائح ويطبخ الكسكس بكميات هائلة تكفي كل القرية-من المئونة التي جمعت من البيوت- وبعدها يذهب السكان للصلاة شاكرين الله ومتدريين له بقبول هديتهم ودعواتهم، كما تجد بعض الروايات تؤكد سقوط الأمطار مباشرة بعد إنهاء الحفل لذلك هم يتركون الأواني دون غسلها حتى تغسل بمياه الأمطار⁽²⁾ .

أما الحلقة الحاسمة والأهم في هذه الممارسات الطقسية وهي التي تقدم فيها العروس لزوجها إله الأمطار أنزار في الصورة التي يرتضيها، حيث تأتي الحماة بإبنتها وسط الحلقة من المتجمهرين، وتجردها من ثيابها بحيث تظهر عارية تماما، وتناديها لتطوف بالمعبد أو المسجد سبع مرات وهي تحمل في يدها مغرفا(Ifewayenja) طالبة به قطرات غيث من الإله أنزار قائلة: ياآلهة الأمطار منوا علينا بالمياه، ومننا لكم الأرواح فداءا وقريانا⁽³⁾ .

⁽¹⁾ سالم بن لباد، سوسيولوجية الأسطورة، المرجع السابق، ص5.

⁽²⁾ سالم بن لباد، رمز المرأة في، المرجع السابق، ص297.

⁽³⁾ زاهية مضوي، المرأة و الماء، المرجع السابق، ص62.

ثم تستمر بعد إنتهائها من الطواف في توسلها لزوجها المفروض إله المطر مستخدمة بعض الكلمات الشاعرية مذكرة إياه بما حل بأهلها وقريتها جراء الجفاف فتقول: قحط حل بالبرك، أصبحت قبراً للمسكن جذب وبور، الجماعة أفلست وجاعت⁽¹⁾.

ويشارك النساء الحاضرات في هذه الحفلة حيث يقمن بإظهار جمال العروس، ومدح الإله، اله الأمطار أنزار مرددين العبارة التالية: أنزار أيها الإله، يسرك غائر أوحده، فزت بفتاة كالياقوت، شعرها حريري ممد، خذها وألهمها أجنحة، وفي غور السماء بها اصعد، من أجل حسننها الفتان، أرويت كل ظامئ عطشان⁽²⁾.

وفي الأخير وختاماً لهذه الممارسات و الإحتفالات "تتجمع كل الفتيات اللواتي بلغن سن الزواج، في ساحة قرب المعبد ليشاركن خطيبة (أنزار)- التي لاتزال عارية- لعبة يطلق عليها زرزاري(Zerzari) وذلك على مرأى الحشد الغفير من النساء والأطفال تدوم اللعبة وقتاً محدداً لتنتهي بـدفن الكرة الفلينية المستعملة داخل حفرة أعدت لذلك من قبل"⁽³⁾.

وحين إنهاء اللعبة تدعو الفتيات (أنزار) متمنيات قبوله للفتاة كزوجة له، وان يرضى عنهم لما قدموه كقربان يدعونه بان يبذل هذا الحال الجاف إلى حال آخر تغمره الأمطار، وفي نفس الوقت يرددون: فزنا بالمطلب المقصود، قران العروس بالنند المنشود، الإله إلى الأرض ينزل، والعروسة راضية به بعل، أيها الإله اعد إلينا الأمطار، رفقا الأرض كساها الاصفرار، لكي تثمر النعم والعلف، كما أثمرم النسل والخلف⁽⁴⁾.

متيقنين بأنهم قدموا واجبههم تجاه اله المطر(أنزار) ومتأكدين انه سيغيثهم حتما ولن يخيبهم بعد الذي قدموه له، ويؤكد لنا الدكتور محمد جلاوي نقلاً عن احد الرواة الذين شاركوا في إحدى الممارسات الطقسية حول أسطورة(أنزار) "بان الأمطار تعرف النزول أياما قلائل بعد هذه المناشدة(لانزار)⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ سالم بن لباد، رمز المرأة في، المرجع السابق، ص 298.

⁽²⁾ زاهية مضوي، المرأة و الماء، المرجع السابق، ص 62.

⁽³⁾ سالم بن لباد، رمز المرأة في، المرجع السابق، ص 298- 299.

⁽⁴⁾ زاهية مضوي، المرأة و الماء، المرجع السابق، ص 63.

⁽⁵⁾ سالم بن لباد، رمز المرأة في، المرجع السابق، ص 299.

وإستنتاجا لهذه الممارسات الطقسية لهذه الأسطورة تتمثل في أن جمعا من النساء حين يجتمعن في أحد المنازل لتنظيم مراسيم الاحتفاء ابتداء من شهر (Ayurar) (الحر الشديد) حين يحل القحط بالبلاد بتحديد الموعد، ثم اختيار الحماة (أي أم الزوجة أو العروس) التي تقدم ابنتها عروسا لانزار ويشترط فيها أن تكون اشرف نساء القرية وان تكون ابنتها على قدر كبير من الجمال والبهاء ونيتها صادقة لا يشوبها كدر ولا تعكير⁽¹⁾، وهذا يعود كمحاولة لإحياء القصة الأسطورية (انزار) التي جرت في زمن بعيد، بحيث يشترط في إحياء الأسطورة توفر شروطها التي وجدت في الأصل كجمال الفتاة (تيسليت) التي اشتهرت بين قومها بصفة الحياء وحبها الشديد لينايع المياه والأنهار⁽²⁾.

وما يمكن ملاحظته في هذا الإحتفال هو الحضور القوي والكلي للنساء والغياب التام للرجال، وهو ما يسمح لنا بإستحضار فكرة الخصوبة المرتبطة بالمرأة والأرض والعلاقة الكامنة بينها⁽³⁾.

ج) بوغنجة، تالاغنجا:

يمكن أن نلمس بعض التحولات في هذه الممارسات سواء من حيث التسمية وحتى من خلال الطقوس، وهذا يعود لأسباب عديدة نذكر منها طبيعة التراث الشفهي الذي يتغير بالزيادة أو النقصان بحكم التناقل بين الأجيال مشافهة، وقد يرد السبب الرئيسي في تغير اسم الأسطورة من أسطورة انزار إلى أسطورة تالاغنجا للتغيير الطارئ على بعض الحلقات⁽⁴⁾. مثل حلقة إستبدال الفتاة بالدمية التي تشكل من المغرفة (اغنجا) ومكسوة بزي العروس فإنها تظل تحمل اسم غونجا اوتالاغنجا وتقام بها نفس الطقوس السابقة⁽⁵⁾.

تالاغنجا من الطقوس المعروفة والمتداولة في شمال إفريقيا منذ القدم، ويمارس عادة عند شح المياه وجفاف الأرض وتشابه ممارساته بين مختلف المناطق، إلا أن الاختلاف لم يكن كبيرا، فقد ظلت

(1) سالم بن لباد، رمز المرأة في، ص 295.

(2) المرجع نفسه، ص 295.

(3) عبد الرحمان خلفه، المرجع السابق، ص 50.

(4) سالم بن لباد، سوسيولوجية الأسطورة، المرجع السابق، ص 6.

(5) المرجع نفسه، ص 6.

الطقوس المتعلقة به محافظة على هيكلها العام، وإن تغيرت بعض الشيء مع مرور الوقت لاسيما الوقت الحالي عنها قديما، فالشخصية الرئيسية استبدلت. ⁽¹⁾

فبعدما كانت فتاة عارية حافية أصبحت ملعقة خشبية تعرف ببوغنجة اوتلاغنجا او مغرف بوغنجة (Taghonja) كلمة امازيغية أصلها (Aghnja) التي تعني المغرفة (الملعقة) ويسمى المرق بـ (Arwa) أي ارتوت الأرض بدل (Dzwa)، وهو أمل لتحسن الوضعية الزراعية والاقتصادية وتحقيق لمزيد من الاستقرار والعيش الكريم، بمعنى أن الكلمة تحمل دلالة السقي والخير وهذه هي وظيفة الطقس فالتسمية إذن أخذت من الوظيفة ⁽²⁾.

ونجد في بعض المعاجم: "غنج: إمراة غنجية: حسن الدل، وغنجها وغناجها، شكلها، الأخيرة من كراع وهو الغنج، والغنج وقد تغنجت، فهي مغناج وغنجة، وقيل الغنج ملاحه العينين ⁽³⁾.

بمعنى أن غنجة هو التدلل والملاحه والحسن، وهي دلالة لا تختلف عن المعنى العامي الغنجة التي كانت تعني أنها امرأة جميلة المنظر نقية السريرة وعفيفة وزاهدة أحبها إله المطر وفتن بجمالها وروحها التي كانت قريبة إلى الروح الإلهية، وهي القربان الذي يقدم للآلهة كلما حبست السماء دموعها ⁽⁴⁾.

وغنجة عبارة عن ملعقة وهي تمثل يدي الدمية الخشبية المغطاة بقماش في مسورة عروس، موجهة لاستقبال المطر ⁽⁵⁾، التي تم تزينها من طرف النسوة ببراعة كبيرة لتجول بيوت الحي يرافقها الأولاد في تمايل وتغنج وتجمع الطعام، وهي ترقص على أغاني وأهازيج الصغار وهم يرددون: غنجة أم الرجا اللي عند ربي راه جا، غنجة حنات راسها يارب بلل ناسها، غنجة حنات راسها يارب بلل حراسها". (الملحق رقم 31 ص 345).

ولعل جمع هذا الطعام بعد زيارة البيوت وطهيه وتوزيعه على الفقراء والمساكين تقربا من الله حتى ينزل الغيث، وهو ترجمة لكلمة الغيث المأخوذة من غرف، فكلمة مغرف تفيد اخذ الماء والرزق وقد حافظت على دلالتها في الأسطورة، فالمغرفة المزين هو طلب الرزق والماء، ولعل هذا ما تترجمه تلك

⁽¹⁾ أمال مادي، المرجع السابق، ص 122.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 122.

⁽³⁾ زاهية مضوي، المرأة و الماء، المرجع السابق، ص 64.

⁽⁴⁾ أمال مادي، المرجع السابق، ص 122.

⁽⁵⁾ نضار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص 34، 35.

الأهازيج التي يرددونها الأطفال والنسوة ومنها: ايا انزار انزار المغرفة ييست، اختفت علامات الخضرة، عروسك تتوسل إليك، ايا انزار لأنها ترغب بك، انزار انزار، أيها الملك كف عن الجفاف، كي ينضج المحصول على الجبل، وينمو منتوج السهل⁽¹⁾.

إن المخيلة الشعبية لا تزال تحتفظ بداخلها بهذه الطقوس كلما جفت الأرض وحبست المطر طالما أنهم يؤمنون بان احتباس المطر هو عقاب الهي لعباده و إذا كان هذا حال العامة⁽²⁾، ورغم قدم طقس الاستسقاء(انزار) إلا انه لا يزال يمارس في بعض القرى والمجتمعات كلما دعت الحاجة إلى ذلك.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا، هل الممارسة في وقتنا الراهن هي نفس الممارسة التي كان يحظى بها في قديم الزمان؟.

لقد تغير طقس انزار بعض الشيء فلم يعد يمارس هذا العمل الجماعي أثناء أداء تلك الطقوس اذ لم يعد له أي اهتمام⁽³⁾.

أما بالنسبة لأشكال هذا الطقس فلم تعد المغرفة تزين بالحلي ولم تعد تغمس داخل الماء⁽⁴⁾، ويعود سبب هذا التغيير في الطقس إلى رفض الإسلام مثل هذه الممارسات التي تتنافى وقيم الدين ومبادئه بحكم أن المنطقة بعد الفتوحات الإسلامية قد تغيرت فيها الكثير من السلوكيات⁽⁵⁾، بل بعد ظهور الإسلام مع الوقت أبطل كل تلك الاحتفالات وتم تعويضها بصلاة الاستسقاء التي يؤديها المسلمون في الساحات العامة لطلب الغيث ونزول المطر⁽⁶⁾.

ويمكن القول أنه شكل جسد المرأة الذات الفاعلة بامتياز في المنظومة الاقتصادية حين أصبح الوعاء الأساسي في عملية التكاثر والنماء، حيث ركز الفكر الإنساني على أعضاء معينة وخاصة

⁽¹⁾أمال مادي، المرجع السابق، ص123.

⁽²⁾المرجع نفسه، ص123.

⁽³⁾زاهية مضوي، المرأة و الماء ، المرجع السابق، ص65.

⁽⁴⁾المرجع نفسه، ص65.

⁽⁵⁾سالم بن لباد، سوسيولوجية الأسطورة، المرجع السابق، ص6.

⁽⁶⁾محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، ج.4، دار الهدى، عين المليلة، 2011، ص355.

تضخم شكلها وربطها بالخصوبة والأرض من أجل البقاء وضمان الإستمرارية للجنس البشري⁽¹⁾، وهذا منحها سطوة وسلطة داخل مجتمعاتها وبالتالي كلفها المجتمع بمهام الزراعة فأصبحت تملك المجال والاستقرار لممارسة نشاطها⁽²⁾.

VI-3) المرأة والصناعة:

برعت المرأة ببلاد المغرب القديم في تفننها في صناعة مختلف الأواني الفخارية والحرفية، بل وطورت من نشاطها الصناعي حين غزت الأسواق للتجارة بسلعها المصنوعة يدويا.

ظل النشاط الزراعي وتربية الماشية هما النشاطان اللذان يستحوذان على أغلبية القوى النسائية العاملة، ومع ذلك ظهرت أنشطة حرفية أخرى لتلبية حاجيات المجتمع حيث مكنتنا المكتشفات الأثرية من التعرف على أهم تلك الأنشطة وما وفرته من مصنوعات⁽³⁾.

VI-3-1) الحياكة والحلي:

قبل التطرق إلى كيفية ممارسة المرأة لهذه الأنشطة الصناعية لابد من الإشارة إلى المواد الصناعية المستعملة وهي في مايلي:

أ) مواد صناعة الملابس والحلي:

أ-1) الجلود:

من المؤكد أن الليبيين القدماء قد لبسوا الملابس الجلدية لزمان طويل قبل معرفة النسيج، حيث تظهر الملابس الجلدية في الرسوم الصخرية، مثل تلك الموجودة بضواحي بسكرة أين يظهر أشخاص يرتدون ملابس جلدية ومصدرها الحيوانات إما متوحشة تصطاد أو مستأنسة تربي⁽⁴⁾.

ونرى من خلال بعض الرسومات الصخرية المنتشرة في مختلف الكهوف أن المرأة قد رسمت عارية في فترة سابقة لمرحلة الرؤوس المستديرة، ثم رسمت مرتدية فراء الحيوانات الصغيرة أسوة بالرجل،

⁽¹⁾ نضار الأندلسي، المرأة والزراعة، المرجع السابق، ص8.

⁽²⁾ نضار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص37.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص38.

⁽⁴⁾ مريم عبد السلامين، الرسوم الصخرية الصحراوية والمصادر المصرية القديمة ودورها في إبراز الإرث الصناعي لليبيين القدماء، مجلة مدارات للعلوم الاجتماعية والإنسانية، ع.3، جامعة غليزان، الجزائر، جانفي 2021، ص378.

ثم في مرحلة الرؤوس المستديرة ظهرت النساء وهن يرتدين ما يشبه التنانير التي يبدو أنها كانت تصنع من جلود الحيوانات⁽¹⁾.

وقد تواصل إرتداء اللبيات الملابس الجلدية، وخاصة تلك المحلاة بشرائط متدلّية حتى فترة متأخرة شهدت قدوم الغزو الإغريقي للمنطقة⁽²⁾، إذ يذكر المؤرخ هيرودوت أن لباس النساء اللبيات من الجلد ومصبوغ باللون الأحمر⁽³⁾ كما أنهن لبسن الخلاخيل الجلدية وتحلين بالعقود والأساور على الرقبة والذراع وحتى المعصم بالإضافة إلى التيجان على الرأس⁽⁴⁾.

وفي هذا الصدد يؤكد هيرودوت على الأمر بقوله أن اللبيات تزين بالخلاخيل الجلدية وكذلك المصنوعة من البرونز في كل ساق⁽⁵⁾ وهذا يؤكد على استعمال اللبيين للمعادن في صناعاتهم⁽⁶⁾.

أ-2) النسيج:

تعد الصناعة النسيجية إحدى الصناعات التحويلية الرئيسية في حياة المجتمعات قديما، ولا زالت كذلك إلى يومنا هذا، وهي تأتي من مواد مختلفة حيوانية كصوف الغنم، شعر الماعز وبر الجمل، خيوط دودة القز، ومن مواد نباتية كالكتان والقطن، وقد استطاع الإنسان المغربي القديم، الذي لبس منذ وقت مبكر جلود الحيوانات المتوحشة والمستأنسة أن يستغل صوف هذه الأخيرة في حياكة بعض الملابس⁽⁷⁾.

⁽¹⁾ صديق بودوارة المغربي، المرجع السابق، ص 75.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 76.

⁽³⁾

Hérodote, Loc.cit, IV, 189.

⁽⁴⁾ صديق بودوارة المغربي، المرجع السابق، ص 98.

⁽⁵⁾

Hérodote, Loc.cit, IV, 176.

⁽⁶⁾ صديق بودوارة المغربي، المرجع السابق، ص 98.

⁽⁷⁾ ستي صندوق، الثروة الحيوانية والغطاء النباتي في الجزائر خلال العصور القديمة، (اطروحة دكتوراه في التاريخ القديم)، جامعة أحمد بن بلة وهران، 2016/2025، ص 267.

صحيح إرتدى الليبيون الملابس الجلدية قبل النسيجية، لكن ظهور النسيج لم يقضي على صناعة وإرتداء الملابس الجلدية، كما أنه تدخل في صناعة نسيج مواد طبيعية، وقد ظهر الليبيون بالملابس النسيجية منذ القرن السادس عشر والخامس عشر قبل الميلاد⁽¹⁾.

كما تفتن الإنسان منذ فترة ما قبل التاريخ بفعل إحتكاكه المباشر بمحيطه الطبيعي والملاحظة والتجربة الدائمة أثناء بحثه المستمر عن الطعام إلى خاصية بعض النباتات ذات الألياف التي تتميز بالإلتواء واللين والمرونة، كالصفصاف السوحر الاسل الرافية والحلفاء، التي يمكن أن تصلح لتشكيل أغراض تعينه على حفظ وجمع قطافه من الحبوب بذور فواكه.

وتعود أقدم نماذج تظفير الألياف النباتية المعثور عليها في الجزائر إلى العصر الحجري الحديث، التي لعلها تعود لقفاف والسهل أو الحصائر استخدمها إنسان تلك الفترة في نقل وتخزين مئونه حيث أكتشف بقايا هذه الصناعة المشكلة أساسا من مواد سريعة الفناء بموقع تين هناكتن بالطاسيلي الناجر⁽²⁾.

ولم يقتصر إستعمال الألياف النباتية على صنع الأواني ذات الاستعمال المنزلي، بل إمتد إلى مجالات أخرى كصنع الألبسة والإكسسوارات وقبعات، حيث احتفظت لنا الرسوم الصخرية في وادي جرات بنماذج لقبعات مصنوعة من نسج السلالة⁽³⁾.

أ-3) الحلي:

تختلف مواد صناعة الحلي باختلاف البيئة التي توفر هذه المواد، وبإختلاف العصور التاريخية وتطور تقنية الصناعة لدى الإنسان دون أن ننسى إختلاف أنواع الحلي، فبعض المواد تصلح لصناعة أنواع معينة منها ولا تصلح لأخرى، منها الحجارة والتي تعتبر من أقدم أنواع الحلي التي وصلتنا باعتبار الحجارة بشكل عام الأقدر على مقاومة التحلل والاهتراء مقابل المواد العضوية الأخرى كالعظام، القواقع الحلزونية، ولقد عثر في المواقع التي تعود للعصور الحجرية على قلائد من الحصى ومن باقي أنواع الحجارة كالصوان، لكن ذلك لا يعني اقتصرها على الحجارة فقط، بل إشتملت أيضا على

⁽¹⁾ مريم عبد السلامين، الرسوم الصخرية الصحراوية، المرجع السابق، ص 378.

⁽²⁾ ستي صندوق، الثروة الحيوانية، المرجع السابق، ص 279.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص 279.

المواد العظمية المتنوعة لحيوانات عديدة ومختلفة ولصناعة العقود القلائد استخدم فيها كذلك الأصداغ البحرية وقشور بيض النعام⁽¹⁾.

ويشير هنري لوت من خلال ما عثر عليه من بقايا في العديد من المواقع بالطاسيلي لأقراص صغيرة فصلت من بيض النعام لتصنع منها المرأة القلائد والعقود والأساور، كما أشار بعض المؤرخين أن الليبيات إرتدين الحلي المصنوعة من الذهب وإعتنين بزيتهن وحرصن كل الحرص على مظهر خاصة تسريحات شعرهن⁽²⁾.

VI-3-2) الحياكة والنسيج (أشغال الإبرة):

إختصت المرأة النوميديّة بممارستها لمهنة غزل الصوف لنسج مختلف الملابس⁽³⁾، حيث أثبتت لنا لوحات ألبير تيني (Tablettes Albertini) أن النساء غير المتعلّقات في تيّازة يمارسن الحياكة وأعمال الإبرة⁽⁴⁾.

ويستخلص من ذلك أن ممارسة أعمال الحياكة والنسيج لنساء وبنات هذه المدينة مقتصر على غير المتعلّقات⁽⁵⁾، ولم تنحصر الصناعة النسيجية عندهن على حياكة الملابس فحسب، بل تفنن في صناعة النسيج المتعلق بتزيين المنازل التي تمثلت في صناعة السلال اللواتي يقمن بصفرها باليد مباشرة⁽⁶⁾.

ويبدو أن حرفة السلالة كانت نشاطا منزليا إختصت به النسوة حيث بينت ذلك الرسومات المتواجدة بمنطقة صفار توضح إحداهن وهي تقوم بتظفير سلة⁽⁷⁾.

وقد إستخدمت السلالة في المجال التجاري فهي من أهم وسائل التخزين ونقل البضائع، فعلى سبيل المثال كانت الجرار الكبيرة المعدة للسفر على مسافات بعيدة تحمي من الكسر عن طريق

⁽¹⁾ مريم عبد السلامين، الرسوم الصخرية الصحراوية، المرجع السابق، ص 382.

⁽²⁾ صديق بودواره المغربي، المرجع السابق، ص 36.

⁽³⁾ صبيحة أوكيل و بلخير بقة، المرجع السابق، ص 87.

⁽⁴⁾ نضار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص 46.

⁽⁵⁾ مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 100.

⁽⁶⁾ المرجع نفسه، ص 77.

⁽⁷⁾ ستي صندوق، الثروة الحيوانية، المرجع السابق، ص 279.

تغليفيها بالسوحر المظفر، أو بتقشيش من السلالة الملولة، كما وجدت سلال للصيد البحري والبري فقد تم التعرف على أقدم نماذج النوع الأول بموقع ألبور بوادي جرات ضمن مشهد ضم زوجان يصطادان السمك باستعمال قفاف مفتوحة دائرية الشكل.

كما صنع مضلات لأصحاب الضيعات الكبرى ففسيفساء وادي العثمانية تصور لنا سيدة المزرعة جالسة في حديقته تحت ظل نخلة يمسك خادما كلبها المفضل بسلسلة وبمضلة لتحميها من لفتح الشمس⁽¹⁾.

كما سخرت السلالة لصنع الأفرشة كالحصائر والأثاث من أسرة وكراسي وسلال الفاكهة والزهور وللأعلاف الماشية وحتى سلال القمامة⁽²⁾، كما استخدمت في صناعة السلال المخصصة لحمل الأطفال على ظهورهن⁽³⁾، وحتى المرأة القرطاجية اشتهرت ببعض الحرف المنزلية خاصة الحياكة⁽⁴⁾.

فأمام توفر المواد الأولية إعتنت المرأة القرطاجية بحياكة النسيج والثياب وتطويرها⁽⁵⁾، حيث تفننت في ذلك فخاطت بعض أنواع اللباس كالفستان والخمار المعطف والأقمشة العادية المستعملة في الحياة اليومية، وقد تحمست المرأة القرطاجية لأعمال الغزل في حياتها اليومية، مما جعلها تكون صاحبة السيطرة على الأشياء التي ابتكرها في هذا المجال⁽⁶⁾.

فيشهد لها أنها إبتكرت وإخترعت أدوات للحياكة مثل الصفيحة (Lamelle) لإستخراج نسيج الصوف الخالص، وكذا نقالات لهذه الصفائح المصنوعة من الفخار والحجارة والجبس ذات الأشكال المختلفة⁽⁷⁾، بالإضافة إلى آلات يدوية لمشط الصوف.

⁽¹⁾ستي صندوق، الثروة الحيوانية، المرجع السابق، ص 285.

⁽²⁾المرجع نفسه، ص 284-285.

⁽³⁾صديق بودوارة المغربي، المرجع السابق، ص 79.

⁽⁴⁾صبيحة أوكيل و بلخير بقة، المرجع السابق، ص 147.

⁽⁵⁾مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 100.

⁽⁶⁾نضار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص 43-45.

⁽⁷⁾مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 100.

وقد تعاطت المرأة القرطاجية بمهارة غزل الصوف فأنتجت ملابس متنوعة واكتسبت هذه الحرف أهمية بالغة في حياتها اليومية، أكدتّها العديد من اللقى الأثرية التي تم الكشف عنها ضمن البقايا الجنائزية، التي هي عبارة عن أدوات للغزل والحياكة، وأسفرت هذه الأعمال اليدوية على مهن جديدة ساهمت هي الأخرى في توفير حاجيات أسرتها⁽¹⁾.

وأمدنا مشهد مستوحى من لوحة فسيفسائية لمدينة قفصة والتي تحتوي على صورة لفتاة في مقتبل العمر تخطط عباءة ببراعة⁽²⁾. وأوصى القديس ترتليانوس النساء بقرطاجة على المواصلة في ممارسة حرفة غزل الصوف والحياكة والمكوث في البيت بدل التردد على المسارح والمنتديات العامة⁽³⁾.

وكانت للمرأة القرطاجية مكانة عالية، وكانت مؤهلة للإسهام بقسطها في تنشيط الاقتصاد وبناء المجتمع فغزت الأسواق ومارست مهنة التجارة بما تصنعه أناملها من بعض الحرفة المنزلية النسيجية⁽⁴⁾.

وفي ظل هذا الإزدهار الحرفي القرطاجي ظهرت وظائف جديدة كشفت عنها النقائش كوظيفة الخياطة في الأسواق أو ما تدعى بمربعة الثياب (Revendeuse)⁽⁵⁾.

ونرى بعض الصور الفسيفسائية كالفسيفساء المحفوظة بمتحف باردو التي جسدت لنا امرأة تغزل الصوف توّرخ لنهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الميلاديين، كما عثر في منطقة طبرقة على امرأة تظهر وهي ترعى قطيعا من الخراف وتقوم بغزل الصوف في نفس الوقت⁽⁶⁾.

نستطيع القول أن هذه الفسيفساء أثبتت لنا أن هذا العمل المزدوج-الرعي والغزل- يتطلب مواصفات قلما تجتمع في إنسان واحد، وهاته المرأة هي نموذج للمرأة الشغيلة المتحلية بصفة الصبر

⁽¹⁾ نضار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص 43-48.

⁽²⁾ مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 100.

⁽³⁾ نضار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص 44-46.

⁽⁴⁾ كمال سالم رزنيق، المرجع السابق، ص 50.

⁽⁵⁾ نضار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص 46. ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 101.

⁽⁶⁾ عزت زكي حامد قادوس، تصور الحياة اليومية من خلال فسيفساء شمال إفريقيا في العصر الروماني "الحيوانات البرية مثلا"، المؤتمر الدولي السابع الحياة اليومية في العصور القديمة، مركز الدراسات البردية والنقوش، مصر، 2016، ص 211-212.

والمتابرة والمضطلعة بحرفة النسيج⁽¹⁾، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن القرطاجيات لم يمتحن حرفة الغزل فقط بل كن بارعات فيه⁽²⁾.

عرف عن النساء القورنات اللواتي تزوجن من أغارقة وإنديجن كليا في الحضارة الإغريقية، أنهن في الأغلب ينسجن ملابسهن في بيوتهن، لأن النول وهو الخشب الذي يلف عليه الحائك كان من أساسيات البيت الإغريقي، حتى أن الموروث الإغريقي يسجل هذه الحقيقة كلما سنحت له الفرصة⁽³⁾ ففي الأوديسة مثلا يأمر "تليماخ" ابن أوديسيوس أمه "بينلوبي" أن تلزم مخدعها وأن تشغل نفسها هناك بما يليق بالمرأة ربة البيت من أعمال كالغزل والنسيج⁽⁴⁾.

وقد كانت المرأة القورناتية السالفة الذكر ربة بيت ممتازة تحرص على تواجد النوال في بيتها كأداة اقتصادية مهمة لأفرد أسرته⁽⁵⁾، حتى أن التي تحمل نولها كانت تنعت بأسوء النعوت، فها نحن نجد الفيلسوف ثيودوروس وهو أحد كبار مدرسة اللذة الكيريناكية، يهجو زوجة عدوه كراتيتوس بأنها المرأة التي تترك مكوكها عند النسيج⁽⁶⁾.

وقد إتبعن النساء طريقة مميزة في تفصيل ملابسهن بشكل يجعلنا نعتقد أكثر بوجود متخصصين، فقد كان الثوب ذو الشيات الطويلة يفصل أولا على شكل مساحة مربعة أو مستطيلة ثم يطوى، بحيث تصبح مساحة الثوب الجاهزة ربع المساحة الأصلية، أي أن الثوب ذو المترين كان يحتاج إلى قطعة قماش بطول ثمانية أمتار⁽⁷⁾.

⁽¹⁾ البيضاوية بلكامل، المرأة من خلال فسيفساء شمال إفريقيا، مجلة الأمل، ع. 13، 14، المغرب، 1998، ص 13.

⁽²⁾ مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 101.

⁽³⁾ صديق بودوارة المغربي، المرجع السابق، ص 101.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه، ص 101.

⁽⁵⁾ المرجع نفسه، ص 106.

⁽⁶⁾ محمد السيد رشدي، المرجع السابق، ص 22.

⁽⁷⁾ صديق بودوارة المغربي، المرجع السابق، ص 104.

كما قامت المرأة الرومانية بدور هام في صناعة نسيج سواء النساء الارستقراطيات أو نساء الطبقة العامة، فنعرف من خلال سويتونيوس أن ابنة وحفيدة أغسطس كن يجدن الخياطة والنسيج، حتى أن الامبراطور عادة ما يرتدي ملابس يتم صباغتها من أيديهن أو أيدي زوجته أو أخته⁽¹⁾. وقد وردت في النقوش الجنائزية التي ترجع إلى العصر الإمبراطوري عن صفة "غزالة" والمقصود بها المرأة التي تجيد صناعة الصوف، بالإضافة إلى التطريز والخياطة التي تعد من أهم المهارات التي تجيدها المرأة الرومانية وتبتكر فيها⁽²⁾.

VI-3-3) صناعة الفخار والزجاج:

يعتبر الفخار من مميزات العصر الحجري الحديث فهي صناعة لم تعرفها العصور الحجرية القديمة، ويمكن القول أنه تم ممارسته في المنطقة منذ الألف الرابعة قبل الميلاد⁽³⁾. نمتلك من الأدلة الأثرية ما يثبت على أن المرأة الليبية أتقنت صناعة الفخار منذ العصر الحجري الحديث⁽⁴⁾، فقد ظهرت حاجة الإنسان إلى الأوعية والأواني منذ وقت طويل، وقد تطورت هذه الحاجة عندما أصبح يخزن الطعام الفائض عن وجبته بعدما أصبح ينتج غذاءه في مرحلة الزراعة وتربية الحيوانات خلال العصر الحجري الحديث⁽⁵⁾.

وقد تمثل في نوعين من الخزف الأول يدوي (Modelée) والذي يشكل باليد ويطهى على النار مباشرة، وقد تعددت أشكال وهندسة الأدوات المصنوعة حسب الاستعمال العائلي اليومي⁽⁶⁾.

وقد وصف بعض الباحثين — الأثريين — صناعة الفخار اليدوي لدى النساء الريفيات ببلاد المغرب القديم بأن القطعة الفخارية توضع بواسطة كتلة من الطين تشكلها المرأة بالإبهام، وقد حفرت

⁽¹⁾ صونية صغور، المرجع السابق، ص 147.

⁽²⁾ عائشة عيسى أبو حجر، المرجع السابق، ص 33.

⁽³⁾ محمد فنطر، صناعة الطين المفخور في قرطاج، مجلة دوماتو، ع. 1، مركز عبد الرحمن السديري الثقافي، الممكة العربية السعودية، 2000، ص 60.

⁽⁴⁾ مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 101.

⁽⁵⁾ حفيضة لعياضي، صناعة الفخار في بلاد المغرب خلال العصر القديم، المجلة التاريخية الجزائرية، مج. 5، ع. 2، جامعة مسيلة، الجزائر، 2021، ص 129.

⁽⁶⁾ نزار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص 39.

هذه الكتلة في نفس الوقت الذي رسمت فيه جدران الوعاء الفخاري الذي سيتم الحصول عليه، ولإظهارها تجعل المرأة لفافات من الطين على محيط الوعاء وتقوم بتسطيحهم وتلحمهم في الأجزاء الداخلية للآنية الفخارية، وتتابع هذه الأشرطة أو اللفافات الطينية حتى تكمل الوعاء⁽¹⁾.

والجدير بالذكر أنه إذا كان هذا الوعاء ذو إتساعات كبيرة، فإنه من الضروري ترك الأجزاء الداخلية تجف قبل وضع اللفافات الطينية حتى نتجنب تشويه الطين الرطب تحت ضغط المناطق الخارجية، وتلمس الجدران لاحقاً بواسطة لوح خشبي أو بواسطة حصارة، حيث أن هذا الإجراء الذي يكون أحياناً على الجدار الداخلي يضمن مقاومة الآنية الفخارية للماء⁽²⁾.

أما النوع الثاني فيستعمل في صناعته الدولاب (Tour) ويطهى في الفرن، ويحلبنا مشهد في الطاسيلي على امرأة تدير الدولاب بقدمها اليمنى، وتستخرج من خلالها أشكالاً مختلفة من الأواني الخزفية التي تضعها في الفرن، بينما تجسد لنا لوحة صخرية أخرى مشهد لامرأة جالسة تحرس الأواني التي صنعتها بيدها وهي تعرضها لأشعة الشمس⁽³⁾.

وقد قسم الباحثون الفخار المصنوع إلى نوعين نذري الخاص بالأغراض الدينية وآخر منزلي مخصص لأغراض العائلة المعيشية ومنه فخار مزخرف وآخر مصبوغ، واستخدمت في طهي الطعام ونقل الماء وحفظه وتبريده، وحفظ السوائل كالزيوت والخمور وتخزين الحبوب أو إدراجها ضمن الأثاث الجنائزي، ويشار أن النساء اللبيبات قمن بتزيين تلك الأواني الخزفية بخطوط هندسية ذات اللون الأحمر والأسود⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ حفيفة لعياضي، المرجع السابق، ص 130.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 130.

⁽³⁾ نضار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص 39-40. ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 101.

⁽⁴⁾ نضار الأندلسي، المرأة من خلال النقوش، المرجع السابق، ص 5. ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 101.

فالفخار كان يمثل الوعاء الأفضل لحفظ المنتجات الغذائية من التلف في حياة الشعوب الليبية، لذا حرصت المرأة على العناية بجودته وتألقت في صناعته وتزينيه حسب نوعية الاستعمال الخاص بالطهي والتخزين⁽¹⁾.

كانت المرأة الليبية تعيش في الخيام الجلدية التي تنصبها القبيلة قرب مراعيها، ولا بد أن ظروف الحياة الرعوية التي كانت تحياها القبائل الليبية إقتضت اللجوء إلى هذه الأنماط من المساكن، التي استطاعت المرأة تأثيثها بما تيسرت من الأدوات رغم صعوبة الأحوال المناخية، وقسوة الظروف المعيشية بشكل عام.⁽²⁾

ونستخلص من النقوش المصرية التي سجلت غنائم الفرعون من الليبيين أن الليبيات إستخدمن داخل منازلهن الكثير من الأدوات اليومية المستعملة، كالأواني الفخارية والمعدنية والبرونزية وكؤوس الشرب والأقداح المزخرفة المصنوعة من بيض النعام وآلة الرحى التي لازمت البيت الليبي القديم سواء في مناطق الاستقرار أو في خيام البدو الرحل⁽³⁾.

ويرجح أن هاته الصناعة الحرفية تم إقتباسها من بعض شعوب البحر المتوسط الشرقية والتي تعود إلى فترة البرونز⁽⁴⁾، فبدخول الفينيقيين إلى المنطقة ادخلوا معهم تقنيات جديدة لهذه الصناعة، لكننا لا نعتقد أنهم علموا الأهالي كيفية تزيين الأدوات⁽⁵⁾، وهذا ما أكدته شارل أندري جوليان أن المؤثرات الإيجية قد تشهد بها الآنية البربرية، فإنها لا تزال مجرد احتمالات بالنسبة للمستوى الحالي لمعارفنا⁽⁶⁾.

لكن الشيء المؤكد عن صناعة الفخار أنه إقتصر على الليبيات، أما القرطاجيات فقد إقتصر دورها على إستعمال تلك الأواني الخزفية دون صناعتها، بدليل أننا لم نعثر في النصوص الأدبية والإيجرافية المعتمدة على إشارة واحدة تدعم ممارستها لهذه الحرفة على عكس المرأة الليبية، التي

⁽¹⁾ نضار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص 40. ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 101.

⁽²⁾ صديق بودوارة المغربي، المرجع السابق، ص 79.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص 79.

⁽⁴⁾ نضار الأندلسي، المرأة من خلال النقوش، المرجع السابق، ص 5. ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 102.

⁽⁵⁾ نضار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص 40.

⁽⁶⁾ مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 102.

أظهرت اللوحات الصخرية واللقى الأثرية تفننها في صناعة الأواني الفخارية وزخرفتها⁽¹⁾ (الملحق رقم 32 ص 346).

كما عرفت المرأة القورينائية السالفة الذكر صناعة الأواني الزجاجية، ودليل على ذلك كان اهتمامهن خاصا ومميزا بكافة أنواع العطور، إذ أن الإقليم اشتهر بصناعة العطور إلى حد أن ثيوفراستوس ذكر بالكثير من الإعجاب روائح العطور القورينائية، وكيف أن المرأة في الإقليم كانت تستخدمه بكثرة⁽²⁾.

وقد كان من السلع المرغوب بها في العالم القديم، ويمكن التأكيد على أن خزانة المرأة قد عرفت تبعا لذلك العشرات من أنواع القوارير التي صنعت خصيصا لحفظ العطور، وكذلك التماثيل الصغيرة التي كانت تقدمها كنذر وهبات لمعابد الآلهة الإغريقية كزيوس وأبوللو، وكذلك الآلهة المصرية ايزيس، وكانت لا تجد صعوبة في الحصول على هذه الأواني والتماثيل بحكم ما يعتقد روستوفتزف بوجود مصانع محلية في قورينا لإنتاج الأواني الفخارية والتماثيل الصغيرة⁽³⁾.

وقد عثر ضمن الأثاث الجنائزي في القبور القرطاجية قوارير العطور بجانب الجثمان، ومنها ما وضع على الجثة مباشرة ويحتمل أن يكون لها وظيفة سحرية⁽⁴⁾، وكان كلا من الرجال والنساء يستخدم العطور⁽⁵⁾.

والظاهر أن القرطاجيين بإحتكاكهم مع القورينيين في إطار تبادل السلع التجارية فكان من ضمنها قوارير العطور بل والعطور في حد ذاتها للاستعمال اليومي والجنائزي.

VI-4) المرأة وعالم التجارة:

⁽¹⁾ نضار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص 41. ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 102.

⁽²⁾ محمد السيد رشدي، المرجع السابق، ص 23.

⁽³⁾ صديق بودوارة المغرب، المرجع السابق، ص 108.

⁽⁴⁾ مولاي الحاج أحمد بومعقل، ظاهرة انتشار التماثيل في قرطاج البونية، مجلة تطوير العلوم الاجتماعية، مج 14، ع 1، جامعة زيان عاشور الجلفة، الجزائر، 2021، ص 81.

⁽⁵⁾ محمد العيد تلي، محمد رشدي جراية، المرجع السابق، ص 423.

قبل التطرق إلى كيفية غزو المرأة ببلاد المغرب القديم للأسواق التجارية ،لابد من الإشارة والتعقيب على الظروف والأسباب التي مكنتها من الدخول إلى عالم التجارة والمال.

VI-4-1) المرأة والميراث:

بالرغم من القيود المفروضة عليها لم تنغل المرأة عن الحياة العامة فكانت تنوب عن زوجها إذا غاب ،وكان لها أن تمتلك الثروة وان تشتغل بمختلف المهن دون حرج⁽¹⁾ حيث ظهرت صورة المرأة وهي تعطي أوامرها للعمال في المزرعة، وكان معظم هذه الأراضي يعمل بها العمال المحليون، تحت إشراف بعض الوكلاء أو المستأجرين مقابل جزء من الإنتاج⁽²⁾.

حيث عثر في فيلا داربوك عميرة-زليتين حاليا- بليبيا إلى الشرق من مدينة لبيتيس ماغنا على سيفسء والتي تؤرخ ما بين 50 و 75م ،والمحفوطة الآن بمتحف طرابلس⁽³⁾ تجسد صورة لإحدى السيدات وهي تجلس تحت الشجرة وتراقب العمال وتشرف عليهم وتعطيهم الأوامر في الوقت الذي كانوا يقومون فيه بدرس إحدى المحاصيل الزراعية⁽⁴⁾.

وهنا نجد أن المرأة أصبحت لها مكانة مرموقة في مجتمعها وتحررت من بعض القيود السابقة، فبدل أن تقوم هي بدرس المحاصيل والمنتجات أصبح لها خدم وثروة وسلطان⁽⁵⁾.

وكذلك أمدتنا سيفسء السيد يوليوس بقرطاجة بتونس⁽⁶⁾ ،اكتشفت عام 1920م في أطلال منزل خاص وتؤرخ ب(380-400م) ،ومحفوطة الآن بمتحف باردو بتونس ،اصدق صورة عن حياة أثرياء إفريقيا الشمالية، حيث تبين لوحة قصر السيد (Le Seigneur) وتنظم حوله مختلف الأشغال

(1) مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص102.

(2) هالة محمد الفيتوري المصري، المرجع السابق، ص115.

(3) محمد سعد ملاذ وآخرون، المرجع السابق، ص7.

(4) عزت زكي حامد قادوس، المرجع السابق، ص224. ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص102.

(5) محمد سعد ملاذ وآخرون، المرجع السابق، ص7. وينظر كذلك: مصطفى علي محمد نامو، دراسة أثرية لفيفسء أرضيات بعض الدارات في منطقة المدن الثلاث، منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ليبيا، 2009، ص132.

(6) عزت زكي حامد قادوس، المرجع السابق، ص209. ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص103.

الجارية في الضيعة على مدار السنة حسب كل فصل وتشارك سيدة القصر (La Châtelaine) بشكل فعال إلى جانب زوجها في إدارة الضيعة⁽¹⁾.

وفي مشهد آخر نراها بالسجل الأعلى للفسيفساء تتصدر أريكة في ظل أشجار السرو، وتقلب وتستقبل المنتجات⁽²⁾.

وهذه خادمة شابة تحمل خروفا حديث الولادة لتقدمه لها وتمدها خادمة أخرى بسلة مملوءة بالزيتون الأسود ويتقدم نحوها خادما حاملا بطتين⁽³⁾، ورجلا آخر يحمل سلة من العنب في يد وفي اليد الأخرى أرنباً⁽⁴⁾، حيث كانت السيدة وزوجها يمتلكون حشد من الخدم والوصيفات والفلاحين الذين يسارع معظمهم بتقديم بواكير الإنتاج⁽⁵⁾.

لكن بما أنه كان للسيدة وصيفات هذا يعني أنه لم ترتقي المرأة إلا الثرية منها وصاحبة الأسرة النبيلة من الطبقة الارستقراطية، فأصبحت امرأة تقوم بأعمال امرأة أخرى وتشتغل عندها خاصة خلال التواجد الروماني في المنطقة⁽⁶⁾.

ومن جهته أبوليوس (Apuleius) (125-180م) يؤكد على ذلك بقوله: "وجدت فوتيس الحبيبة بمفردها وكانت تحضر لسيدها ميلون لحم سحوق مفروما ومحشوا ولحما مقطعا في مرق متبل"⁽⁷⁾، رغم أن سيدها له زوجته لكن لم يستغني عن الخادمة⁽⁸⁾.

⁽¹⁾ البيضاوية بلكامل، المرأة من خلال، المرجع السابق، ص 13. ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 103

⁽²⁾ نضار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص 35.

⁽³⁾ البيضاوية بلكامل، مظاهر اقتصادية من خلال فسيفساء الشمال الافريقي، فيديبرانت، ط. 1، الرباط، 2003، ص 111.

⁽⁴⁾ عزت زكي حامد قادوس، المرجع السابق، ص 209 - 210. ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 103

⁽⁵⁾ البيضاوية بلكامل، هدايا وجوائز وقرابين، المرجع السابق، ص 41.

⁽⁶⁾ مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 103.

⁽⁷⁾ لوكيوس ابوليوس، المصدر السابق، ص 37.

⁽⁸⁾ مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 103.

وتمكن المرأة خلال الفترة الرومانية (27ق.م-284م) أن تحجز لنفسها مكانا داخل أسرتها والمجتمع بامتلاكها حق الميراث، حيث كانت تحتفظ بإرثها بعد زواجها، لأنها كانت تحافظ على اسم عائلتها ولم تكن تابعة لسلطة الزوج⁽¹⁾.

وبالرغم من أن المرأة كانت قبل ذلك محرومة من الميراث وهذا ما أكدته النقوش المصرية خلال ق13 و12ق.م، لكن خلال الفترة الرومانية أصبحت المرأة تمتلك ثروة بصفة مستقلة عن زوجها خاصة وعائلتها عامة، وملك أراضي وعقارات واستثمارات زراعية كانت أو من خلال تربية المواشي من أغنام وأبقار وخيول، كما اشترت العبيد نظرا لحاجتها لليد العاملة لوظائفها ومتطلباتها الاقتصادية⁽²⁾.

وطبعا مارست نشاطها بالتكفل بأعمال الضيعات والإشراف عليها بدون زوجها، كون أن الاثراء والنبلاء كان لهم وظائف ترفيهية كممارسة رياضة الصيد البري بشغف في الغابات، وكثيرا ما كان يقضي أصحاب الضيعات أوقاتهم في ملاحقة الضواري وقتالها⁽³⁾، وهو الأمر الذي صورته النماذج الفسيفسائية المكتشفة بالمنطقة، ومنها فسيفساء شلف وجميلة وهذه الأخيرة حملت مشهدين الأول يصور لنا النمط المعيشي لصاحب اللوحة وهو يمارس الصيد في البرية، في حين ينقلنا المشهد الثاني منها إلى مدرج المدينة الذي يظهر فيه رياضي جاثم على قدميه من التعب بسبب مواجهته للوحوش المحيطة به⁽⁴⁾.

إن إشغال النبلاء بالأمر الترفيهية وحصول المرأة على حريتها وميراثها جعلها تتمتع بحضور بارز خارج أسوار البيت بفضل ثروتها الطائلة و لاستغلالات الشاسعة للأراضي الزراعية، بعد أن

⁽¹⁾ بنت النبي مقدم، المرأة في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص253. ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص104.

⁽²⁾ صبيحة اوكيل و بلخير بقة، المرجع السابق، ص ص77، 78.

⁽³⁾ ستي صندوق، الصيد من خلال نماذج الفسيفساء الرومانية المكتشفة في الجزائر، المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية، ع.7، جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية، ليبيا، 2021، ص22.

⁽⁴⁾ ستي صندوق، الصيد من خلال نماذج، المرجع السابق، ص22.

اثبت القانون أحقيتها في الملكية الخاصة وخول لها ذلك الدخول في عالم التجارة والمال⁽¹⁾، حيث أصبح لها مورد من الممتلكات والتصرف فيها بالبيع أو بالمنح بالوصية وفق الرغبة⁽²⁾.

عرفت منطقة بلاد المغرب القديم الكثير من النساء المالكات اللواتي إستطعن الحفاظ على ثروتهن، بل أحيانا تكوينها وتنميتها وذلك لملكهن مساحات شاسعة من الأراضي وثروات ورثتها عن آبائهن، ولم يقتصر ذلك على اللواتي من أصول نبيلة غنية بل مست في بعض الأحيان من كن من أصل بسيط متواضع⁽³⁾.

وفي هذا العهد لم يعد هناك ما يمنع المرأة من الإرث قانونيا لان النساء من أصل الثري يتزوجن بطريقة السين مانو (Sin manu)، بمعنى تحافظ على الرابط الأسري وليس تابعة لزوجها وترث من والدها مثلما يرث إخوانها من الذكور، وخاصة أن مع الإمبراطور أغسطس أصبح قانونيا المرأة تتمتع باستقلالية كبيرة، ولها حقوق متساوية مع حقوق زوجها، كما أنها لا تورث ابنها إلا إن تركت وصية لذلك مثلما فعلت بيونتيليا زوجة ايلي من مداورش مع ولديها بيدونس (Pudens) وبونتيانوس (Pontianus) حين أعطتهما ما يمكنهما من العيش خاصة و أنها كانت من أثرياء طرابلس⁽⁴⁾.

كما أنها كانت تهتم بثروتها فتدقق في الحسابات مع المزارعين والموالين، وهذا ما زاد من غناها، كما أقيم لها النصب التشريفية لمساهمتها في بناء وتنمية المجتمع⁽⁵⁾.

فقد تم إحصاء 12 نقيشة تشير لهبات معمارية قدمت من طرف المرأة في المدن الرومانية مخصصة لبناء معالم عمومية ذات أهمية كبيرة في النسيج العمراني للمدن الرومانية في مقاطعاتها، كالأسواق والمعابد والمسارح... الخ، لعل من بين المباني التي نعرف تكلفتها هو مسرح

⁽¹⁾ نضار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص 53. ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 104.

⁽²⁾ اشرف نادي احمد حسن، المرجع السابق، ص 71-72.

⁽³⁾ بنت النبي مقدم، المرأة في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص 253. ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 104.

⁽⁴⁾ بنت النبي مقدم، المرأة في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص 253-254. ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 105.

⁽⁵⁾ صبيحة أوكيل و بلخير بقة، المرجع السابق، ص 78.

كالاما(Calama) والذي أشير لتكلفته في قاعدة مفقودة حاليا، نصبت من طرف مجموعة من المواطنين على شرف كاهنة المدينة "أنيا أيليا"(Anniaaelia) شكرا لها على تبرعها بمبلغ 400 ألف سيترس لبناء مسرح المدينة⁽¹⁾.

وتشير نقيشة عشر عليها بقالة تؤرخ بالحكم المشترك للإمبراطورين دوكليسيانوس ومكسيميانوس(286-293م) على بناء معبد للإله أبوللو بقيمة 350 ألف سيترس تم دفع هذا المبلغ على شطرين، التكلفة الأولية دفعت من طرف "أرمينيا فاديللا"(Armenia Fadilla) وذلك بمبلغ 150 ألف سيترس⁽²⁾.

وتوضح لنا المصادر الايغرافية الوجه الآخر لمشاركة المرأة المترومنة في المجال الزراعي حيث كانت صاحبة أملاك لأراضي شاسعة، ولم تمنعها القوانين الرومانية الصادرة آنذاك من التجارة بمحاصيلها، من بينهم سيدة تدعى فاليريا اتيسيللا(Valera Atticilla) في المنطقة الموجودة بيت تيفاس، ومادور، كما امتلكت سيدة أخرى في منطقة عين التين بين سيرتا وميلف(Milev) تدعى كانيليا ماكسيم برايديا(Maximcaeia Praedia) أراضي زراعية شاسعة وان عبدها قام بتسييج الأملاك من اجل حمايتها من أي سرقة أو سطو محتمل⁽³⁾.

كما هو الشأن لسيدة الأعمال ايميليا بيدونتيلا(Pedentilla Emelia) التي كانت لها ثروة عظيمة وأملاك ضخمة جعلتها تشارك في مختلف الأنشطة خاصة الاقتصادية منها⁽⁴⁾.

VI-4-2) المرأة والبيع والشراء:

في ميدان التجارة للبيع والشراء تفيدنا النقوش بغزو المرأة لهذا العالم سواء بشكل فردي أو إلى جانب زوجها مثل ممارسة زوجين لأعمال التجارة بمدينة مادور، وكذلك عشر على نقيشة أخرى في

⁽¹⁾ صادق عرابوي و سليم دريسي، هبات المرأة الرومانية ومساهماتها في التطور العمراني للمدينة(الجزائر الرومانية)، مجلة جامعة الامير عبد القادر للعلوم الإسلامية، مج.34، ع.3، جامعة العلوم الاسلامية الامير عبد القادر قسنطينة ، الجزائر ، 2021، ص112.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص114.

⁽³⁾ نضار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص36. ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص105.

⁽⁴⁾ مريم طياب، المرجع السابق، ص73.

هنشير صومعة العمرة غرب تونس تتحدث عن سيدة تدعى اوبرانيليا (Ubranilia) مارست التجارة إلى جانب لوكيوس (Lucius) زوجها⁽¹⁾.

وفي نقيشة أخرى تم العثور عليها في عنونة (Thibilis) حيث نقرأ فيها أن الزوجة قد ساهمت في نمو ثروته المالية⁽²⁾، فضلا عن باناريا (Panaria) في سيرتا⁽³⁾، وغابينيا (Gabinia) في منطقة عين البرج (Tigisis)⁽⁴⁾.

ونجد كذلك السيدة مرتيما (Martima) التي اطلق عليها لقب الشهير به المالكة لأملاك وضيعة العرية (Saltus Bagatensis) الواقعة بين سيرتا -قسنطينة- وعنونة، حيث قامت هذه السيدة بإنشاء أسواقا رفقة زوجها باكيوس فيكتور روفينوس (Pacius Victor rufinus)⁽⁵⁾، وقد فعلت نفس الشيء السيدة كورنيليا فالتينا (Cornelia Valentina) من تيمقاد⁽⁶⁾، حيث قامت و زوجها بلوتيوس سفوستوس (M. Plotius Faustus) في بناء سوق للمدينة وبناء منزل خصص الطابق الأرضي منه لمجموعة من الدكاكين لتأجيرها وتوفير مناصب شغل للبطالين⁽⁷⁾، كما تم الكشف بجنوب تونس عن عقود للبيع تثبت إن المرأة القرطاجية كانت تشرف على بيع الأراضي صحبة زوجها وقد اكتسبت خبرة واسعة في هذا المجال جعلتها تقوم بهذه الأعمال في بعض الحالات في غياب زوجها⁽⁸⁾.

وكذلك تفيدنا المصادر الاثرية بمعلومات عن أحد أهم الأسواق الريفية الدورية في سيرتا بمقاطعة نوميديا، حيث نقرأ في هذه النقيشة المؤرخة بالقرن الثاني أو الثالث ميلادي ما يلي:

⁽¹⁾ نزار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص 51. ينظر كذلك: مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 104

⁽²⁾ Vars Ch., Inscriptions inédites de la province de Constantine, R.S.A.C., n° 28, (1894), pp 655- 656. ينظر كذلك: مصطفى توريرت وزاهية مضوي، المرجع السابق، ص 105

⁽³⁾ CIL VIII, 7154 = I.L.Alg II, 1, 825.

ينظر كذلك: مصطفى توريرت وزاهية مضوي، المرجع السابق، ص 105

⁽⁴⁾ CIL VIII, 10828.

ينظر كذلك: مصطفى توريرت وزاهية مضوي، المرجع السابق، ص 105

⁽⁵⁾ I.L.Alg, I, 1349. ينظر كذلك: مصطفى توريرت وزاهية مضوي، المرجع السابق، ص 106

⁽⁶⁾ Wilmanns.G, Mommsen. Th, (1881), Corpus Inscription latin arum, VIII. Berlin,

ينظر كذلك: مصطفى توريرت وزاهية مضوي، المرجع السابق، ص 106. 17904-17905. 1881, 2394 ;

⁽⁷⁾ مصطفى توريرت وزاهية مضوي، المرجع السابق، ص 106.

⁽⁸⁾ نزار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص 51.

*Antonia L(icii) f(ilia) Saturnina uicu(m)/ ET nundina(s) V
kal(endas) et V idus sui/ cuiusque mensi[s] constitua⁽¹⁾*

وحسب ماتم معرفته من صياغ هذه النقيشة أن أنطونيا ساتورنينا (Antonia Saturnina) ابنة لوكيوس، كانت تملك سوقا ريفيا دوريا ومجمعا مدنيا (vicus Pacatensis) —نسبة إلى زوجها بكاتيوس—، ويقع هذا المركز في عين مشيرة على بعد حوالي اثني 12 كلم شرق سوق فلافيانوس مانيتيوس⁽²⁾. عند السهل الجنوبي الغربي لقسنطينة⁽³⁾.

والمشهور عن هذا السوق أنه يعقد مرتين في الشهر؛ في اليوم الخامس قبل كلينداي وفي اليوم الخامس قبل إيديس. يتربع هذا المركز —الفيلا والسوق— على تلة عين مشيرة، في شكل مستطيل، تقدر أبعاده بحوالي 30م طولا و 17م عرضا، حيث يحتوي على 17 غرفة، جيدة البناء⁽⁴⁾، فقد عرف عن أنطونيا ساتورنينا زوجة كايوس آريوس باكاتوس (C. Arrius Pacatus)، أنه أحد أثرياء مدينة سيرتا، كان يملك أكبر وأهم الحمامات (Balineum Pacatianum) الرائعة في المدينة⁽⁵⁾.

(1) C.I.L VIII, 8280 = 20077. = I.L.S 6869. ; CIL, VIII, 20072, 7037; Lassère J-M, (1981), peuplement et mouvements de population dans l'Afrique romaine de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des sévères, Annales de géographie, V. 90, CNRS, p 326, n° 137.106 ينظر كذلك: مصطفى توريرت وزاهية مضوي، المرجع السابق، ص 106.137

(2) Charbonnel N., Demougis S., (1976), Un marché en Numidie au III^e siècle après

J.-C. Revue historique de droit français et étranger, N° 54, pp 559-568. ; Cagnat R., (1898), Découvertes épigraphiques des brigades topographiques de l'Algérie et de Tunisie en 1897, B.C.T.H, pp 155-159.106 ينظر كذلك: مصطفى توريرت وزاهية مضوي، المرجع السابق، ص 106.155-159

*Ex rescrip/to dei Probi/ postulan/te Mun(atio) Flauia/no nundinas Emadaucap/ens(es)
immun/[e]s V kal(endarum) et / III Id(u)um cele/brandas u(ir) p(rerfectissimus) / p(raeses)
N(umidia) Aur(elius) Diogenes benefi/cium datum supfljere dignatus e[st].*

Gsell (S), A.A.A., 1 éd. Adolphe Jourdan, Alger, (1911), F° 17, N° 386. (3)

ينظر كذلك: مصطفى توريرت وزاهية مضوي، المرجع السابق، ص 107

Berthier (A.), Les vestiges du christianisme antique dans la Numidie centrale, (1942), (4)

ينظر كذلك: مصطفى توريرت وزاهية مضوي، المرجع السابق، ص 107.26-27

CIL, VIII, 7030-7032 = Gsell (St), (1922), Inscriptions Latines d'Algérie, Tome I, II, Paris, (5)

II, 614-615.; Ibid, AAA, F°. 17, n° 18, 126. ; Ibid, (1901), Les Monuments antiques de l'Algérie, I, ancienne librairie thorin et fils albert fontemoing, Paris, p 229. ينظر كذلك: مصطفى

توريرت وزاهية مضوي، المرجع السابق، ص 107

تقلد العديد من المناصب العليا في الإدارة الإمبراطورية الرومانية، من بين أهم الخدمات الكبيرة التي قدمها لهذه الأخيرة هي تعيينه لرئاسة لجنة خاصة لإرسال الحبوب عندما ضربت المجاعة إيطاليا في عام (166-167م)، أين نظم أسطولاً إفريقيًا كبيراً لنقل الحبوب إلى روما، وقد كان هذا الاختيار منطقي نظراً لما تملكه العائلة من أراضي واسعة في إفريقيا⁽¹⁾،

و كذلك إمتلك ابنها كايوس آريوس أنتونينوس (C. Arrius Antoninus) عقاراً كبيراً في كاف تازروت بين وادي الرمال ووادي النجا غرب سیرتا يعرف بإسم عقار باكاتينسيس (Saltus Pacatensis)، فضلاً عن ممتلكات واسعة في قصر مهاجية شرق المدينة، كما أن هذه العائلة كانت تجاور عائلة أخرى ثرية وهي عائلة (Arrii)، حيث إتحدت العائلتان بزواج مزدوج، وهي إستراتيجية دقيقة لتجميع العقارات الفلاحية الواسعة⁽²⁾.

وتفيدنا وتدلنا أيضاً النقوش على وجود كاهنات قدمن خدمات كثيرة للمدن التي كن يقمن فيها، على غرار كاؤوليا فاليريا بوتيتا (Caelia Valeria Potita) سنة (42-43م)⁽³⁾، حيث قدمت نصبا تذكارية لمدينة سیرتا، ونجد كذلك أنيا أيليا رستيتوتا (Annia Aelia Restituta) التي أهدت مدينة قالمه (Calama) مسرحاً بقيمة 400 ألف سيسترس⁽⁴⁾.

(1) Shaw (B.D), Rural Markets in North Africa and the political economy of the Roman Empire, Ant. Afr., N° 17. (1981). p 61.

ينظر كذلك :مصطفى توريرت وزاهية مضوي ،المرجع السابق . ص 107

(2) Briand-Ponsart C., (2003), Les Dames et la terre dans l'Afrique Romaine, Association

d'histoire des sociétés rurales « Histoire & Sociétés Rurales», Vol. 19, 1^{er} Sem., p 81. ; Bertrand F., (1991), Notes à propos d'un fundus (C.I.L., VIII, 6351) de la région de Cirta (Constantine) en Numidie. In: Ant. Afr., 27, p 164. المرجع : مصطفى توريرت وزاهية مضوي ، ص 107 السابق،

I.L.Alg. II, 550. (3)

ينظر كذلك : مصطفى توريرت وزاهية مضوي ،المرجع السابق ، ص 108

I.L.Alg. I, 286. (4)

ينظر كذلك : مصطفى توريرت وزاهية مضوي ،المرجع السابق ، ص 108

وأياها نجد لكينا بريسكا (Licinia Prisca) بدوقة تهدي المدينة معبدا للآلهة فورتونا (Fortuna) وفينوس وكونكورديا (Concordia)، ومن جهتها بوليا باولا لايتيانا (Iulia Paula Laenatiana) قدمت منيرفا نصبا إهدائيا⁽¹⁾.

وتمكنت المرأة أن تنشأ وتبني أسواقا من ثروتها بدون مشاركة زوجها مثل السيدة أنتونيا ساتورنينا (Antonia Saturnina) إقامة سوق نصف شهرية بعين مشيرة⁽²⁾.

وبالعودة إلى قرطاجة وحسب محمد فنطر، فإن قرطاجة اشتهرت بالتجارة منذ إنشاء الفينيقيين للموانئ والاسكالات، وكانت تمثل الدعامة الأساسية لها فحظي نظامها التجاري القائم على مبدأ التبادل والإنتاج نجاحا ماديا باهرا⁽³⁾، فقد عرفت التجارة الخارجية رواجاً واسعاً نسبياً خاصة بعد صنع السفن التجارية⁽⁴⁾.

وهذه الوضعية الاقتصادية أملت على المرأة القرطاجية المتاجرة بسلعتها المنزلية في الأسواق العمومية خاصة تجارة الورود والزهور التي اشتهرت بها في أواسط المجتمع القرطاجي حيث كان حكرها على المرأة فقط⁽⁵⁾، والظاهر أن البيع في الأسواق القرطاجية اقتصر على النساء العازبات، في حين مارست المتزوجات هذا النشاط إلى جانب أزواجهن⁽⁶⁾.

كما تذكر المصادر ممارسة النسوة في موريطانيا بعض الأعمال الاقتصادية مثل السيدة أوزنوفة التي لقبت بأونوي (Enoe) بمعنى المرأة العطوفة، وهي زوجة الملك الموري بوغود (Bogud) التي اشتغلت في التجارة أين كانت تتاجر بالخشب فضلا عن امتلاكها لفرقة من العازفات بتأجيرها

(5) CIL, VIII, 26525 ; 26490.

ينظر كذلك: مصطفى توريرت وزاهية مضوي، المرجع السابق، ص 108

(2) ستي صندوق، مكانة الثروة الحيوانية والنباتية للجزائر في التعاملات التجارية قديما، مجلة عصور جديدة، ع. 16، 17، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر، 2015/2014، ص 24.

(3) Fantar(M.H), Carthage Approche, op.cit, p200.

(4) الياس شاهد و حمزة بالي، الفكر الاقتصادي في الحضارات القديمة، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج. 7، ع. 2، جامعة الوادي، الجزائر، 2016، ص 5.

(5) نزار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص 51. ينظر كذلك: مصطفى توريرت وزاهية مضوي، المرجع السابق، ص 108،

(6) المرجع نفسه، ص 51.

لتنشيط مختلف الحفلات⁽¹⁾، للعلم أنها كانت ماهرة في المتاجرة بالخشب حتى قبل زواجها من الملك الموري⁽²⁾، حيث ساهمت الثروات الطبيعية في موريطانيا من جعل هذه الملكة تتاجر بأجود أنواع الخشب وأدرت هذه الأعمال عليها بأموال طائلة ومكاسب كبيرة، أهلتها لدخول عالم التجارة والمال على نطاق واسع، بل وجعلت تجارة الخشب حكرا على تجارتها ومداخلها، خصوصا وأن الإقبال كان عليها كبيرا من طرف الإمبراطورية الرومانية⁽³⁾.

وقد أدلى استرابون بشهادته عن موريطانيا الطنجية التي اشتهرت بغاباتها العالية والكثيفة وأشجارها⁽⁴⁾، كما كان الحال عند بلين حيث قال "جمال الأطلس المغطاة بغابات عالية وكثيفة ذات أنواع من الأشجار بل مميزة بجودة خشبها"⁽⁵⁾.

لقد ظلت علاقة المرأة بعالم التجارة والمال شبه مغمورة وأن ما يبعث على الانبهار المهارة التجارية الفائقة التي اكتسبتها، عندما تحررت من اعرف المجتمع وتقاليده، ولكن اقتصر ذلك على نساء الطبقة الحاكمة والميسورة بحيث لا نجد في نساء الطبقة الدنيا من كانت لها نفس الحرية والامتيازات في هذا المجال⁽⁶⁾.

عكس المرأة القرطاجية التي إكتسبت دراية كبيرة ومهارة مميزة بحكم موقع المدينة المنفتح على التجارة الخارجية، واستقبالها لسلع متنوعة فبرزت مؤهلاتها في البيع والشراء وظهرت كبائعة متجولة خارج أسوار المدينة، والتصرف في إدارة ممتلكاتها الخاصة وأموالها عند غياب الزوج أو وفاته⁽⁷⁾.

⁽¹⁾ مالية بصال و أحمد سايع مرزوق، المرجع السابق، ص 46.

⁽²⁾ خديجة منصوري، أصناف النساء ببلاد، المرجع السابق، ص 280.

⁽³⁾ مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 108.

⁽⁴⁾ Strabon, Loc.cit, XIV, III, I.

⁽⁵⁾ Pline L'ancien, Loc.cit, V, 14.

⁽⁶⁾ مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 51.

⁽⁷⁾ نضار الأندلسي، الحياة اليومية للمرأة، المرجع السابق، ص 51.

VI-4-3) المرأة وسك العملة:

لقد صورت المرأة كشعار على العملة النقدية ، وإن ذلك يدل على مدى السلطة وقوة النفوذ التي أصبحت تتمتع بها⁽¹⁾، إلى درجة تأليه حيث نجد رسوم للنساء على بعض النقود النوميديّة مثل القطعة المنسوبة للملك هيرباص، إذ جاء رأس الآلهة محلى بتاج من السنابل، كما نجد الآلهة عشترت وتانيت على قطع العملة التي ضربت في منتصف القرن الأول في عهد ماتيلوس سبيون، وقد حملت القطعة أحرفا لاتينية ثلاثة وهي (A. T. G) التي ترجمت بـ "قديسة الأرض الإفريقية"، وفي بعض الأحيان يعلو رأس المرأة جسم الفيل كما هو الشأن بالنسبة للقطع النقدية النوميديّة و الموريطانية في عصر يوبا الأول والثاني وبطليموس⁽²⁾.

إن الصور الملكية (ليوبا الثاني وكليوباترا سليلي وبطليموس) لم تحظى بإهتمام الباحثين و الأثريين في المسكوكات الموريطانية ليوبا الثاني وبطليموس في تصنيفهم لإصدارات النقدية، بقدر اعتمادهم على تصنيفها من الناحية النمطية (المواضيع المحسدة على الظهر)، حيث تتميز نقود يوبا الثاني بظهور شامل للصورة الملكية على وجه أغلب الإصدارات للمعادن الثلاث (ذهب، الفضة والبرونز)، كما نجدها باسم الملك مع صورته على الوجه أو باسم الملكة وصورتها على الوجه⁽³⁾.

حيث وجدت قطع نقدية تنسب وتعود للملك يوبا الثاني يظهر وجه زوجته كليوباترا سليلي وعلى الوجه الآخر تظهر هيئة بقرة على رأسها قرص ترمز للمعبودة المصرية حتحور، ويظهر الأسد في قطعة نقدية تنسب للملك يوبا الأول- وهذه الحيوانات لها دلالات دينية-⁽⁴⁾، حيث تمكن الباحثين معرفة ملامح الملكة الموريطانية من خلال قطع الديناريوس أين تبدو صورتها تقترب من الحقيقة بطراز مصري هيراطيقي (Hiératique) الرقبة طويلة تمسك الشعر بعصبة اغريقية وشرائط متطائرة⁽⁵⁾، ونتيجة، ونتيجة لكل هذه الإعتبارات، نرى أن كليوباترا سليلي كانت ملكة مميزة ليس بعد زواجها من يوبا

⁽¹⁾ عائشة عيسى أبو حجر، المرجع السابق، ص 37.

⁽²⁾ مريم طياب، المرجع السابق، ص 72، 73.

⁽³⁾ التوفيق عمروني، تنميط صور العائلة الملكية على الإصدارات النقدية ليوبا الثاني (25 ق.م-24 م)، مجلة آثار، مج. 14، ع. 2، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2016/16/13، ص 98.

⁽⁴⁾ محمد بولخوخ، علاقة الوسط الطبيعي بنشاط الإنسان في بلاد المغرب القديم، المجلة التاريخية الجزائرية، مج. 5، ع. 2، جامعة المسيلة، الجزائر، 2021، ص 176.

⁽⁵⁾ التوفيق عمروني، المرجع السابق، ص 99.

الثاني، وإنما نتيجة ماضيها ونتيجة تثبيت وإقرار والدها أنطونيوس لهذه الملكية حين نقش على العملة التي سكتها عبارة تفيد معناها للملكة كليوباترا وللملوك أولاد الملوك⁽¹⁾، وليس فقط الملكة كليوباترا من حظيت بهذا التكريم، فبعد وفاة الإمبراطور سبتيموس سيفيروس عام 211م اتخذت زوجته جوليا دومنا لنفسها ألقابا كثيرة اقتصررت عادة على الإمبراطور، وظهرت صورتها على العملات⁽²⁾ (الملحق رقم 33 ص 346).

كما وجدت في منطقة صبراتة (ليبيا) بقايا أثرية تدل على سك عملة خاصة بجوليا دومينا عامي (180-222م)⁽³⁾.

إستطاعت المرأة في بلاد المغرب القديم أن تحجز مكانا يليق بها خاصة بعد اقتحامها لعالم الشغل والتجارة فجعلها رائدة في المجال الاقتصادي وبالأخص الملكات اللواتي استطعن أن يبرزن أنفسهن في هذا المجال ونفوذهم السياسي عن طريق سك عملة تحمل أسمائهن.

يمكن القول المرأة في بلاد المغرب القديم ساهمت بشكل كبير في عدة مجالات اقتصادية مثل الصيد والرعي، وبرزت مساعدتها للرجل في جلب الطرائد عن طريق الترميم، بل شاركت حتى في الذبح وسلخها من جهة، أو استئناسها وتربيتها من جهة أخرى، كما تبرز مساهمتها أيضا في المجال الزراعي واهتدت إليها لكونها مكثت في البيت مدة طويلة في رعاية أطفالها، مما مكنها من إيجاد واختراع الطرق الزراعية للمساهمة في سبل العيش، واقتصر صناعة الفخار بمختلف أنواعه على المرأة الليبية المحلية، في المقابل عُرِفَت المرأة القرطاجية ببراعتها في الغزل والنسيج، إذ ساهمت الثروة والأراضي التي حصلت عليها المرأة خلال الفترة الرومانية بعد اقتحامها للأسواق التجارية مع مشاركتها لزوجها في ذلك في بروزها كطرف فاعل في الميدان الاقتصادي عامة، مع ملاحظة مهمة وهي أن التجارة محصورة في المجتمع الليبي على المرأة الحاكمة والارستقراطية، أما في قرطاج فقد مارست مختلف الطبقات النشاط التجاري.

⁽¹⁾ شافية شارن، كليوباترة سليبي، المرجع السابق، ص 241.

⁽²⁾ عزيزة حسن السيد سليمان محجوب، النساء السوريات في العصر السيفيري، مجلة دراسات في آثار الوطن العربي، ع. 2،

الإتحاد العام للآثاريين العرب وإتحاد الجامعات العربية، (د.ت)، ص 414.

⁽³⁾ هالة محمد الفيتوري المصري، المرجع السابق، ص 126.

IV) الفصل الخامس: الحياة الدينية و الثقافية للمرأة ببلاد المغرب القديم

IV-1) المهام الدينية للمرأة في بلاد المغرب القديم.

VI-1-1) المرأة والدين فيما قبل التاريخ.

VI-1-2) الآلهة الأنثى في بلاد المغرب القديم.

VI-1-3) المرأة والنشاط الديني (الكاهنة والقديسة).

IV-2) الحياة الثقافية والفنية للمرأة في بلاد المغرب القديم.

VI-2-1) المرأة والزينة.

VI-2-2) المرأة والعلم.

VI-2-3) المرأة والفن.

VI-2-4) المرأة والرياضة.

يعتبر المستوى التعليمي والثقافي الذي وصلت إليه المرأة في بلاد المغرب القديم من لغة وفلسفة وطب وشعر وفلك وتنجيم، إضافة إلى مظهرها الخارجي من لباس وزينة وحلي دلالة على المستوى الرفيع الذي وصلت إليه، سواء على المستوى الأسري أو المجتمعي، ومن جهة تعد المرأة التي تعكس أحوالها وأوضاعها الأسرية، ومستواها المعيشي وصورتها الواقعية من حيث الانعزال أو التحرر والتفتح. كما مارسن النشاط الديني فتقلدت عدة مناصب سواء في مرحلة المعبودات الوثنية، أو خلال إنتشار المسيحية في بلاد المغرب القديم وكل هذا منحها مكانة اجتماعية عالية.

IV-1) المهام الدينية للمرأة في بلاد المغرب القديم:

إحتلت المرأة مكانة دينية في بلاد المغرب القديم منذ العصور الحجرية، فبالرغم من القيود المفروضة عليها أسرياً، لكن فرضت نفسها في الساحة الدينية، فكانت مؤهلة تارة، وقديسة في الفترة المسيحية تارة أخرى.

فرضت المرأة تواجدتها بالمغرب القديم في العصور القديمة في مجالات متعددة، بحيث دلتنا المصادر بنوعيتها الأثري-الأدبي على نساء ملكات تربعن على العرش، مثلما تعرفنا ببعض زوجات الملوك اللواتي كان لهن دورا في تسيير شؤون المملكة حتى وإن كان ذلك بطرق غير مباشرة، كما وجدت أعمال تركزن بصماتهن في المجال الاقتصادي، ونساء مارسن مهن مختلفة كالزراعة والباعة وإلى جانب هؤلاء وجدت فئة أخرى تفرغت للنشاط الديني سواء في الفترة الوثنية أم بعد انتشار المسيحية⁽¹⁾.

VI-1-1) المرأة والدين فيما قبل التاريخ:

فرضت المرأة تواجدتها دينيا خلال العصور الحجرية، فإستطاعت أن تؤدي دور آلهة المعبودة لدى إنسان ذلك الزمن.

حاول إنسان ما قبل التاريخ أن يترجم إبداعاته الفنية منذ العصر الحجري المتأخر في أعمال كثيرة متنوعة من رسوم ونقوش ونحت⁽²⁾، خاصة فيما يتعلق بالمرأة ودورها الخصوبي في عدة مشاهد

⁽¹⁾ خديجة منصوري، أصناف النساء ببلاد، المرجع السابق، ص 269.

⁽²⁾ طارق ساحد عزيز، التظاهرات الأولى للعصر الحجري الحديث في الجزائر، أعمال الملتقى الوطني الأول حول المدينة والريف في الجزائر القديمة، منشورات جامعة معسكر، معسكر، 2013/2012، ص 182.

جنسية، إلا أن بعض الباحثين أمثال كلودين كوهان (Claudine Cohen)، يؤكدون على وجود الدور الديني والسحري للمرأة خلال العصر الحجري القديم وتمثل ذلك في مشاهد الخصوبة والقنص والصيد⁽¹⁾.

حيث شهد بلاد المغرب القديم خلال هذا العصر ظهور حضارتين متزامنتين القفصية والإيبرومغربية، فقد تمكن الإنسان أن يتوصل إلى إبتكارات جديدة، وتمثلت أساسا في ظهور الفن لأول مرة، كما عرف طرق جديدة لدفن موتاه، وممارسة معتقدات دينية سحرية لم تكن معروفة من قبل⁽²⁾.

وحسب كلودين كوهان فقد إرتبطت إرتباطا شديدا بالمرأة وعبرت عنها، كونها جسدت العديد من الأدوار في عدت مجالات إجتماعية إقتصادية وحتى روحية دينية، وذلك من أجل تأمين متطلباتها اليومية حسب ظروفها المعيشية⁽³⁾، حيث وجدت منحوتات وتمائيل مجسدة لحيوانات تحضي بمكانة كبيرة في تفكير الإنسان الروحي خاصة فيما يتمثل في تماثيل ذات الأشكال الشبه إنسانية⁽⁴⁾.

وقد عثر على مثل هذه المنحوتات ببلاد المغرب القديم، وبالأخص في الحضارة الإيبرومغربية تمثلت في تمثال حجري في مقبرة تين هينان في موقع الأبالاسا بالهقار سنة 1934م، وهو محفوظ في متحف البارود وهذا يدل على تقديس الخصوبة والمرأة⁽⁵⁾، أما فيما يخص المظاهر التي شاهدها الحضارة القفصية التي أرجعها أغلبية المؤرخين إلى أنها نوع من أنواع المعتقدات الدينية الممزوجة بالممارسات السحرية للمرأة، هي ظاهرة التشويه الضرسى أو اقتلاع الأسنان⁽⁶⁾.

(1) Cohen(C), L'Art rupestre et Les rôles de la Femme au paléolithique, ralcamonica Symposium, Paris, 2007, p101.

(2) طارق ساحد عزيز، المرجع السابق، ص 190.

(3) ديودور الصقلي، ديودور الصقلي في مصر ق 1ق.م، تر: وهيب كامل، دار المعارف، 2016، ص 38.

(4) لخضر بن بوزيد، الفن والمعتقدات، المرجع السابق، ص ص 89-90.

(5) المرجع نفسه، ص 221.

(6) Humphry(L) et Bocaage(E), Toth Evulsicen in The Maghreb Chronological and Geographical patents, Afr Archaeal Rev, London, 2008, p110.

وقد كانت تقتلع في الغالب قواطع الفك السفلي للإناث⁽¹⁾، وكانت تتم العملية في سن معين هو سن البلوغ مع إختلافه من مجتمع لآخر⁽²⁾، وهذا الأمر يمثل نوع من الزخرفة والتزيين، كما أنه من المحتمل أن يكون بهدف الخصوبة كونه يمثل فئة الإناث بنسبة أكبر.

وظلت المرأة تتسم بمكانة عالية، خاصة خلال العصر الحجري الحديث، فقد مثلت موضوعا هاما جسدها الإنسان في مختلف فنونه الإبداعية، خاصة فيما يعرف بالفن الصخري⁽³⁾.

ومن أهم المواقع التي إنتشرت فيها هذه الرسوم والنقوش الصخرية هي الأطلس الصحراوي في البيض والجلفة، وأكثرها في الطاسيلي والحقار ولكثرها إعتبرها البعض متحفا كبيرا في الهواء الطلق⁽⁴⁾.

وقد إشتغل هذا الفن على المواضيع المتعلقة بخصوبة المرأة، هذه الأخيرة التي إحتلت في مجتمعات العصر الحجري الحديث مكانة مرموقة، حيث أن طريقة الحياة وحاجياتها المتجددة، كانت مطابقة لأدوار ونشاط المرأة المختلفة⁽⁵⁾.

خاصة في الجانب الديني، وأبرز دليل على ذلك هو ما تحمله تلك الرسوم من أشكال وصور التي تبرز شكل المرأة الحامل بوضوح، ورسومات للأعضاء الذكرية، بالإضافة إلى صور لبعض أعضاء الجسد كالأيدي والأرجل، ولهذا يمكن إعتبار هذه الأشكال والمشاهد كرمز لطقوس متعلقة بالخصوبة⁽⁶⁾.

خاصة وأن أغلبية المشاهد والتمثيلات كانت متعلقة بالشخصيات الأنثوية، والتي أبرزت دورها وعلاقتها بالجانب الديني، هذا الأخير الذي يشكل دافعا قويا للإبداع الفني مما يدل على وجود

(1) محمد سحنوني، ما قبل التاريخ، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1990، ص 124.

(2) عبد الرحمان خلفه، الديانة الوثنية المغاربية القديمة (منذ النشأة الى سقوط قرطاجة 146 ق.م)، (رسالة ماجستير في التاريخ القلم)، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2008/2007، ص 42.

(3) محمد سحنوني، المرجع السابق، ص 82-127.

(4) مها عيساوي، المجتمع اللوي في ، المرجع السابق، ص 73.

(5) هاوكس (ج) و وولي (ل)، أضواء على العصر الحجري الحديث، تر: يسرى الجوهري، مكتبة الجامعة العربية، بيروت، 1967، ص 51.

(6) محمد رشدي جراية، الصحراء الجزائرية خلال العصر الحجري الحديث (6100-1000 ق م)، (رسالة ماجستير في التاريخ القلم)، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2008/2007، ص 106.

معتقدات وذلك من خلال ممارسة بعض الشعائر والطقوس السحرية المرتبطة بالخصوبة، ولهذا فقد لعبت خصوبة المرأة وتكاثر الحيوان وخصوبة الطبيعة دورا كبيرا في فن مرحلة الرؤوس المستديرة⁽¹⁾.

حيث نجد الكثير من المشاهد المعبرة عنها سواء في الرسوم الصخرية أو النقوش، ولعل أهم المواقع الرئيسية التي تكثر فيها هذه المشاهد هي منطقة وادي جرات وصفار وجبارين وتين تيزاريفت وتامريت وأونرحات⁽²⁾.

ويمكن القول أن الدلائل الدينية للمرأة بدأت ملامحها تتشكل منذ العصور الحجرية القديمة إلا أنها إكتملت خلال العصر الحجري الحديث مع إكتشافها للزراعة وممارسة الصيد، والنقوش الصخرية الموزعة على مختلف المواقع التي تبرز المكانة الدينية والسحرية للمرأة وبالأخص فيما يتعلق بالخصوبة.

VI-1-2) الآلهة الأنثى في بلاد المغرب القديم:

مما لا شك فيه أن المرأة مثلت في العديد من المعبودات في بلاد المغرب القديم، وذلك لإرتباطها الوطيد بالخصوبة والأرض، فعتبرت مصدر إستمرار الكيان البشري، لذلك قدست ونسبت إليها العديد من الآلهة الأنثوية.

كان للمعبودات _للآلهات_ حضور في التصور الديني للإنسان القديم سواء المحلي أو الوافد(مصري فينيقي إغريقي وروماني)، ذلك أنه قدس عددا منهم وقدم لها هدايا متنوعة، وقام بتمثيلها على أشكال مختلفة من الآثار المادية كالفسيفساء والتماثيل والنقود وغيرهم⁽³⁾.

أ) الآلهة المحلية:

لقد عرف القدماء الليبيين أشكالا كثيرة ومتطورة من العبادة، فقدسوا العديد من الآلهة المحلية⁽⁴⁾، وتمثلت تلك الآلهة في عبادة الظواهر الطبيعية، كالشمس والقمر وقدموا لها القرابين والأضاحي دون غيرها من المظاهر الأخرى، وقد تناولها هيرودوت في حديثه وكذلك السكان القاطنين

⁽¹⁾ لخضر بن بوزيد، الفن والمعتقدات، المرجع السابق، ص221.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص221.

⁽³⁾ عبد العزيز بل الفايدة و محمد معروف، عبادة الربا في المغرب القديم على ضوء الايغرافيا (Epigraphie)، مجلة الأمل، مج.5، ع.13-14، 1998، ص55.

⁽⁴⁾ Picard(G. CH), Les Religions de L'Afrique Antique, Librairie Plon, Paris, 1954, p21.

حول بحيرة تريتونيس بقوله: "وهم لا يقدمون القرابين إلا للشمس والقمر" ويضيف: "غير أن القاطنين حول بحيرة تريتونيس فقد قدموا القرابين لأثينا وتريتون وبصيدون"⁽¹⁾.

وهيرودوت يدل على وجود آلهة محلية أولية إن صح التعبير موجودة لدى سكان بلاد المغرب القديم⁽²⁾، ويمكن التأكيد على ذلك من خلال مختلف النقائش (Inscription)، وأهمها التي اكتشفت في نوميديا خلال القرنين الثالث والرابع قبل الميلاد⁽³⁾، وقد سميت بالآلهة الماورية (Dii Mauri)⁽⁴⁾، إلا أننا نجهل المجالات الخاصة بها وذلك لصعوبة فك رموز معطياتها⁽⁵⁾.

أ (1- الآلهة الماورية (Dii Mauri):

يعد الباحث غابريال كامس أكثر باحثين إهتماما بدراسة هوية الآلهة الماورية، حيث أفرد لها العديد من المقالات، كما خصص لها الكثير من العناصر البحثية ضمن مؤلفاته، وقد تم إحصاء عشرين نص إهدائي لها في مقاطعات إفريقيا الرومانية باستثناء موريطانيا الطنجية رغم أنها تعتبر مهد القبائل الماورية⁽⁶⁾.

حيث عثر على سبعة نقائش لها بموريطانيا القيصرية واثنان بأولاد ميمون (Altava)، وأخرتين بشرشال، وبمعدل نقيشة واحدة بكل من مليانة (Zucchabar) وسطيف (Sitifis) وعين الكبيرة (Satafis)، كما تم إكتشاف سبعة نقائش أخرى بإقليم مقاطعة نوميديا منها ستة هياكل (Autels) بتازولت (Lambaesis) وواحدة بخنشلة (Mascula).

هذا وقد سجلت الآلهة الماورية تواجدها وإنتشارها بتراب مقاطعة إفريقيا البروقنصلية من خلال ستة نقائش بمعدل نص إهدائي واحد في كل من مداورش، باجة، هنشير رمضان، موسي وهنشير نقاشية، ويعود تاريخ أغلبها إلى القرن الثاني والثالث الميلاديين، وقد وردت تحت صيغ عديدة

⁽¹⁾ Hérodote, Loc.cit, IV, 188.

⁽²⁾ مصطفى أعشى، المرجع السابق، ص33.

⁽³⁾ مها عيساوي، المجتمع اللوي، المرجع السابق، ص447.

⁽⁴⁾ Camps(G), Qui Sont Les Dii Mauri Antiquités Africaines, 1990, TXXVI, p131.

⁽⁵⁾ حياة بوسليمان، دراسة مكونات مجتمع مدينة تيفاستيس وضواحيها من خلال الكتابات اللاتينية في الفترة الممتدة بين القرنين الأول والثالث للميلاد، (رسالة ماجستير في التاريخ القديم)، جامعة الجزائر معهد الآثار، الجزائر، 2008/2007، ص122.

⁽⁶⁾ ستي صندوق، المعبودات المحلية لسكان موريطانيا، المرجع السابق، ص12.

منها: (Dii Mauri)(Gens M'aura)(Nument Maurorum)(Dea M'aura) (Dii) (Gaetulorum)⁽¹⁾.

وعلى العموم تبقى هوية الآلهة المورية التي عبدت جماعيا مجهولة بإستثناء نقوش إفريقيا البروقنصلية التي أتت على ذكر أسماء البعض منها، حيث جاءت نقيشة هنشير رمضان على ذكر ثلاثة منها هي الإلهة فودينا (Fudina)، ماكورتوم (Macurtum)، وفارسيس (Varsis)، وهذا وقد ذكرت الأخيرتين ضمن نصب ثاني بياجة تحت صيغة ماكورتام (Macurtum) وفارسيسسما (Varsissima)، إلى جانب الإله يونام (Lunam)، يضاف إليها الآلهة الكستور (Castoréum)، التي تم التعرف عليها من خلال النص الإهدائي لموستي العائد إلى أوائل القرن الثالث للميلاد⁽²⁾.

أ- 2) فارسو تينيه الماورية (Varsutina Maurorum):

يشير القديس ترتليانوس أنها أكبر الآلهة الماورية وهي آلهة قمرية (déesse Lunaire)⁽³⁾، وحسب عبد الرحمان خليفة فإن المغاربة القدماء أعطوا للقمر مكانة كبيرة في عبادتهم لإرتباطه بخصوبة المرأة، وذلك منذ فترات ما قبل التاريخ وتواصل عبادته وقت متأخر⁽⁴⁾.

أ- 3) فيهينام وفارسيسسما:

من بين أهم المنحوتات البارزة والمكتشفة في باجة بتونس نصب يحمل صور وأسماء سبعة آلهة مورية سميت بنقش باجة (Stel de Baja)⁽⁵⁾، وهو عبارة عن نقش بارز (Bas-relief) يحتوي على خمسة آلهة ذكور، وهم بانكور (Bancher)، وهو يمثل الشخصية المركزية سيد البانثيون يحمل في يده

⁽¹⁾ ستي صندوق، المعبودات المحلية لسكان موريطانيا، المرجع السابق، ص 12-13.

⁽²⁾ عبد العزيز بل الفريدة و محمد معروف، المرجع السابق، ص 55.

⁽³⁾ عبد الرحمان خليفة، المرجع السابق، ص 90.

⁽⁴⁾ Picard(G. CH), op.cit, p22.

⁽⁵⁾ Ibid, p23.

ما يشبه العصا وعلى اليمين نجد كل من الآلهين فاكورجوم (Vacurgum)، وماجوريام (Maguriem)، أما على اليسار فنجد (Natilam) ناتيلام و (Ivnam) إيفنام⁽¹⁾.

بالإضافة إلى الآلهتين فيهيانم وفارسيسيما وهما تجلسان بالقرب من الإله بانوكور، حيث الأولى تجلس على يمينه مرتدية رداء مكسو بالريش المجنح وتمسك في يدها ملقط (Foreepes)، أما فارسيسيما فتجلس من الجهة اليسرى لنفس الإله وتلبس نفس الرداء الذي ترتديه فيهيانم⁽²⁾.

ويعتقد جيلبار شارل بيكارد أن الأخيرة ربما تكون هي نفسها فارسوتينه الماورية التي ذكرها القديس ترتليانوس، وحسب عبد الرحمان خلفه أن ما يتم ملاحظته في هذا النصب هو إحتوائه على خمسة آلهة ذكور مقابل إثنتان إناث، وهذا يدل على تراجع الآلهة المؤنثة والتي غالبا ما ترمز إلى الخصوبة⁽³⁾.

أ - 4) فارسييس (Varsis):

وما يؤكد وجودها ما عثر عليه في منطقة هنشير رمضان على نصب يحتوي أربعة أسماء آلهة وهي (Dii Mauri-Fudina-Vacurtum-Varsis)⁽⁴⁾، وبمقارنتها مع نقش باجة سمح بإعطاء فكرة حول عبادة هذه الإلهة غير المترومنة المحافظة على هويتها، ومن المحتمل جدا أنها نفسها فارسيسيما التي وجدت في نقيشة باجة، خاصة وأنها تحتل نفس المكانة في مجمع الآلهة فقد صورت جالسة بالقرب من الإله الذي يجلس في الوسط⁽⁵⁾.

أ - 5) الإلهة كايليستيس (Caelestis):

انتشرت عبادتها على أوسع نطاق في شمال إفريقيا القديم، حيث بلغت طرابلس شرقا، وقد تقاسمت مع ساتورنوس مكانة متميزة بإعتبارها من كبراء الآلهة ذات الأصول المحلية التي تربعت على

(1) Picard(G. CH), op.cit, p23.

(2) Picard(G. CH), op.cit, p23.

(3) عبد الرحمان خلفه، المرجع السابق، ص 99.

(4) محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية والتراثية، المرجع السابق، ص 437.

(5) Camps(G), op.cit, p144.

عرش البانثيون الإفريقي، وتشارك مع الإله ساتورنوس في كثير من النقاط، حيث أن طقوس عبادتها متشابهة، كما أن ذروة إنتشار وازدهار عبادتها كانت طيلة القرن الثاني والنصف الأول من القرن الثالث الميلادي⁽¹⁾.

ومع وفود الديانة المسيحية للمنطقة هذا عرفت خلال النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي تراجعاً وأفقلاً لعبادتها ، إلا أن هناك من بقي وفيها لعبادتها والتي تواصلت إلى غاية القرن الخامس الميلادي⁽²⁾.

وتعد الإلهة كايليستيس نسخة مرومنة للإلهة تانيت التي كانت عبادتها منتشرة بين النوميديين والقرطاجيين على حد سواء، وقد قدست على أساس أنها سيدة السماء والكواكب والنجوم والأرض، كما أنها تشرف على عالم الأموات وما بعده⁽³⁾، وهي بصفة خاصة حسب ستيفان غزال معبودة قمرية⁽⁴⁾.

أما بخصوص أصولها فحسب ما تم تناوله تناقله عن بعض مؤرخي القرن الثالث للميلاد، أنها كانت إلهة محلية ألهت وعبدت من قبل الليبيين والقرطاجيين ثم المغاربة المترومنون، بل وحتى الرومان أنفسهم حينما نقلت عبادتها إلى الرومان⁽⁵⁾.

فما كان كثيراً ما يأتي إسمها لصيقاً بأسماء الآلهة الإغريقية والرومانية مثل الإلهة هيرا (Héra)، وديانا-أرتيميس (Diana-Artémis) الإغريقيتين وجونو (Juno) الرومانية، و فسر ذلك إلى أن كلهن يصنفن ضمن الآلهة الأثوية الرئيسية التي عبدت من قبل تلك الشعوب، وتشابههن إلى حد كبير في الصلاحيات الموكلة لهن⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ ستي صندوق، المعبودات المحلية لسكان، المرجع السابق، ص10.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص ص10 - 11.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص11.

⁽⁴⁾ Gsell(S), H. A. A. N, Tome5, op.cit, p261.

⁽⁵⁾ محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية والتراثية، المرجع السابق، ص436.

⁽⁶⁾ ستي صندوق، المعبودات المحلية لسكان، المرجع السابق، ص11.

وحسب الباحثة صندوق ستي فقد إتخذت عدة صفات تم التعرف عليها من خلال المصادر الأثرية والأدبية، والمتمثلة في العذرية التي أكد عليها القديس ترتليانوس في كتاباته وكذلك ما نصت عليها النقوش أيضا، خاصة النقيشة التي إكتشفت بعين تموشنت (Albulae) واصفة إياها بالآلهة الكبرى العذراء (Dea Magna Virgo Caelestis)، وصفة الأمومة إلى جانب كونها مغذية ساتورنوس (Nutrix Saturnie)، وصفة الراعية الرئيسية للمحصول الوفير⁽¹⁾.

وقد قدست بشكل واسع بمقاطعة إفريقيا البروقنصلية ونوميديا مقارنة بمقاطعة موريطانيا القيصرية، حيث تم إقتفاء أثرها بكل من بطيوة (Portus Magnus) بالقرب من وهران، والتي عثر فيها على نصب يعلوه قرص الشمس والهلل وتظهر فيه حامله لستار يحيط برأسها مستندة بذراعيها على عمودين صغيرين⁽²⁾.

ب) الآلهة الوافدة: الآلهة ذات الطابع المشرقي:

صحيح أن سكان بلاد المغرب القديم عرفوا عبادة عدة آلهات محلية، إلا أنه لا يعني عدم وجود آلهات أخرى خارج حدود المنطقة لم تعبد، فالاحتكاك مع الشعوب الأخرى المصرية إغريقية فينيقية وحتى رومانية الذين نقلوا معهم معتقداتهم ودياناتهم وطقوسهم أو بالأحرى الآلهة التي كانوا يعبدونها، جعل من سكان المنطقة يتأثرون بهذه الثقافة الدينية الجديدة الوافدة إليهم، ويتضح ذلك من خلال عبادتهم لتلك الآلهة الوافدة إليهم وامتزاجها بشكل سريع مع عبادة الآلهات المحلية.

ب-1) الآلهة المشرقية المصرية القديمة:

إن من بين أهم التفاعلات و التبادلات الحضارية التي حصلت منذ القدم، تمثل ذلك التأثير والتأثر بين الديانة ببلاد المغرب القديم، وديانة مصر القديمة ويعود ذلك منذ عهد الدولة القديمة (2686-2181 ق.م)، وقد تمثل ذلك التأثير في تبني الليبيين معبودات مصرية وأهمها الإلهة إيزيس⁽³⁾.

⁽¹⁾ ستي صندوق، المعبودات المحلية لسكان، المرجع السابق، ص 11.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص ص 11 - 12.

⁽³⁾ عبد الرحمان خلقة، المرجع السابق، ص 115.

ب-1-1) الإلهة إيزيس (Isis):

وتعرف على أنها إلهة مصرية نتجت عن تزواج الهي الأرض والسماء "جب" و "نوت"⁽¹⁾ وهي زوجة "أوزوريس" وشقيقته في نفس الوقت، وأم حورس، كانت في الأصل آلهة الذرة والشعير، وكان يرمز إليها باللغة الهيروغليفية برمز يدل على كرسي العرش، والذي يدل على الدور الهام الذي تلعبه في نقل الملكية في مصر، وصورت كملكة بكل وقارها وهيبتها تضع فوق رأسها تاج العرش أو تاج بقرني بقرة وقرص شمس، وتحمل تيممة أو تعويذة باسم (Tyet) تتكون من حلق به عقدة في الأمام، والظاهر أنها مرتبطة برمز الحياة أو الرمز المقدس للقوة الملكية⁽²⁾ (الملحق رقم 34 ص 347).

وقد اعتقد قدماء المصريين على أنها "عين رع"⁽³⁾، ووصفت أنها ترتدي لباسا ضيقا وطويلا يلتصق على جسمها، يعلو رأسها تاجا عبارة عن كرسي العرش أو التصفيفة الحاتحورية يغطي شعرها شعرا مستعارا، ويزين قمته قرص الشمس ويحيط من جانبيه قرنان طويلان وريشتان⁽⁴⁾.

وهناك من الباحثين و العلماء من يرى أن هذه الإلهة ليبية الأصل لأنها جسدت وصورت في الرسوم والنقوش بملابس الليبيين، لكن هذا لا يعد دليلا قاطعا على أنها ليبية الأصل، إذ من الممكن أن عبدها الليبيون وصبغوها بصفات ليبية لتتلاءم مع معتقداتهم⁽⁵⁾.

وقد إنتشرت عبادتها في بلاد المغرب القديم (شمال إفريقيا) ويعود ذلك بالدرجة الأولى إلى احتكاك قرطاجة منذ القرن السادس قبل الميلاد مع مصر عن طريق التجار وتبادل السلع، حيث كانت هذه الإلهة ذات أهمية كبرى عند القرطاجيين، مما يؤكد على تأثيرهم بها وتقديسهم لها وما يثبت

⁽¹⁾ جيفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، تر: إمام عبد الفتاح إمام، عالم المعرفة، ع. 173، الكويت، (د.ت)، ص 36.

⁽²⁾ Harf(G), The Routledge Dictionary of Egyptian gods and Goddesses, Routledge, London, 2005, p79.

⁽³⁾ علي فهمي خشيم، آلهة مصر العربية، مج 1، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، مصراته، (د.ط)، (د.ت)، ص 327.

⁽⁴⁾ حسينة عيبوش، آلهة الإسكندرية وطبيعتها بنوميديا، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، ع. 10، مؤسسة الحكمة، الجزائر، 2017، ص 177.

⁽⁵⁾ محمد أحمد سالم، المرجع السابق، ص ص 87-88.

هذا ما عثر عليه في مقبرة سان مونيك بقرطاجة حيث وجد تابوت حجري لإحدى الكاهنات ترتدي ثياب إيزيس⁽¹⁾.

وتعود أقدم الآثار لهذه المعبودة بالجزائر قبيل العهد الروماني في تيممة تظهر عليها إيزيس منحطة على مستوى ضريح يعود إلى القرن الثالث ق.م بقورايا⁽²⁾.

وشهدت عبادتها إنتشارا واسعا من حدود بطيوة إلى حدود ويلي، ويعود الفضل للأميرة كليوباترا سليلي وزوجها الملك الموريطاني يوبا الثاني في إدخال هذه العبادة، خاصة مع وجود مبنى خاص لإيزيس بقيصرية يعود تاريخه لفترة حكم يوبا الثاني⁽³⁾، كما بني لها كذلك معبد يعود للفترة اليوليو-كلودية في (Salnatha)، وأيضا تم بناء معبد لها من طرف ممثلي الإمبراطور في ق2م في مدينة لامبيز، وكذلك عثر بالمغرب ما يدل على تكريم هذه الإلهة فقد عثر في بناسا عن مذبح مقدم إليها من طرف عبد معتق والثاني عثر عليه بوليلي ويحمل توقيع عبد معتق أيضا⁽⁴⁾.

ب-1-2) الإلهة سيبيلي (Cybèle):

وتعتبر من بين الآلهات الشرقية التي دخلت عبادتها إلى بلاد المغرب القديم (شمال إفريقيا)، والتي ترمز للخصوبة والطبيعة وتمت مطابقتها (بالأرض الأم)، والإسم الذي غالبا ما كان يطلق عليها هو الأم الإلهة (Mater Deum)⁽⁵⁾، أما بخصوص عبادتها لم تشهد إنتشارا كبير في بلاد المغرب القديم، بحيث لم يجد المختصون إلا نقيشة واحدة عثر عليها في بناسا تحمل إشارة إلى بناء معبد على شرف هذه الإلهة، وهذا الإهداء قدم من طرف المجلس المحلي (Décèdes Décurions)، وتحتية للإمبراطور أنطونينوس الذي كان من مريدي الإلهة سيبيلي حيث أنه ضرب نقودا تحمل صورتها على إحدى الواجهات⁽⁶⁾.

(1) p97. Hoyos(D), The Carthagois, Routledge, (Taylor- Francis), London, 2010.

(2) حسينة عيوش، آلهة الإسكندرية وطبيعتها بنوميديا، المرجع السابق، ص176.

(3) عبد العزيز بل الفايذة و محمد معروف، المرجع السابق، ص59.

(4) المرجع نفسه، ص59.

(5) المرجع نفسه، ص59.

(6) المرجع نفسه، ص59.

ب-2) الآلهة الفينيقية البونيقية:

طبعاً بالرجوع إلى المعطيات الأثرية فإنها بلا شك تؤكد على أن البونيين قد أقاموا معابد لآلهتهم المفضلة، فقدّموا على شرفها الأضاحي والقرايين لتحقيق أمانهم ونذورهم كما فعل فينيقوا الشرق تماماً، والشواهد الأثرية التي تثبت ذلك كثيرة جداً وموزعة بكل أماكن تواجد المستوطنات الفينيقية على إمتداد سواحل البحر المتوسط⁽¹⁾.

كما أن هذا التوزع و الإنتشار لم يخص السواحل فحسب ، بل إمتد التأثير حتى المناطق الداخلية، ونظراً لأهمية الآلهة وإرتباطها الوثيق بحياة الفينيقيين، فقد قاموا بنقلها إلى مختلف المستوطنات التي أسسوها فيما بعد، وجعلوا لها مكاناً خاصاً في مجمع آلهتهم حيث تدل بعض النصوص الكتابية القديمة إلى آلهة فينيقية عبدت كذلك في قرطاجنة والعالم البوني، كأشمون وملقارت وعشتارت (تانيت)⁽²⁾.

ب-2-2) الآلهة تانيت بنيعل (Tanit Pene Ba 'al):

تعد الآلهة تانيت من أكبر الآلهة التي عرفت إنتشاراً واسعاً على مستوى كل المناطق المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط والصحراء الكبرى خلال العصور القديمة، ويعطى تفسيراً لهذا الإنتشار على قمة التواصل والحوار الديني الذي عكسته هذه الآلهة بإشكالياتها المتعددة المتعلقة بنطق إسمها وأصولها ورموزها وطبيعتها وبقاياها⁽³⁾.

وقد توسع إنتشارها أكثر منذ النصف الثاني من ق5 ق.م إلى جانب بعل حامون حتى أصبحت تعرف بتانيت بنيعل، لكثرة ذكرها في النقوش رفقة واحتلت بعد ذلك المرتبة الأولى منذ بداية ق4 ق.م وصارت تقدم لها الكثير من النذر والاهدايات، ووصفت بأنها أعظم الآلهة وأم كل

⁽¹⁾ فاطيمة الزهراء بلعيد، مساهمة أنصاب الفترة البونية في معرفة جانب من الحياة العقائدية والدينية لمنطقة قلعة قراءة في ايكونوغرافيا الأنصاب البونية المحفوظة بمتحف المسرح الروماني، مجلة الأثار، مج.13، ع.1، جامعة الجزائر 2 ، الجزائر، 2015/10/8، ص ص 120 - 121.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 121.

⁽³⁾ مصطفى الاعشي، الربة تانيت بين الأصل الأمازيغي والامتداد الشرقي، مجلة المؤرخ، ع.9، جامعة القاهرة، مصر، 2011، ص 32.

حي، وإلهة الخصب وإلهة القمر وارتبطت كذلك بالطبيعة والحياة البرية والصيد، كما أنها إلهة زراعية توفر الأمطار وتسهر على خصوبة الزرع⁽¹⁾.

وتعد الآلهة تانيت واحدة من الآلهة القليلة التي عبدها وقدسها العالم تحت أسماء وأشكال متعددة وطقوس مختلفة فهي تعادل عند الفينيقيين الإلهة عشترت، وعند الإغريق الإلهة أرتميس، وعند الرومان الآلهة ديانا أو كايلىستس، وعند المصريين نيت نيهينو أي نيت الليبية⁽²⁾، وقد شكلت الزوج الإلهي المقدس مع قرينها بعل أمون، وكانت رمز للأمومة والخصوبة ويعود تمسك سكان بلاد المغرب القديم بهذه الإلهة الأنثى إلى قيمة المرأة في المجتمع وإتخاذها رمزا للخصوبة⁽³⁾ (الملحق رقم 35 ص 347).

وإدوارد ليبنسكي (E.Lipinski) أشار إلى أن إسمها مشتق من الفعل (TNT)؛ ويعني الباكية⁽⁴⁾، و يفسر جيلبار شارل بيكارد الإسم الذي أصبح يرافقها "بني بعل" (Pn.Bol) إلى وجه بعل ولهذا فهي تعني؛ "تانيت وجه بعل"⁽⁵⁾، لكن ليبنسكي رجح ترجمة المقابلة أو المواجهة لبعل بعدما بين أن اللازمة (Pn.B'l) تعني في إتجاه ولا تعني بأي حال من الأحوال وجهه، كان النطق الأول لكلمة (TNT) هو تانيت، كما قرأت أيضا تينت (TYNT)⁽⁶⁾.

ويوجد في بعض أنصاب معبد الحفرة التي كتبت بلغة إغريقية إسم الإلهة قد كتبت بطريقتين مختلفتين، ثينيث (THitith) وثنيث (THennith)، وهو ما أشار إليه فنطر في قوله: "إسم الآلهة بلغة إغريقية بأذن أجنبية، ولهذا يجب الحذر من الكتابات الأجنبية عندما يتعلق الأمر بإسم سامي"، كما أرجع الإسم إلى الجذر (TN) مع إضافة تاء التأنيث، وهو ما يفسر على أنها تعني؛ الآلهة الذئبة أو

⁽¹⁾ كيحل البشير، الحضور الديني البوني في نوميديا (814-146 ق.م)، (رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ القديم)، جامعة الجزائر2، بوزريعة، 2012/2011، ص 111.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 111.

⁽³⁾ الصالح بن سالم، عبادة الإله أمون والإلهة تانيت في بلاد المغرب القديم بين الأصل المحلي والاحتواء الأجنبي، مجلة كان التاريخية، ع.30، دار ناشري للنشر الإلكتروني، الكويت، 2015، ص 62.

⁽⁴⁾ البشير كيحل، الحضور الديني، المرجع السابق، ص 111.

⁽⁵⁾

Picard(G.CH), op.cit, p56.

⁽⁶⁾ البشير كيحل، الحضور الديني، المرجع السابق، ص 111.

الآلهة الوحش، وأرجع أيضا إلى الجذر البوني (YIN) الذي يعني أعطى والعطاء، وهو ما يجعل تانيت بمثابة الآلهة الكريمة التي تحب العون والقوة والخصب⁽¹⁾.

وقد تضاربت آراء المؤرخين والباحثين حول أصل هذه الإلهة، فالبعض منهم متمسك بالأصل الليبي المحلي، وإعتبرها إلهة ومعبودة محلية والدليل على ذلك أن إسمها يبدأ بالتاء وينتهي بالتاء، حيث من عادة الليبيين كتابة أسمائهم المؤنثة بهذا التسلسل، أما البعض الآخر فيستبعدون تلك الفرضية، ويرون أن هنالك إلهة معبودة في مصر عرفت بالإلهة نيت التي عبدت بمنطقة "سايس" التي تشغل على السهر على الصناديق الجنائزية، والتي عبدت من قبل السكان المحليين، ثم تبناها البونيون وأضافوا لها تاء التأنيث وأعطوها الإسم "تانيت" بدل "نيت"⁽²⁾.

إلا أنه لا يمكن الأخذ بالفرضيتين نظرا لنقص البراهين حولهما، خاصة أنه لم يدعمها بدراسات جديدة، غير أنه قد ظهر فريق ثالث من الباحثين، كانت له وجهة نظر مخالفة حيث يرجح الأصل الفينيقي للإلهة تانيت، وإعتبروها بمثابة تسمية جديدة للإلهة عشتارت الفينيقية والتي نقلها البحارة من مدينة صور إلى مدينة قرطاج، وحجتهم في ذلك أنهما يملكان نفس الخصائص ويؤديان نفس الدور⁽³⁾.

في حقيقة الأمر فكرة الإدماج مابين الإلهة تانيت والإلهة عشتارت تأخذ بجذر في ظل الاكتشافات الأثرية التي حصلت بقرطاج سنة 1899م، حيث كشف الأب دلاتر (De Lattre) بمنطقة تعرف بالقديسة مونيكا (Sainte Monique) على نقش بوني مؤرخ بالقرن الرابع ق.م، وبعد دراسته من قبل الباحث ج. فيرون (J. Ferron) تبين من خلال السطر الأول أنها مبادرة من قبل أعيان المدينة الذين قاموا بتشييد معبدتين جديدين، أحدهما للإلهة عشتارت والآخر للإلهة تانيت اللتان إنتشرت عبادتهما في نفس الفترة⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ البشير كيجل، الحضور الديني، المرجع السابق، ص 112.

⁽²⁾ زينب بلعابد، الملامح الجنائزية والنذرية للوبيين والنوميديين في المملكة النوميديّة (دراسة تحليلية من خلال المعالم واللقى الأثرية)، (أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ القديم)، ج. 2، جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 2، الجزائر، 2016/2015، ص 665.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص 665.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه، ص 665.

وبدون شك ما يدعم فكرة الأصل الفينيقي للإلهة تانيت هي تلك المسرحية البرونزية المؤرخة بالقرن 4 ق.م، والمحفوفة بمتحف بيروت، الذي ظهر على حافتها الداخلية نقيشة تبدو غامضة لا يظهر منها سوى ستة أحرف تتضمن اسم تانيت⁽¹⁾.

إلا أن المؤرخ المشرقي خزعل الماجدي له رأي آخر ويصر على أن أصولها بربرية، وتبناها القرطاجيون⁽²⁾، ويؤيده في ذلك روني دوسيه (R. Dussaut) الذي ربط بين تبني القرطاجيين للإلهة الكبرى المحلية وبين عناية عند نزولهم بإفريقيا، في قوله: "باستقرار الفينيقيين في قرطاج، فإنهم تعرفوا على الآلهة الكبرى المحلية وتبنوها"⁽³⁾، وقد جسدت وشكلت الإلهة تانيت في رموز وأشكال متعددة ومتنوعة منها: مثلث يعلوه خط مستقيم يمثل الذراعين وتتوسطها نقطة مستديرة تمثل الرأس، والنخلة والحمامة والرمانة تدل على الخصوبة، كما وجدت على شكل امرأة تضع ابنها على ركبتيها، والهلل والقرص الذي يرمز إلى القمر، والصولجان الذي يتكون من غصن الزيتون يحمل أعلاه جناحين وتلتف حوله أفاعي، والسنابل والسمكة التي ترمز للأُمومة⁽⁴⁾ (الملحق رقم 36 ص 348).

بالإضافة إلى ذلك عثر علماء الآثار سنة 1940م على حوالي 158 قطعة نقود من الرصاص والبرونز بحجى الجزيرة-الجزائر العاصمة- تعود إلى القرنين 1 و 2 ق.م، تحمل على وجهها صورة لإمرأة على رأسها تاج وأمامها رمزا لنصر وهي الإلهة تانيت، كما وجد ضريح ضخم بصبراتة منقوش على شكل تانيت رمز المثلث، وقد عثر بمعبدها في قرطاج على عدة جرار فخارية بها عظام أطفال، وهي دلالة على تقديم الأضاحي البشرية للإلهة تانيت، كما وجد لها أزيد من أربعة آلاف نقش مع قرينها بعل آمون⁽⁵⁾.

لقد كان حضور على الإهداءات النذرية بحروف ساكنة على صيغة (ت. ن. ت)، والتي قرأت تانيت، كما كتبت أيضا على خمس نقوش في معبد الحفرة بصيغة (ت. ي. ن. ت) الدالة على تينيت، ومن الملاحظ أن الصيغة التي رافقتها طيلة عبادتها متمثلة في (ف ن ب ع ل) وترجمت إلى

(1) زينب بلعابد، المرجع السابق، ص 666.

(2) الماجدي خزعل، المعتقدات الكنعانية، دار الشرق، ط. 1، الأردن، 2001، ص 155.

(3) البشير كيحل، الحضور الديني، المرجع السابق، ص 113.

(4) الصالح بن سالم، المرجع السابق، ص 62.

(5) المرجع نفسه، ص 62.

وجه بعل أو المواجهة والمقابلة له⁽¹⁾، كما ظهرت أيضا بصيغة (أ د ن) بدل (ربة) على إحدى نقوش معبد الحفرة حيث ظهرت بالعبارة: " ل أ د ن ت ت ن ف ن ب ع ل " الدالة على "للسيد أو المولى تانيت وجه بعل"⁽²⁾.

ج) الآلهة ذات الطابع الإغريقي والروماني:

كان للإحتكاك المباشر بالحضارتين الإغريقية والرومانية دور كبير في إنتشار المعبودات القادمة من تلك الحضارتين إلى بلاد المغرب القديم.

ج-1) الآلهة الاغريقية:

تمكن سكان بلاد المغرب القديم عبر إمتلاكهم وإستحواذهم للطرق البحرية الإتصال بالعالم الإغريقي، مما سمح بإحتكاك اليونان بالسكان، مما أحدث تأثيرا في العديد من المجالات⁽³⁾، ويبدو أن العلاقات بين الطرفين توثقت بتأسيس الإغريق لمستعمرة قورينة حوالي 631 ق.م، إلا أن هذا الإتصال لم يتجاوز المناطق الساحلية من شرق المغرب القديم، ومن الطبيعي أن ذلك قد أوجد فرصا للتبادل والعطاء في مجالات الحياة المختلفة ومن ضمنها المجال الديني⁽⁴⁾.

ج-1-1) الإلهة أثينا (Athéna):

يرجع أخصائي اللغة إشتقاق إسمها من أثيناي أي الصخرة في لغة البلاسجين (أقدم الأجناس التي كانت تسكن الأراضي الإغريقية القديمة)، ومن أسمائها "بلاسي" بمعنى الفتاة أو شابة ولا "لكيس" بمعنى محضية⁽⁵⁾.

كما تسمى أيضا بلاس (Pallas)، وهي إلهة العذراء عند اليونان كما تعتبر إلهة الحكمة والحرب والزواج والنبات، وتصور وهي تحمل في يدها غصن الزيتون⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ زينب بلعابد، المرجع السابق، ص 666

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 667.

⁽³⁾ عبد الحليم أحمد دراز، المرجع السابق، ص 85.

⁽⁴⁾ عبد الرحمان خلقة، المرجع السابق، ص 208 - 209.

⁽⁵⁾ عصمت نصار، الفكر الديني عند الإغريق، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، ط. 2، مصر، 2005، ص 71.

⁽⁶⁾ فهمي علي خشيم، نصوص ليبية، تامغناست، ط. 1، مصراتة، 1967، ص 39.

كما رمز لها بطائر البومة وعدت آلهة مقاتلة شديدة المراس وقد إشتهرت وعرفت بخوذتها الفولاذية التي تغطي الوجه أثناء القتال وكانت آلهة المدينة والدولة، وقد إعتبرت مخترعة لبعض معدات القتال، كالعجلة الحربية وبوق الحرب، بالإضافة إلى ذلك كانت آلهة راعية للصناعات خاصة الغزل والنسيج بوجه عام، ويعتقد الإغريق أن هذه الآلهة أسدت لهم فضلا مضيئا، إذ أنها جاءت بشجرة الزيتون التي غرستها في أرض أتيكا لأول مرة⁽¹⁾.

وقد جسدت وصورت قديما على هيئة امرأة فارعة الطول قوية البنيان مرتدية ثوبا فضفاضا يصل إلى الأقدام وعلى رأسها خوذة، تحمل رمحا ودرعا في إحدى يديها، وإكليلا النصر في اليد الأخرى، ومتمدرعة بترس، ومن أحب الأشياء إليها الزيتون والبومة والديك والشعبان، وقد إختصت برعاية الأبطال والمحاربين بوصفها إلهة الحرب والنصر⁽²⁾.

وأولى الإشارات حول عبادة هاته الآلهة في بلاد المغرب القديم ما أشار إليه هيرودوت عن إحتفال سنوي يقام بالقرب من بحيرة تريتينيس على شرف هذه الآلهة⁽³⁾، حيث تقوم العذاري- كما اشرنا سابقا- في صفين متقابلين ويتراشقن بالحجارة والهاويات، وإن ماتت منهن واحدة تعتبر غير عذراء، كما يقمن خلال هذا الإحتفال بإختيار أجمل فتاة بين العذراوات من الحاضرات، ومن يقع عليها الإختيار تلبس الخوذة الكورنثية والزي العسكري الإغريقي وتمتطي عربة حربية تقودها العذراوات في موكب يدور حول البحيرة⁽⁴⁾.

ج-1-2) الإلهتان ديمتري (Déméter) وكوري (Coré):

ومن المتعارف عليه أن هاتين الإلهتين يونانيتان حسب ما تتناوله أغلب الأساطير عنهما⁽⁵⁾، وكانتا تعبدان سوية على أنهما الإلهتان العظيمتان اللتان تظهران في صورة الأم وإبنتها على التوالي

⁽¹⁾ عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ اليوناني، ج.1، شركة علاء للطباعة والنشر، القاهرة، 1974، ص272.

⁽²⁾ عبد اللطيف محمود البرغوثي، التاريخ الليبي القديم، ج.1، تامنغاست، مصراتة، (د.ت)، ص 144-145.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص145.

⁽⁴⁾ عصمت نصار، المرجع السابق، ص68.

⁽⁵⁾ جفري بارندر، المرجع السابق، ص56.

، وكثيرا ما كانت تسمى الأخيرة (كوري) بالعدراء⁽¹⁾، أما ديمتري فهي تمثل إلهة البقول والفواكه والبذور والحصاد⁽²⁾، و يتألف إسمها من قسمين (Mètre) وتعني الأم و (Deo) وتعني الأرض، ولهذا تعني في اللغة الإغريقية الأم الأرض أو الأرض الأم⁽³⁾.

وحين كانت بلاد الإغريق تعاني نقصا كبيرا في إنتاج الغلال و المؤن، فقد أولوا هاتين الإلهتين عناية كبيرة وجعلوها أساس لعبادة الزراعة وإرتبطت بالنبات بالأخص القمح، وكانت الأم تصور دائما وهي واقفة وإبنتها جالسة أمامها، وقد نقل الإغريق معهم هاتين الإلهتين إلى قورينة بعد إستيطانهم لها وإستقرارهم فيها، فبنيت لهما المعابد وأقيمت لهما التماثيل في العديد من المدن⁽⁴⁾.

كما تبنت قرطاجة عبادة هاتان الإلهتان ، بعدما قام القائد هملكون أثناء غزوه لسرقوسة وقد وجد لهما العديد من المعابد في وسط تونس وكذلك في أنحاء متفرقة من المملكة النوميديّة، كما تم العثور على العديد من التماثيل كالرؤوس المصنوعة من الطين المشوي المخصصة لديمتري وإبنتها في تل برج الحديد بتونس والتي تعود إلى ق3 ق م⁽⁵⁾.

وحسب ستيفان غزال فقد ضلت عبادتهما مستمرة إلى غاية العهد الروماني أين عرفتا بتسمية سيريس (Cérès)، ويرجح أنهما لم تندجما كإلهتين بونيقيتين بل أجريت الطقوس على العادة الإغريقية⁽⁶⁾.

ج-2) الآلهة الرومانية:

كانت أول الآلهة التي عرفها الرومان هي المعروفة بالآلهة فيستا، واختلفت الديانة الرومانية وتنوعت بين الآلهة فمنها ما ترمز للخير والشر والسلم والنصر والحرب، والآلهة السماوية أبوللون،

⁽¹⁾ ضو سالم ضو بن رمضان، الديانة الليبية القديمة وتأثيرها بالديانات الأخرى من القرن 5 ق م حتى بداية القرن الأول الميلادي، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة سرت، ليبيا، 2009، ص 60.

⁽²⁾ عصمت نصار، المرجع السابق، ص 69.

⁽³⁾ جفري بارندر، المرجع السابق، ص 49. وينظر كذلك: عصمت نصار، المرجع السابق، ص 69.

⁽⁴⁾ محمد أحمد سالم، المرجع السابق، ص 102.

⁽⁵⁾ Picard(G. CH), op.cit, p86.

⁽⁶⁾ Gsell(S), H. A. A. N, Tome5, op.cit, p267.

جونو، جوبيتر، وقد تنوعت وتعددت الآلهة الرومانية بالمغرب القديم بين الأصلية، والآلهة ذات الأصول الشرقية نسبتها إلى نفسها بعدما شعرت بحاجة إلى قناعة فكرية وجمالية لم توفرها لها الآلهة الأصلية، إضافة إلى كونها جسر لمحو الآلهة من الشرق إلى الغرب وذلك عن طريق جيشها الذي كان متعدد الأصول، وبذلك تبنتها وأعطتها إسما رومانيا⁽¹⁾.

ج-2-1) الآلهة جونو (Juno):

والمعروف حول هذه الآلهة أنها تأتي في المرتبة الثانية بعد المعبود جوبيتر (Jupiter)، وهي هيرا عند الإغريق، ابنة ساتورن وزوجة جوبيتر وشقيقته، كانت في الأصل آلهة الضوء ثم أصبحت آلهة البدء والميلاد، ثم الآلهة الحامية للنساء وحامية الأطفال والأمومة وراعية الزواج، من ألقابها ماترونا (أي الشمطاء) أوفيرجيناليس (أي العذراء)⁽²⁾.

وهي إستمرا لعقيدة للآلهة تانيت ببلاد المغرب القديم، وغالبا ماتمثل في النماذج الفنية واقفة أو جالسة على العرش تتكى على صولجان ينتهي أحيانا بطائر الوقواق، تمسك بيدها أنية بخور وأحيانا مشعل وحبّة رمان، وتحمل مرات بيدها درعا ورمحا، وتضع أحيانا تاجا وأحيانا وشاحا فوق رأسها تعبيرا عن الزواج⁽³⁾.

ودخلت هاته المعبودة الى المغرب القديم بعد الحرب البونية الثالثة (149-146 ق.م) حينما قام القائد الروماني سكيبو بالدعوة إلى عبادتها وتعظيمها لحماية الشعب والدولة القرطاجية⁽⁴⁾، وعبدت

⁽¹⁾ محمد كاكي، المعتقدات والآلهة المغربية أثناء الاحتلال الروماني علاقة التأثير والتأثر، مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية، مج.5، ع.17، جامعة زيان عاشور الجلفة، الجزائر، 2021/6/6، ص11.

⁽²⁾ أمين سلامة، معجم الأعلام في الأساطير اليونانية والرومانية، مؤسسة العروبة للطباعة والنشر والاعلان، ط.2، 1988، ص17.

⁽³⁾ حسينة عيوش، عبادة ومشخصات جوبيتر وجونو بالجزائر (نوميديا) خلال الفترة الرومانية، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج. ع.11، مؤسسة الحكمة، الجزائر، سبتمبر 2017، ص13.

⁽⁴⁾ Février(P. A), Religion et domination dans L'Afrique Romaine, Dialogues d'Histoire ancienne, V2, 1976, p306.

جونو ضمن الثالوث في شمال إفريقيا، وكانت عبادتها واسعة الإنتشار وبالأخص في البروقنصلية ونوميديا⁽¹⁾.

ج-2-2) الآلهة مينرفا (Menarva):

في الواقع هي أتروسكية الأصل، وتعتبر آلهة المهارة الفنية من الثالوث المقدس رفقة جونو وجوبيتر⁽²⁾، وأيضا آلهة الحكمة والذاكرة والصناعات اليدوية، وكانت في إعتقاد الرومان تمثل الركيزة التي تقف عليها سلامة روما⁽³⁾ ومن رموزها البومة⁽⁴⁾. وقد عبدت في المغرب الروماني على أساس أنها خليفة للإلهة تانيت القرطاجية⁽⁵⁾، حيث وجد لها معبد آخر في عصر الإمبراطور أنطونيوس بيوس (138-161م)⁽⁶⁾.

ج-2-3) الآلهة ديانة (Diane):

وحسب الأساطير الإغريقية-الرومانية هي أخت أبوللون، وهي آلهة القنص والغابة⁽⁷⁾، وهي نفسها الآلهة (أرتميس) الإغريقية وقامت روما بنقل تماثيلها وتبنتها، وتعتبر آلهة للقمر وحامية للنساء ورعاية للغابات والصيد، وكانت تمثل بإمرأة على عربة ترمي بسهم، ووصلت إلى بلاد المغرب القديم مع بداية الإحتلال الروماني للمنطقة حيث وجد لها آثار بتبسة وشرشال⁽⁸⁾.

ج-2-4) الآلهة سيريس:

آلهة الخصوبة والثمار والوثائق المادية التي تشير إليها، عرفت إنتشارا من حدود قرطاجة إلى ويلي، وعرفت تحت مسميات كثيرة منها السيدة (Domina)، وآلهة النور (Lucifera)، وسيريس الموروزية وسيريس الإغريقية (Graeca)، والإشارة إلى هاته الإلهة ضئيلة ونادرة إن لم نقل منعدمة فلا تتوفر

(1) محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع، المرجع السابق، ص 221.

(2) جيفري بارندر، المرجع السابق، ص 74.

(3) حسن نعمة، ميتولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1994، ص 273.

(4) خزعزل، المعتقدات الرومانية، دار الشرق، عمان، الأردن، 2006، ص 246.

(5) محمد الصغير غانم، الملامح الباكورة، المرجع السابق، ص 120.

(6) عزت زكي حامد قادوس، المرجع السابق، ص 249.

(7) عبد العزيز بل الفايذة و محمد معروف، المرجع السابق، ص 57.

(8) محمد كاكي، المرجع السابق، ص 12.

سوى على نقيشة واحدة مقدمة إلى سيريس الأوغسطية من طرف أحد كاهنات وليلي وتدعى (Fabia Bira) ، وهي أولى كاهنات بلديتها، فقد كانت تعد من أعيان المدينة إلى جانب زوجها ماركوس فاليريوس سيفروس⁽¹⁾.

ج-2-5) الآلهة فينوس (Venus):

فهي تعرف حسب إعتقادهم على أنها إلهة الجمال والحب والحرب وكوكب الزهرة والزواج والشهوة والإخصاب⁽²⁾، وتعد من بين الآلهة التي حظيت بمكانة هامة سواء في بلدها الأصلي روما على إعتبارها أنها سليلة الشعب الروماني، أو في موريطانيا الطنجية خاصة في مدن وليلي باناسا وتموسيدا⁽³⁾.

وقد تكفلت بعض مدن موريطانيا القيصرية بتشريف هذه الآلهة، وظهر ذلك واضحا في ميدان النحت -حوالي 10 تماثيل - أهمها تمثال فينوس في شرشال (Torse de Venus) والذي هو بمثابة صورة طبق الأصل لافروديت اليونانية للرسام (Cnide de Parietale) أو (Lysippe) أي بعبارة أخرى فهو تقليد للنحت الإغريقي.

وقد عثر لها على نقشتين فقط، الأولى مبتورة والثانية عبارة عن إهداء مقدم إلى فينوس من طرف أحد العبيد المعتقين يدعى (L. Gaecilius Vitalis) الذي شغل منصب (Sévir)، أي ينتمي إلى مدرسة مكلفة بالإشراف على العبادة الإمبراطورية.

ولقد عرفت عبادتها إنتشارا واسعا في كل أرجاء بلاد المغرب القديم و بالأخص في البروقنصلية، وهذه الأهمية التي حظيت بها فينوس، ربما آتية من كونها تتوفر على خاصيات متعددة، فهي أم قديمة للطبيعة، والمصدر الأول للعناصر الكونية (الماء، الهواء، الأرض، النار) ومغذية الكون، فالإلهة فينوس هي رمز للخصوبة وللماء الذي هو عنصر مهم لإحياء الطبيعة وتجتمع في هذه الميزة مع المرأة كمصدر للخصوبة⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ عبد العزيز بل الفايدة ومحمد معروف، المرجع السابق، ص58.

⁽²⁾ محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية، المرجع السابق، ص440.

⁽³⁾ عبد العزيز بل الفايدة ومحمد معروف، المرجع السابق، ص56.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه ، ص56.

ويمكن القول تشترك كل الآلهة سواء محلية أو وافدة مشرقية(مصرية وفينيقية) كانت أم إفريقية رومانية على أنها رمز للخصوبة أو آلهة قمرية وبذلك لها علاقة وطيدة وجسد المرأة والأرض والطبيعة.

VI-1-3) المرأة والنشاط الديني(الكاهنة والقديسة):

تغير الوضع الاجتماعي للمرأة داخل الأسرة والمجتمع مع أنتشار المسيحية في المنطقة، الذي حول لها دخول عالم الدين المسيحي ، وتقلدها عدة مناصب رفع من مكانتها الاجتماعية والدينية وحتى الإقتصادية.

يتشكل هذا الصنف حسب الباحثة منصوري خديجة من مجموعتين تضم كل واحدة فئات متفاوتة الأهمية حسب طبيعة المهام التي تبشرها، إرتبط وجود الأولى بالمعتقدات الوثنية وأما الثانية ظهرت بعد إنتشار المسيحية⁽¹⁾.

أ) المرأة الكاهنة:

لم تنحصر مهنة الكهانة على الرجال فقط بل شملت النساء أيضا، فقد تقلدت المرأة منصبا دينيا يتمثل في الكهانة، والذي منحها مكانة مرموقة في المجتمع بما تقدمه من خدمة دينية، وإن دل ذلك على شيء إنما يدل على نبلها ونقاها وطهارتها، كما أنه يجعلها من الطبقة الارستقراطية⁽²⁾.

ولقد عثر على نسبة كبيرة من النساء كن أعضاء بارزات في تركيبة المجتمع الكهنوتي وتولين مسؤولية قيادة الطقوس الدينية المكرسة للآلهة، حيث لعبن دورا هاما في ممارسة هذه الطقوس ببلاد المغرب القديم، كما كلفت بمهام خدمة الإمبراطور المؤله في الفترة الرومانية⁽³⁾.

⁽¹⁾ خديجة منصوري، أصناف النساء ببلاد، المرجع السابق، ص282

⁽²⁾ صبيحة أوكيل و بلخير بقة، المرجع السابق، ص76.

⁽³⁾ توفيق حموم، النظام الكهنوتي المخول لعبادة كيريس وكيريس في شمال إفريقيا، مجلة الآثار، مج5، ع.1، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2007، ص44.

كما أنها لعبت المرأة ضمن السلك الكهنوتي دورا لا يقل شأنًا عن الرجل، فقد أقيمت الكاهنات بحكم الوظيفة على العبادة وممارسة الشعائر، كما إرتبط دورها بالطقوس الدينية المرتبطة بالأرض وخصوبتها⁽¹⁾.

وبطبيعة الحال كان منصب الكهانة يتعلق بالضرورة بعبادة إله معين و إقامة الطقوس الدينية، حيث أن هذه الأخيرة كان لزاما وجود الكاهن وكبير الكهنة وكبيرة الكاهنات يوحى بتنظيم الجهاز الديني وترتبه⁽²⁾. والبداية مع مدينة قرطاج فيوجد العديد من الأدلة التي تثبت وجود تسلسل هرمي كهنوتي في الفترة القرطاجية⁽³⁾.

وقد لوحظ أن المرأة كانت توضع على رأس المجتمع الكهنوتي، فقد عرف عن امرأة تدعى (معطا بعل) (Tobea Bat baal)، كانت تجمع تحت نفوذها وسلطتها كامل هيئة الكهنة من رجال ونساء وبجميع المعابد، وأيضا دلت نقائش على حصول المرأة على هذا اللقب (الكاهنة) وأبرزها تلك التي عثر عليها في المقبرة الكبيرة في برج الجديد في قرطاج المكتشفة سنة 1906م⁽⁴⁾.

وقد تولت كذلك الأميرات في المجتمع القرطاجي هذا المنصب فمثلا كانت صفونيزب إحدى خادومات معبد الآلهة تانيت منذ نعومة أظافرها كأي امرأة قرطاجية متدينة⁽⁵⁾.

وقد أثبتت النقوش أن المرأة خلال الفترة الرومانية كانت تتمتع بمكانة رفيعة إجتماعيا، مما جعلها تحتل مناصب عليا في السلك الكهنوتي سواء كانت شابة متزوجة أو أرملة، حيث كلفت وأسندت إليها العديد من الوظائف لخدمة الآلهة الرئيسية⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ مختار ناير، الطقوس الدينية القديمة بنوميديا الرومانية، مجلة العلوم الانسانية، مج.5، ع.1، جامعة وهران 1 احمد بن بلة، الجزائر، 2017/12/30، ص35.

⁽²⁾ صبيحة أوكيل و بلخير بقة، المرجع السابق، ص76.

⁽³⁾ Martine(E. A), The role and position of women in Roman North African Society,, Doctoral of littérature and Philosophie(ancient historie South Africa) , University of South Africa, 2002, p274.

⁽⁴⁾ Berger(Ph), Inscription Funéraires de La nécropole de Bordj-djedide à Carthage, Compte rendus des Séances de L'académie des Inscriptions et Belle Lettre, 1970, p180.

⁽⁵⁾ صبيحة أوكيل و بلخير بقة، المرجع السابق، ص77.

⁽⁶⁾ Martine(E. A), op.cit, p274.

فقد تعددت المناصب المكلفة و المسندة لهن ،فالعديد من النقائش للنساء الكاهنات يذكرن أنهن قدمن القرابين والأضاحي للآلهة تانيت ،وساتورن ،وكايليستيس، كما وجدت نقائش قدمت على شرف الإلهة فينوس من طرف الكاهنات اشتغلن في سيرتا -قسنطينة-ومكثر كتلك النقيشة المهداة من طرف الكاهنة (Licinia prisca) زوجة (Licinius Tiranus) وهي كاهنة دائمة⁽¹⁾.

أما بخصوص النقيشات الخاصة بالكاهنات اللواتي كرسن خدمتهن لأداء الطقوس للإلهة كيريريس، فقد وجد إنتشار أكثرها في كل من المقاطعات إفريقيا البروقنصلية ونوميديا والبيزنطية⁽²⁾.

ولكن بعد إدخال عنصر جديد في النظام الديني الكهنوتي للمجتمع الروماني والذي أعطى إنطلاقة جديدة تتمثل في تأليه الإمبراطور بعد وفاته⁽³⁾، أصبحت الكاهنة هي المسئولة على طقوس وشعائر الآلهة الوثنية الرسمية للإمبراطورية الرومانية ولاسيما طقوس عبادة الإمبراطور من تقديم القرابين، وقراءة التراتيل المقدسة ،وتبخير ،يساعدها في ذلك أبناءها أو شبان يحملون أدوات الطقوس ،وتتم العملية بحضور موظفي البلدية والعازفين على الناي والمواطنين⁽⁴⁾.

حينها تعلن إخلاصها ووفائها وإرتباطها بالمدينة والسلطة والإمبراطور⁽⁵⁾، وقد تم تصنيف وظائف الكاهنة إلى بلدية (Municipal Flaminica) بمعنى لكل مدينة كهنتها ومعابدها وأعيادها، لذلك كانت الكاهنة تقوم بأعمال الخاصة بكل مدينة من عادات وتقاليد وقد وجد هذا النوع منتشرا في المدن البروقنصلية والنوميديية⁽⁶⁾.

Martine(E. A), op.cit, p279.

(1)

(2)توفيق حموم، المرجع السابق، ص52.

(3)توفيق حموم، النخب الإدارية والاجتماعية للكنفدرالية السرتوية والمدن الكبرى بنوميديا أثناء الاحتلال الروماني(منذ سنة 46 قبل الميلاد إلى نهاية القرن الرابع الميلادي)، (أطروحة دكتوراه في الآثار القديمة)، جامعة الجزائر معهد الآثار،الجزائر، 2009/2008، ص40.

(4)خديجة منصوري، أصناف النساء ببلاد، المرجع السابق، ص282.

(5) Ladjimi (LS), Apropos du Flaminat Féminin dans Les provinces, Mélanges de L'école française de Rome , Antiquité, 1990, p662.

Ladjimi Sebai(LS), op.cit, p659.

(6)

وقد كانت أول كاهنة بلدية المدعوة (Fabia Bira)، والتي كانت زوجة الكاهن (Marcus Valirius Severus) في فولوبوليس (Volubilis)⁽¹⁾.

ومن الملاحظ أن لقب كاهنة المقاطعة لا يمنح إلا لإمرأة ذات شأن ومقام وأسرة نبيلة، لتمتعها بعدة إمتيازات منها الحق في الحصول على مرتبة مشرفة، إذ أنه خلال أيام التضحية والإحتفالات كانت تلبس لباسا فخما وتجلس على رأس المسرح، ولذلك كانت تعد السيدة الأولى للمدينة والمقاطعة كلها⁽²⁾، فقد كان لزاما أن تنتمي الكاهنة المسئولة عن طقوس عبادة الإمبراطور للطبقة الثرية، حتى يتسنى لها تسديد المبلغ المطلوب عند ترشحها لهذا المنصب، والذي بلغ في مستوطنة تيمقاد 10000 سترس⁽³⁾.

وتقدم الهبات و الهدايا للمدينة في حالة فوزها بالمنصب، هذه الهبات التي قد تكون ذات الطابع ديني، كالذبح والذي أقامته الكاهنة كيلية أورورية بوتيته (Caeliaururia Potita) بمعبد الامبراطورة جولية (Iulia) بقسنطينة، أو ذات طابع مدني كالسوق الذي تولى الكاهن سرتيوس (Sertius) وزوجته الكاهنة سرتية (Sertia) بتغطية مصاريفه بتيقما، وما يجب الإشارة إليه أنه ليس من الضروري أن تكون الكاهنة زوجة كاهن، والأمثلة كثيرة في هذا المجال نذكر منها أنية كارة (Annia Carra) التي تولت مهام الكاهنة بتيقما دون أن يكون زوجها في السلك الكهنوتي⁽⁴⁾.

والمؤكد أنه يتم تعيين الكاهنة من طرف مجلس الديكوريون لمدة سنة تحصل بعد إنتهائها على لقب كاهنة لدى الحياة (Perpétua Flaminica)⁽⁵⁾، وفي هذا السياق نستنتج من النقوش المتوفرة على 23 كاهنة و 30 كاهنة مدى الحياة دون إمكانية تحديد المعبود الوثني الرسمي المكرسة له أو

⁽¹⁾ Monkachi(M), Inclusions et exclusion des Femme a Volubilis: cite de Maroc roman ceter national de documentaion, rabat, 2005, p101.

⁽²⁾ Ladjimi Sebai(LS), op.cit, p662.

⁽³⁾ خديجة منصوري، أصناف النساء ببلاد، المرجع السابق، ص ص 282 - 283.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه، ص 283.

⁽⁵⁾ المرجع نفسه، ص 283.

الإمبراطورة المكرسة لها باستثناء 3 كاهنات واحدة مكرسة لطقوس عبادة الإمبراطورة بلوتينه (Plotina) المؤهلة وكاهنتين لطقوس عبادة الإمبراطورة جولية⁽¹⁾.

وطبعا هذا اللقب الأخير لم يكن لقباً شرفياً بالدرجة الكبيرة بل لقباً فخرياً لا أكثر⁽²⁾، ونجد أيضاً من شروط تولي المنصب أن يكن نساء كبيرات في السن حيث بلغن 70 سنة، فمثلاً في ماداوروش نجد بأن (Claudia Paola) قد عاشت تسعين سنة، وأيضاً سجلت (Thagaste) التي عاشت 103 سنة، مما يوحي بأن كبر السن يعد من الشروط التي يجب توفرها لتولي هذا المنصب⁽³⁾.

وكذلك يوجد فئة ثانية تتمثل في المرأة الكهنوت (Sacerdos) التي خلافاً للكاهنة المذكورة أعلاه تنتمي للطبقة المتوسطة، كما أن وجودها مثلها مثل الرجل الكهنوت مرتبطة بالآلهة الوثنية الغير الرسمية، كبعض الآلهة الرومانية والإغريقية والشرقية وحتى المحلية للمقاطعات الرومانية، فهي التي تؤدي الطقوس والشعائر الدينية للآلهة المكرسة لها وتسهر على المحافظة عليها⁽⁴⁾.

وقد أهديت عدد كبير من كتابات-نقوش- الجنائزية لكاهنات كرسن حياتهن لخدمة آلهة مختلفة، رومانية منها إفريقية أجنبية، قدمت قرطاجة نموذج لجمع كهنوتي تحت إشراف كاهنتين، النقيشة التي خلدت ذكراهم أهديت إلى (Barbarus Silvanus Jupiter Hammun) هذا الجمع متكون من 12 كاهن تحت رأسه (Sempronius Salsula) و (Valerian Paulina)، وكانت (Valerian Saturnina) في مدينة توبوسبو كاهنة عظمى (Sacerdos Magna) للآلهة سيرس وفي نفس الوقت شغلت منصب فلامينكا بمدينة سيكا فينيريا⁽⁵⁾.

أما الفئة الثالثة فتمثلت في حملة السلال (Canistrariae) التي توضع فيها الأدوات المقدسة لأداء الطقوس الدينية، مهمتهن الحفاظ على هذه الأدوات وتحضيرها عند أداء الطقوس الدينية، وفي هذا الصدد تشير النقوش إلى خمسة منهن مارسن مهامهن بماداوروش وأربعة بشرشال⁽⁶⁾.

(1) خديجة منصوري، أصناف النساء ببلاد، المرجع السابق، ص 284.

(2) عبد العزيز بل الفايذة و محمد معروف، المرجع السابق، ص 56.

(3) توفيق حموم، النظام الكهنوتي، المرجع السابق، ص 45.

(4) خديجة منصوري، أصناف النساء، المرجع السابق، ص 284.

(5) تسعديت اسماعيلي و فريدة عمروس، المرجع السابق، ص 10.

(6) خديجة منصوري، أصناف النساء، المرجع السابق، ص 285.

أما بخصوص اللباس اللائي كن يرتدينه يتكون أساسا من ثوب ضيق وحزام طويل ومعطف كبير، وكن يحملن على صدورهن قلادة، أما الحزام والثوب فكانا يشبهان لباس الكاهنات الفينيقيات⁽¹⁾، ورغم مهامهن إلا أنه لم يحرم من مزاوله حياة إجتماعية عادية فقد تتزوجن من كاهن أعظم⁽²⁾.

ب) المرأة والمسيحية:

من المعروف لدى المؤرخين والباحثين أن سنة 180م تعد بداية للتحويل في التاريخ المسيحي لبلاد المغرب القديم إذ لا نمتلك قبل هذا التاريخ معلومات أكيدة حول المسيحية في المنطقة، إلا أن القديس ترتليانوس تحدث عن الوجود المسيحي بالمنطقة بموريطانيا، وعند قبائل الجيتول وإعتبرها منتشرة إنتشارا واسعا ببلاد المغرب القديم أو على الأقل في إقليم البروقنصلية كونه لاحظ أن المسيحيين كانوا بأعداد كبيرة في عصره⁽³⁾.

وبدون شك أن الأوضاع السياسية والإقتصادية والأخلاقية للعالم الروماني قد ساعدت الدعاية المسيحية على الإنتشار والتوسع، وأضحت هذه الديانة متنفسا للكثير من الأنفس الراغبة في العدل الإجتماعي⁽⁴⁾، وبالأخص وأن المسيحية كانت تدعو إلى مبادئ الأخوة والعدالة والتسامح والمساواة والتضامن مع المظلومين، فكان لهذه المبادئ أثر عميق في نفوس الضعفاء من أبناء الطبقة الفقيرة والمعدومة والمضطهدة⁽⁵⁾، وفي ظل إنتشار هذه الديانة الجديدة-المسيحية- برز صنف من النساء يفضلن الحياة الدينية والزهد حتى وإن كان ذلك ضد رغبة أوليائهن، وتندرج ضمن هذه المجموعة 3 فئات كمايلي⁽⁶⁾: تحت مسمى القديسة.

(1) مختار ناير، المرجع السابق، ص 35-36.

(2) المرجع نفسه، ص 35.

(3) عبد الحميد عمران، الرومنة والتدين، المرجع السابق، ص 85.

(4) المرجع نفسه، ص 101.

(5) خالدية مضوي، الديانة المسيحية وتطورها غرب موريطانيا القيصرية خلال القرنين الرابع والخامس ميلاديين، مجلة المواقف

للدراستات التاريخية، مج 2، ع. 1، جامعة معسكر، الجزائر، 4/14/2008، ص ص 274-275.

(6) خديجة منصوري، أصناف النساء، المرجع السابق، ص 285.

ب-1) المرأة القديسة:

وقد إستشهدت هذه المرأة جراء الإضطهاد الديني المسلط من طرف السلطات الرومانية على المسيحيين ، حيث تم إتخاذ المصليات والكنائس التي دفنت فيها مزارا للمسيحيين من أجل التبرك بها⁽¹⁾، و قد تعرض المسيحيين للأذى الشديد وعنف كبير بسبب رفضهم لعبادة وتأليه الإمبراطور⁽²⁾. وبطبيعة الحال لم تسلم المرأة التي إعتنقت المسيحية من التعذيب بكل أنواعه لإعتناقها هذه الديانة الجديدة والدفاع عنها، وقد رأى المسيحيون أن ثبات المرأة على دينها وطلبها لشهادة جعل منها جديرة بالتقديس⁽³⁾.

ومنذ نهاية ق2م وبالضبط في سنة 180م بدأت سلسلة إضطهادات السلطة الرومانية في بلاد المغرب القديم عندما تمت محاكمة وإعدام إثنا عشر مبشرا ومعاقبتهم، حيث إعتبروا رمزا للتضحية والمقاومة والنضال من أجل العقيدة، وإستمرت سلسلة من الإضطهادات وخاصة في عهد ديوكليتيان (دقلديانوس) (Diocletianus) (295-305م) ، حيث أصدر خلال عامي (303-304م) أربعة مراسيم تتعلق بموقف السلطة الرومانية من الإحتلال وتضمنت ماييلي: منع الإجتماعات وتجمعات المسيحيين، هدم الكنائس مصادرة وثائق المسيحيين وإتلاف وحرق كتبهم المقدسة، و إجبارهم على ضرورة تقديم الأضاحي في عيد الإمبراطور⁽⁴⁾.

وكان أشد العقوبات على من يخالف أوامر الإمبراطور الإعدام حرقا وهذا كان سببا في ظهور المذهب الدوناتي في مطلع ق4م حين طالت التعذيبات مقاطعة نوميديا،⁽⁵⁾ ففي سنة 304م لشهر ديسمبر الخامس منه إستشهدت في تيفاس امرأة من عائلة نبيلة وغنية تدعى كريسبينا (Crispine) لرفضها تقديم القرابين للآلهة والإمبراطور⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ خديجة منصوري، أصناف النساء، المرجع السابق، ص285.

⁽²⁾ مها عيساوي، المجتمع اللوي، المرجع السابق، ص454.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص132.

⁽⁴⁾ مها عيساوي، المرأة في المسيحية بنوميديا أثناء الإحتلال الروماني (القديسة كريسبينا وكفاحها الديني أنموذجا)، أشغال المؤتمر الدولي: المرأة في الوطن العربي عبر العصور نضالها العسكري السياسي الاقتصادي، الحمامات، تونس، 2017، ص38.

⁽⁵⁾ المرجع نفسه، ص39.

⁽⁶⁾ مها عيساوي، المرأة في المسيحية بنوميديا، المرجع السابق، ص42.

وتعتبر كريسيينا واحدة من مسيحيي العهد الأول والكنيسة الأولى تصنف ضمن النساء الأولين، كونها من الذين تمسكوا بالمبادئ الأولى وكانوا من الرموز الأولى للمسيحية، ولا فرق أن تكون منتمية للكاتوليكية أو للدوناتية، إلا أنها أنها تنتمي للدوناتيين وعاشت في نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع للميلاد⁽¹⁾.

وكان نص قرار إعدامها هو: لأن كريسيينا رفضت التضحية لآلهتنا فنظرا لقوانين أغسطس فسوف تموتين مضروبة العنق، وسوف ينفذ فيك حكم الإعدام في شهر ديسمبر للخامس منه لسنة 304 لميلاد يسوع. وقد نفذ حكم الإعدام فيها فعلا في ذلك التاريخ في تيفاست التي كانت أسقفية نوميدية خالصة.

والقديس أوغسطينوس أظهر لها كل مظاهر التبجيل والإحترام، حتى أنه كان الأمر الرسمي ببناء كنيسة في المكان الذي إستشهدت فيه، حيث قامت بازيلكا تيفاست أو بازيلكا كريسيينا على ضريحها الموجود في دهليز يقع في أسفل الكنيسة يسمى دهليز غودانتيا⁽²⁾.

وقد تمخض عن حادثة إستشهادها نتائج مصيرية من بينها إنفجار المذهب الدوناتى وإتساع الهوة و الخلافات بين الكاثوليكين والدوناتيين إلى غير رجعة أو هدنة، بل تطورت الصراعات المذهبية إلى خلافات إجتماعية، بل نتج عنها صراع عسكري أيضا⁽³⁾.

وتأتي الكتابات الأدبية على ذكر القديسة صالسا (Sainte Salsa) التي تم الحكم عليها بالإعدام، وإستشهاد هاته الشابة المسيحية التي تبلغ من عمرها أربعة عشر سنة عن طريق الرمي بها في البحر من طرف أشخاص وثنيين، لأنها تجرأت على تدنيس مقدسات وثنية في إحد معابد مدينة تيبازة(شرشال)⁽⁴⁾، وذلك برميها رأس تمثال مقدس في البحر الذي كان معروضا في معبد المدينة

⁽¹⁾ مها عيساوي، المرأة في المسيحية بنوميديا، المرجع السابق، ص41.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص44.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص41.

⁽⁴⁾ جهيدة مهنتل، القديسة صالسا بتيبازة بين الأسطورة والحقيقة الأثرية، مجلة دفاتر البحوث العلمية، مج.1، ع.2، المركز الجامعي بتيبازة، الجزائر، 2013/5/8، ص42،

الرومانية الموجود على الهضبة بالقرب على الأرجح من الفوروم ،ومنه غضب الأهالي بشدة من هذا الفعل الغير مقبول فقاموا بإعدامها⁽¹⁾.

وحسب النص وما تداوله عنها فقد عثر على جثتها سالمة بعد مرور ثلاثة أيام على غرقها، وهو الشيء الذي إعتبره السكان مقدسا، وبمثابة إشارة الهية، فقاموا بدفنها، وبنوا مصلى أو ضريحا فوق قبرها، وقد كتب هذا النص في نهاية ق4م أو 5م⁽²⁾.

ب-2) المرأة الشماسة (Diaconesse):

ومن شروطه يجب أن تكون عذراء أو على الأقل أرملة محترمة مخلصنة تزوجت مرة واحدة فقط، أما بالنسبة للسن المطلوب للانضمام إلى هذه الفئة لم يحدد إلا في نهاية القرن الرابع الميلادي، وإذا ما تم في القرن الثالث ترقية فتاة من الراهبة العذراء إلى الشماسة وعمرها لم يتجاوز 20 عاما، فإن مجمع قرطاجة الثالث إشتراط أن يكون سنها 25 سنة أو أقل من ذلك⁽³⁾.

في حين أن الإمبراطور جستنيان (Justin anus) أخره إلى 50 سنة وبعده مجمع خلقيدونية الى 40 سنة، وفي الأخير تم الإتفاق على 60 سنة وهو السن الذي حدده مرسوم الإمبراطور ثيودوزيوس (Théodosiens) سنة 390م⁽⁴⁾.

ويتم سيامة الشماسة ومباركتها من طرف الأسقف خلافا للأرملة التي وهبت نفسها لخدمة الكنيسة ، كما أنها تحتل مرتبة محددة في السلك الكهنوتي تلي مباشرة الشماس ،وتتمتع بسلطة الكنيسة الحقيقية ،وإن حرمت من أداء طقس الأسرار المقدسة، ومن المهام المسندة إليها ببلاد المغرب القديم وبالكنيسة الرومانية مساعدة الفقراء معالجة المرضى من بني جنسها مراقبة الأرامل والراهبة العذراء، حراسة مدخل الكنيسة المخصص للنساء والأماكن المخصصة لهن بداخلها، والقيام بدور الوسيط بين المسيحيات بالأساقفة⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ ياسين رابح حاجي، عبادة القديسين في تيبازة في الفترة المسيحية-البيزنطية، مجلة دفاتر البحوث العلمية، مج.1، ع.2، المركز الجامعي بتيبازة ، الجزائر، 2013/5/8، ص54.

⁽²⁾ جهيدة مهنتل، المرجع السابق، ص42.

⁽³⁾ خديجة منصوري، أصناف النساء، المرجع السابق، ص ص285-286.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه، ص286.

⁽⁵⁾ المرجع نفسه، ص ص286-287.

ب-3) الراهبة العذراء:

وهي التي كرسَتْ ووهبت حياتها لخدمة الله، والتي كان الانضمام إليها بكل إرادة الفتاة لم يجربها أحد على ذلك أي لم يكن للأولياء يد في إجبارها على ذلك أو عدم السماح لها بذلك، أما السن المطلوب للانضمام إلى هذه الفئة لم يكن محددًا بشكل رسمي في البداية، إذ كان الأسقف هو صاحب القرار في هذا الشأن، وكان ينبغي إنتظار القرن 4م ليحدد على مستوى المجامع الكنسية فحدد سنة 393م بـ25 سنة⁽¹⁾.

أما بخصوص الطقوس المرافقة لسيامة الراهبة العذراء المتبعة ببلاد المغرب القديم هي نفسها المعمل بها في روما، بحيث كانت تتم إما في عيد ميلاد المسيح أو عيد الغطاس أو عيد الفصح أثناء الصلاة بحضور المجتمع المدني⁽²⁾.

وفي البداية كان للراهبة العذراء حرية الاختيار بين البقاء في بيتها أو العيش الجماعي، غير أن بتضاعف الأديرة أصبحت ظاهرة العيش الجماعي تحت إشراف مسئولة أطلق عليها لقب الأم، وقد حرم عليها الزواج أو العيش مع الأجانب في بيت واحد وربط أية علاقة معهم، و أيضا تجبر في حالة وفاة أوليائها العيش في الدير تحت مراقبة الأسقف والأرامل، وكان محوم عليها حضور الإحتفالات والإجتماعات وشرب الخمر، ومن الواجبات المفروضة عليها قراءة الكتاب المقدس، الصوم، الإكثار من الصلوات ليلا ونهارا وإنشاد الزبور في صلاة يوم الأحد⁽³⁾.

ب-4) الأرامل:

ومن شروط الانضمام إليها ألا يقل سن الأرملة عن 60 سنة، وألا تكون قد تزوجت أكثر من مرة، وأن تكون رافضة لفكرة إعادة الزواج، وأن تكون مضيافة زيادة على تربيتهن لأطفالها وغسلها لأرجل القديسين، حرم عليهن العيش مع الغرباء، وتكمن مهمتهن الأساسية في تحضير متطلبات

⁽¹⁾ خديجة منصوري، أصناف النساء، المرجع السابق، ص 287.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 287.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص ص 287 - 288.

التعميد والصلاة ومعالجة المرضى ومساعدة الفقراء، لكن لا يسمح لهن لا بالتعليم ولا بأداء المهام المقدسة⁽¹⁾.

من خلال تتبعنا لمهام للمهام الدينية للمرأة فقد حظيت بمكانة مرموقة حولت وأهلت لها الحصول على أعلى المناصب الدينية ذات الأهمية البالغة التي ربما كانت حكرا على الرجال فقط قبل ذلك.

IV-2) الحياة الثقافية والفنية للمرأة في بلاد المغرب القديم:

تمكنت المرأة في بلاد المغرب القديم أن تحجز مكانا لها داخل أسرتها والمجتمع، بفرض شخصيتها وسلطانها ومكانتها، وذلك بإبراز سلوكها ومظهرها من لباسها وحليها وزينتها التي تعكس مكانتها الاجتماعية وثروتها وطبقتها النبيلة، وكذلك يعكس مستواها التعليمي والثقافي الذي كان حكرا على طبقة معينة فقط استطاعت أن تكون معلمة وفيلسوفة ومحامية وطبيبة كل هذا رفع من مقامها، فقد تمكنت من إعطاء انطباعا عنها خاصة بعد غزوها للحياة الخارجية وممارستها لمهن مختلفة كانت محرمة عليها فغزت المسارح ومارست مهنة التمثيل والرقص والغناء.

VI-2-1) المرأة والزينة:

لقد برعت المرأة في بلاد المغرب القديم، وتفننت في إختيار لباسها وزينتها سواء في منزلها، أو لمختلف المناسبات والأعياد.

أ) اللباس والزينة:

إذا كانت المصادر المصرية- الأثرية- قد صورت وجسدت الرجل الليبي منذ فترة مبكرة من تاريخ مصر بلحية كثيفة تتدلى على صدره وغطاء للرأس، أيضا الأسير الليبي الذي صور على قصبة من العاج منذ عهد ما قبل الأسرات⁽²⁾، فإن النساء الليبيات بشكل عام فقد اشتهرن وعرفن بجمالهن وإهتمامهن بزينتتهن، فمنذ العصر النيوليتي ظهرت النساء على جدران كهوف الطاسيلي والعوينات والأكاكوس بتسريحات شعر متعددة الأشكال و الأنواع، المصادر المصرية تؤكد أن الليبيات كن يلبسن

⁽¹⁾ خديجة منصوري، أصناف النساء، المرجع السابق، ص 288-289.

⁽²⁾ صديق بودواره المغربي، المرجع السابق، ص 78. وينظر كذلك: Petrie(F), History Egypt From The earliest of times to The Xvi, London, 1924., p25. The dynastie

الخلائيل الجلدية ،ويتحلين بالعقود والأساور على الرقبة والذراع وحتى المعصم ،بالإضافة إلى التيجان على الرأس، وقد إشتراك مع الرجال في إرتداء هذه الخلائيل، والظاهر أنهن ظلن محافظات على هذا النوع من الزينة حتى بعد قدوم الإغريق إلى ليبيا ،و المؤرخ هيرودوت أكد على ذلك بقوله أنهن لبسن نوعين من الخلائيل جلدية والبرونزية على السيقان⁽¹⁾. وهذا دليل على إستعمال الليبيين المعادن في هذه الفترة.

أما الوشم حسب أورك بتيس خلال هذه الفترة، كان مقتصر على الرجال دون غيرهم⁽²⁾، وقد تزينت الليبيات بالأساور منذ العصر النيوليتي وإرتدين القبعات ،وعرفن الأقراط والأحزمة، وقد أشار إسترابون إلى إعتناء الليبيات بجمالهن وزينتهن بإقتناء أفخم أنواع الحلي المصنوعة من الذهب ،وإختيار تسريحات الشعر المظفورة وحرصهن على تنظيف الأسنان⁽³⁾.

أ- (1) الأزياء والملابس:

لقد زودتنا نقوش معبد الملك المصري سمورع (2487-2473م) -الأسرة الخامسة (2563-2423م) بصورة واضحة المعالم عن أزياء وملابس قبيلة التحنو الليبية ،حيث كان يرتدي أفراد هذه القبيلة شريطين عريضين من الجلد يتقاطعان على الصدر ،وحلق عريض حول الرقبة تتدلى منه بعض الأشرطة ،وحزام مزين بخطوط أفقية على جانبه غمد جلدي، وينتهي من الأمام بقراب سترة العورة ويتحلى الرجل بذيل حيوان⁽⁴⁾.

أما قبائل التمحو فقد كانوا يرتدون فوق قراب العورة -كما اشرنا سابقا-عباءة مزركشة من الجلد تلتف حول الجسم مارة تحت الإبطين وتغطي الكتف الأيمن، وفي ذيلها شريط مخطط عريض، كما كانت أحب الأسلحة إليهم القوس والنشاب⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ صديق بودوارة المغربي، المرجع السابق، ص78. وينظر كذلك:

Hérodote,

Loc.cit, IV, 1.

Bastes(O), op.cit, p162.

2)

⁽³⁾ صديق بودوارة المغربي، المرجع السابق، ص78.

⁽⁴⁾ علي مؤمن إدريس مؤمن، العادات والتقاليد، المرجع السابق، ص1395

⁽⁵⁾ المرجع نفسه، ص 1395.

أما بخصوص قبائل الليبو فقد كان زيهم يتألف من عباءة فضفاضة تلف الجسم، وتنحصر عند الكتفين ويلبسون تحته قميصا قصيرا، وكان يحلى الرأس بدؤابة(شوشة) مع ريشة أو ريشتين، أما قبائل المشوش فكانت ملابسهم قريبة جدا مع ملابس الليبو إلا أنهم كانوا يلبسون بدلا من القميص قراب العورة، وكانوا يتخذون الريشة فوق الرأس، وكانوا يلونون أجسامهم، كما أنهم كانوا يتفقدون مع التحنو بأنهم يضعون غمدا جليديا على جانبهم⁽¹⁾.

أما بخصوص ملابس النساء فقد كانت من الجلد وأن شربات الزينة المتدلية من الدروع وهي ليست مصنوعة من جلد الثعابين، بل هي من الجلد، كما أن الإسم ذاته يدل على أن لباس تماثيل أثينا[المسماة بالأدى] وهذا الإسم إسم العذراء أو المتأهبة للزواج قد جاء من ليبيا، لأن النساء الليبيات يضعن على أثوابهن شربات من جلد الماعز خالية من الشعر وملونة بصباغ و اللون الأحمر، وهذا الصباغ مستخرج من نبات القوة وهو نبات صبغي يستخرج منه لون أحمر بين المعتدل والقاتم، ومن إسم هذه الجلود سمي الإغريق الدروع(ايغيس-إيجيس).

وقد لوحظ أن هنالك بعض النساء يرتدين نفس زي الرجال بالإضافة إلى سروال مثبت بحزام يصل إلى الركبتين ولكن دون ذيل، ومن عادات الليبيات إرتداء و لباس رداء طويل مشدود على أحد الأكتاف بحماله، بينهما يظل الكتف عاريا والظاهر أن هذا النوع من الأردية هو أساس الجرد الليبي الحالي الذي يعتقد البعض أنه روماني⁽²⁾.

وقد إختصت الأزياء في الفترة الرومانية للمنطقة بجملة من الخصائص أهمها الإستلهاج من الألبسة الإغريقية وإبتداعهم لرداء جديد، وإدخال عنصر التزيين بشكل جديد⁽³⁾، وقد تكونت الملابس في هذه الفترة من عدة أشكال وأنواع منها:

أ-1-1) لباس التونيك(Tunic):

ويعرف على أنه ثوب إغريقي روماني، ينقسم إلى عدة أنواع منها: قميص التونيك للعامة الذي كان يرتديه العامة من الشعب، ويسمى كذلك باسم بازيك تونيك(Basic Tunic) ويتميز باللون

⁽¹⁾ علي مؤمن إدريس مؤمن، العادات والتقاليد، المرجع السابق، ص 1395.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 1396-1395.

⁽³⁾ ستي صندوق، الثروة الحيوانية، المرجع السابق، ص 272.

الأبيض، يفصل بأكمام تصل إلى المرفق، كما يتميز بعدم تزيينه، وكان الحرفيون يرتدون قميص التونيك الذي يتناسب مع طبيعة عملهم الذي يتطلب مجهودا كبيرا، حيث كانت اليد اليمنى تسحب من الرداء تاركة الكتف عاريا⁽¹⁾، والنوع الآخر هو قميص التونيك للأباطرة والحكام، حيث إرتدائه الأباطرة بأنواع مختلفة، وأخذ كل نوع إسمه من التزيين الموضوع عليه كالأشرطة، ومن بين هذه الأنواع تونيك مزين بشريطين إرجوانيين، وهو خاص بكبار المسؤولين لمجلس الشيوخ وتونيك مزين بخيوط من الذهب على شكل فروع النخيل كان يلبس في مناسبات والإحتفالات والإنتصارات، ونوع آخر يفصل بأكمام قصيرة تصل إلى المرفق، وأشكال أخرى تفصل بأكمام تصل إلى المعصم يصنع من الصوف والقطن، يلبس في مناسبات الزواج⁽²⁾ (الملحق رقم 37 ص 349).

وقد أرتدته النساء داخل المنزل على الجسم مباشرة وعرف بالتونيك الداخلي أو الملاصق⁽³⁾ ويكون يصل إلى الركبة ويتم صناعته من الصوف واللونين البنفسجي والأحمر المفضلة لهذا الثوب، إلا أنه مع مرور الزمن أصبح يصنع من الكتان والقطن، وكانت المرأة التي تنتمي إلى الطبقة الأرستقراطية النبيلة تلبس التونيك المصنوع من الحرير، ثم تطورت خياطته ليكون طويلا حتى يصل إلى القدمين وله أكمام طويلة، ويزين بأشرطة ذات لون أرجواني وعرف بإسم تونيك تالاريس (Tunic Talaires) وأصبحت المرأة ترتديه في حفلات الزفاف⁽⁴⁾.

أ-1-2 لباس ستولا (Satola):

وهو عبارة عن فستان عريض طويل ذو قصة بسيطة جدا بأكمام عريضة يشد بحزام أسفل الثديين على نحو لباس الخادمة فوتيس (Fotis) الذي وصفه أبوليوس قائلا: "والتي كانت ترتدي قميصا نظيفا من الكتان تحزمت عليه بزئار أرجواني رفعته إلى ما تحت النهدة مباشرة"⁽⁵⁾، ويلبس تحته رداء آخر رفيع جدا دون أكمام، كما إرتدت المرأة رافعة النهدين المعروف باسم (Mamillarae)

⁽¹⁾ هالة محمد الفيتوري المصري، المرجع السابق، ص 122.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 122.

⁽³⁾ سلوى هنري جرجس، الأزياء الرومانية دراسة فنية وتطبيقية، (رسالة ماجستير في الاقتصاد المنزلي تخصص ملابس ونسيج)، جامعة حلوان، سوريا، 1982، ص 91.

⁽⁴⁾ عائشة أبو حجر، المرجع السابق، ص 52.

⁽⁵⁾ ستي صندوق، الثروة الحيوانية، المرجع السابق، ص 273-274.

أو (Strophium)، وهي عبارة عن شريط قماش رهيف جدا يتم لفه حول الثديين مثل ما هو ممثل بفسييفساء إكتشفت بعنابة⁽¹⁾، ويتم صناعته من الصوف ثم أصبح من الحرير⁽²⁾.

أ-1-3) الدلماسة (Dalmatica):

ومن المعروف إرتداه الرجال والنساء على السواء، حيث غزى هذا اللباس الإمبراطورية الرومانية خلال ق3م ومقاطعاتها، وقد أخذه الرومان عن شعوب أسيا الصغرى، وتمت صناعته من الصوف الدلماسي الأبيض، حيث كان يفضل اللون الطبيعي للقماش المنسوج منه، وهو عبارة عن ثوب طويل له أكمام واسعة، وفتحة الرقبة على هيئة قارب يزين بأشرطة تكون مزينة بأشغال الأسرة سواء على الأكمام أو الرداء⁽³⁾ (الملحق رقم 38 ص 350).

أ-1-4) لباس التوجا (Toga):

وهو عبارة عن عباءة صوفية بيضاء فضفاضة⁽⁴⁾، وهو رداء طويل يصنع من الصوف الأبيض الخشن، يرتديه طبقات المجتمع المختلفة ويميز الأشخاص حسب طبقاتهم في إرتداء التوجا من خلال الشرائط الملونة، و إستغنت المرأة عن إرتدائه بمرور الزمن، وذلك لصعوبة إرتدائها ومحاوله منها في إيجاد ثوب آخر أفضل يحل محلها⁽⁵⁾ (الملحق رقم 39 ص 350).

أ-1-5) لباس البالا (Palla):

وهي عبارة عن عباءة تلف حول الجسم، وتأخذ شكل المستطيل، وتغطي الرأس يتم تثبيتها على الصدر من جهة اليسار، ويستعمل الصوف في نسج البالا وتصنع بألوان زاهية، وقد ساد إستعمالها حتى القرن3م⁽⁶⁾.

(1) ستي صندوق، الثروة الحيوانية، المرجع السابق، ص 274.

(2) عائشة أبو حجر، المرجع السابق، 53.

(3) المرجع نفسه، ص 53.

(4) جمعة البشير محمد الحراري، المرجع السابق، ص 9.

(5) عائشة أبو حجر، المرجع السابق، ص 53-54.

(6) المرجع نفسه، ص 54.

أ-1-6) لباس البنولا (Ben ola):

وهو عبارة عن ثوب يكون مغلق من جميع الجهات، ويتميز بغطاء الرأس يستعمل في صناعته الصوف الخشن وأحيانا الجلد، وكانت الألوان التي تستخدم في صباغته هو الأسود والأحمر والبني، وكان يرتديه الرجال والنساء على السواء في فصل الشتاء وعند السفر، أما في الأحزان التي تصيب الأسرة نتيجة وفاة أحد أقاربها كانت المرأة ترتدي ثيابا ذات اللون الأسود⁽¹⁾.

أ-1-5) الباليوم (Pallium):

وهو عبارة عن سروال يمنح من يرتديه راحة وحرية أكبر في الحركة⁽²⁾.

أ-1-6) المشدات (Dorsets):

تستعمل في إبراز جمال الجسم في الوقت نفسه في إخفاء عيوبه، وقد إستعملت النساء عدة أنواع منه، ما يصنع من جلد الماعز ويعرف كاميسيا (Camais)، ونوع آخر يستخدم في شد الصدر يصنع من الجلد اللين العريض ويطلق عليه ستروفيوم (Struvium)، أما الفتاة تستعمل مشد أعرض من السابقات يسمى ماميلاي (Mamila)، وهناك نوع آخر من المشدات يلتف على الصدر ويصل إلى الخصر ويطلق عليه كيستوس (Kestos) وهو اسم يوناني⁽³⁾.

ب) الاحذية والقبعات:

المعروف أنه من عادة الليبيين إرتداء الأحذية وإن كانوا ظهروا في الآثار المصرية حفاة الأقدام، ولعله يرجع إلى إهمال من جانب الفنانين المصريين أو إبراز الليبيين بمظهر الذل والخضوع، ومن أهم الأدلة التي تثبت إستعمال الليبيين للأحذية، نصوص جدران معبد الكرنك التي سجلت إنتصارات مرنبتاح على الليبيين، حيث ذكرت أنهم تركوا ملابسهم ومتاعهم وأيضاً أحذيتهم، أما القبعات فقد كان إنتشارها في إطار ضيق بالرغم من أنهم كانوا يعرفون القبعة التي تغطي الرأس، إذ تظهر في صورة

⁽¹⁾ عائشة أبو حجر، المرجع السابق، ص 54.

⁽²⁾ ستي صندوق، الثروة الحيوانية، المرجع السابق، ص 273.

⁽³⁾ عائشة أبوحجر، المرجع السابق، ص 53.

مدينة (هابو) امرأة تلبس قبعة على رأسها، وفي لوحة للملك تحتمس الرابع (1401-1391 ق.م) يظهر رجل يلبسها أيضا⁽¹⁾.

ب-1) القبعات (غطاء الرأس):

كانت النساء-خلال العهد الروماني- يضعن على رؤوسهن التيجان والأكاليل المرصعة بالجواهر والياقوت والزمرد والعقيق⁽²⁾، وكذلك أكاليل هلالية الشكل تلبس فوق الجبهة مباشرة وتصنع من الذهب والفضة، أما صغيرات السن فكن يلبسن أكاليل من الزهور والشبك الذهبي المزين بالالآئ والجواهر، وكن كذلك يلبسن الطرحة سواء كانت صغيرة أو كبيرة وذات ثنایا حول الرأس والأكتاف، كما كن يستعملن أحيانا العباءة كغطاء للرأس⁽³⁾.

وقد ظهرت بعض أغطية الرأس على شكل قلنسوة في منحوتات مدينة قرزة، وإكتشفت في مقبرة مترا مدينة أويا رسوم وصور لسيدة تدعى (اليسا اريسوت)، وهي ترتدي رداء يغطي جسمها عليه شال أبيض اللون تحته عباءة والرأس مغطى بغطاء أبيض⁽⁴⁾.

ب-2) الأحذية:

كان الحذاء متنوع الأشكال ومتعدد الألوان يستعمل في صناعته مواد مستخدمة سواء للنساء أو الرجال، كما تميزت الأحذية حسب الأشخاص وطبقاتهم الإجتماعية، حيث قسمت إلى أحذية رجالية تخص العامة من الناس منها حذاء كلكاس (Calcase) المصنوع من الجلد الخفيف ويتنعله الرجال والنساء دون العبيد، أما الفقراء فقد إنتعلوا أحذية مجذولة من الكتان⁽⁵⁾.

وقد زين النساء أحذيتهم بالذهب ومشغولات الالآئ، مع أنها في الأصل بسيطة جدا في خطوطها، وكانوا يميلون إلى التجول بأقدام عارية لاسيما المرأة وكانت تفضل الأحذية ذات اللون الأبيض مقفولة أو حمراء، خضراء، صفراء، ذات رقبة طويلة من الجلد الرقيق عليها أشكال من

⁽¹⁾ علي مؤمن إدريس مؤمن، العادات والتقاليد، المرجع السابق، ص 1396.

⁽²⁾ إيناس فتوح عبد الرحيم، القيم الجمالية للأزياء في التصوير الجداري الروماني (من القرن الثاني ق.م الى القرن الرابع الميلادي)، "دراسة مقارنة"، (أطروحة دكتوراه في الاقتصاد المنزلي قسم الملابس والنسيج)، جامعة حلوان، 2006، ص 56.

⁽³⁾ إيناس فتوح عبد الرحيم، المرجع السابق، ص 56.

⁽⁴⁾ هالة محمد الفيتوري المصري، المرجع السابق، ص 124.

⁽⁵⁾ المرجع نفسه، ص 124 - 125.

التطريز، وفي بعض الأحوال تربط بشريط رفيع من الحرير الملون، وكان الحذاء الأكثر شيوعا هو حذاء بدائي يسمى كربتينا (Carbatine) وهو مصنوع من قطعة من جلد الثور تلف حول القدم ويوضع على مشط القدم⁽¹⁾ (الملحق رقم 40 ص 351).

ج) الحلاقة وتصفيف الشعر:

كانت أولى الإشارات على عادة تصفيف الشعر عند قدماء الليبيين تعود إلى عهد ما قبل الأسرات ،وبالتحديد في الألف الرابع قبل الميلاد، حيث كشف عن مقبض سكين من العاج-بجبل العركي-نقش على أحد وجهيه رجالا لهم خصلة من الشعر تنسدل على جانب الرأس والصدر⁽²⁾.

والظاهر أن الليبيين قد إهتموا بتصفيف شعورهم ولحاهم التي كانت تنتهي بطرف مدبب، أما النساء فكن يهتمن بالزينة وتسريحات الشعر، وذلك بتصفيف شعورهن بطرق مختلفة، فالبعض منهن كن يقمن بوضع خصلات كبيرة أو كتل متموجة، وكانت النساء تمشط شعورهن في شكل جدائل مسترسلة فوق ظهورهن، وكانت من بين التسريحات السائدة خلال العصر الروماني أن يفرق الشعر إلى جزأين ويشد للخلف، ثم يجعد كل قسم بتجديدات خفيفة ويعقد من الخلف ويلف حول العنق⁽³⁾.

وتثبت الشواهد الأثرية التي عثر عليها في إقليم المدن الثلاث (ليبيا) على إنتشار وسائل الزينة حيث عثر على بقايا تماثيل لإحدى النساء يظهر من خلال الجزء المتبقي من الرأس إحدى تسريحات الشعر، من المرجح أنها تعود إلى فترة حكم سبتيموس سيفيروس، وهذه البقايا وجدت في منطقة صبراتة، وقد إستخدمتها الإمبراطورة جوليا دومنا وجوليا ميسا والدليل على إستخدام هذه التسريحة هو ظهورها على العملة عامي (180-222م)، وقد عثر في وادي العمود على نقش يمثل امرأة صفت شعرها على شكل سلسلة من الدوائر⁽⁴⁾.

وقد قامت المرأة خلال العصر الإمبراطوري بإستعمال مصفف الشعر لعمل الفورمات بغرض تثبيت ضفائر الشعر، وكذلك إرتدت الشعر المستعار المتمثل في الباروكات حول الرأس على هيئة قبة لكي تخفي عيوب الشعر القصير، كما إستعملن الأصباغ في تلوين الشعر مثل الأصفر والأشقر

⁽¹⁾ إيناس فتوح عبد الرحيم، المرجع السابق، ص 56-57.

⁽²⁾ علي مؤمن إدريس مؤمن، العادات والتقاليد، المرجع السابق، ص 1397.

⁽³⁾ هالة محمد الفيتوري المصري، المرجع السابق، ص 125-126.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه، ص 126.

والأحمر، وذلك بإستخدام دهن الماعز والرماد المتبقي من خشب الزان ،بالإضافة إلى إستعمال الأمشاط والمرايا والدبابيس والمشابك ومكاوي الشعر⁽¹⁾. (الملحق رقم 41 ص352)

د)الحلي والمجوهرات:

بطبيعة الحال كانت الحلي جزءا لا يتجزء من مقتنيات المرأة كالأقراط ،والأساور ،الخواتم ومشابك الصدر والرأس ،والتماثم والعقود والدبابيس، والأكاليل والبروشات ،وجميعها تصنع من المعادن والأحجار الكريمة والعاج⁽²⁾.

كما أمدتنا النقوش المصرية أن الليبيين القدماء كانوا يتحلون بريشة أو ريشتين ويتحلون بذيل ،وبعض القبائل كانوا رجالها يتزينون بتلوين أجسامهم باللون القرميزي، كما كان الحال لأفراد قبيلة الجيزانتس (Gyzants)⁽³⁾.

ومن هذه الأدوات:

د-1)الأساور:

كان من عادات الليبيين ارتداء الأساور حيث ظهرها في نقوش الملك سحورع ،ونقوش مدينة هابو بعض الليبيين والليبيات يتحلون بالأساور.

د-2)الخلاخيل:

أثبتت المصادر المصرية أن عادات القبائل الليبية استخدام الخلاخيل للزينة وأن نقوش الملك (تحتمس الرابع) أظهرت أحد أفراد قبيلة الليبو يتزين بخلخال في أعلى قدمه اليمنى، هذا وتواصل إستعمال الخلاخيل في العهد الإغريقي ،حيث ذكر هيرودوت أن نساء قبائل الأدورماخيدي كن يرتدين حلقات برونزية حول كلتا الساقين.⁽⁴⁾

⁽¹⁾عائشة أبو حجر، المرجع السابق، ص55.

⁽²⁾المرجع نفسه، ص57.

⁽³⁾علي مؤمن إدريس مؤمن، العادات والتقاليد، المرجع السابق، ص1399.

⁽⁴⁾المرجع نفسه، ص ص1399-1400.

د-3) الدبابيس:

كانت من الأدوات التي إستعملت من قبل النساء الليبات في الزينة ،وهي بمثابة تثبيت للملابس على الأكتاف ،حيث كشف في مدينة توجيرا على دبوس برونزي مخروطي الشكل يشبه الإبرة، وينتهي بقمة مدببة لتثبيت الثوب المسمى الخيتون ،وأیضا بیلوس حيث تؤرخ بالقرن 4ق.م⁽¹⁾.

د-4) القلائد والعقود:

كانت القلائد من أدوات الزينة إلى جانب الأساور والخلاخيل ،والتي تظهر في عدة مقابر، حيث عثر في مقابر باب بن غشير على مجموعة من القلائد مصنوعة من البرونز والنحاس ،وكذلك عثر في مقابر جنزور بمدينة أويا على مجموعة من القلائد التي كانت تصنع من العاج أو بعض الأصناف البحرية⁽²⁾.

د-5) الخواتم:

من أدوات الزينة التي إستعملتها النساء، إذ عثر على مجموعة من خواتم في مقابر جنزور ،وأیضا بالقرب من مدينة لبدّة وهي معروضة بمتحف لبدّة⁽³⁾، وكانت المرأة التي تتحلى بالأناقة تملأ أصابع يديها بالخواتم الثمينة ولكي يحد من إستعملها للحلي صدر قانون يمنع المرأة العزباء من لبس المجوهرات الثمينة ذات الأحجار الكريمة⁽⁴⁾ (الملحق رقم 42 ص 352).

بالإضافة إلى إستعمال المقصاة لقص الشعر وتصفيفه، وأیضا الملاقط لتنظيف وتجميل الحواجب، والمكاحل ،وكذلك المساحيق التجميلية تصنع من مواد طبيعية مثل حبوب الشعير والقمح والحليب التي تستعمله في الإستحمام⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ علي مؤمن إدريس مؤمن، العادات والتقاليد، المرجع السابق، ص 1399 - 1400.

⁽²⁾ هالة محمد الفيتوري المصري، المرجع السابق، ص 127.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص 127.

⁽⁴⁾ عائشة أبو حجر، المرجع السابق، ص 57.

⁽⁵⁾ المرجع نفسه، ص 57 - 58.

هـ) الوشم:

يعد الوشم ظاهرة إنسانية عرفتها الشعوب ومارستها بأشكال متعددة منذ القدم، ويعتبر سكان شمال إفريقيا من أهم الشعوب التي مارست الوشم بالأخص النساء، حيث مازالت الكثيرات من كبيرات السن يحتفظن بوشوم متعددة الأشكال على أجسادهن لها العديد من الأهداف والمعاني والدلالات⁽¹⁾.

ويعتبر الوشم من الظواهر الاجتماعية التي عرفتها الشعوب منذ عصور ما قبل التاريخ، وغالبا ما يتم ربط البدايات الأولى لظهور الوشم بالطوطمية، ولقد ظهر الوشم قبل الميلاد، وأول رسم لوشم معروف على جسم الإنسان يعود الى حوالي 6000 ق.م وجدت في رسوم الكهوف أوروبا وكان الرومان والاغريق يستعملونه في دمع العبيد، وهو يعتبر من أقدم العادات التي مارسها السومريون منذ مطلع التاريخ اذ كانوا يزينون أجسامهم بالوشم⁽²⁾.

وطبعا للوشم جذور تاريخية تمتد إلى عصور ما قبل التاريخ، فقد إعتبر بمثابة تعويذة ضد الأرواح الشريرة ووقاية من أضرار السحر، وقد عثر على جثث تعود إلى العصر النيوليتي، والتي تثبت الممارسات القديمة للوشم، ويرى بعض الباحثين أن زخرفة الجسد بالوشم خطوة إنتقل إليها الإنسان بعد أن عرف تزيين الجسد بالأصباغ والألوان المتعددة، والتي كانت تزول سريعا وللحفاظ على الأشكال المرسومة بالأصباغ وجد الإنسان في الوشم الحل المطلوب، لأنه يرافق الجسم مدى الحياة، وكانت وظيفة هذه الرسوم والألوان على جسد الإنسان في البداية لإخافة الأعداء من خلال مارسموه من صور ورمز وأشكال ذات أغراض سحرية⁽³⁾. (الملحق رقم 43 ص 353)

وقد كان للوشم أغراض و أهداف تجميلية إذ يضيفي الوشم على المرأة سمة الحسن والبهاء والجمال، لذلك تضعه الأنثى في مختلف أطراف جسمها، خاصة جهة الوجه، وبالضبط حينما تنقشه في الذقن والجبهة والأنف والخد والغرض من ذلك هو جذب الآخرين وإثارة إعجابهم كما هو حال كثير من النساء في الاطلس الكبير والمتوسط والصغير وجبال الريف وفي منطقة الطوارق، وفي كثير من

⁽¹⁾ عبد المجيد بوصلب، الوشم لدى المرأة بمنطقة جيحل أغراض ودلالات ورموز مقارنة سيميو-أنثروبولوجية، مجلة المعيار، مج.25، ع.04، جامعة العلوم الاسلامية الامير عبد القادر قسنطينة، الجزائر، 2021/6/15، ص721.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص726.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص ص726 - 727.

مناطق تامازغا، بمعنى أن الوشم هو نوع من الماكياج يستعمل عموما عند النساء من أجل التجميل والإثارة والإعجاب⁽¹⁾.

ويبدو أم المرأة أولت عناية كبيرة بمظهرها وجسدها فتنوعت ملابسها وحليها وزينتها، مما أكسبها قبولا داخل أسرتها والمجتمع.

VI-2-2 المرأة والعلم:

كان العلم والتعلم بالنسبة للمرأة المغاربية القديمة حلم مستحيل تحقيقه، فقد كان حكرا على الذكور فقط، عكس الإناث اللواتي يمكنهن في البيت وتعلم الأمور المنزلية إلى حين زواجهن في سن صغيرة، إلا أنه لا يمكن إنكار بروز بعض العناصر اللواتي تمكن من كسر القيود الأسرية ومزاولة دراستهن أو لكونها تنتمي إلى عائلة حاكمة أو أسرة نبيلة.

كان من واجب العائلات رسالهم لأطفالهم للمدارس في حال كانوا متوسطوا الحال، أما الأغنياء فيتلقون تعليمهم في منازلهم عن طريق المعلمين الخصوصيين⁽²⁾، أما الفتاة تقضى من عملية التعلم فكان من الواجب تعليمهن إدارة شؤون البيت والغزل والنسيج-فالدراصة حكرا على الأبناء الذكور فقط-⁽³⁾، لكن ذلك لم يعمم فحصلن بعض النساء على فرصة التعليم، فتحصلت منهن على شهادات حولتها أن تمارس بعض المهن كالطب المحاماة والتعليم⁽⁴⁾.

أ) المرأة واللغة والكتابة:

ويبدو من خلال العديد من الشواهد رسوخ الثقافة الفينيقية البونية لدى النساء أكثر من الرجال ويتجلى ذلك واضحا من بعض الإشارات في المصادر الكلاسيكية، ومن بعض النقوش الكتابية التي تعود للفترة الرومانية، فقد إضطر الإمبراطور سبتيموس ابن لبدة الكبرى لإعادته أخته

⁽¹⁾ جميل حمداوي، الوشم في الثقافة الأمازيغية، (د.ن)، ط.1، الجزائر، 2016، ص 19.

⁽²⁾ مصطفى توريرت و زاهية مضوي، المرجع السابق، ص 157.

⁽³⁾ لمياء علي محمد، المرجع السابق، ص 101.

⁽⁴⁾ عائشة أبو حجر، المرجع السابق، ص 35.

أوكتافيللا (Octavilla) إلى مدينة لبدة الكبرى محملة بالهدايا عند زيارتها له في روما منعاً للإحراج الذي سببته لكونها لا تتحدث إلا البونية⁽¹⁾.

لكن بعد إنتشار التعليم في روما-ومقاطعاتها- لم يعد مقتصرًا على الأولاد دون البنات ،بل سمح لهن بتعلم القراءة والكتابة إضافة إلى اللغة اليونانية واللاتينية تحت إشراف معلمين مختصين، حيث كانت الأسر الغنية تعهد بأبنائها سواء الذكور أو الإناث لمثل هؤلاء، أما الأسر الفقيرة فكانت ترسلهم إلى المدارس العامة التي أخذت تنتشر في أنحاء الإمبراطورية ومقاطعاتها ، وتقرر إرسال البنات بعد ذلك في سن السابعة تحت مراقبة وعناية من طرف مرافق لهن⁽²⁾.

ب) المرأة والفلسفة:

إستطاعت المرأة أن تبرز في مجال الفلسفة التي كانت من اختصاص الرجل أكثر شيء ولدينا من النماذج ما يثبت ذلك وعلى سبيل المثال المدعوة أريتي (Arête)، فمن هي هذه الفيلسوفة؟.

ب-1) أريتي (Arête):

ولدت بقورينة سنة 400 ق.م، وتوفيت بها سنة 340 ق.م⁽³⁾، وهي إبنة الفيلسوف أرسطوبس الكبير مؤسس مدرسة قورينا الفلسفية، تلقت الفلسفة على يد والدها، فتأثرت بأرائه المتعلقة بمذهب اللذة، وأريتي كلمة يونانية تعني الفضيلة، ولعل هذا الاسم يدل على مكانتها الفلسفية المتميزة، لكونها أول امرأة تدرس الفلسفة وتعلمها في قورينة⁽⁴⁾، فقد تولت مهام رئاسة المدرسة بعد وفاة والدها، وأخرجت ابنها فيلسوفًا كجده وإسمه أرسطوبس الأصغر، وبذلك أصبحت أريتي في تاريخ الفلسفة خلال عصورها الطويلة⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ محمد علي حسين الدراوي، المرأة البونية في منطقة المدن الثلاث من خلال النقوش الكتابية والمكتشفات الأثرية، مجلة لبدة الكبرى، مج.2، ع.2، 2017، ص184.

⁽²⁾ عائشة عيسى أبو حجر، المرجع السابق، ص80.

⁽³⁾ وفاء بوغراة، التعليم في بلاد المغرب القديم، مجلة الفكر، مج.2، ع.1، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2018/1/15، ص283.

⁽⁴⁾ محمد أحمد سالم، المرجع السابق، ص148.

⁽⁵⁾ حميدة عويدات القماطي، المرجع السابق، ص110.

كما أنها أول امرأة تلقت مشعل الحكمة من الأسلاف لتعهد به إلى الاخلافة⁽¹⁾، وقد ألفت أربتي نحو 40 كتابا، وكان لها أكثر من 110 من تلاميذ والأنصار من الفلاسفة⁽²⁾، وهذا ما جعل لها مكانة متميزة ومرموقة في المجتمع القوريني حيث نالت محبة الناس و إحترامهم لها⁽³⁾.

ج) المرأة والطب:

من المعروف أن الطب مرتبطا بوجود الأمراض والإصابات المختلفة التي يتعرض لها الإنسان في حياته اليومية، وكان الإنسان يستعمل الأعشاب والنباتات والأرطية في علاج أمراضه وتضميد جراحه، إلى جانب الإستعانة بالقوى الروحانية التي كان يتوود إليها بالرقى والسحر، وتعليق التمايم لعلها تشفي أسقامه وتحفظ بدنه من كل سوء قد يتعرض له⁽⁴⁾. فهل كان للمرأة دور في كل هذا؟.

لم ينحصر دور المرأة الليلية على الأمومة وخدمة الزوج والمحافظة على كيان أسرتها فقط، بل كانت تمارس مهنة الطب، فهذا هيروودوت يروي أن النساء كن يقمن بكلي الأطفال عند بلوغهم سن الرابعة، حماية لهم من نزلات البرد⁽⁵⁾. كما تمثل عملهن في مساعدة النساء أثناء الولادة كقبالات وربما إذا قامت بتوليد امرأة غنية فإن عائلتها ستغدق عليها بالمال والهدايا أحيانا⁽⁶⁾، وتشير الأدلة من فنون ورسوم صخرية على إحتمالية وجود عيادات للتوليد تتردد عليها النساء الحوامل عندما يأتيها المخاض، وهي عيادة مجهزة بطاولة للتوليد وقابلة⁽⁷⁾.

وربما كان الشعور بالقلق للنساء من أن يلمسهن أحد الرجال أثناء فحصهن، ومنع نظائره من الذكور من وضع عيونهن على الأعضاء التناسلية للإناث وراء الاعتماد على نساء متخصصات

(1) حميدة عويدات القماطي، المرجع السابق، ص 110.

(2) وفاء بوغراة، التعليم في بلاد، المرجع السابق، ص 283.

(3) محمد أحمد سالم، المرجع السابق، ص 148.

(4) المرجع نفسه، ص 154.

(5) نعيمة علي سليم البجباح، المرجع السابق، ص 5.

(6) عائشة عيسى أبوحجر، المرجع السابق، ص 35.

(7) زاهية مضوي، أسس رعاية الأطفال، المرجع السابق، ص 144 - 145.

للمساعدة خاصة في ولادة الطفل والأمراض النسائية، فكانت أعمالهن محاطة بالسرية والخرافات والتي تداولها الأجيال فيما بينها⁽¹⁾.

كما برعت في نشاط ضبط النسل لدى الكثير من النساء كالإجهاض بإستعمال السحر والأعشاب وغيرها من العقاقير، إلا أنها كانت تؤثر على صحة المرأة، وقد نبه رجال الدين المسيحيون أمثال القديس ترتليانوس إلى خطورة هذه الظاهرة⁽²⁾.

ومع التطورات التي حصلت أصبح فيما بعد هنالك شروط للإلتحاق بهذه الوظيفة، وهي التعليم الابتدائي الذي يمكنها من الرجوع النظري الذاكرة لإتقان المعرفة وحيوية العقل لمتابعة ما يقال بسهولة، العمل الجاد حتى تكون قادرة على مواجهة ما هو غير متوقع⁽³⁾.

بل وتعدى ذلك إلى تأليفها العديد من الكتب عن الإجهاض والتخلص من الجنين الذي إنتشر بين نساء الطبقة الأولى للمجتمع والعاهرات، وهذا يدل على الإجتهد الذي قامت به للوصول إلى العديد من النتائج التي مكنتها من تأليف هذه الكتب، التي أقبلت السيدات على إقتناعها، ولعل ذلك من أجل المحافظة على أجسامهن والتعرف على الطرق السلمية للإجهاض، أما العاهرات فهن محتاجات إليهن بغرض التخلص من الحمل غير الشرعي⁽⁴⁾.

(د) المرأة والمحاماة:

لقد تمكنت المرأة المتوسطة من فرض تواجدتها في العصور القديمة حتى في مجال الأعمال، بحيث وجدت بروما نساء مقاولات يملكن مؤسسات عمومية، وإهتمت أخرى بالنقل والتسلح أو بتموين روما أو بالقرض بالربا، كما كان لبعضهن مؤسسات بحرية بميناء أوستيا، وإذا ما حرم المرسوم الذي أصدره الإمبراطور سيبتيموس سيفيروس سنة 207م على المرأة ممارسة مهنة المحاماة للدفاع عن موكلها وحصرها في حالة الدفاع عن مصالحها⁽⁵⁾.

(1) صونية صغور، المرجع السابق، ص 144.

(2) جمعة البشير محمد الحراري، المرجع السابق، ص 207.

(3) صونية صغور، المرجع السابق، ص 144.

(4) عائشة عيسى أبوحجر، المرجع السابق، ص 81.

(5) خديجة منصوري، أصناف النساء، المرجع السابق، ص 279 - 280.

فإن ذلك لم يمنع ظهور بعض النساء في هذا المجال نذكر على سبيل المثال هورتانسية (Hortensia) التي دافعت عن نساء روما- ومقاطعاتها- الطالبات بضريبة ثقيلة ونجحت في إعفائهن من حصة كبيرة من الضرائب المفروضة عليهن⁽¹⁾.

VI-2-3 المرأة والفن:

وقد تنوعت الوظائف الفنية للمرأة بين عزف وغناء ورقص ومسرح وتمثيل سنستعرضها كآتي:

أ) الموسيقى (عزف وغناء) والرقص:

تعتبر الموسيقى من أهم الفنون التي مارسها قدماء الليبيين حيث مارسها الرجال والنساء على حد سواء، فقد تم الكشف عن لوحة في جبال الطاسيلي تظهر عليها سيدتان متقابلتين في وضع الجلوس وتبادلات الدق بعصي معدة لهذا الغرض، كما إشتهرت الليبيات بالغناء متعدد الألحان والأوزان⁽²⁾.

وهيرودوت يذكر أن النساء الليبيات قد عرفن الزغاريد منذ القدم، وذلك عندما تناول موضوع الصرخات التي تطلقها النساء الليبيات فيصفها بأنها: نوع من الصراخ لا ينقصه شيء من الحلاوة⁽³⁾، كما أشار إلى صيحات الفرح في الإحتفالات الدينية قد سمعت هنا لأول مرة، لأن ذلك من عادة النساء الليبيات وهن يؤدين ذلك بشكل جيد، ويحتمل أن تكون هذه الصيحات هي الزغاريد المصاحبة للغناء⁽⁴⁾.

وقد كان الصوت في غاية الروعة والطرب، وهذا يدل على أنهن كن يمارسن الغناء ويطربن المستمعين⁽⁵⁾، ودلت المكتشفات الأثرية على أن النساء في الحضارات القديمة كن يمارسن مهنة العزف العزف والغناء والرقص، وكان منهن أعداد كبيرة في قصور الملوك والنبلاء⁽⁶⁾، فعلى سبيل المثال: كانت كانت تقام للأعراس والولادات الخاصة بالعائلات الارستقراطية حفلات الحافلة بالموسيقى والرقص

⁽¹⁾ خديجة منصوري، أصناف النساء، المرجع السابق، ص 280.

⁽²⁾ خالد آدم أحميدة جاب الله، المرجع السابق، ص 106.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص 107.

⁽⁴⁾ علي مؤمن إدريس مؤمن، المظاهر الحضارية، المرجع السابق، ص 10.

⁽⁵⁾ حميدة عويدات القماطي، المرجع السابق، ص 116-142.

⁽⁶⁾ خالد آدم جاب الله، المرجع السابق، ص 107.

والشعر وكانت صوفونيزب موسيقية جيدة، كما كانت المحظيات يتكلفن باللعب على القيتارة والناي⁽¹⁾، ومما يجدر الإشارة له أن زوجة الملك بوغود أنووي كانت عازفة ولها فرقة من العازفات على الناي تأجرها في الحفلات التي كان يقيمها السادة في الحفلات⁽²⁾، بل وعرف نوع آخر من العزف لدى النساء أو ما يطلق عليهن النائحات حيث يتم إستئجارهن لكي يندبن ويكفين بأصوات عالية ويرددن محاسن المتوفى أثناء الموكب الجنائزي⁽³⁾.

طبعا تعتبر الموسيقى ذلك الفن الجميل من الموضوعات الطريفة في دراسة الحضارة فهي أحد مظاهرها، ولا يمكن دراسة الموسيقى بمعزل عن الجوانب الحضارية الأخرى في المجتمع⁽⁴⁾، ولا يسمح بدراسة موهبة المرأة الموسيقية في الإمبراطورية الرومانية بمعزل عن وضعها الاجتماعي الذي أتاح لها فرصة إظهار هذه الموهبة⁽⁵⁾، فتحررها من القيود والأغلال التي كانت تربطها بالبيت والأسرة جعلها أكثر حرصا في المشاركة في الحياة العامة، كالخروج للعروض المسرحية والسيرك والإحتفالات بكل أنواعها⁽⁶⁾.

وتعتبر المسارح من أهم الأماكن التي كانت تتواجد بها الجماهير للإستماع إلى الموسيقى، حيث تعرض في المسرح عدة أعمال فنية غنائية موسيقية، وتشمل العروض التي تقوم على تقديم الأعمال الدرامية، وكانت أنغام الموسيقى تشكل جزءا من الدراما، إذ لا يمكن أداء اللوحات الراقصة دون مصاحبة موسيقية⁽⁷⁾.

ويقول أبوليوس المدوري واصفا لأحداث مسرحية: "إستهل الحفل بعدد من الصبيان والصبايا الملاح في ثياب فاخرة يخطون باعتزاز من وثبة الرقص الإغريقي البوري البديع، تندمج أحيانا مجموعات مختلفة من الراقصين في الحفلة ثم تخرج منها، وأحيانا تشتبك أيديهم جميعا، ويرقصون جنبا

⁽¹⁾ بنت النبي مقدم، المظاهر الاجتماعية للأسرة، المرجع السابق، ص 41.

⁽²⁾ خديجة منصوري، أصناف النساء، المرجع السابق، ص ص 277 - 278.

⁽³⁾ عائشة عيسى أبو حجر، المرجع السابق، ص 35.

⁽⁴⁾ ماجدة النويصي، المرأة والموسيقى، المرجع السابق، ص 1.

⁽⁵⁾ المرجع نفسه، ص 2.

⁽⁶⁾ المرجع نفسه، ص ص 3 - 4.

⁽⁷⁾ هالة محمد الفيتوري المصري، المرجع السابق، ص 133.

إلى جنب على المسرح...وأحيانا أخرى ينفصل الجنسان بغتة ويفترق الصبيان والصبايا عن بعضهما، ثم نفخ في البوق إيدانا بالانسحاب وعلامة انتهاء حركات الرقص المعقدة هذه...⁽¹⁾.

(ب) التمثيل:

وقد إشتغلت النساء في دور التمثيل حيث كان هناك فرق متجولة تتكون من الرجال والنساء يقدمون مسرحياتهم داخل وخارج روما⁽²⁾.

كان الممثلون في البدايات الأولى للمسرح يأتون من أتوريا، وبعدها إكتسبت الإمبراطورية الرومانية ممثليها لكنهم كانوا كلهم عبيدا أو معتوقين-من مقاطعاتها- وتمكن النساء في المشاركة في التمثيلات منذ العهد الإمبراطوري⁽³⁾.

ورغم إحتقار الممثلين إجتماعيا فإن بعضهم عرف نجاحا باهرا خاصة النساء⁽⁴⁾، وبإنفصال الغناء عن التمثيل ظهرت الإيمائية (Pantomime) بالقناع واللباس الخاصين بها، وكانت تعالج مواضيع مضحكة أو جدية أو أسطورية أو حقيقية، وتمكنت الممثلة الإيمائية أُنتحصل على إعجاب الجمهور الروماني، وحتى في الولايات مثل إفريقيا تمكنت أن تحافظ على مكانها في المسرح إلى غاية نهاية الإمبراطورية⁽⁵⁾.

مما يجدر الإشارة له لم تكن المرأة ممثلة فحسب، بل شاركت في المشاهدة لمختلف العروض، حيث يدخلون المتفرجون إلى المسرح عبر المدخلين المجاورين للمنصة، حيث يقودهم عمال المسرح (Design tores) إلى المقاعد، ويجلس كل متفرج في المكان الخاص به وكل حسب مكانته

⁽¹⁾ هالة محمد الفيتوري المصري، المرجع السابق، ص 133. وينظر كذلك: لوكيوس أبوليوس، تحولات الحمار الذهبي، تر: علي فهمي خشيم، منشورات المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان، طرابلس، 1980، ص 317.

⁽²⁾ عائشة عيسى أبو حجر، المرجع السابق، ص 35.

⁽³⁾ غالية نصاح، مظاهر الترفيه في مقاطعات إفريقيا الرومانية من خلال عروض المسرح (27ق.م-429م)، مجلة الحكمة للدراسات

التاريخية، مج.6، ع.4، مؤسسة الحكمة، الجزائر، ديسمبر 2018، ص 160.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه، ص 162.

⁽⁵⁾ المرجع نفسه، ص ص 165 - 166..

الإجتماعية ،بينما النساء عزلن عن الرجال حيث أجلسن في المقاعد العليا للمسرح ويتقاسمن هذه المقاعد مع العمال والعبيد الذين لا يرتدون اللباس الرسمي الخاص بالمناسبات⁽¹⁾.

ومع ذلك صنفت المرأة التي تنتمي إلى صنف الراقصات والكوميديات والممثلات والموسيقيات، إلى المهن التي لم تشرف صاحبته، ومما يعرف في هذا المجال أن الإمبراطور غراتيانوس (Gratianus) حاول إقناع النساء المسيحيات اللواتي يمارسن التمثيل الهزلي وبناتهن بالتخلي عن هذه المهنة، ثم أصدر الإمبراطور ثيودوزيوس سنة 385م مرسوما حرم بموجبه شراء وتكوين الفرق العازفات على القيتار، كما منعهن من الظهور في الحفلات والألعاب مثلما حرم وجود الموسيقيات ضمن العبيد، وصنفت إلى امرأة التي تمارس الدعارة من تقم بمثل هذه المهن⁽²⁾.

إن الحياة الإجتماعية في أي مدينة لا تكتمل إلا بوجود مرافق ترفيهية تأتي الحمامات على رأسها، فقد كانت مقصدا للترفيه وممارسة الألعاب الرياضية⁽³⁾.

زوال المرأة عدة مهام فنية كالغناء، والرقص، والتمثيل رغم معارضة المجتمع لذلك، لكن تمكنت أن تفرض موهبتها بغزوها المسارح والحمامات.

VI-2-4) المرأة والرياضة:

يعد النشاط البدني الرياضي مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية، فقد كان الإنسان البدائي يمارسه بشكل عفوي غير مقصود، الغرض منه الحاجة لتنمية البدن لمواجهة المصاعب أي تواصله في البقاء، فالركض وراء الغاية منه العلاج، وإصطبغ النشاط البدني الرياضي بالطابع الديني والعسكري أيضا⁽⁴⁾. فما دور المرأة في ذلك؟.

(1) غالية نصاح، المرجع السابق، ص 159 - 160.

(2) خديجة منصوري، أصناف النساء، المرجع السابق، ص 189.

(3) هالة محمد الفيتوري المصري، المرجع السابق، ص 136.

(4) السعيد يحيوي، تطور النشاط البدني الرياضي في العصور القديمة، مجلة التحدي، مج. 2، ع. 1، جامعة العربي بن المهدي أم البواقي، الجزائر، 2010، ص 91.

أ) المرأة والفروسية:

لقد أكدت النقوش الصخرية المكتشفة أن المرأة تمكنت من إستخدام العربة يجرها الخيول في كل من منطقة الطاسيلي وأجرت وغيرها والتي يعود تاريخ استعمالها إلى مرحلة الفرس (الحصان) (1).

وتناقلت الروايات حول إستخدام سكان المنطقة (المغرب القديم) للعربة، فقد أشارت المصادر إلى ذلك منذ ق4 ق.م، وأيضا أشار الشاعر سيليكوس الإيطالي بدوره لذلك أثناء حديثه على حملة القائد القرطاجي حنبعل على اسبانيا حوالي 214 ق.م إلى محاربين ليبيين يستخدمون العربات للقتال (2).

كما نستخلص من المعلومات الأثرية إستخدام المرأة الليبية للعربات الحربية كوسيلة للتنقل، لكن السؤال المطروح ترى مالظرية التاريخية التي أجبرت على المرأة في بلاد المغرب القديم على إستخدام العربة منذ الفترات الماقبل التاريخية (3).

وإن الكثير من الصور النمطية الضاربة في القدم تشهد على إستخدام المرأة للخيول سواء في الرسوم الصخرية أو في مؤلفات الكتاب والشعراء القدماء، والظاهر أن الفرس لعب دورا مهما في الحياة اليومية للإنسان منذ الفترات ما قبل التاريخية (4) (الملحق رقم 44 ص354).

وقد برعت الملكات في ركوب الخيل منذ العهد الأسطوري ذلك العهد الغامض الذي جعل من ليبيا (بلاد المغرب القديم) مرتعا للحكايات متشعبة تتشابك في حبك أحداثها أبطال وآلهة وشخصيات خرافية أو نصف أدامية، نسجت علاقاتها مع شخصيات حقيقية طغى عليها السلم أحيانا والصراع أحيانا أخرى وتخبنا المصادر أن ابنة البطل الليبي أنطي (Antée) كانت تشترك في سباقات الخيل كفارسة متمرسة، وتكون جيش الأمازونة ميرينا من فيلق الفارسات ضم عشرون ألف فارسة ماهرة، وكذلك شهرة ميدوزا في ركوب الفرس (5).

(1) نضار الأندلسي، شخصيات نسائية، المرجع السابق، ص78.

(2) المرجع نفسه، ص ص78-79.

(3) المرجع نفسه، ص79.

(4) المرجع نفسه، ص80.

(5) المرجع نفسه، ص83.

وعرفت أسبوتي كفارسة ماهرة تعودت على العيش في الأدغال وملاحقة الحيوانات الضاربة تنسج شباكها بمهارة⁽¹⁾، إلى جانب ذلك فهي تقود جيشها بفخر وهي ممتطية صهوة فرسها، أما رفيقاتها فبعضهن تقود عربة جرها فرسين والأخريات تمتطي الخيول⁽²⁾.

ويصف لنا فرجيل كيف كانت ديدون(عليسا) تمتطي حصانها ذو السرج المزركش بالمرجان وحيوط الذهب عند تأهبها لرحلة القنص، والظاهر أنه في هذه الفترة تغير مجال إستخدام الخيل لدى الملكات من الميدان الحربي إلى ممارسة القنص، عندما تنعم الملكة بالسلم والرفاهية نظرا للمكانة التي إحتلتها في الحوض المتوسطي حينها إستعملت الخيل كوسيلة لممارسة هواية القنص⁽³⁾.

ب) المرأة وسباق العدو:

أصبحت الألعاب الأولمبية منذ عام 572 ق.م بإشراف مدينة أليس تبدأ بإعلان إلى جميع مدن الإغريق بداية السلم المقدس، فترسل المدن وفودها للاشتراك في الألعاب، وكانت أهم الألعاب التي يتبارى فيها المتسابقون هي الجري، الوثب، رمي القرص والرمح والمصارعة وسباق العربات⁽⁴⁾.

وقد منعن أن السيدات من المشاركة في الألعاب والمهرجانات، بل إنهن منعهن حتى من المشاهدة بإستثناء كاهنة الربة ديمترا، وقد تواصل الأمر على ذلك حتى عام 632 ق.م، حين عقدت لأول مرة مسابقات للفتيات، صارت من بعدها تعقد كل أربع سنوات في ملعب أولمبيا، وكانت هذه الدورة تقام على شرف الربة هيرا⁽⁵⁾.

وكانت هذه المسابقات تقسم فهن الفتيات إلى 3 مجموعات طبقا لأعمارهن، وكل مجموعة تتسابق فيما بينها على حدة، المجموعة الأولى للأطفال والثانية للمراهقات والأخيرة للشابات، وكانت المسافة حوالي 28-32 مترا، وكانت الفتيات يلبسن الزي الخاص، تاركات الكتف اليمنى مكشوفة

⁽¹⁾ نضار الأندلسي، شخصيات نسائية، المرجع السابق، ص 82-83.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 83.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص 84.

⁽⁴⁾ عبد النور العمري، التاريخ الرياضي ودوره السلمي عبر العصور، مجلة دراسات تاريخية، مج 5، ع 1، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمية، الجزائر، 2017/2/2، ص 83.

⁽⁵⁾ صفاء محمد ابراهيم الجبالي، الرياضة في إقليم كيريناكي في العصر الإغريقي (631-96 ق.م) من خلال دراسة البقايا الأثرية الدالة عليها (دراسة تحليلية وصفية)، (رسالة ماجستير في الآثار)، جامعة قارونس، ليبيا، 2010، ص 40، 41.

وكانت الفتاة التي تحقق النصر تتوج بفرع من أغصان الزيتون ،وتأكل كذلك جزء من البقرة المقدمة كقربان للآلهة هيرا ،وكانت تنحت لها صورة شخصية وتوضع في معبد الآلهة⁽¹⁾.

ج) المرأة والمصارعة:

لقد إنتشرت خلال ق5ق.م مظاهر إجتماعية بين قسم من القبائل الليبية،حيث إمتزجت فيها التسلية ببعض الطقوس الدينية، وهي المظاهر التي ورد ذكرها عند هيرودوت ،وكان أبطالها نسوة قبيلتي المخليس والأوسيس"أنه خلال الحفل السنوي يقام للربة أثينا تنقسم عذارهم فريقين يحارب أحدهما الآخر بالحجارة والهرافات"⁽²⁾، ومن هنا كانت الإنطلاقة للمرأة ولألعاب المصارعة في بلاد المغرب القديم.

لقد دلت المصادر الأدبية على وجود نساء يمارسن المصارعة لكن من الصعب معرفة ما إذا كان همهم المال أو حب المجد أو التشبه بالمصارعين الذكور، ففي سنة19م تدخل عضو مجلس الشيوخ وإعترف ضمينا أن النساء من الرتب الدنيا يمكنهن أن يمارسن المصارعة ،لكن تم حضرها صراحة على ذكور وإناث طبقة الفرسان وأعضاء مجلس الشيوخ، والظاهر أن هذه الممارسات كانت بشكل خاص في عهد نيرون ودوميتيان وهو أمر لا يثير الدهشة إذا عرفنا أذواق هؤلاء الأباطرة⁽³⁾.

وقد ذكرت بعض المصادر الرومانية مشاركة النساء في ألعاب المجالدة(المصارعة) منذ عهد الإمبراطور نيرون(Néron)(15ديسمبر37-9يونيو68م)، ولم تكن الجوارى والسبايا من غنائم الحروب ،أو نساء طبقات الدنيا فقط ممن يسمح لهن بالمشاركة في المجالدة، بل تطور الأمر أن شاركت أعداد من نساء الطبقات الراقية جنبا إلى جنب مع الخادومات والإماء منذ عام63ق.م⁽⁴⁾.

⁽¹⁾صفاء محمد ابراهيم الجبالي، المرجع السابق، ص41.

⁽²⁾رضا بن علال، طقوس عبادة الربة تانيت عند قبيلتي المخليس والأوسيس وانعكاسها على ممارسة المصارعة الرومانية في المغرب القديم، مجلة الباحث، مج.7، ع.7، المدرسة العليا للاساتذة بوزريعة، الجزائر،2013، ص ص182، 183.

⁽³⁾صونية صغور، المرجع السابق، ص144.

⁽⁴⁾محمد نصر منصور رشوان، دراسة لمباني المجالدة الرومانية في شمال إفريقيا(دراسة معمارية فنية)، (رسالة ماجستير في الآثار والدراسات اليونانية والرومانية)، جامعة دمنهور، مصر، 2021، ص34.

وقد أقيمت في عام 66م حلبة القتال على شرف ملك أرمينيا الملك ترايداتيس الأول (Tiridates I)، حيث زج بالنساء الأثيوبيات داخل حلبة القتال⁽¹⁾، كما أجبر الإمبراطور نيرون بعض زوجات رجال مجلس الشيوخ دخول حلبة المجالدة ولم يعرف هل تم أجبرهن على خوض القتال في الحلبة أم لا؟، وقد حذب الإمبراطور دوميتيان (81-96م) وجود مجالدة الأقزام من النساء في حلبات القتال، وكن يقاتلن دون الخوذات عاريات الصدور⁽²⁾.

كما ذكرت المصادر أن الإمبراطور تيتوس (79-81م) شاركت في عهده النساء المجالدات في صراع ضد الحيوانات⁽³⁾.

يمكن القول أنه بعدما تطور المسرح وحاز على جمهور كبير بدأ الإبداع الأدبي يتجعد وتتوجه مواضيعه نحو الفسق، كما اتسمت أخلاق الممثلات والراقصات بالانحلال مثل راقصات مدينة قادس، كما يوجد فسيفساء في قرطاجة من ق4م تبين لنا هذا الانحلال الاخلاقي، حيث نرى فيه راقصتين ومأدبة عشاء، وعادة ما ينتهي هذا العشاء بالأفعال المخلة بالآداب بين الضيوف والراقصات⁽⁴⁾.

وأيضاً استعملت النساء في حلبات المصارعة ليست لأجل القتال وإنما للترفيه⁽⁵⁾، خاصة عند طلب الجمهور للدعارة والتهيج الجنسي جعل القائمين على هذا النوع من الألعاب يقدمون-أحيانا- النساء إلى الحمير المتوحشة⁽⁶⁾، إلا أنه في عام 200م أصدر سبتيموس سيفيروس مرسوم يقتضي التخلي عن المجالدة النسائية⁽⁷⁾.

أدت المرأة دوراً دينياً وحربياً وعسكرياً وترفيهياً في المجال البدني والرياضي، وقد استطاعت أن تزاحم الرجل في النشاطات البدنية والمسابقات الرياضية من عدو ومضامير الجري و جر العربات

(1) محمد نصر منصور رشوان، المرجع السابق، ص 34-35.

(2) المرجع نفسه، ص 34-35.

(3) المرجع نفسه، ص 35.

(4) غالية نصاح، المرجع السابق، ص 170.

(5) محمد نصر منصور رشوان، المرجع السابق، ص 36.

(6) رضا بن علال، ألعاب الصيد ومبارزة الحيوانات المجسدة على مواد مختلفة في المغرب القديم، مجلة الاتحاد العام للآثارين العرب،

مج. 9، ع. 9، المجلس العربي للدراسات العليا والبحث العلمي، اتحاد الجامعات العربية، 2008، ص 42.

(7) محمد نصر منصور رشوان، المرجع السابق، ص 36.

والفروسية وركوب الخيل وممارسة المصارعة كل هذا جعل منها ركيزة لبناء المجتمع في بلاد المغرب القديم، لكن ذلك بقدر ما رفع من مقامها جعلها منحطة في أدنى مرتبة رغم الانجازات.

خاتمة

بعد إستعراضنا لمختلف الجوانب المتعلقة بموضوع المرأة في بلاد المغرب القديم منذ بداية العصور التاريخية إلى غاية نهاية الإحتلال الروماني، الذي هو عنوان أطروحة التي إشتغلنا عليها توصلنا إلى مجموعة من النتائج والإستنتاجات نصوغها في النقاط التالية:

أولى المجتمع المغاربي القديم أهمية كبيرة للزواج كنظام أساسي لتكوين أسرة، وفق شروط معينة تتمحور حول المرأة خاصة فيما يتعلق بسنها، و بكارتها، ونسبها، وجمالها، وكان للأب الحق في بيع ابنته مقابل مهر مقدم من طرف والد العريس، تتم الخطوبة في ظروف سرية بين أبوي المخطوبين دون علمهما إلا بأيام قبل موعد الزفاف، لا يتم الطلاق إلا في حالة عدم الإنجاب والعقم، وقد عرف المجتمع المغاربي القديم طقوسا معينة للزواج احتفالاً به حيث كانت تقام في وقت محدد مرتبط بالخصوبة، ويصاحب تلك الطقوس أنواعا من التقاليد كالرقص و الغناء وتقدم القرابين والصلاة، وقد عرف عن القبائل الليبية تطبيق نظام تعدد الزوجات والغاية منه الحصول على أكبر عدد من الأطفال الشرعيين لإعالة الأسرة والمجتمع، لم تختلف وضعية الأرامل عن المطلقات كان ينظر لهم نظرة الاشمئزاز والتنمر، بالرغم من إن المجتمع المغاربي القديم زواجي بامتياز إلا انه عرف ظاهرة المشاعة الجنسية أو ما يعرف بالبغاء المقدس حيث كانت المرأة ملك لجميع رجال القبيلة تارة وتارة أخرى ملك لملك أو زعيم القبيلة في ليلة عرسها.

عرف عن سكان المغرب القديم هوسهم بالإنجاب وذلك حسب ما أشارت إليه مختلف المصادر بشقيها الأثري و الأدبي، حيث اهتم سكان المغرب القديم بالأطفال الذكور على حساب الإناث التي لم تحظى بالاهتمام الوفير من طرف والديها ونهايتها الزواج في سن مبكر، يعد العقم خطرا يهدد كيان الأسرة وتفكيكها وكان مصير المرأة العقيمة الطلاق، فلقد كان الدافع والهدف الأساسي من الزواج هو إنجاب أكبر عدد من الأطفال الشرعيين لضمان النصل النقي و النسب الشريف، اتخاذ الخليلات أو ما يعرف بتعدد الزوجات الذي كان الهدف منه بالدرجة الأولى إنجاب الأولاد، خاصة الملوك حتى يتم النج بهم في المجال العسكري السياسي، رفض وجود فكرة التبني داخل الأسرة المغاربية إلا في حالات نادرة وتكون بين الأقربين فقط للحفاظ على الأصل والنسل والعرش، لا بد من وجود على الأقل طفلا واحدا داخل الأسرة خاصة التي لها عدد من الفتيات حتى يكون وريثا لها، وتمتع الطفل في بلاد المغرب القديم بعناية خاصة منذ ولادته وتسميته وتعليمه وعلاجه وحتى تزويجه، لكن عرف عن ممارستها للإجهاض والتخلص من الجنين خاصة عند جمهرة الأغنياء وطبقة العبيد.

تعتبر ظاهرة التضحية بالأطفال في شمال إفريقيا ظاهرة غريبة عن الأعراف المعتاد عليها إلا أنها تم تبنيها وتوريثها من القرطاجيين إلى السكان المحليين رغم ما تحمله في طياتها من قسوة وبشاعة تطمس كل ما كان يحظى به الطفل من اهتمام.

ممارسة المرأة لمختلف المهام المنزلية من طهي وخبز وحلب وسقاية وحياسة ونسيج وغزل والحرف الزجاجية والفخارية وغسيل وكنس وصناعة الأدوية ،ساهمت المرأة بشكل كبير في الصيد والرعي وتقدر مساعدتها للرجل في جلب الطرائد عن طريق التمويه بل شاركتها حتى في سفك الدماء والذبح. تعبر المرأة هي من أوجد الزراعة واهتدت إليها ،لكونها مكثت في البيت مدة طويلة في رعاية أطفالها مما جعلها توجد وتخترع الطرق الزراعية للمساهمة في سبل العيش ،كما تفننت في صناعة الفخار بمختلف أنواعه واختصت به المرأة الليبية المحلية، في المقابل عرفت عن المرأة القرطاجية براعتها في الغزل والنسيج،ساهمت الثروة والأراضي التي حصلت عليها المرأة خلال الفترة الرومانية في إقحامها للأسواق التجارية مع مشاركتها لزوجها في ذلك، كون الفتاة حرمت من الإرث في الأعراف المحلية لكن سرعان ما تغير ذلك مع بداية التواجد الروماني بالمنطقة،أما بخصوص التجارة اقتصر في المجتمع الليبي على المرأة الحاكمة والارستقراطية ،إما في قرطاجة كانت تمارسها أي امرأة من أي طبقة ولم تكن حكرًا على الطبقة النبيلة .

جسدت أسطورة أنزار العلاقات الاجتماعية التي انبثقت من العلاقات الروحية و العاطفية بين أفراد المجتمع المغاربي القديم،تعتبر أسطورة انزار المرأة العاكسة للموروث الثقافي الذي عبر عن أهم المعتقدات التي لا تزال راسخة في الذهن بكل ما تحمله من مبادئ متعلقة بطقوس الاستمطار لجلب الخير والماء للحصول على موسم زراعي ،تبنى أهم طقوس في أسطورة انزار على اختيار فتاة التي ستقدم قربانا للإله المطر وهي حسب المعتقدات المتداولة العروس تيسليت .

إستطاعت المرأة في بلاد المغرب القديم أن تتقلد عدة مناصب سياسية وعسكرية ، فعرف عنها ملكة وقائدة للجيش ومحاربة ، وبرزت مكانتها السياسة أكثر في توطيد العلاقات بين البلدان ،فقد اتسمت العلاقات بين مصر القديمة وبلاد المغرب القديم بالود والتعاون أكثر منه حربا ونزاع بالرغم ما تتناوله المصادر حول أسرة شيشنق والأصول المغاربة من جهة ،وافتكاكها للسلطة من جهة أخرى إلا انه لم يؤثر سلبا بل كان سببا في توطيد العلاقات عن طريق دمج الدماء الملكية لكن يظل الحدث الأكبر هو زواج يوبا الثاني من ابنة كليوباترا السابعة .

، ولم تكن العلاقات بين الفينيقيين وبلاد المغرب القديم مبشرة ،بعد ما كانت تتسم بالسلمية بينهما ،وذلك بعد طلب الملك الليبي هيرباص من الملكة الوافدة عليسة الزواج رغما عنها ،فكان طلبه هذا سببا في إنهاء العلاقات الودية بين الطرفين مبدئيا ،خاصة وأنها انتحرت بسبب ذلك حسب الرواية الأسطورية المتداولة .

كان نزول الاغريق على الأراضي المغاربية القديمة والاستيطان بها سببا في ربط العلاقات بين الطرفين فتارة ودية وتارة أخرى حربية عدائية لكن ذلك لم يمنع من تكوين علاقات مصاهراتي خاصة ،وأن الأغارقة الذين قدموا كلهم رجال ،كانوا يحتاجون لزوجات لهم ،ولا يتوفر ذلك إلا عند السكان المحليين للمنطقة ،وكذلك ارتباطهم فيما بعد بعلاقات مصاهرة مع المصريين القدماء دليل على أنهم اقترن اسمهم بالأرض و الوطن المغرب القديم وامتزاجهم مع السكان المحليين.

لم يشهد التاريخ المغاربي القديم علاقات مصاهرات مع الإمبراطورية الرومانية إلا في حادثة واحدة وهي تزويج ابنة جيلدون لأحد الحكام الإمبراطورية وذلك نظرا لجهوده المبذولة في مساعدتهم على قتل أخيه فيرموس وما توالى من أحداث بعد ذلك وربما لو لم يحدث الخلاف أو تحالف جيلدون معهم لما حدثت هذه الزيجة ،لكن يوجد حادثة تحدث عنها بلوتارخ عن زواج احد الأميرات فهل يعتبر ذلك نوع من المصاهرة السبابة للمصاهرة التي جمعت بين أسرة جيلدون واحد حكام الإمبراطورية الرومانية.

إحتلت المرأة منذ العصور الحجرية مكانة دينية فقد قدسها الإنسان منذ ذلك الزمن، لإرتباطها بالأرض والخصوبة فاعتبرت آلهة وتقلدت عدة مناصب منها الكاهنة في السلم الكهنوتي ،وعرف عنها العرافة ساحرة ومشعوذة،ورغم إضطهادها من طرف السلطة الرومانية لتمسكها بالتعاليم المسيحية ،إلا أنها استطاعت أن تحجز مكانا يليق بها بعد الاعتراف بالديانة المسيحية في بلاد المغرب القديم فعرف عنها القديسة و الراهبة و الشماسة .

تمكنت المرأة من أن تغزو العالم الخارجي لتمتع بملذات الحياة غزت المسارح والحمامات و الأسواق ومارست أنواع من المهن كالتمثيل، والرقص، والعزف، والغناء، وحتى الرياضة من سباقات وفروسية ومصارعة، وإستطاعت أن تحجز مكانا لها في المدارس التي كانت ذكوري بامتياز فتعلمت اللغة والكتابة ومارست الفلسفة والطب والمحاماة.

الملاحق

الملحق رقم 1: رسم صخري يمثل العاشقين الخجولين



ينظر المرجع:

Hchid(M), op.cit, Fig60.

الملحق رقم 2: تماثيل تبرز جمال المرأة وانوثتها.



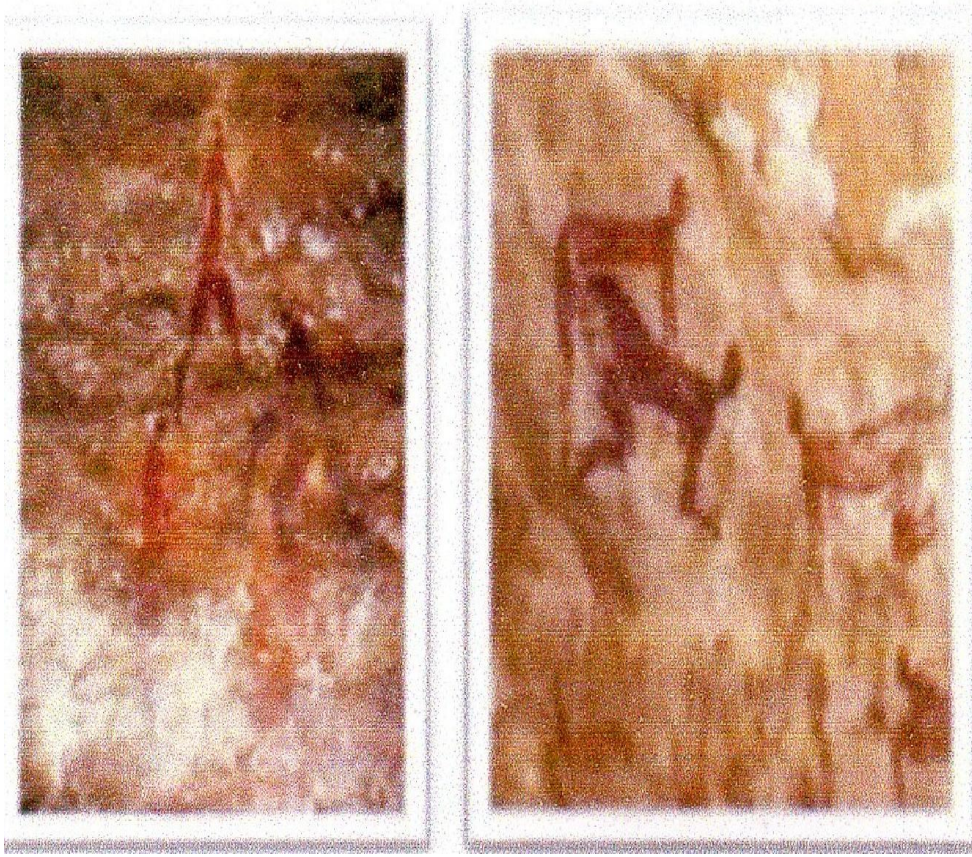
ينظر المرجع: لخطر بن بوزيد، دور المرأة في المجتمعات، المرجع السابق، ص 226.

الملحق رقم 3: نصب جنائزي اهدائي

1 DIS EST SACRATVS MANIBVS
HIC TUMVLVS
QVI TEGIT OSSA PIAE
C AE NVMISIAE
5 MARCELLIN AE QVINTI
O RIS
QVORVM QVOT SIC SVNT
CONIVNCTA SEPVL CRA
TESTANTVR QVAM CONCOR
10 DESEXEGERINT AEVOM
QVOS NEC MORS POTVIT
SEIVNGERE LONGE
CRVDELIS QVAE SOLA POTEST
DISIVNGERE AMANTES

ينظر المرجع: La djimi(L. S), op.cit,
p210.

الملحق رقم 4: مشاهد جنسية في مناطق وادي جرات في الطاسيلي.



ينظر المرجع: فارس دعاس، مكانة الأطفال في مجتمع، المرجع السابق، ص 44.

الملحق رقم 5: المرأة الحامل رفقة الساحر.



ينظر المرجع: لخضر بن بوزيد، الفن والمعتقدات،
المرجع السابق، ص 170.

الملحق رقم 6 : النساء الحوامل بموقع الصفار.



ينظر المرجع: لخضر بن بوزيد، الفن والمعتقدات،

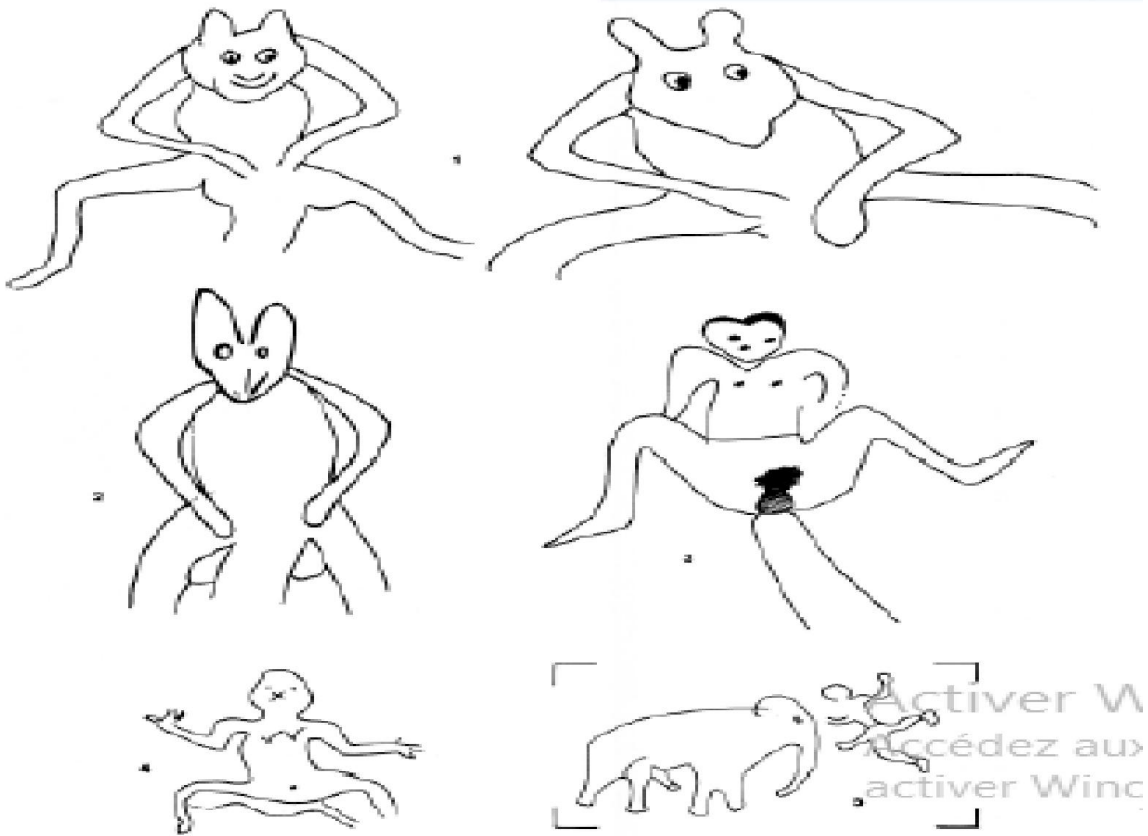
المرجع السابق، ص 198.

الملحق رقم 7: المرأة الحامل والأبقار بموقع أوزان اميھري.



ينظر المرجع: Mostefai(A), op.cit, p223.

الملحق رقم 8: نساء في وضعية الولادة تدرارت اكاكوس.



ينظر المرجع: فارس دعاس، واقع الامومة و الطفل، المرجع السابق، ص 29

الملحق رقم 9 : نساء في وضعية الولادة أوزان اهيهري.



ينظر المرجع: فارس دعاس، واقع الامومة و الطفل، المرجع السابق، ص29.

الملحق رقم 10: عيادة التوليد ووضعية الولادة.



ينظر المرجع: حسيبة صفريون، كانت البرباريات، المرجع السابق، ص 23.

الملحق رقم 11: مشاهد عن علاقة الام باطفالها



ينظر المرجع: فارس دعاس، واقع الامومة و الطفل، المرجع السابق، ص 34-35.

الملحق رقم 12: نصب الكاهن والطفل الذي وجد في توفاة قرطاجة.



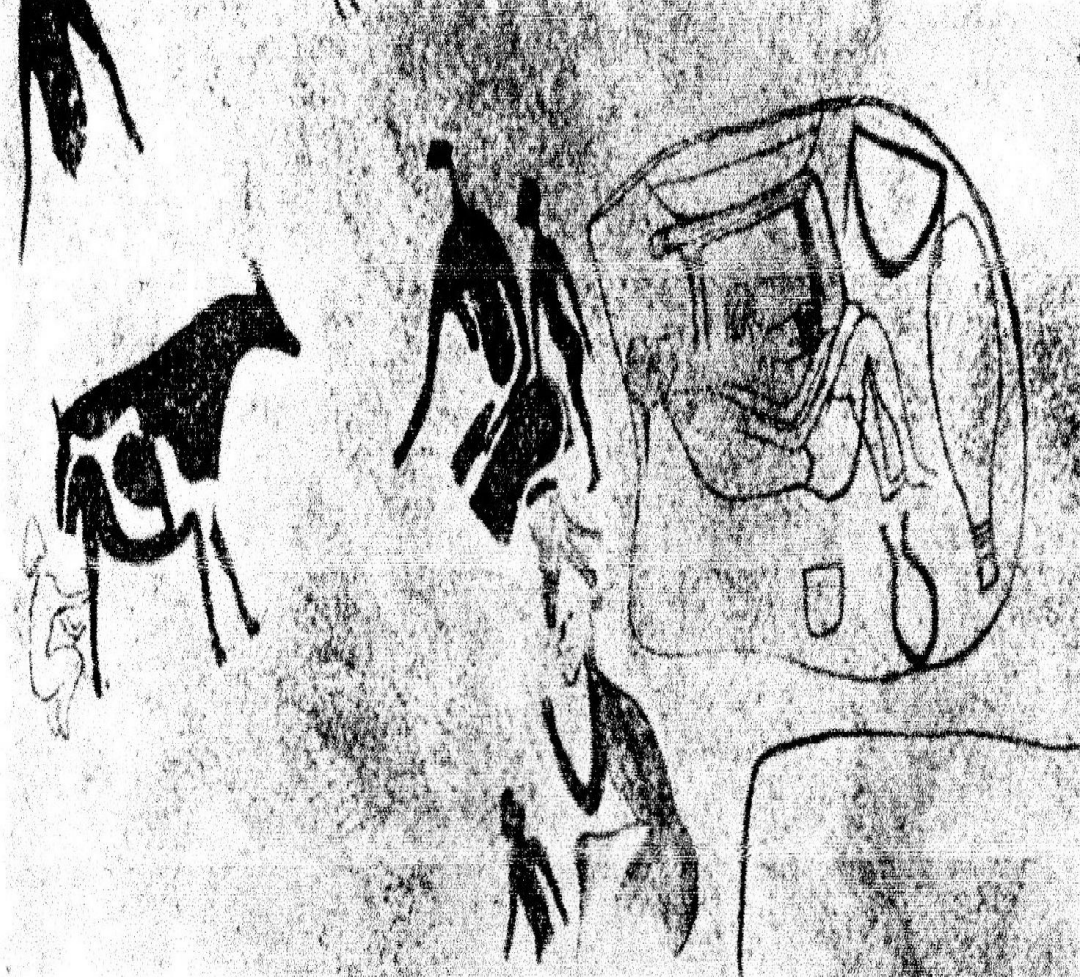
ينظر المرجع: Leclant(J), op.cit, p114.

الملحق رقم 13 و 14 : نقش قرباني على شرف بعل حمون.

1.	לאדן לבעל ביתנת	נדר הנא בן
2.	מתנתא מלך בעל אש	מגן בן הנא בן
3.	נדר עזרבעל בן	בנה נעם אש תנב
4.	בעלחנא בן בעלות-	כשמע קל בונם
5.	ן אש בעשא יתנם	

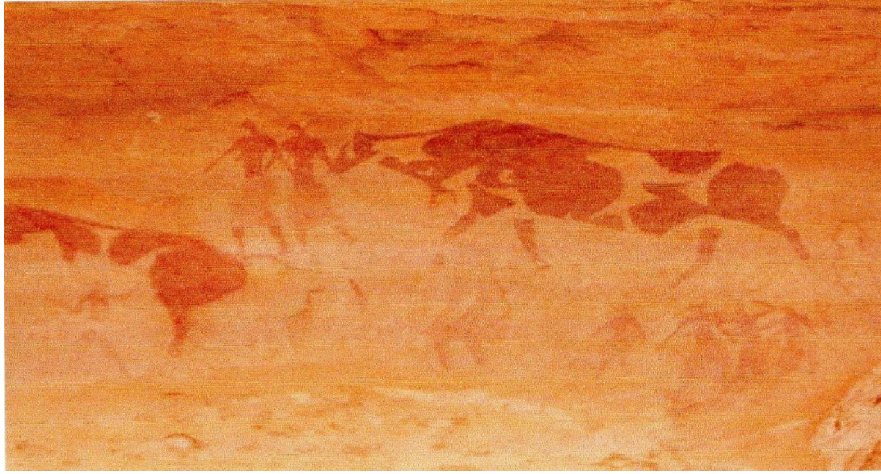
ينظر المرجع: René Dussaud, op.cit, pp384-386.

الملحق رقم 15: الأجواء العائلية.



ينظر المرجع: صديق بودوارة المغربي، المرجع السابق، ص 42.

الملحق رقم 16: مشهد القطيع والزائرات بجبارين



ينظر: المرجع

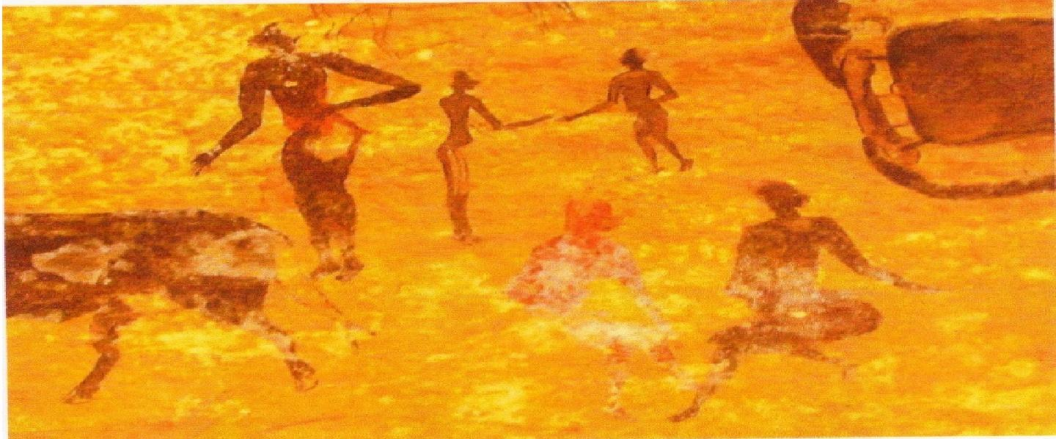
حسيية صفريون، بواذر ظهور النظام، المرجع السابق، ص 429.

الملحق رقم 18: راقصات جبارين وطقوس الثور.



ينظر المرجع: حسيية صفريون، بواذر ظهور النظام، المرجع السابق، ص 431.

الملحق رقم 17: نساء يقمن بدباغة ومعالجة الجلود.

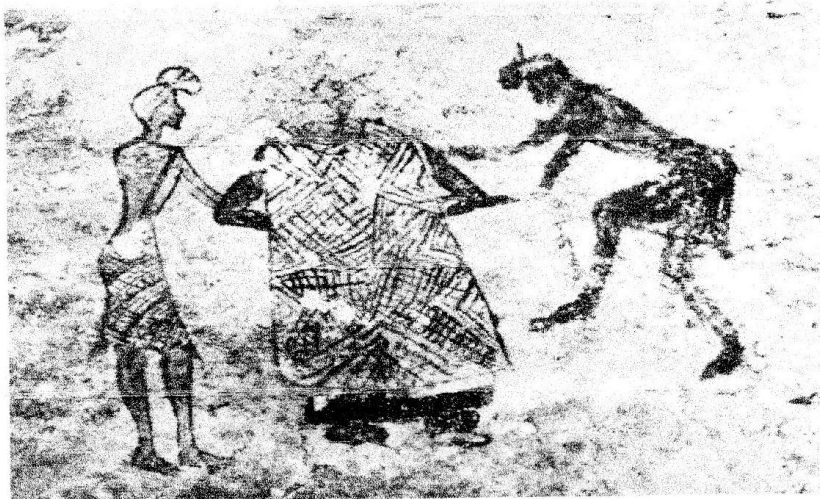


ينظر المرجع:

حسيبة صفريون، بوادر

ظهور النظام، المرجع السابق، ص 430.

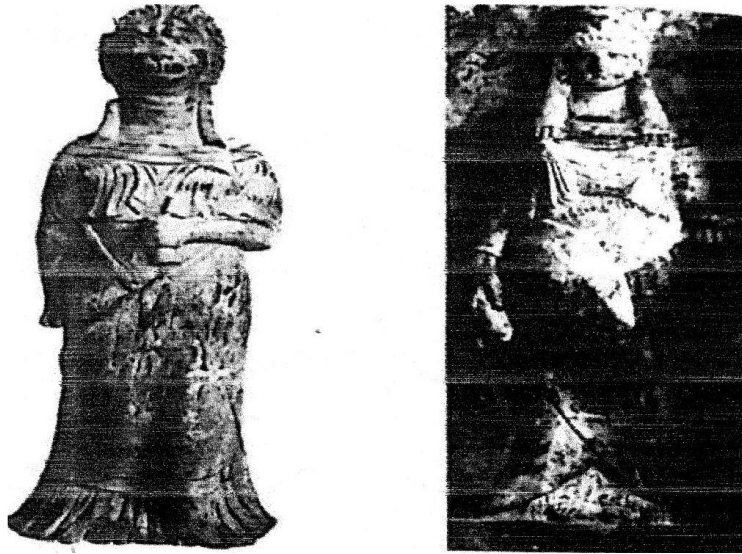
الملحق رقم 19: نساء يعتنين بمظهرهن وأناقتهن.



ينظر المرجع: صديق

بودوارة المغربي، المرجع السابق، ص 38.

الملحق رقم 20: الإلهة تانيت.



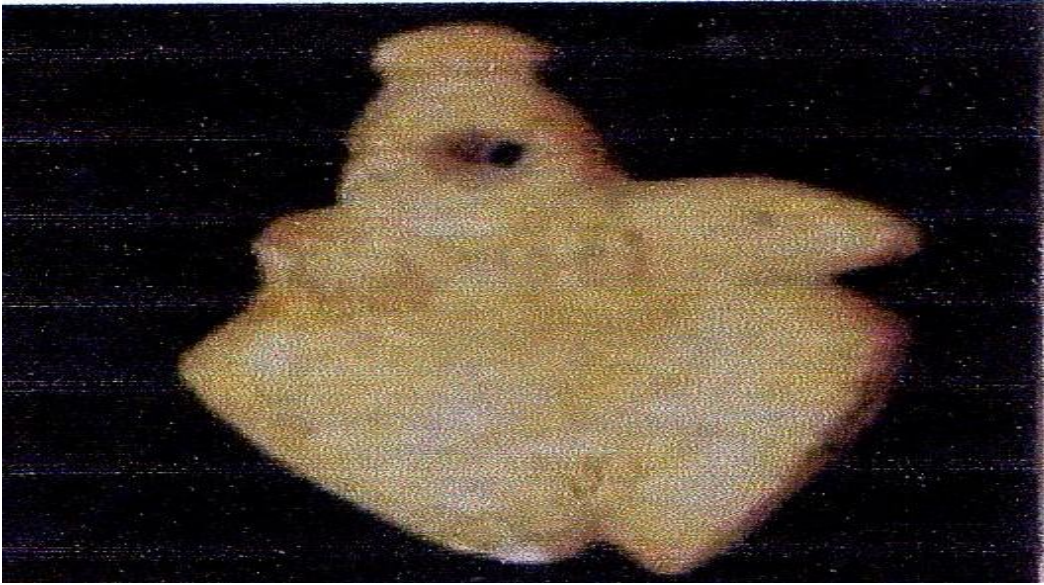
ينظر المرجع: نضار الاندلسي، شخصيات نسائية، المرجع السابق، ص 105.

الملحق رقم 21: المرأة والسلطة من خلال حملها للعصا.



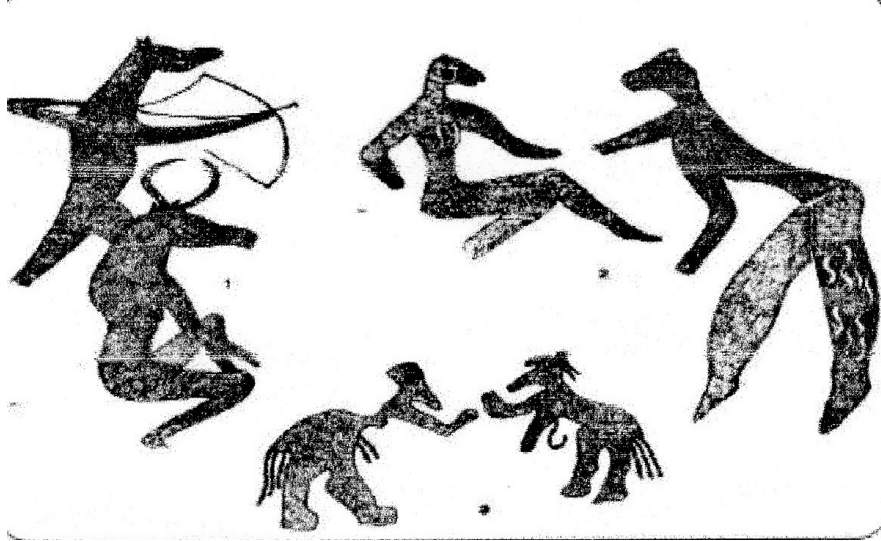
ينظر المرجع: نضار الاندلسي، شخصيات نسائية، المرجع السابق، ص 127.

الملحق رقم 22: مدخل لضريح تن هينان رفقة فينوس جيسية وجدت في الضريح.



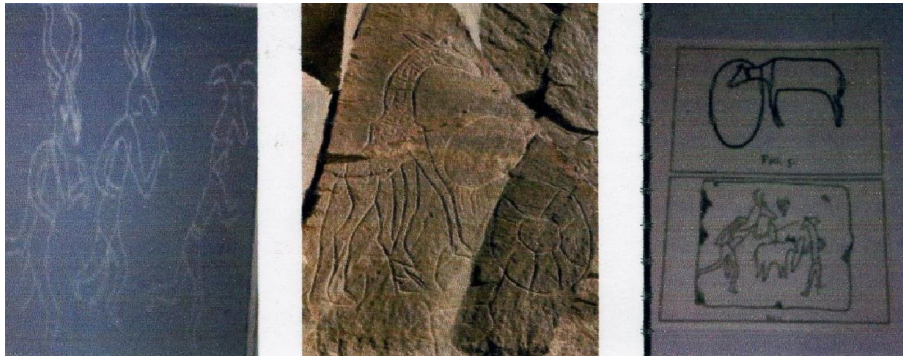
ينظر المرجع: حسية صفريون، أثر وأثار المرأة، المرجع السابق، ص 217.

الملحق رقم 23: استعمال المرأة للأقنعة الحيوانية.



ينظر المرجع: نضار الأندلسي، المرأة من خلال، المرجع السابق، ص 1.

الملحق رقم 24: الرؤوس المقنعة المستعملة للتمويه والصيد.



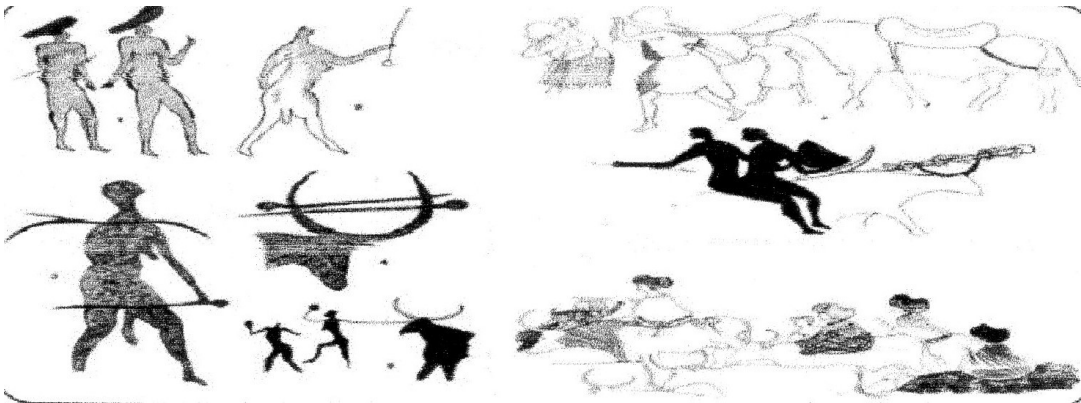
ينظر المرجع: وريدة علي المنقوش، المرجع السابق، ص 279.

الملحق رقم 25: أسلحة المرأة القناصة في شمال افريقيا القديم من خلال الفن الصخري



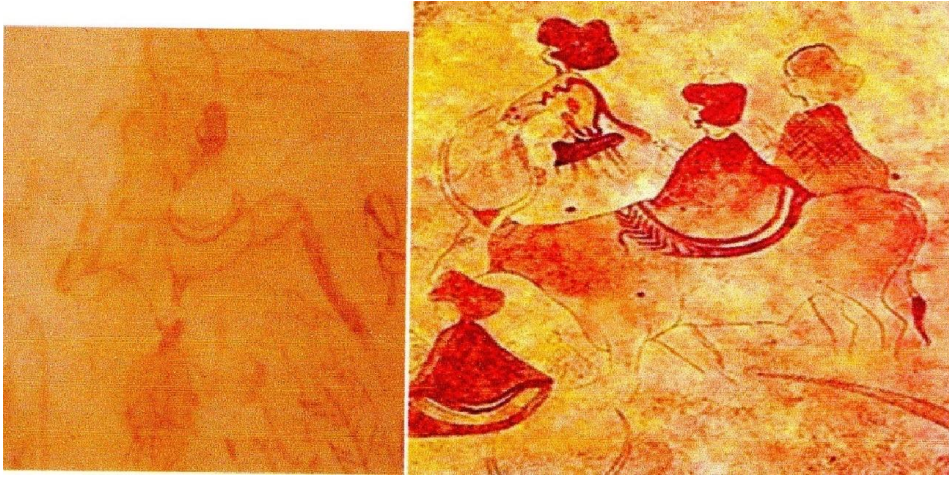
ينظر المرجع: نضار الأندلسي، المرجع السابق، ص2.

الملحق رقم 27: مشاركة المرأة في عملية رعي الشيران من رسومات التاسيلي.



ينظر المرجع: نضار الأندلسي، المرأة من خلال، ص4.

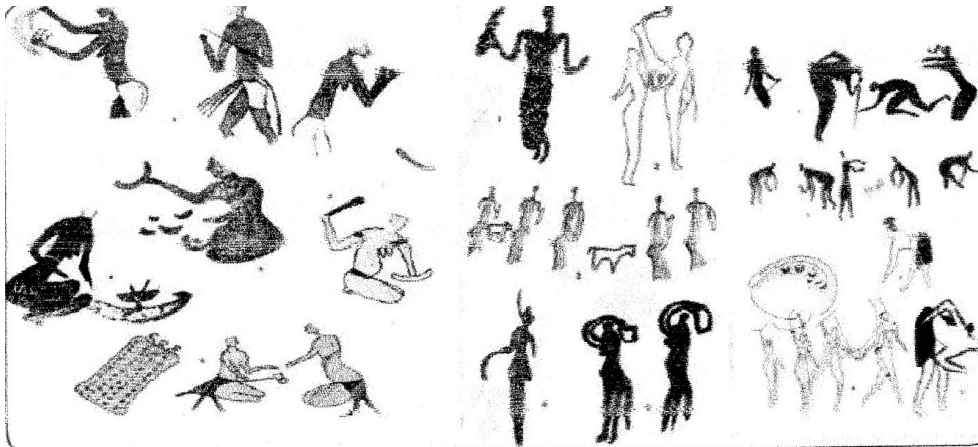
الملحق رقم 26: نساء تمتطي الابقار وتقود القطيع.



ينظر المرجع: جوهرة أوبراهم،

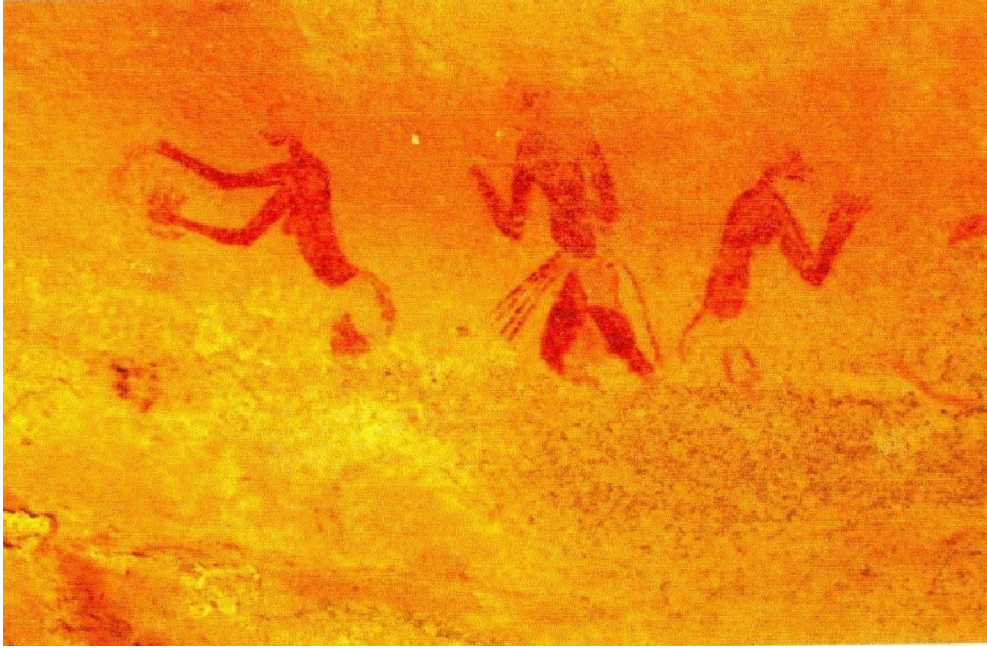
المرجع السابق، ص 37

الملحق رقم 29 : اعمال الحقل من رسومات الطاسيلي تاجارين، صفار.



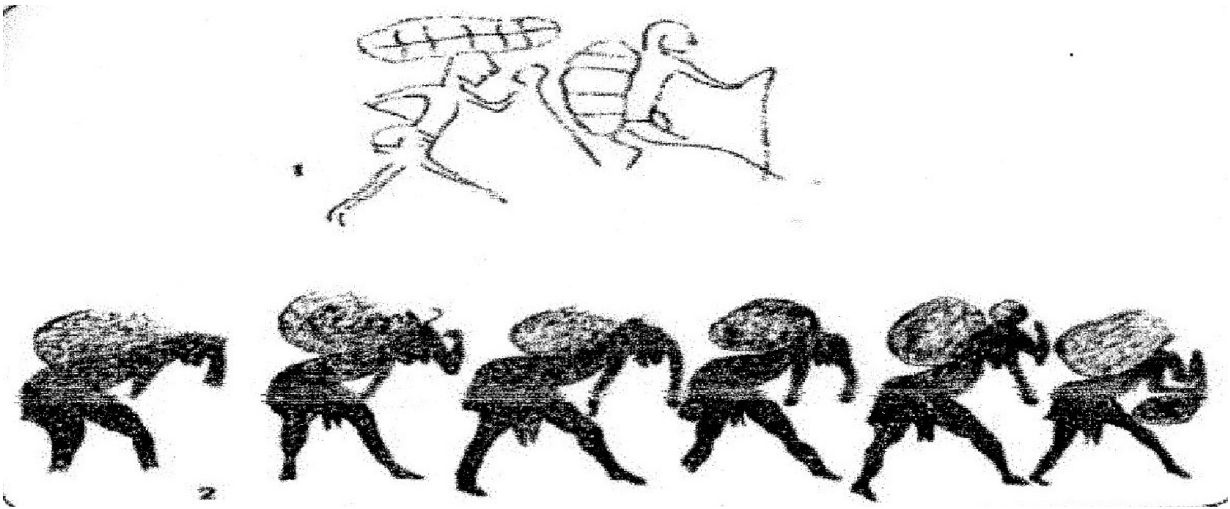
ينظر المرجع: نضار الاندلسي، المرأة من خلال، المرجع السابق، ص 3.

الملحق رقم 28 : قناص رفقة نساء يقمن بقطف الاعشاب ذات الحب



ينظر المرجع: حسية صفريون، بوادر ظهور النظام، المرجع السابق، ص 24 - 27.

الملحق رقم 30: المرأة وحمل المنتوجات الفلاحية من رسومات الأكاكوس



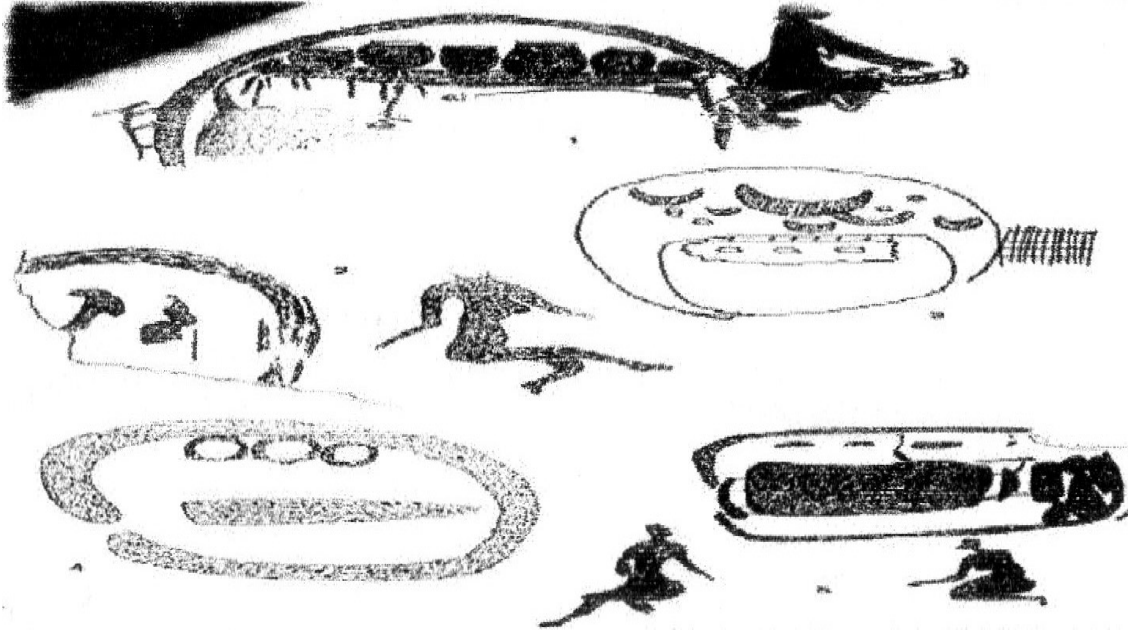
ينظر المرجع: نضار الاندلسي، المرأة من خلال، المرجع السابق، ص 3.

الملحق رقم 31 : إلهة المطر انزار.



ينظر المرجع: ابو بكر أحمد حسني
سرحان، عادات وتقالييد سكان، المرجع السابق، ص35.

الملحق رقم 32: المرأة وصناعة الأواني الخزفية من خلال رسومات طاسيلي تازاريفت،
صفار، تادارات

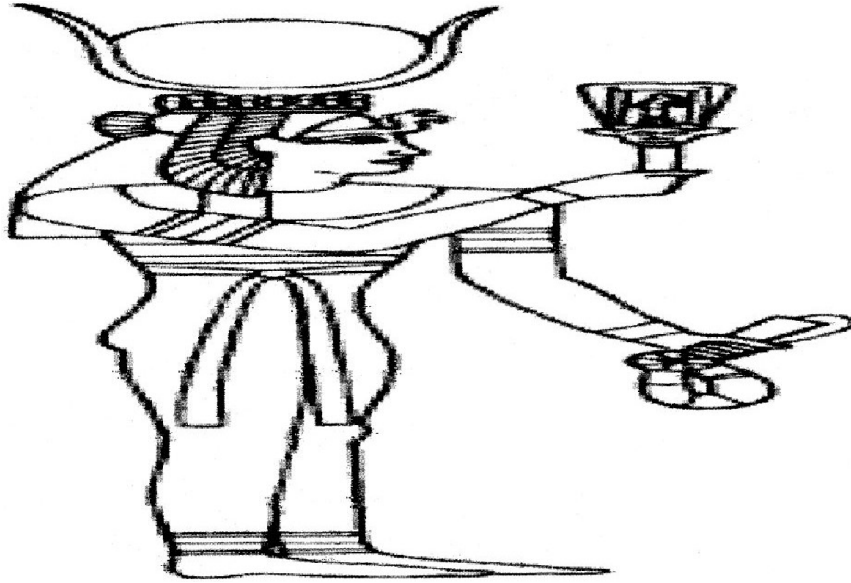


ينظر المرجع: نضار الاندلسي، المرأة من خلال، المرجع السابق، ص5.
الملحق رقم 33: قطع نقدية لزوجة سييتيموس سيفيروس جوليا دوماننا.



المرجع : عزيزة حسن السيد سليمان محجوب، المرجع السابق، ص415

الملحق رقم 34: الإلهة ايزيس على هيئة الملكة ورموزها.



ينظر المرجع:

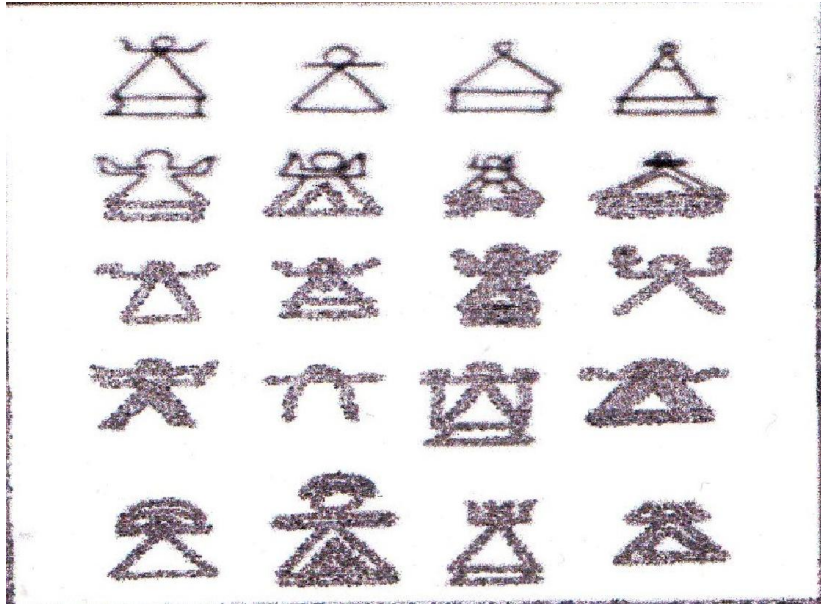
George(H), op.cit, p79.

الملحق رقم 35: تمثال يجسد تانيت تحمل طفلا كرمز للأمومة



ينظر المرجع: البشير كيحل، الحضور الديني، المرجع السابق، ص

الملحق رقم 36: رموز وأنصاب الإلهة تانيت.



ينظر المرجع: البشير كيحل، الحضور الديني، المرجع السابق، ص 116.

الملحق رقم 37: لباس تونيك.



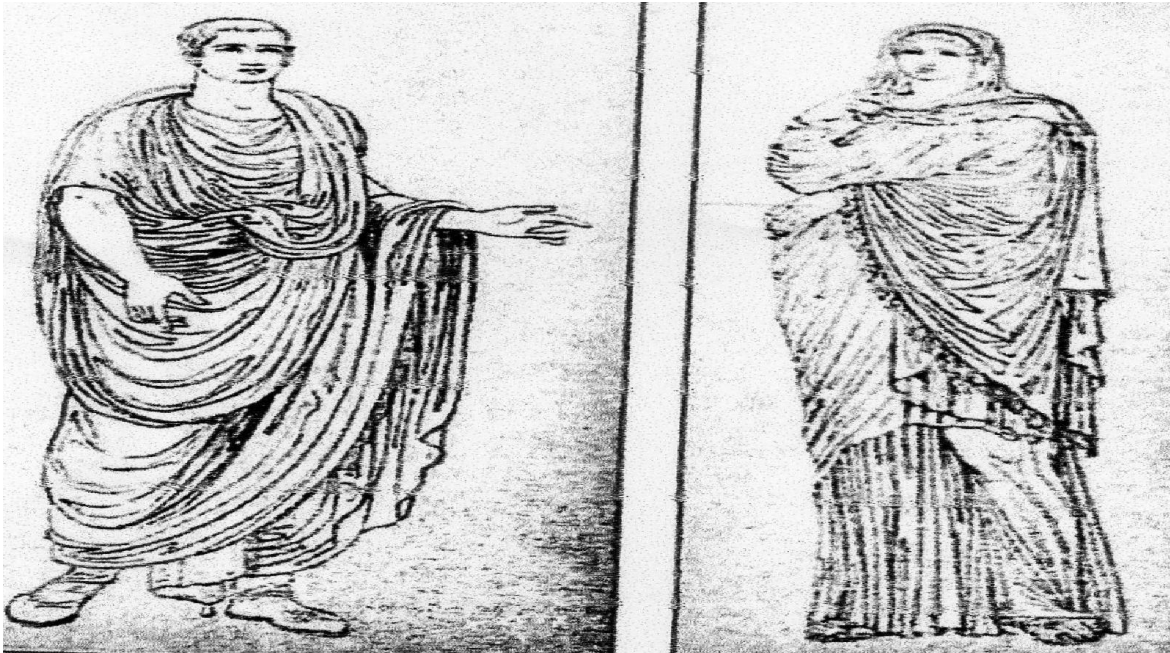
ينظر المرجع: لمياء علي محمد، المرجع السابق، ص142.

الملحق رقم 38: لباس الدلماسية.



ينظر المرجع: لمياء علي محمد، المرجع السابق، ص 62

الملحق رقم 39: لباس توجا.



ينظر المرجع: ايناس فتوح عبد الرحيم، المرجع السابق، ص 62.

الملحق رقم 40: تبين أنواع الأحذية التي تم ارتدائها



ينظر المرجع: هالة

محمد الفيتوري المصري، المرجع السابق، ص 180.

الملحق رقم 41: يمثل تسريحة الشعر للإمبراطورة جوليا دومنا



ينظر المرجع: هالة محمد الفيتوري المصري، المرجع السابق، ص 181.

الملحق رقم 42: الحلبي عند الليبيين.



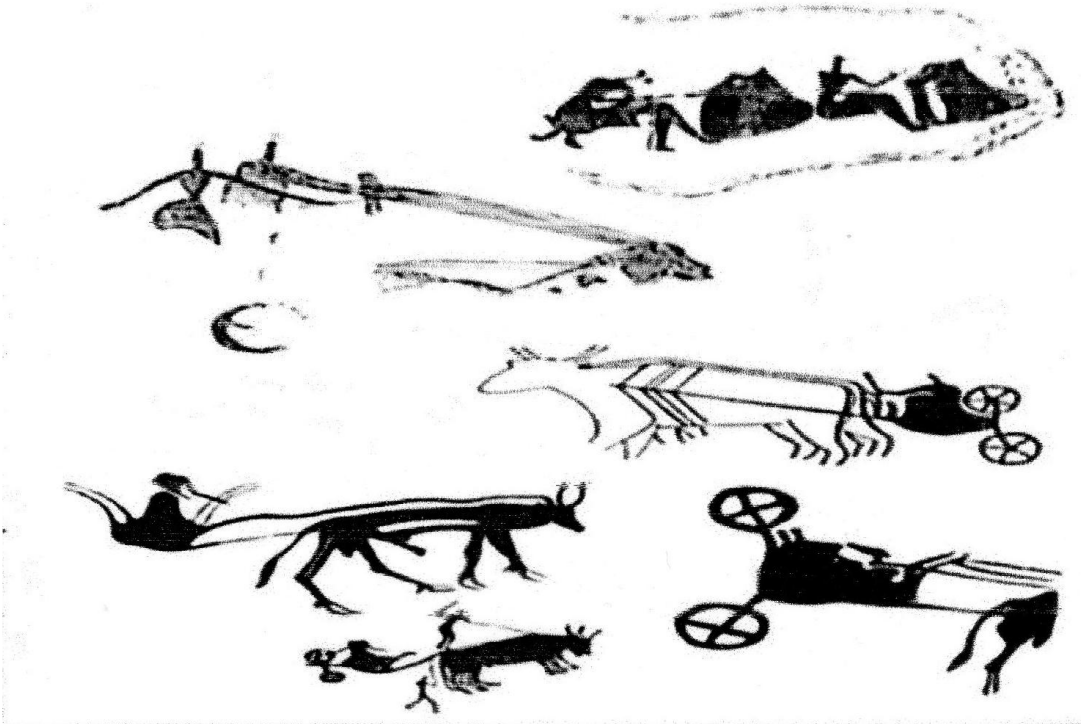
ينظر المرجع: علي مؤمن ادريس مؤمن، العادات والتقاليد، المرجع السابق، ص 1402.

الملحق رقم 43: الوشم ودلالاته الشفائية والسحرية.

اسم الوشم ودلالته	صورة الرمز الموشوم	اسم الوشم ودلالته	صورة الرمز الموشوم
الزيتون " الزمور ": القوة الهادئة والمسالمة، ويرمز زيت الزيتون إلى البقاء وطول العمر.		الكيش: القوة	
الفر: القوة الطاهرة والخفية		طائر السنونو: الريح والأنوثة.	
العنكبوت: الأنوثة التي تمثل الحياة.		القديانة: تعبر عن حركة الإنسان والحيوان.	
وشم الجبهة: يعبر عن الوضوح والشخصية والأنوثة والجمال.		الحبوب: رمز الحياة.	
الشمس: الكون - الحياة - مصدر الحرارة والضوء.		القمر: المرأة	
الهلال: التعبير = العودة = الموت والولادة.		السحلية (تازوميث): حارس المنزل من الأرواح الشريرة	
النحلة: ترمز إلى السعادة والنعموة والشفاء.		الرجل الأمازيغي: الحرية = القوة.	

ينظر المرجع: عبد المجيد بوصلب، المرجع السابق، ص 735.

الملحق رقم 44: المرأة وركوب الفرس وجر العربات



ينظر المرجع: نضار الاندلسي، شخصيات نسائية، المرجع السابق، ص 79-80

قائمة الميبلوغرافيا

-القرآن الكريم: رواية ورش عن نافع.

I(المصادر:

1(المصادر المادية(الأثرية):

- 1-Gsell.), (SInscriptions Latines d'Algérie), Tome I, II, Paris., (1922),
- 2-Wilmanns. G, Mommsen. Th, Corpus Inscriptionum latinarum, VIII. Berlin, 1881.
- 3-Bertrand F., Notes à propos d'un fundus (C.I.L., VIII, 6351) de la région de Cirta (Constantine) en Numidie. In: Ant. Afr., 27, 1991 .
- 4-Cagnat R., Découvertes épigraphiques des brigades topographiques de l'Algérie et de Tunisie en 1897, B.C.T.H , 1898 .

2(المصادر الأدبية(الكتابية):

أ)بالعربية:

أ-1(الدينية:

-التوراة:

1- سفر التكوين، الإصحاح: 1، الفقرة: [28].

2- سفير التكوين، الإصحاح10، الفقرة:[1-6].

أ-2(المصادر الكلاسيكية:

1-أرسطو، السياسات، تر: اوغسطين بربارة البوسي، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1957.

2-أفيد، فن الهوى، تر: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992.

3-أفيد، قيتارة الحب، تر: علي كنعان، إصدارات المجمع الثقافي، ابو ظبي، 2003 .

4-بلوتارخ، تاريخ أباطرة وفلاسفة الإغريق، تر: جرجيس فتح الله، مج.2، الدار الدولية للموسوعات، بيروت، 2010.

5-ترتليانوس سينيموس، المنافعة(دفاع عن التوحيد)، تر: عمار الجلاصي، طرابلس، 2000.

6-ديودور الصقلي، ديودور الصقلي في مصر ق1ق.م، تر: وهيب كامل، دار المعارف، 2016،

- 7- ساليستيوس غايوس كريسوس، حرب يوغرطة، تر: محمد العربي عقون، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2006.
- 8- ساليستيوس، الحرب اليوغرطية، تر: محمد المبروك الدويب، منشورات جامعة قاريونس، ليبيا، 2007.
- 9- سترابون، جغرافية سترابون وصف ليبيا ومصر، تر: محمد المبروك الدويب، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، 2002.
- 10- فرجيليوس، الإنياذة، تر: كمال ممدود حمدي وآخرون، مج.1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011.
- 11- لوكيوس أبوليوس، الحمار الذهبي (التحولات)، تر: عمار الجلاصي، (د.ن)، (د.ب)، 2000.
- 12- لوكيوس أبوليوس، المرافعة أو دفاع صبراته، تر: عمار الجلاصي، (د.ن)، (د.ب)، 2001.
- 13- لوكيوس أبوليوس، تحولات الحمار الذهبي، تر: علي فهمي خشيم، منشورات المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان، طرابلس، 1980.
- 14- هوميروس، الإلياذة، تر: احمد عثمان وآخرون، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2008.

أ-3 المصادر الإسلامية:

- 1- ابن ابي دينار، المؤنس في أخبار افريقيا وتونس، (د.ن)، تونس، 1967.
- 2- ابو عبد الله ابن ابراهيم اللواتي الطنجي (ابن بطوطة)، رحلة ابن بطوطة تحفة النظر لغرائب الامصار وعجائب الاسفار، دار صادر، بيروت، 1992.
- 3- ابي عبيد البكري، المغرب في ذكر افريقيا والمغرب، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، 1857.
- 4- حسن الوزان بن محمد الفاسي (ليون الافريقي)، وصف افريقيا، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، ج.1، دار الغرب الاسلامي، ط.2، بيروت، 1983.
- 5- زكرياء القزويني، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، منشورات دار الأفق الجديدة، ط.1، بيروت، 1973.

6- الشريف الإدريسي، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، مطبعة بريل، لبنان، 1998.

(ب) بالأجنبية:

(ب-1) المصادر باللغة الأجنبية:

- 1-Ammien Marcellin, Histoire, Trad: Sous La direction de: M. Nisard, Paris, 1862, XXIX.
- 2-Augustin(S), Les Confessions, Trad: par Roques, éd belle Lettres, Paris, 1870, II.
- 3-Cicéron, La république, Les belles lettres, Paris, 1980, III.
- 4-Diodor de Sicile, Bibliothèque Historique, Imprimerie royale, Paris, 1834, III
- 5-Flavius(J), Contre apion, Trad: R. hormand, éd: publication de la société des éd des Juives, (S. d), I.
- 6-Hérodote, Histoire d'Hérodote, tr : Parlarcher, charpetier Librairie éditeur, paris, 1850, IV.
- 7-Justin, Histoire universelle, Trad: J.Pierrot, Ed: pankouke, Paris, 1833, XVIII
- 8-Plaute, Les Comédies de Plaute(Le Carthaginois poenus), trad: Sommer, Librairie, Hachette, Paris, (S. d).
- 9-Pindar, The odes of Pindar, The lobe classical Library, London, 1961, IX.
- 11-Pline L'ancien, Histoire Naturelle, L'afrique du Nord, Tr: Jehan Desanges, Les belles Lettre, Paris, 1980, IV.
- 12-Plutarque, De La Superstition, Trad: Jaques Amyot, reproduit par Les belles lettrés, Paris, 1972.
- 13-Polybius, The histories, Trad: W. Paton, The new York Public Library, (s. d), I.
- 14-Pomponius Mêla, Géographie, Tr : La direction de M. Nisard, éd, J.Dubochet, Paris, 1850, I.
- 15-Procope, La guerre contre Les Vandales, Trad: Roques, ed: Belle Lettres, Paris, 1990, II.
- 16-Solin, Polyhistor, Trad: M. A Agnat, éd: C. E. I Panckoucke, Paris, 1847, XX.
- 17-Strabon, Géographie de Strabon, Tr : Amédée Tradieur, Librairie Hachette, Paris, 1881, VIIX.
- 18-Tit-Live, Histoire Romaine, Trad: E.Lasserra, Paris, (S. d) . 19-
- Vergile, Enede, Trad: J. Perret Les belles Lettres, Paris, 1981, I.

II(المراجع:

1) باللغة العربية:

- 1- الأثرم رجب عبد الحميد ، تاريخ برقة السياسي والاقتصادي من القرن السابع قبل الميلاد وحتى بداية العصر الروماني، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، 1975.
- 2- الأثرم رجب عبد الحميد ، محاضرات في تاريخ ليبيا القديم، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، 2002.
- 3- أحمد علي عبد اللطيف ، التاريخ اليوناني، ج.1، شركة علاء للطباعة والنشر، القاهرة، 1974.
- 4- أعشي مصطفى ، أحاديث هيرودوت عن الليبيين، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، 2009.
- 5- الأندلسي نزار ، الحياة اليومية للمرأة في بلاد المغرب القديم، (د.ن)، ط.1، المغرب، 2017.
- 6- الأندلسي نزار ، شخصيات نسائية في تاريخ شمال إفريقيا القديم، مطبعة الخليج العربي، ط.1، تطوان، المغرب، 2013.
- 7- أنديشة أحمد محمد ، الحياة الاجتماعية في المرافئ الليبية وظهرها في ظل السيطرة الرومانية، جامعة التحدي، ط.1، السرت، ليبيا، 2008.
- 8- أيوب محمد سليمان ، جريمة من تاريخ الحضارة الليبية، دار المصراقي للطباعة والنشر، ط.1، طرابلس، ليبيا، 1969.
- 9- البرغوثي عبد اللطيف محمود ، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، دار الصادر، بيروت، 1971.
- 10- بشي إبراهيم العيد ، مدخل إلى تاريخ حضارات بلاد المغرب القديم دراسة حضارية منذ فترة ما قبل التاريخ حتى الفتح الإسلامي، منشورات زاد الطالب، المحمدية، الجزائر، 2011.
- 11- بلكامل البيضاء ، مظاهر اقتصادية من خلال فسيفساء الشمال الإفريقي، فيديرانت، ط.1، الرباط، 2003.

- 12- بن بوزيد لخضر ، الفن ومعتقدات الطاسيلي ازجر فيما قبل التاريخ، (د.ن)، الجزائر، (د.ت).
- 13- بن شنهو عبد الحميد ، يوبا الثاني وزوجته كليوباترا سليبي، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.
- 14- بورويبة الشاذلي و محمد الطاهر، قرطاجة البونية"تاريخ وحضارة"، مركز النشر الجامعي، تونس، 1999.
- 15- بوزياني الدراجي ، ملامح تاريخية للمجتمعات المغربية، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، المغرب، 2010.
- 16- بيومي مهران محمد ، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية، لبنان، 1994.
- 17- الجيلالي عبد الرحمان بن محمد ، تاريخ الجزائر العام، ج.1، دار الثقافة، 1980.
- 18- حارش محمد الهادي ، التاريخ المغاربي القديم(السياسي والحضاري) منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1995.
- 19- حارش محمد الهادي ، دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة، دار الهومة، الجزائر، 2013.
- 20- حارش محمد الهادي ، مملكة نوميديا دراسة حضارية منذ اواخر القرن التاسع الى منتصف القرن الاول قبل الميلاد، دار الهومة، الجزائر، 2013.
- 21- حامد اسماعيل ، تاريخ اليهود، دار طيبة للطباعة، الجيزة، مصر، 2011.
- 22- حسن سليم ، مصر الفرعونية عصر مرنبتاح ورمسيس الثالث، ج.7، الهيئة العامة للكتاب، مصر، 1992.
- 23- حمداوي جميل ، الوشم في الثقافة الأمازيغية، (د.ن)، ط.1، الجزائر، 2016.
- 24- الحوسي زينب عبد الله مصطفى ، المرأة التونسية عبر العصور، المعهد الوطني للتراث، تونس، 1997.
- 25- خزعل الماجدي، المعتقدات الرومانية، دار الشرق، عمان، الاردن، 2006.
- 26- خزعل الماجدي، المعتقدات الكنعانية، دار الشرق، ط.1، الأردن، 2001.

- 27- خشيم علي فهمي ، آلهة مصر العربية، مج1، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، (د.ط) ، مصراته، (د.ت).
- 28- خشيم علي فهمي ، نصوص ليبية، منشورات المؤسسة العامة للثقافة، ط.1، ليبيا، 2009.
- 29- دبور محمد علي ، تاريخ المغرب الكبير، ج.2، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2010.
- 30- دراز عبد الحليم أحمد ، مصر وليبيا فيما بين القرنين السابع والرابع قبل الميلاد، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 2000.
- 31- سحنوني محمد ، ما قبل التاريخ، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1990.
- 32- سلامة اماري ، الجنس قبل التاريخ، دار التنوير، الجزائر، 2013.
- 33- السواح فراس ، لغز عشتار، دار الكندي، ط.1، سوريا، 1988.
- 34- الشريف عمران أحمد حسين ، اقليم المدن الثلاث في العصر الروماني دراسة تاريخية لتطور الانتاج الزراعي من سنة(47ق.م-235م)، المركز الوطني للمخطوطات والدراسات التاريخية، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، ط.1، طرابلس، ليبيا، 2010.
- 35- شنيقي محمد البشير ، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب اثناء الاحتلال الروماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- 36- الشيخ حسين ، تاريخ وحضارة اليونان والرومان، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1987.
- 37- الشيخ محمد مرسي ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1994.
- 38- عاقل نبيه ، الامبراطورية البيزنطية، دراسة في التاريخ السياسي والثقافي والحضاري، جامعة دمشق، 1969.
- 39- عبد العليم مصطفى كمال ، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي، 1966.

- 40- العزيفي أحمد رضوان العزيفي، القرابين البشرية بالعالم الفينيقي - البونيقي من خلال التراث الادبي والاركيولوجي، آداب الشرق القديم وتلاقح الحضارات، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، 2005.
- 41- عصفور محمد أبو محاسن ، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.
- 42- العقون أم الخير ، دولة الأمازيغ في مصر الفرعونية(950-715ق.م)، دار القدس، وهران، 2015.
- 43- عقون محمد العربي ، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الافريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2008.
- 44- عكاشة علي وآخرون، اليونان والرومان، دار الامل للنشر والتوزيع، 1991.
- 45- عمران عبد الحميد ، الرومنة والتدين في شمال افريقيا، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2018.
- 46- عمران محمد سعيد ، الامبراطورية البيزنطية وحضارتها، دار النهضة العربية، جامعة بيروت العربية، ط.1، بيروت، لبنان، 2002.
- 47- غانم محمد الصغير ، التوسع الفينيقي في الحوض الغربي للمتوسط، المؤسسة الجامعية للدراسات ديوان المطبوعات الجامعية، لبنان، 1982.
- 48- غانم محمد الصغير ، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، ج.4، دار الهدى، عين المليلة، 2011.
- 49- غانم محمد الصغير ، الملامح الباكورة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2005.
- 50- غانم محمد الصغير ، سيرتا النوميديّة النشأة والتطور، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008.
- 51- غانم محمد الصغير ، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، دار الهدى، الجزائر، 2006.
- 52- فخري أحمد ، مصر الفرعونية موجز تاريخ مصر منذ اقدم العصور حتى عام332ق.م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، 2012.

- 53- فرحاتي فتيحة ، نوميديا من حكم الملك جايا الى بداية الاحتلال الروماني(213-46ق.م)، منشورات ابيك، 2007.
- 54- كيالي ميادة ، مكانة المرأة في بلاد وادي الرافدين وعصور ما قبل التاريخ، مؤمنون بلا حدود للدراسات والابحاث، قسم الدراسات الدينية، 17مايو2016.
- 55- مضوي زاهية، المرأة و الماء في الميثولوجيا الأمازيغية لمنطقة بومرداس بين الماضي والحاضر، بومرداس الذاكرة الانسان و المجال، وزارة الثقافة الجزائر، الجزائر، 2022.
- 56- المغربي الصديق بودوارة ، المرأة في اقليم قوريناية في العصرين الاغريقي والروماني، الكتاب الثاني، سلسلة الاعمال الكاملة، المغرب، (د.ت).
- 57- مقدم بنت النبي ، المعتقدات الدينية بالجزائر القديمة، مشروع البحث حول حوار الأديان والحضارات، مرصد الشأن الديني في الجزائر، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر، الجزائر، الإصدار الأول، 2010.
- 58- مقدم بنت النبي ، هيرودوت يتحدث عن الحياة الاجتماعية لسكان بلاد المغرب القديم، أبحاث ودراسات تاريخية وأثرية، كنوز الحكمة، 2016/2015.
- 59- الميار عبد الحفيظ فيصل ، الحضارة الفينيقية في ليبيا، دار الكتب الوطنية، ط.1، بنغازي، ليبيا، 2001.
- 60- الميار عبد الكريم ، قوريناية في العصر الروماني(74ق.م-117م)، الشركة العامة للنشر والتوزيع، ط.1، طرابلس، 1978.
- 61- الناضوري رشيد ، المغرب الكبير، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.
- 62- نامو مصطفى علي محمد ، دراسة أثرية لفسيفساء أراضي بعض الدارات في منطقة المدن الثلاث، منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ليبيا، 2009.
- 63- نصار عصمت ، الفكر الديني عند الاغريق، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، ط.2، مصر، 2005.
- 64- نصحي ابراهيم ، تاريخ الرومان من أقدم العصور حتى عام 133ق.م، ج.1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1978.

65- هويدي سالم محمد عبد الله ، الحضارة الجرمية دراسة في عوامل النشوء والازدهار والانهيار، منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ليبيا، 2010.

66- اليوسيف عبد القادر أحمد ، الامبراطورية البيزنطية، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1984.

(2) المترجمة للعربية:

1- بارندر جفري ، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، تر: امام عبد الفتاح، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1993.

2- بيكار جيلبار شارل بيكار، حضارة شمال افريقيا خلال الفترة الرومانية، تر: محمد العربي عقون، دار المثقف للنشر والتوزيع، ط.1، 2020.

3- جوليان شارل اندري ، تاريخ افريقيا الشمالية، ج.1، تر: محمد ميزالي، البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1969.

4- دانييلز تشارلز ، الجرامنتيون سكان ليبيا القدماء، تر: احمد اليازوري، دار الفرجانين ،طرابلس، 1991.

5- دوكريه فرانسوا ، قرطاجنة او امبراطورية البحر، تر: عز الدين أحمد عزو، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، 1996.

6- دونالد ريدولف ، مصر وكنعان واسرائيل في العصور القديمة، تر: بيومي قنديل، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2004.

7- شامو فرنسوا ، الاغريق في برقة الاسطورة والتاريخ، تر: محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قار يونس، ط.1، بنغازي، ليبيا، 1990.

8- فريشاو بول ، الجنس في العالم القديم، تر: فائق دحدوح، ج.1، دار نينوى، العراق، 1999.

9- فنطر محمد حسين ، الحرف والصورة في عالم قرطاج، تر: فائق دحدوح، دار نينوى، العراق، 1999.

10- كامبس غابريال ، في اصول بلاد البربر ماسينييسا اوبدايات التاريخ، تر: العربي عقون، المجلس الاعلى للغة العربية، الجزائر، 2009.

- 11- لاروند أندريه ، برقة في العصر الهلينستي من العهد الجمهوري حتى ولاية أغسطس،
تر: محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، 2002.
- 12- ميادان مادلين هورس ، تاريخ قرطاجة، تر: ابراهيم بالش، منشورات عويدات،
بيروت-باريس، 1881.
- 13- هاوكس(ج)، وولي(ل)، أضواء على العصر الحجري الحديث، تر: يسرى الجوهري،
مكتبة الجامعة العربية، بيروت)، 1967.
- 3) باللغة الأجنبية:

- 01-Berger(Ph), Inscription Funéraires de La nécropole de Bordj-djedide à Carthage, Compte rendus des Séances de L'académie des Inscriptions et Belle Lettre, 1970.
- 02-Mazard(J), Corpus Nummorum Numidiaie Mouretaniaeque, Arts et Métiers Graphiques, Paris.
- 03-Monkachi(M), Inclusions et exclusion des Femme a Volubilis: cite de Maroc roman ceter national de documentaion, rabat, 2005.
- 04-Picard (G. CH), Les Religions de L'Afrique Antique, Libraire Plon, Paris, 1954.
- 05-Petrie(F), History Egypt From The earliest The dynastie of times to The Xvi, London, 1924.
- 06-Gsell (S), Les Monuments antiques de l'Algérie, I, ancienne librairie thorin et fils albert fontemoing, Paris, 1901.
- 07-Berthier (A), Les vestiges du christianisme antique dans la Numidie centrale, Alger, 1942.
- 08-Bosquet (G. H), Le berbères, presse universitaires de fronce, Ed'que sais-Je, 1974 .
- 09-Camps(G), Les Berbères mémoire et identité, éd errance, Paris, 1952.
- 10-CORBier(M), Le divorce et L'adoption as romains Familial Stratégie, ed : B. Rwisn,1991.
- 11-Fantar(M), Carthage approche d'une civilisation ed : Alif, Tunisie, 1998
- 12-Bates(o), The Eastern Libyans, London, 1914.
- 13-Cohen(C), L'Art rupestre et Les rôles de la Femme au paléolithique, ralcamonica Symposium, Paris,2007.
- 14-Fantar (M. H), Elyssa de Carthage, Apports d'mythe, (S. d).
- 15-Février (P. A), Religion et domination dans L'Afrique Romaine, Dialogues d'Histoire ancieme, V.2, 1976.

- 16-Lassère(J-M), peuplement et mouvements de population dans l'Afrique romaine de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des sévères, Annales de géographie, V. 90, CNRS, 1981.
- 17-Gsell(S), Histoire ancienne de L'Afrique du Nord, Tome5-6, Librairie Hachette, paris, 1927.
- 18-Fantar(M), Carthage approche d'un Civilisation, Tome1, Alif, Tunis,1993.
- 19-Hachid(M), Le Tassili de Ajjer aux sources de L'Afrique50 siècles avant Les pyramides méditerranées, Edif, Paris, 2000.
- 20-Harf(G), The Routhedye Dictionary of Egyptien gods and Goddesses, Routledge, London, 2005.
- 21- Camps(G),Hachid(M) Les pirres écrites de L'Atlas Saharien, Tome2, Algies , 1992.
- 22-Hoyos(D), The Carthaginois, Routledge, (Taylor- Francis), London, 2010.
- 23-Humphry(L) et Bocaage(E), Toth Evulsicen in The Maghreb Chronological and Geographhical patents, Afr Archaeal Rev, London, 2008.
- 24-Langland(R), Sexual Morality in Ancient Rome, Cambridge university Rress, Nue York, 2006.
- 25-Dudin (L. S), The Myth of Sacred Prostitution in antiquité, Cambridge University Press, Nue York, 2008.

3)المقالات:

أ)باللغة العربية:

- 1- أبوسلة عبد الحميد أحمد ، والعبريون وصراع المسميات، المجلة العلمية لكلية التربية، مج.1، ع.10، جامعة مصراته ، ليبيا، مارس2018.
- 2-الأثرم رجب عبد الحميد ، هيروودوتس والليبيون، مجلة البحوث التاريخية، ع.2، جامعة قاريونس ، ليبيا، يوليو1993 .
- 3-إدريس مؤمن علي مؤمن ، العادات والتقاليد عند الليبيين القدماء خلال الفترة الفرعونية والإغريقية المبكرة، المؤتمر العلمي الثاني لكلية الآداب، جامعة الزاوية،ليبيا، 15، 2018/07/16.
- 4-إدريس مؤمن علي مؤمن ، المظاهر الحضارية للمجتمع الليبي القديم، المجلة الليبية العالمية، ع.27، جامعة بنغازي، ليبيا، سبتمبر2017.

- 5- أرحومة حميد خميس أحمد و حسين ماهر شعاب عمار، الزواج في القانون البيزنطي، مجلة العلوم والدراسات الإنسانية، ع.28، جامعة بنغازي، ليبيا، 2017.
- 6- اسماعيلي تسعديت و فريدة عمروس، المرأة ودورها في مجتمع المغرب القديم من خلال النقيشات اللاتينية، مجلة الدراسات الأثرية، مج.17، ع.1، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2019/12/31.
- 7- الأعشي مصطفى ، الربة تانيت بين الأصل الأمازيغي والامتداد الشرقي، مجلة المؤرخ، ع.9، جامعة القاهرة، مصر، 2011.
- 8- الأندلسي نضار ، (د.ت)، المرأة والزراعة في تاريخ شمال إفريقيا القديم، (د.ن)، تطوان، المغرب.
- 9- أنديشة أحمد محمد و القماطي حميدة عويدات ، الأسرة زمن الامبراطور أوغسطس (27 ق.م-40م)، مجلة كلية الآداب ، ع.2، جامعة مصراته، ليبيا، ديسمبر 2014.
- 10- ابراهيم جوهرة ، نماذج من الحياة اليومية للشعوب النوليتية من خلال الفن الصخري الصحراوي، مجلة المفكر، مج.2، ع.2، جامعة الجزائر 2 ، الجزائر، 2018/06/10.
- 11- أورفه لي محمد ، نظرة حول التواجد الفينيقي في شمال افريقيا خلال الألف الأول قبل الميلاد أثاره ونتائجه، حوليات جامعة الجزائر، الجزائر، 1997.
- 12- أوكيل صبيحة و بقعة بلخير ، مكانة المرأة في المغرب القديم، مجلة العلوم الاجتماعية، مج.8، ع.2، جامعة عمار ثليجي الاغواط ، الجزائر، جويلية 2019.
- 13- اوموسي ذهبية و إيمان بومدين، ظاهرة البغاء الأسباب والآثار (دراسة حالة بمدينة البلدة)، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، مج.9، ع.2، جامعة البلدة 2 ، الجزائر، 2016/6/1.
- 14- البجباح نعيمة علي سليم ، المرأة الليبية قديما حقوقها وواجباتها ومكانتها الاجتماعية، مجلة المؤتمرات الدولية، (د.ع)، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية ، ألمانيا، 2021.

- 15- بشاري محمد الحبيب، أوضاع الإمبراطورية الرومانية في النصف الثاني من القرن الرابع ميلادي ثورة جيلدون (397-398م)، مجلة الاتحاد العام للأثريين العرب، ع.13، المجلس العربي للدراسات العليا والبحث العلمي، اتحاد الجامعات العربية، يناير 2012.
- 16- بشي إبراهيم العيد، مكانة المرأة الطوارقية، مجلة آثار، مج.9، ع.1، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2011/12/10.
- 17- بصال مالية و مرزوق احمد سايح، واقع ومكانة المرأة في الحضارات القديمة و المغرب القديم، مجلة هيروودوت للعلوم الانسانية و الاجتماعية، ع.5، مؤسسة هيروودوت للبحث العلمي والتكوين، الجزائر، 2018.
- 18- بعيطيش عبد الحميد، المحتوى التاريخي للنقوش الصخرية في الصحراء الجزائرية، مجلة دراسات وأبحاث، مج.6، ع.16، جامعة زيان عشور الجلفة، الجزائر، 2015/9/15.
- 19- بل الفايدة عبد العزيز و محمد معروف، عبادة الرباط في المغرب القديم على ضوء الايغرافيا (Epigraphie)، مجلة الأمل، مج.5، ع.13، 14، المغرب، 1998.
- 20- بلحاج مليكة، المرأة بين الديانات الوضعية والديانات المنزلة، مجلة انثروبولوجية الأديان، مج.9، ع.1، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2013/01/15.
- 21- بلعيد فاطيمة الزهراء، مساهمة أنصاب الفترة البونية في معرفة جانب من الحياة العقائدية والدينية لمنطقة قالة قراءة في ايكولوجيا الأنصاب البونية المحفوظة بمتحف المسرح الروماني، مجلة الآثار، مج.13، ع.1، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2015/10/8.
- 22- بلكمال البيضاوية، المرأة من خلال فسيفساء شمال إفريقيا، مجلة الأمل، ع.13، 14، المغرب، 1998.
- 23- بلكمال البيضاوية، هدايا وجوائز وقرايين من خلال فسيفساء الشمال الإفريقي القديم، أعمال ندوة تكريم للأستاذة زينب عواد التاريخ القديم قضايا وأبحاث، الدار البيضاء، 2005.
- 24- بن بوزيد لخضر، أوائل البربر في الصحراء الوسطى بين 3000 و 1000 ق.م، مجلة التاريخية الجزائرية، مج.2، ع.3، جامعة المسيلة، الجزائر، سبتمبر 2018.

- 25- بن بوزيد لخضر ، دور المرأة في المجتمعات الرعوية خلال فترة ما قبل التاريخ، الجزائر، أعمال الملتقى الوطني الأول المدينة والريف، مكتبة الرشاد، الجزائر، 2013.
- 26- بن سالم الصالح ، عبادة الإله أمون والإلهة تانيت في بلاد المغرب القديم بين الأصل المحلي والاحتواء الأجنبي، مجلة كان التاريخية، ع.30، دار ناشري للنشر الالكتروني، الكويت، 2015.
- 27- بن عبد الله زاهية ، الجسد والعناية الصحية به في رحاب حضارات الماء قراءة اثروبولوجية لعادات الاغتسال في التراث المتوسطي، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع.18، جامعة قاصدي مرباح ورقلة ، الجزائر، مارس 2015.
- 28- بن عبد المومن محمد ، المرأة بالمغرب القديم من خلال النقوش اللاتينية، مجلة الحضارة الإسلامية، مج.15، ع.15. ، جامعة وهران 1 احمد بن بلة ، الجزائر، 2015.
- 29- بن عبد المومن محمد ، الملك سيفاقس ولقاء سيغا الدولي 206 ق.م صفحة من الدبلوماسية النوميديّة، مجلة عصور، مج.6، ع.1. ، جامعة وهران 1 احمد بن بلة ، الجزائر، 2007/6/30.
- 30- بن علال رضا ، ألعاب الصيد ومبارزة الحيوانات المجسدة على مواد مختلفة في المغرب القديم، مجلة الاتحاد العام للآثارين العرب، مج.9، ع.9، المجلس العربي للدراسات العليا والبحث العلمي ، اتحاد الجامعات العربية ، 2008.
- 31- بن علال رضا ، طقوس عبادة الربّة تانيت عند قبيلتي المخليس والأوسيس وانعكاسها على ممارسة المصارعة الرومانية في المغرب القديم، مجلة الباحث، مج.7، ع.7، المدرسة العليا للاثناذة بوزريعة ، الجزائر، 2013.
- 32- بن عية خديجة جهيدة مهنتل، رمزية الحيوان من خلال أنصاب إله ساتيرنينوس(نماذج من أنصاب مقاطعة نوميديا)، مجلة آفاق علمية، مج.13، ع.4، جامعة تامنغست ، الجزائر، 2021.
- 33- بن لباد سالم ، رمز المرأة في الأسطورة الامازيغية الجزائرية-أسطورة أنزار أمودجا-، مجلة معارف، مج.12، ع.22، جامعة البويرة ، الجزائر، 2017.

- 34- بن لباد سالم ، سوسيولوجية الأسطورة الامازيغية في الجزائر "أنزار طقس الاستمطار
أموذجاً"، مجلة كلم، مج.1، ع.2، جامعة وهران 1 احمد بن بلة ، الجزائر، 2016.
- 35- بوحسون العربي ، نسق القرابة الأمومي عند طوارق الهقار، مجلة انثروبولوجية الأديان،
مج.6، ع.2 ، جامعة ابوبكر بلقايد تلمسان ،الجزائر، 2010.
- 36- بودوخة مريم ، تعدد الزوجات هل هي خاصة إسلامية-دراسة نظرية-، مجلة العلوم
الاجتماعية، مج.10، ع.5، جامعة عمار ثليجي الاغواط ، الجزائر ، 2016 .
- 37- بوصلب عبد المجيد ، الوشم لدى المرأة بمنطقة جيجل أغراض ودلالات ورموز مقارنة
سيميو-أنثروبولوجية، مجلة المعيار، مج.25، ع.04. ، جامعة العلوم الاسلامية الامير عبد
القادر قسنطينة ،الجزائر، 2021/6/15.
- 38- بوغرة وفاء ، التعليم في بلاد المغرب القديم، مجلة الفكر، مج.2، ع.1، جامعة
الجزائر 2 ، الجزائر ، 2018/1/15.
- 39- بوغرة وفاء ، ظاهرة تعدد الزوجات في الأسرة اللوية القديمة(قبل القرن الرابع ق.م)،
مجلة الحوار الفكري، مج.13، ع.16 ، جامعة احمد دراية ادرار، الجزائر،
2018/12/15.
- 40- بولوخ محمد ، علاقة الوسط الطبيعي بنشاط الإنسان في بلاد المغرب القديم، المجلة
التاريخية الجزائرية، مج.5، ع.2. ، جامعة المسيلة ،الجزائر، 2021.
- 41- بومعقل مولاي الحاج أحمد ، ظاهرة انتشار التمايم في قرطاج البونية، مجلة تطوير
العلوم الاجتماعية، مج.14، ع.1 ، جامعة زيان عاشور الجلفة ، الجزائر، 2021.
- 42- تلي محمد العيد و محمد رشدي جارية، المجتمع القرطاجي "دراسة في نظمه ومظاهره"،
مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، مج.12، ع.2. ، جامعة الوادي ، الجزائر،
2021/06/7.
- 43- توريرت مصطفى و زاهية مضوي ، الدور الاقتصادي للمرأة في بلاد المغرب القديم،
مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، مج.4، ع.2. ، جامعة ابن خلدون
تيارت، الجزائر، سبتمبر 2021.

- 44- جاب الله خالد آدم أمحدة ، الموسيقى والطرب في المجتمع الليبي قبل الاستيطان الإغريقي، المؤتمر العلمي الثاني لكلية الآداب، جامعة الزاوية، ليبيا، 15- 2018/07/16.
- 45- الجري محمد الطاهر ، الغاية من تأسيس قورينة، مجلة البحوث التاريخية، ع.1، قسم الوثائق التاريخية ، ليبيا، جانفي 1986.
- 46- جرية محمد رشدي ، الدعائم الحضارية للنيلوتي ذو التقاليد القفصية بالصحراء الشمال افريقية، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج.16، ع.2، جامعة الجزائر 2 ، الجزائر، 2016/12/31.
- 47- جرية محمد رشدي ، ثورة الإنتاج إبان العصر النيولوتي(من خلال تدجين الزراعة واستئناس الحيوان)، مجلة البحوث والدراسات، ع.10، جامعة الوادي، الجزائر، 2010.
- 48- حاجي ياسين رابع ، عبادة القديسين في تيبازة في الفترة المسيحية-البيزنطية، مجلة دفاتر البحوث العلمية، مج.1، ع.2، المركز الجامعي بتيبازة ، الجزائر، 2013/5/8.
- 49- حامد أحمد ، من مظاهر الحياة العائلية في المجتمع الكنعاني الفينيقي، مجلة الدراسات تاريخية، ع.79- 80، جامعة دمشق ، سوريا، 2002.
- 50- حمادي صباح جاسم ، الجذور التاريخية لنظام الزواج في وادي الرافدين، مجلة كلية الآداب، ع.102، جامعة بغداد، العراق ، 2012،
- 51- حموم توفيق ، النظام الكهنوتي المخول لعبادة كيريس وكيريس في شمال إفريقيا، مجلة الآثار، مج.5، ع.1، جامعة الجزائر 2 ، الجزائر، 2007.
- 52- خاشة السعيد ، الأسرة طقوس الزواج وتعليم الأطفال في الفترة الرومانية، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، ع.11، مؤسسة الحكمة ، الجزائر، 2017.
- 53- خوجة خالد صديق ، تنظيم النسل في الديانات السماوية، مجلة الحوار الثقافي، مج.4، ع.1، جامعة ابن باديس مستغانم ، الجزائر، 2015/03/15.
- 54- الدراوي محمد علي ، الجرامنت ومظاهرهم الحضارية من خلال المصادر الأدبية والمعطيات الأثرية، مجلة العلوم الإنسانية، ع.18، جامعة المرقب ، ليبيا، مارس 2019.
- 55- الدراوي محمد علي حسين ، المرأة البونية في منطقة المدن الثلاث من خلال النقوش الكتابية والمكتشفات الأثرية، مجلة لبدة الكبرى، ع.2، جامعة المرقب ، ليبيا، ابريل 2017.

- 56- دعاس فارس ، التعليم الابتدائي في المغرب القديم خلال الفترة الرومانية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج.7، ع.1، جامعة قسنطينة 2، الجزائر، مارس 2021.
- 57- دعاس فارس ، واقع الأمومة والطفل في مجتمعات شمال إفريقيا في العصر النيوليتي دراسة من خلال مشاهد الفن الصخري بمنطقة الطاسلي الناجر، مجلة عصور، مج.18، ع.1 ، جامعة وهران 1 احمد بن بلة ، الجزائر، جوان 2019.
- 58- دعاس فارس و محمد رشدي جراية ، ظاهرة الإباحية في المجتمع اللوبي القديم من خلال النصوص الأدبية دراسة تحليلية نقدية، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، مج.17، ع.1 ، جامعة معسكر ، الجزائر، جويلية 2021.
- 59- الربيعي جبار حميدي محيسين ، الرسوم الصخرية لعصور ما قبل التاريخ في ليبيا، مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية، ع.31، جامعة القادسية كلية الفنون الجميلة، العراق، 2017.
- 60- رزيق كمال سالم ، الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية في قرطاج والمدن الثلاث، المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية، ع.1، جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية، ليبيا، 2018.
- 61- رشدي محمد السيد ، المرأة في إقليم سيريناياكا(قوريناية) في العصر اليوناني، مجلة كلية الآداب ، (د.ع) ، جامعة بنها ، مصر، 2005.
- 62- رضوان صالح رمضان ، نساء مهمشات في العالمين اليوناني والروماني، مجلة أوراق كلاسيكية، مج.7، ع.7، جامعة القاهرة ، مصر، 2007 .
- 63- زيان محمد ، المرأة في الفلسفة السياسية اليونانية(إشكالية قابضة بين ثنائية المركز والهامش؟)، مجلة العلوم الإنسانية، مج.20، ع.2، جامعة محمد خيضر بسكرة ، الجزائر، 2020.
- 64- سراج أحمد ، المرأة من خلال فيسيفساء في شمال إفريقيا، مجلة الأمل، ع.13-14، الدار البيضاء ،مغرب، 1998.
- 65- سراج أحمد، صورة المرأة في الأسطورة القديمة أو التاريخ بين الصورة والأسطورة، مجلة الأمل، مج.5، ع.13، 14، الدار البيضاء ،المغرب ، 1998.

- 66- سرحان أبوبكر حسني عيسى أحمد ، عادات وتقاليد سكان شمال إفريقيا
القديم (814ق.م-429م)، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية المصرية، ع.11، كلية
الدراسات الإفريقية العليا ، مصر ، أكتوبر 2021.
- 67- سعد مفتاح محمد ، الملكية في قرطاجنة، مجلة عصور الجديدة، ع.21-22، جامعة
وهران 1 احمد بن بلة ، الجزائر، ماي 2016.
- 68- سعيدي سليم ، الثعبان ودلالاته في المغرب القديم، مجلة مدارات التاريخية، مج.2،
ع.4، المركز المعرفي للدراسات والبحوث، الجزائر، 2020/11/18.
- 69- سعيدي سليم ، صيد الحيوانات المفترسة من خلال الفسيفساء بشمال إفريقيا، مجلة
عصور، مج.18، ع.1، جامعة وهران 1 احمد بن بلة ، الجزائر، 1 جوان 2019.
- 70- سقوان نجلاء ، الامتزاج الاجتماعي بين القرطاجيين والنوميديين من القرن الثالث
الى 146ق.م، مجلة الحقيقة، مج.16، ع.04، جامعة احمد دراية ادرار ، الجزائر،
2018/3/29.
- 71- شارن شافية ، كليوبترة سيليني، دراسات في اثار الوطن العربي، مج.5، ع.5، الإتحاد
العام للآثارين العرب وإتحاد الجامعات العربية، 2002.
- 72- شاهد الياس و حمزة بالي، الفكر الاقتصادي في الحضارات القديمة، مجلة الباحث في
العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج.7، ع.2، جامعة الوادي ، الجزائر، 2016.
- 73- شلوف عبد السلام محمد ، دراسات في تاريخ ليبيا القديم قبيلة الناسامونيس، مجلة
قاريونس العلمية، ع.1-2، جامعة قاريونس ، ليبيا ، 1991.
- 74- شلوق فتيحة ، قراءة في الرسومات الصخرية بوادي التل ببسكرة، مجلة العلوم
الإنسانية، ع.46، جامعة محمد خيضر بسكرة ، الجزائر، مارس 2017.
- 75- شندي أيمن عبد الله ، مكانة المرأة عند اليونان في العصر الهيليني نماذج مختارة، أيمن
عبد الله شندي، مكانة المرأة عند اليونان في العصر الهيليني نماذج مختارة، مجلة البحوث كلية
الآداب، (د.ع)، كلية الآداب، مصر، (د.ت) .

- 76- الشيخ فاطمة علي عمر ، الطعام عند الليبيين القدماء، المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية، ع.5، جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية، ليبيا، 2020.
- 77- صغور صونية ، المرأة الرومانية بين الحياة السياسية والعامة في العهد الإمبراطوري، المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية، ع.6، جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية ، ليبيا، 2021.
- 78- صفيون حسية ، أثر وآثار المرأة في كتابة تاريخ البشرية وتاريخ الجزائر، مجلة الآثار، جامعة الجزائر2، معهد الآثار، الجزائر، 2010.
- 79- صفيون حسية ، بوارد ظهور النظام الأسري الأمومي في المجتمع التاسيلي وعلاقته بظاهرة جمع القوت خلال المرحلة البوفيدية من خلال مشاهد الرسم الصخري، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، مج.3، ع.1، مركز البحث في العلوم الإسلامية و الحضارة بالاغواط ، الجزائر، فيفري 2018.
- 80- صفيون حسية ، كانت البربريات تلدن في الصحراء الوسطى منذ سبعة آلاف سنة، مجلة الآثار، جامعة الجزائر 2 ، الجزائر، مج.13، ع.1، جامعة الجزائر 2 ، الجزائر، 2015.
- 81- صندوق ستي ، الصيد من خلال نماذج الفسيفساء الرومانية المكتشفة في الجزائر، المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية، ع.7، جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية ، ليبيا، 2021.
- 82- صندوق ستي ، المعبودات المحلية لسكان موريطانيا القيصرية، مجلة عصور جديدة، مج.7، ع.27، جامعة وهران 1 احمد بن بلة ، الجزائر ، 2017/2018.
- 83- صندوق ستي ، مكانة الثروة الحيوانية والنباتية للجزائر في التعاملات التجارية قديما، مجلة عصور جديدة، ع.16، 17، جامعة وهران 1 احمد بن بلة ، الجزائر ، 2014/2015.
- 84- طارق عماد ، المكانة التاريخية للمرأة ودورها في المجتمعات القديمة دراسة تمهيدية، مجلة التراث العلمي العربي، ع.4 ، جامعة بغداد ، العراق، 2015.

- 85- عبد الحميد احمد فيصل وآخرون ،الحياة الاجتماعية في إقليم المدن الثلاث خلال العصر الروماني، مجلة Journal Almugaddimah، ع.5، جامعة بنغازي ، ليبيا ،جوان 2017 .
- 86- عبد السلامين مريم ، الرسوم الصخرية الصحراوية والمصادر المصرية القديمة ودورها في إبراز الإرث الصناعي لليبيين القدماء، مجلة مدارات للعلوم الاجتماعية والإنسانية، ع.3 ، جامعة غليزان ، الجزائر ،جانفي 2021.
- 87- عبد السلامين مريم ، القبائل الليبية القديمة موطنها وسماتها العامة من خلال المصادر المصرية القديمة، مجلة رفوف، مج.9، ع.1 ،جامعة احمد دراية ادرا، الجزائر، 2021/01/28.
- 88- عبد العالي الأمين علي الأمين ، القرابين البشرية عند القرطاجيين، المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية، (د.ع) ، جامعة السيد محمد علي السنوسي الاسلامية ، ليبيا، ديسمبر 2019.
- 89- عرباوي صادق وسليم دريسي، هبات المرأة الرومانية ومساهماتها في التطور العمراني للمدينة(الجزائر الرومانية)، مجلة جامعة الامير عبد القادر للعلوم الإسلامية، مج.34، ع.3،جامعة العلوم الاسلامية الامير عبد القادر قسنطينة ، الجزائر ، 2021.
- 90- عزيز طارق ساحد ، التظاهرات الأولى للعصر الحجري الحديث في الجزائر، أعمال الملتقى الوطني الأول حول المدينة والريف في الجزائر القديمة، منشورات جامعة معسكر، معسكر، 2013/2012.
- 91- العقون ام الخير ، رقصة السببية بالصحراء الجزائرية ووفاة الفرعون، مجلة دراسات في اثار الوطن العربي، ع.18، الإتحاد العام للآثاريين العرب وإتحاد الجامعات العربية ، 2016 .
- 92- العقون ام الخير ، صور من حياة المجتمع الليبي القديم من خلال الآثار المصرية، مجلة العلوم الإنسانية، مج.1، ع.2، جامعة وهران 1 احمد بن بلة ، الجزائر ، 2012.

- 93- العقون أم الخير ، مظاهر المجتمع والحضارة الليبية من خلال الآثار المصرية القديمة،
مجلة الاتحاد العام للآثار العرب، مج.7، ع.7 ، المجلس العربي للدراسات العليا والبحث
العلمي، اتحاد الجامعات العربية، 2006 .
- 94- عقون محمد العربي ، المجتمع والثقافة في الشمال الإفريقي القديم نظرة موجزة في
إسهامات الجزائر في الحضارة الإنسانية، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، ع.43، جامعة
قسنطينة 2 ، الجزائر، جوان 2015.
- 95- العقيلي فاطمة سالم ، الصادرات الجرامنتية من خلال النصوص الأدبية والمخلفات
الأثرية، المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية، ع.3، جامعة السيد محمد بن علي
السنوسي الإسلامية، ليبيا، 2019.
- 96- علوة احمد ، العرس التقليدي في المغرب "التبلاج"، اقدم عمليات تسمين الانثى في
الصحراء، مجلة الثقافة الشعبية للدراسات والبحث والنشر، ع.28، البحرين، 2015 .
- 97- عمران عبد الحميد ، مقاومة الاحتلال الروماني "ثورة فيرموس 372م نموذجاً"، مجلة
الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج.6، ع.2. ، جامعة الوادي ، الجزائر، 2015.
- 98- عمران عبد الحميد ، يوغرطة في حربه ضد روما (112-104 ق.م)، مجلة العلوم
الاجتماعية والانسانية، مج.7، ع. 13، جامعة المسيلة، الجزائر، ديسمبر 2017.
- 99- عمروني التوفيق ، تنميط صور العائلة الملكية على الاصدارات النقدية ليوبا
الثاني (25 ق.م-24 م)، مجلة آثار، مج.14، ع.2، جامعة الجزائر2، الجزائر،
2016/16/13.
- 100- العمري عبد النور ، التاريخ الرياضي ودوره السلمي عبر العصور، مجلة دراسات
تاريخية، مج.5، ع.1، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمية، الجزائر،
2017/2/2.
- 101- عيوش حسينة ، آلهة الإسكندرية وطبيعتها بنوميديا، مجلة الحكمة للدراسات
التاريخية، ع.10، مؤسسة الحكمة ، الجزائر، 2017.

- 102- عيوش حسينة ، عبادة ومشخصات جويتر وجونو بالجزائر(نوميديا) خلال الفترة الرومانية، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج. ع.11، مؤسسة الحكمة ، الجزائر ، سبتمبر 2017.
- 103- عيساوي عيسى ، طقوس الماء عند الأمم القديمة مقارنة أناسية، مجلة منتدى الأستاذ، مج.11، ع.1، المدرسة العليا للاساتذة الاداب والعلوم الانسانية قسنطينة ، الجزائر، 2016/1/1.
- 104- عيساوي مها ، المرأة في المسيحية بنوميديا أثناء الاحتلال الروماني(القديسة كريستينا وكفاحها الديني أنموذجا)، أشغال المؤتمر الدولي: المرأة في الوطن العربي عبر العصور نضالها العسكري السياسي الاقتصادي، الحمامات، تونس. ، 2017.
- 105- عيساوي مها ، صورة الأسرة في الرسوم الصخرية قراءة سوسيو-تاريخية، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، مج.1، ع.1. ، جامعة العربي التبسي تبسة ، الجزائر، 2017.
- 106- عينوش حسينة ، آلهة الطب والصحة الإغريقية والرومانية وطبيعتها بنوميديا، مجلة تاريخ المغرب العربي، مج.4، ع.2، جامعة الجزائر 2 ، الجزائر ماي 2018.
- 107- غانم محمد الصغير ، بعض من ملامح الفكر الديني الوثني في بلاد المغرب القديم، مجلة الحوار الفكري، ع.2، الجزائر، (د.ت).
- 108- غريدة سعيد محمد سعيد ، السلطة الزمنية بالإمبراطورية البيزنطية ورسمها للسياسة الدينية بالكنيسة المسيحية بين عقيدة التوحيد والثالوث المقدس فيما بين القرنين الأول والخامس الميلاديين، المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية، ع.3، جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية ، ليبيا، 2019.
- 109- الفاخري مبروكة محمد سعيد ، الفرعون الليبي الأول شيشنق(950-929ق.م)، مجلة كلية الآداب، ع.26، جامعة سبها ، ليبيا، ديسمبر 2018.
- 110- فنطر محمد ، صناعة الطين المفخور في قرطاج، مجلة دوماتو، ع.1، مركز عبد الرحمن السديري الثقافي، الممكة العربية السعودية، 2000.

- 111- الفيتوري دلال مفتاح ، تاريخ طب الأطفال عند الشعوب القديمة، مجلة العلوم والدراسات الانسانية، ع.26، ليبيا، 2017.
- 112- قادوس عزت زكي حامد ، تصور الحياة اليومية من خلال فسيفساء شمال إفريقيا في العصر الروماني "الحيوانات البرية مثلاً"، المؤتمر الدولي السابع الحياة اليومية في العصور القديمة، مركز الدراسات البردية والنقوش، مصر ، 2016.
- 113- قاسم هديل علي ، القرابين في الديانة اليهودية، مجلة المعيار، مج.23، ع.4، جامعة العلوم الإسلامية الأمير عبد القادر قسنطينة، الجزائر ، 2019.
- 114- قاسمي عمار ، موقف الحضارات القديمة من مسألة تنظيم الأسرة التشريع الخاص بالإجهاض، المجلة الجزائرية للعلوم القانونية والسياسية، مج.32، ع.4، جامعة بن يوسف بن خدة الجزائر، الجزائر، 1995.
- 115- كاكي محمد ، المعتقدات والآلهة المغربية أثناء الاحتلال الروماني علاقة التأثير والتأثر، مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية، مج.5، ع.17. ،جامعة زيان عاشور الجلفة ، الجزائر، 2021/6/6.
- 116- كركوش فتيحة ، مدخل انثروبولوجي لممارسة الوشم، مجلة العلوم الإنسانية، مج.5، ع.2، جامعة وهران 1 احمد بن بلة ، الجزائر، 2015/12/1.
- 117- كيحل البشير ، قرطاجة والممالك النوميديّة دراسة في الأصول التاريخية من القرن 12 قبل الميلاد إلى 146 قبل الميلاد، مجلة الدراسات التاريخية، مج.21، ع.1، جامعة الجزائر 2 ،الجزائر، 2020.
- 118- كيدار عبد الوهاب و بلخير بقة، قراءة في الفن الصخري لإنسان العصر الحجري الحديث "موقع عين الناقة بالجلفة أنموذجاً"، مجلة العلوم الإنسانية والحضارة، مج.3، ع.2. ، جامعة عمار ثليجي الاغواط ، الجزائر، 2021/06/30.
- 119- لعياضي حفيضة ، صناعة الفخار في بلاد المغرب خلال العصر القديم، المجلة التاريخية الجزائرية، مج.5، ع.2، جامعة مسيلة ، الجزائر، 2021.
- 120- ماي أمال ، استدعاء طقس الاستسقاء "تلاغنجا" عروس المطر" في ديوان طاسيليا، مجلة النص، مج.7، ع.1، جامعة جيلالي الياس سيدي بلعباس، الجزائر، 2021.

- 121- محجوب عزيزة حسن السيد سليمان ، النساء السوريات في العصر السيفيري، مجلة دراسات في آثار الوطن العربي، ع.2، الإتحاد العام للآثارين العرب وإتحاد الجامعات العربية، (د.ت).
- 122- مسعودي أم الخير ، الزواج والأسرة، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، مج.2، ع.2، جامعة البليدة 2، الجزائر، 2009/07/1.
- 123- مضوي خالدية ، الديانة المسيحية وتطورها غرب موريطانيا القيصرية خلال القرنين الرابع والخامس ميلاديين، مجلة المواقف للدراسات التاريخية، مج.2، ع.1، جامعة معسكر ، الجزائر، 2008/ 4/14.
- 124- مضوي خالدية ، المسيرة الحضارية للملك صيفاقس (Syphax)(220ق.م- 202ق.م) حاكم مملكة الماسيسيل، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع.1، جامعة معسكر ، الجزائر، ديسمبر 2007.
- 125- مضوي خالدية ، من سير ملوك الجزائر القديمة الملك النوميدي ماسينيسا(238- 148ق.م)، مجلة عصور الجديدة، مج.11، ع.1، الجزائر، جامعة وهران 1 احمد بن بلة ، الجزائر، مارس 2021.
- 126- مضوي زاهية ، دور المصاهرة السياسية في توطيد العلاقات بين بلاد المغرب القديم وبلدان الحوض المتوسطي قديما(26ق.م-4ق.م)، مجلة المعيار، مج.12، ع.2، جامعة تسمسليت ،الجزائر، ديسمبر 2021.
- 127- مضوي زاهية ، أسس رعاية الأطفال داخل الأسرة والمجتمع في بلاد المغرب القديم، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، مج.4، ع.2، جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر، 2021/9/30.
- 128- مضوي زاهية و بلخير بقة، الزواج في بلاد المغرب القديم في ظل الاباحية الجنسية وظاهرة تعدد الزوجات، مجلة العلوم الانسانية والحضارة، مج.4، ع.1، جامعة عمار ثليجي الاغواط ، الجزائر ، 2022/01/1.

- 129- مغاري نوال ، قراءة في تطور العلاقات السلمية بين قرطاجنة والليبيين خلال الفترة (480-146 ق.م)، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج.3، ع.6. مؤسسة الحكمة، الجزائر، 2015.
- 130- مقدم بنت النبي ، الطفل في بلاد المغرب القديم خلال العهد الروماني، مجلة قبس للدراسات الانسانية والاجتماعية، مج.4، ع.1، جامعة الوادي ، الجزائر، جوان 2020.
- 131- مقدم بنت النبي ، المرأة في بلاد المغرب القديم خلال العهد الروماني الأول (27 ق.م- 284 م)، مجلة المواقف للبحوث والدراسات، مج.5، ع.1، جامعة معسكر، الجزائر، 2010.
- 132- مقدم بنت النبي ، المظاهر الاجتماعية للأسرة ببلاد المغرب القديم خلال العهد القرطاجي، مجلة الدراسات التاريخية، مج.20، ع.1، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2019/10/19.
- 133- مقدم بنت النبي ، عادات وتقاليد سكان بلاد المغرب القديم ومدى تأثيرها على الأسرة، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج.2، ع.4، مؤسسة الحكمة ، الجزائر، جوان 2014.
- 134- مقدم بنت النبي و عائشة سعدان، المرأة في الجزائر القديمة من خلال اعترافات اوغسطينوس، مجلة عصور الجديدة، مج.10، ع.1، جامعة وهران 1 احمد بن بلة ، الجزائر، 2020/3/30.
- 135- المكي فتحي و سواكري الطاهر ، البغاء بين العوامل والنتائج، مجلة افاق لعلم الاجتماع، مج.6، ع.2، جامعة البليدة 2 ، الجزائر، 2016/12/31.
- 136- ملاذ محمد سعد وآخرون ، الحياة الاجتماعية في إقليم المدن الثلاث خلال العصر الروماني، Journal AL-Muqaddimah ، ليبيا، جوان 2017.
- 137- منصوري خديجة ، النصب الجنائزية للأطفال بموريطانيا القيصرية خلال الفترة الرومانية، مجلة دراسات في آثار الوطن العربي، مج.6، ع.6 ،الإتحاد العام للآثارين العرب وإتحاد الجامعات العربية ، 2003.

- 138- منصوري خديجة، أصناف النساء ببلاد المغرب القديم من خلال الآثار والمصادر الأدبية، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، مج.23، ع.1، جامعة العلوم الإسلامية الأمير عبد القادر قسنطينة، الجزائر، 2008.
- 139- المنقوش وريدة علي، الفن الصخري بالصحراء الكبرى المراحل وإشكالية التفسير والتأريخ، المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراته، ليبيا، مج.1، ع.11، سبتمبر 2018.
- 140- مهنتل جهيدة، القديسة صالسا بتيبازة بين الأسطورة والحقيقة الأثرية، مجلة دفاتر البحوث العلمية، مج.1، ع.2، المركز الجامعي بتيبازة، الجزائر، 2013/5/8.
- 141- موسى ابراهيم درباس، حامد جاسم حمادي، مفهوم الزواج وتعددده في الحضارات القديمة (الحضارة العراقية- الحضارة المصرية- الحضارة الرومانية- الحضارة الإسلامية)، مجلة الجامعة العراقية، مج.36، ع.3، كلية العلوم الإسلامية و كلية القانون، العراق، (د.ت).
- 142- ناير مختار، الطقوس الدينية القديمة بنوميديا الرومانية، مجلة العلوم الانسانية، مج.5، ع.1، جامعة وهران 1 احمد بن بلة، الجزائر، 2017/12/30.
- 143- نجيمي خولة وهجيرة تمليكشت، دور الحلبي في الحياة الاجتماعية والثقافية، مجلة مفاهيم للدراسات الفلسفية والانسانية المعمقة، مج.1، ع.3، جامعة زيان عاشور الجلفة، الجزائر، ديسمبر 2018.
- 144- نصاح غالية، مظاهر الترفيه في مقاطعات إفريقيا الرومانية من خلال عروض المسرح (27ق.م-429م)، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج.6، ع.4، مؤسسة الحكمة، الجزائر، ديسمبر 2018.
- 145- نصرات عادل مصباح، المعتقدات الدينية الفينيقية وظاهرة التضحية بالأطفال قرطاجة نموذجاً، المجلة الليبية للدراسات، دار الزاوية للكتاب، ليبيا، ع.13، 2017.
- 146- النويعمي ماجدة، أسطورة آينياس ملحمة الإنياذة للشاعر فرجيليوس، مجلة الفكر الكويتية، مج.40، ع.4، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2012.
- 147- النويعمي ماجدة، المرأة والموسيقى في روما القديمة، Papyri-Délit، ع.2، جامعة الاسكندرية، مصر.

- 148- هذاال حصه بنت التركي ، علاقه الطفل اليوناني بأسرته والقوانين الخاصة به، مجلة الخليج للتاريخ والآثار، ع.10، مجلس التعاون لدول الخليج العربية - جمعية التاريخ والآثار، السعودية، 2015.
- 149- هزاوي انتصار خالد ، العلاقة بين الليبيين والمستوطنين الإغريق والرومان، المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية، ع.7، جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية، ليبيا، 2021.
- 150- هناني جيلالي ، الممارسات الدينية والطقوسية لطرق الاستمطار ببلاد المغرب الأوسط خلال العهد الزياني(ق7-10هـ/13-16م)، مجلة الانثروبولوجية الأديان، مج.17، ع.2، جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان ، الجزائر، 2021/6/5.
- 151- يحياوي السعيد ، تطور النشاط البدني الرياضي في العصور القديمة، مجلة التحدي، مج.2، ع.1، جامعة العربي بن المهيدي أم البواقي، الجزائر، 2010.
- (ب) باللغة الأجنبية:
- 1-Camps(S), Liste onomastique Libyque, Nouvelle édition 38, 39, 2002/2003.
- 2-Chaboh(J), Les inscriptions Puniques de La Collection Marchant, L'Académie des inscriptions et belles lettres, N.1, 1916.
- 3-Fantar(M.H), Baal Hammon, Reppal, Tunis, 1990.
- 4-Lhote(H), Le Peuplement du Sahara néolithique d'après L'interprétation des gravures et des peintures rupestres, Journal de la société des Africanistes, Tome40, Fascicule2, 1970.
- 5-Mostefai(A), Les représentations féminines d'Ozan Ehéré (Tasîli-n-Ajjer, Sahara central, Algérie) , Les Cahiers de L'Aars, Paris, N.16, 2013.
- 6- Dussaud(R), Précisions épigraphiques sur Les Sacrifices puniques d'enfants, L'académie des inscriptions et belles lettres, N.3, 1946.
- 7-Charbonnel(N), Demougin (S), Un marché en Numidie au III^e siècle après J.-C. Revue historique de droit français et étranger, N. 54, 1976
- 8-Ladjimi (LS), Apropos du Flaminat Féminin dans Les provinces, Mélanges de L'école française de Rome , Antiquité, 1990.
- 7-Ladjimi(LS), L'amour en Afrique romaine(apropos d'une inscription métrique des environs de Dougga Tunisie), Antiquités Africaines, 1990
- 9-Shaw (B.D). Rural Markets in North Africa and the political economy of the Roman Empire, Ant. Afr, N. 17, 1981.

- 10- Jullian(C) Luquet(G.H), L'Arte et La religion des hommes Fossiles, Masson, Paris, 1926.
- 11-Mathis(R), Les mariages entre Romains et Barbares comme stratégies familiale pendant L'Antiquité tardive, chbadelch, chettipani L'Antiquité tardive, 2012
- 12-Yazidi Zeghal(S), La Femme Carthaginise état de La recherche, Reppal IX, Tunis, 1995.
- 13-Vars(Ch), Inscriptions inédites de la province de Constantine, R.S.A.C., N. 28 , 1894.
- 14-Camps(G), Qui Sont Les Dii Mauri Antiquités Africaines, TXXVI, 1990.
- 15- Dussaud(R)Chabot(J), Recuit des inscriptions Libyques, Imprimer National, Paris, 1940
- 16-Briand-Ponsart (C), Les Dames et la terre dans l'Afrique Romaine, Association d'histoire des sociétés rurales « Histoire & Sociétés Rurales», Vol. 19, 1^{er} Sem. , 2003.
- 17-Charbonnel(N), Demougin(S), Un marché en Numidie au III^e siècle après J.-C., Revue historique de droit français et étranger, N. 54, 1976.
- 21- Huard(P) et Allard(L), Gravures rupestre du Tadrart Akakous(Libye S.W), Bulletin de la Société préhistorique Française, Comptes rendus des séances mensuelles, Tome74, N 9, 1977.
- 22-Benseddik(N), être Femme Le Maghreb ancien, Awal, N20, 1999.

3) الأطروحات و الرسائل الجامعية:

أ) باللغة العربية:

أ-1) مذكرات الماجستير:

- 1- أبو حجر عائشة عيسى ، دور المرأة في المجتمع الروماني (27ق.م-235م) "روما انموذجا"، (رسالة ماجستير في التاريخ القديم)، جامعة مصراته، ليبيا، 2018/2017.
- 2- ادريس مؤمن علي مؤمن ، الحياة الاجتماعية الرومانية خلال العهد الجمهوري (133-27ق.م)، (رسالة ماجستير في التاريخ القديم)، جامعة بنغازي، ليبيا، 2012.
- 3- اكسيل لولو ، التركيبة الاجتماعية للمغرب القديم، (رسالة ماجستير في التاريخ القديم)، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2016/2015.

- 4- باحمان حسيبة ، سكان بلاد المغرب القديم في العهد القرطاجي (814-146 ق.م)،
(رسالة ماجستير في التاريخ الثقافي والاجتماعي المغربي عبر العصور، جامعة العقيد
احمد دراية)، جامعة ادرار، الجزائر، 2015/2016.
- 5- بن بوزيد لخضر ، الأثر الديني في مشاهد الرسوم الصخرية لمنطقة الطاسلي-آجر خلال
مرحلة ذوي الرؤوس المستديرة (8000-2500 ق.م)، (رسالة ماجستير في التاريخ
القديم)، جامعة ابو القاسم سعد الله الجزائر2، الجزائر، 2009/2010.
- 6- بوسليماني حياة ، دراسة مكونات مجتمع مدينة تيفاستيس وضواحيها من خلال
الكتابات اللاتينية في الفترة الممتدة بين القرنين الأول والثالث للميلاد، (رسالة ماجستير
في التاريخ القديم)، جامعة الجزائر معهد الآثار، الجزائر، 2007/2008.
- 7- بومعقل مولاي الحاج أحمد ، مظاهر من التأثير القرطاجي في نوميديا (الزراعة، الديانة
واللغة) من القرن الثالث الى 146 ق.م، (رسالة ماجستير في التاريخ القديم)، جامعة
يوسف بن خدة، الجزائر، 2008/2009.
- 8- توريرت مصطفى ، العلاقات النوميديّة الرومانية بين السيادة والتبعية (203-46 ق.م)،
(رسالة ماجستير في التاريخ القديم)، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2013/2014.
- 9- جاد غادة محمد سيد احمد ، أناشيد الزواج الرومانية حتى نهاية القرن الأول الميلادي
دراسة أدبية اجتماعية، (رسالة ماجستير في التاريخ اليوناني والروماني)، جامعة
الإسكندرية، مصر، 2007.
- 10- جانيف مولاي محمد ، التضحية بالأطفال في العالم البونيقي قرطاجة نموذجاً، (رسالة
ماجستير في الآثار والانثروبولوجيا)، جامعة اليرموك، الأردن، 1997.
- 11- الجبالي صفاء محمد إبراهيم ، الرياضة في إقليم كيريناكي في العصر الإغريقي (631-
96 ق.م) من خلال دراسة البقايا الأثرية الدالة عليها (دراسة تحليلية وصفية)، (رسالة
ماجستير في الآثار)، جامعة قاريونس، ليبيا، 2010.
- 12- جراية محمد رشدي ، الصحراء الجزائرية خلال العصر الحجري الحديث (6100-
1000 ق.م)، (رسالة ماجستير في التاريخ القديم)، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر،
2007/2008.

- 13- جرجس سلوى هنري ، الأزياء الرومانية دراسة فنية وتطبيقية، (رسالة ماجستير في الاقتصاد المنزلي تخصص ملابس ونسيج)، جامعة حلوان، سوريا، 1982.
- 14- الحراري جمعة البشير محمد ، الحياة الاجتماعية والمعتقدات الدينية في ولاية إفريقيا البروقنصلية (31 ق.م-284م)، (رسالة ماجستير في التاريخ القديم)، جامعة السابع من ابريل، ليبيا، 2004.
- 15- حسن اشرف نادي احمد ، الأمومة في مناظر وتمائيل الملوك والأفراد في العصرين اليوناني والروماني في مصر، (رسالة ماجستير في الآثار المصرية)، جامعة القاهرة، مصر، 2010.
- 16- خلفه عبد الرحمان ، الديانة الوثنية المغاربية القديمة (منذ النشأة الى سقوط قرطاجة 146 ق.م)، (رسالة ماجستير في التاريخ القديم)، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2008/2007.
- 17- رشوان محمد نصر منصور ، دراسة لمباني المجالدة الرومانية في شمال إفريقيا (دراسة معمارية فنية)، (رسالة ماجستير في الآثار والدراسات اليونانية والرومانية)، جامعة دمنهور، مصر، 2021.
- 18- سرحان ابوبكر حسني عيسى احمد ، مجتمع المغرب تحت الاحتلال الروماني، (رسالة ماجستير في الدراسات الإفريقية في قسم التاريخ القديم)، جامعة القاهرة، مصر، 2013.
- 19- سويسى نرجس محمد ، الوضع القانوني للمرأة في المجتمع الروماني، (رسالة ماجستير في التاريخ القديم)، جامعة الفاتح، ليبيا، 2007/2006.
- 20- صوشة المدني علي ، العلاقات الليبية المصرية في ظل الصراع الفارسي الإغريقي، (رسالة ماجستير في التاريخ القديم)، جامعة أحمد بن بلة وهران1، الجزائر، 2017/2016.
- 21- ضو بن رمضان ضو سالم ، الديانة الليبية القديمة وتأثرها بالديانات الأخرى من القرن 5 ق.م حتى بداية القرن الأول الميلادي، (رسالة ماجستير في التاريخ القديم)، جامعة سرت، ليبيا، 2009.

- 22- طياب مريم ، النظم الاجتماعية في نوميديا (من مطلع القرن الأول ميلادي إلى نهاية القرن الثالث ميلادي)، (رسالة ماجستير في التاريخ)، جامعة العقيد احمد دراية ادرار، الجزائر، 2015/2014.
- 23- عثمان ليندة ، العادات الدينية والطقوس والشعائر الجنائزية في بلاد المغرب القديم في الفترة الليبية البونية،(رسالة ماجستير في التاريخ القديم)، جامعة الجزائر2،الجزائر، 2014/2013.
- 24- عمران ريم توفيق ، دور المرأة الأوغارتية في الواقع والأسطورة خلال القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد،(رسالة ماجستير في تاريخ سوريا القديم)، جامعة تشرين، سوريا، 2017/2016.
- 25- القماطي حميدة عويدات ، الحياة الفكرية والثقافية في اقليم قوريناية خلال العصر الإغريقي (631-96 ق.م)، (رسالة ماجستير في التاريخ القديم)، جامعة الفاتح، ليبيا، 2010.
- 26- كيحل البشير، الحضور الديني البوني في نوميديا (814-146 ق.م)، (رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ القديم)، جامعة الجزائر2، بوزريعة، 2012/2011،
- 27- لبلق أسماء ، التحولات الثقافية والرمزية لمراسم الزواج في الأسرة التلمسانية، (رسالة ماجستير في علم الاجتماع الثقافي)، جامعة وهران2،الجزائر، 2012/2011.
- 28- محمد لمياء علي ، الحياة الاجتماعية في مدينة روما القديمة منذ تولي الإمبراطور اوغسطس حتى نهاية الأسرة السيفيرية (27 ق.م-235 م)، (رسالة ماجستير في التاريخ القديم)، جامعة طرابلس،ليبيا، 2019/2018.
- 29- المصري هالة محمد الفيتوري ، تطور النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المدن الثلاث أثناء عهد الأسرة السيفيرية (193-235 م)، (رسالة ماجستير في التاريخ القديم)، جامعة غريان، ليبيا. ، 2020/2019
- 30- مغاري نوال ، قرطاجة والليبيون 480 ق.م -146 ق.م، (رسالة ماجستير في التاريخ القديم)، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2013.

- 31- الهدار علي بشير مصباح ، مدينة الإسكندرية في عهد لاسكندر الأكبر وخلفائه وعلاقتها بكورني الليبية (356-96ق.م) دراسة تاريخية أثرية، (رسالة ماجستير في الآثار الكلاسيكية)، جامعة المرقب، ليبيا، 2008.
- 32- يوسف عبد الستار صالح ، المرأة ودورها في حضارة بلاد الإغريق من عام 525ق.م إلى عام 406ق.م، (رسالة ماجستير في التاريخ القديم)، جامعة بنغازي، ليبيا، 2019.
- أ-2) أطروحات الدكتوراه:
- 33- أندش لطيفة التهامي ، العقائد الجنائزية في قرطاج (814-146ق.م)، (أطروحة دكتوراه في آداب التاريخ القديم)، جامعة عين الشمس، مصر، 2018.
- 34- بلعابد زينب ، الملامح الجنائزية والنذرية للوبيين والنوميديين في المملكة النوميديّة (دراسة تحليلية من خلال المعالم واللقى الأثرية)، (أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ القديم)، ج.2، جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 2، الجزائر، 2016/2015.
- 35- بن السعدي سليمان ، علاقات مصر بالمغرب القديم منذ فجر التاريخ حتى القرن السابع قبل الميلاد، (أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم)، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2009/2008.
- 36- بن عرفة إبراهيم ، الممارسات الطقوسية والاحتفالية وعلاقتها بالنشاط الفلاحي دراسة اثروبولوجية في منطقة بئر الذهب ولاية تبسة، (أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع)، جامعة علي لونيسي البليدة، الجزائر، 2019/2018.
- 37- بوغرة وفاء ، العلاقات الاجتماعية والثقافية بين المغرب القديم وشعوب البحر الأبيض المتوسط منذ الألف الأولى قبل الميلاد إلى 431م، (أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم)، جامعة ادرار، الجزائر، 2018/2017.
- 38- حمادوش بولخراس ، إصلاحات أغسطس في الدولة الرومانية وانعكاساتها على المغرب القديم، (أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ القديم)، جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر 2، الجزائر، 2020/2019.

39- حموم توفيق ، النخب الإدارية والاجتماعية للكنفدرالية السرتوية والمدن الكبرى بنوميديا أثناء الاحتلال الروماني(منذ سنة46 قبل الميلاد إلى نهاية القرن الرابع الميلادي)، (أطروحة دكتوراه في الآثار القديمة)، جامعة الجزائر معهد الآثار،الجزائر، 2009/2008.

40- دعاس فارس ، مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب القديم من بداية العصور التاريخية إلى نهاية الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، (أطروحة دكتوراه(ل.م.د) في تاريخ المغرب القديم)، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي،الجزائر، 2021/2020.

41- الدلال سعد صالح عوض ، المجتمع الروماني في قورني (96-ق.م-248م)، (أطروحة دكتوراه في الفلسفة قسم التاريخ والآثار يوناني وروماني)، جامعة بنها، مصر، (د.ت).

42- راشد توفيق مسعود ، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في جرمة منذ نشأتها حتى القرن السادس الميلادي،(أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم)، جامعة طرابلس، ليبيا، 2017.

43- الزدام نجلاء عبد الله ، الأحوال الحضارية للقبائل الليبية في المدن الثلاث خلال العصر الروماني، (أطروحة دكتوراه في التاريخ اليوناني والروماني)، جامعة قناة السويس، مصر، 2019.

44- زموري خديجة ، القديس اغسطين بين السلطة الرومانية والمجتمع المحلي، (أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم)، جامعة 8ماي1945 قالمة،الجزائر، 2018/2017.

45- سالم محمد أحمد ، الحياة الدينية والفكرية في قورينائية أثناء العصر الإغريقي، (أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم)، جامعة الجزائر2،الجزائر، 2006/2005.

46- سي فضيل زاهية ، الضمانات المقررة للمرأة العاملة في التشريع الجزائري والمقارن، (أطروحة دكتوراه في الحقوق)، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم،الجزائر، 2018/2017.

47- صندوق ستي ، الثروة الحيوانية والغطاء النباتي في الجزائر خلال العصور القديمة،(اطروحة دكتوراه في التاريخ القديم)، جامعة أحمد بن بلة وهران، 20161/2025.

- 48- عبد الرحيم إيناس فتوح ، القيم الجمالية للأزياء في التصوير الجداري الروماني (من القرن الثاني ق.م الى القرن الرابع الميلادي)، "دراسة مقارنة"، (أطروحة دكتوراه في الاقتصاد المنزلي قسم الملابس والنسيج)، جامعة حلوان، 2006.
- 49- عمران عبد الحميد ، الديانة المسيحية في المغرب القديم النشأة والتطور (180-430م)، (أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ القديم)، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2010/2011.
- 50- عولمي الربيع ، المسيحية في بلاد المغرب القديم ودورها في أحداث القرنين الرابع والخامس الميلاديين، ج.1، (أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم)، جامعة باتنة1، الجزائر، 2015/2016.
- 51- عيساوي مها ، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، (أطروحة دكتوراه في التاريخ)، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2009/2010.
- 52- مسعودي أسماء ، المرأة في تشريع الآديان السماوية، (أطروحة دكتوراه في العلوم الإسلامية)، جامعة يوسف بن حدة، الجزائر ، 2018/2019.
- 53- مسعي عبد الحق ، المؤثرات الحضارية الإغريقية في المغرب القديم من القرن السابع قبل الميلاد إلى القرن الأول ميلادي، (أطروحة دكتوراه العلوم في تاريخ القديم)، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2017/2018.
- 54- مقدم بنت النبي ، الأسرة في بلاد المغرب القديم خلال العهد الروماني الإمبراطوري الأعلى، (أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم)، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2012/2013.
- 55- مكّي فتحي ، إقبال المرأة على البغاء في المجتمع الجزائري، (أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع)، جامعة البليدة2، الجزائر، 2018/2019.
- 56- نافجة عبد المالك ، عادات وطقوس الزواج مقارنة انثروبولوجية للمجتمع المحلي بشريعة، (أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع الانثروبولوجيا)، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، الجزائر، 2017/2018.

57- يحيى نسيمه الربيع ، المرأة بين القيم والمتغيرات الاجتماعية دراسة سوسيولوجية لتأثير

التغيرات على بعض القيم لدى المرأة بمدينة قصر الشلالة، (أطروحة دكتوراه في علم

الاجتماع والانثروبولوجيا)، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، الجزائر، 2018.

ب) باللغة الأجنبية:

1- Martine(E. A), The role and position of women in Roman North African Society,, Doctoral of littérature and Philosophie(ancient historie South Africa) , University of South Africa, 2002

4) المعاجم والموسوعات:

1 -بار ندر جيفري، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، تر: إمام عبد الفتاح، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1993،

2-ابن المنصور، لسان العرب، ج.14، دار الصادر، بيروت، 1300هـ.

3-ادوارد ويستمر مارك، موسوعة تاريخ الزواج، تر: مصباح الصمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط.1، بيروت، 2001.

4-خشاب مصطفى ، دراسات في علم الاجتماع العائلي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1983.

5-الخولي سناء ، الزواج والعلاقات الاسرية، دار النهضة للطباعة العربية، بيروت، (د.ت).

6-سلامة امين ، معجم الأعلام في الأساطير اليونانية والرومانية، مؤسسة العروبة للطباعة والنشر والاعلان، ط.2، 1988.

7-الفيروز ابادي، القاموس المحيط، تح: انس محمد الشامي، زكريا جابر احمد، ج.4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1301هـ

8-مان ميشل ، موسوعة العلوم الاجتماعية، تر: عادل مختار الهواري واخرون، دار المعرفة الجامعية، الازارطة، 1999.

9-نعمة حسن ، ميتولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1994.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

.....	الشكر والعرفان
.....	قائمة المختصرات
.....ص أ	مقدمة
.....ص 19	I) الفصل الأول: المرأة وتأسيس الأسرة في بلاد المغرب القديم
.....ص 20	I-1) ماهية الزواج وأشكاله
.....ص 20	I-1-1) ماهية الزواج
.....ص 21	أ) لغة
.....ص 21	ب) اصطلاحا
.....ص 24	I-1-2) أشكال الزواج وأنواعه
.....ص 24	أ) أشكال الزواج
.....ص 24	أ-1) الزواج الميثولوجي
.....ص 24	أ-2) الزواج الأحادي (Monogamie)
.....ص 24	أ-3) الزواج التعددي (polygamie)
.....ص 25	أ-4) الزواج الجماعي (Group mariage)
.....ص 25	أ-5) الزواج من الطبقات الأعلى (Hypergamie me)
.....ص 25	ب) أنواعه
.....ص 25	ب-1) الزواج بالسيادة (Mariage cum Manu)

ب-2)	الزواج بلا سيادة (Mariage sine Manus)	ص25
ب-3)	الزواج من المحظيات	ص26
I-2)	شروط الزواج وطقوسه	ص26
I-2-1)	الخطوبة	ص28
I-2-2)	المهر	ص29
I-2-3)	سن الزواج	ص31
I-2-4)	صفات العروس	ص38
I-2-5)	العذرية	ص39
I-2-6)	الاحتفال بالزواج	ص41
أ)	الرقص والغناء	ص42
ب)	حلي العروسة وزينتها	ص43
ج)	ليلة العرس	ص44
I-3)	الطلاق	ص46
I-4)	الأرامل	ص49
I-5)	تعدد الزوجات	ص51
I-6)	المرأة ومسألة المشاعة الجنسية (البغاء المقدس)	ص58
I-6-1)	مفهوم البغاء المقدس وأشكاله	ص59
أ)	البغاء لغة	ص59
ب)	البغاء اصطلاحاً	ص60
ج)	أشكاله	ص60

I-6-2)	المشاعة الجنسية في بلاد المغرب القديم.....	ص61
II)	الفصل الثاني: مهام المرأة الأسرية ببلاد المغرب القديم.....	ص72
II-1)	المرأة والطفل.....	ص73
II-1-1)	المرأة والطفل فيما قبل التاريخ (الحمل والإنجاب).....	ص75
II-1-2)	الإجهاض.....	ص81
II-2)	النسب والتبني.....	ص89
II-2-1)	الأطفال الشرعيين.....	ص89
II-2-2)	الأطفال غير الشرعيين.....	ص94
II-2-3)	قضية التبني.....	ص94
II-3)	الاعتناء بالأطفال.....	ص96
II-3-1)	كنية الطفل.....	ص98
II-3-2)	الرعاية الطبية للأطفال.....	ص100
II-4)	التربية والتعليم.....	ص105
II-4-1)	التربية.....	ص105
II-4-2)	التعليم.....	ص108
II-5)	التضحية بالأطفال.....	ص112
II-6)	الوظائف الأسرية للمرأة في بلاد المغرب القديم.....	ص119
II-6-1)	العناية المنزلية (رعاية العائلة).....	ص121
II-6-2)	المرأة والصفات الحميدة (الإشادة بها).....	ص128
II-6-3)	المرأة والتفكك الأسري.....	ص134
III)	الفصل الثالث: الحياة السياسية والعسكرية للمرأة في بلاد المغرب القديم.....	ص141

- III-1) الإرهاصات الأولى لتولي المرأة السلطة فيما قبل التاريخ.....ص142
- III-2) المكانة السياسية والدبلوماسية للمرأة في بلاد المغرب القديم.....ص146
- III-2-1) الدور السياسي للمرأة القرطاجية:ص146
- 1) الملكة القرطاجية عليسة ونظام الحكم.....ص147
- أ) عليسة وتأسيس قرطاجة.....ص147
- أ-1) من هي عليسة ديدون؟: كنيته.....ص147
- أ-2) أصولها.....ص148
- أ-3) مكانتها الملكية.....ص149
- أ-4) عليسة في مواجهة شقيقها بيغماليون.....ص153
- ب) مستوطنة قرطاجة.....ص153
- ب-1) بناؤها.....ص153
- ب-2) ميلادها.....ص156
- ج) نهاية عليسة.....ص159
- ج-1) عليسة والملك الليبي هيرباس (Hiarbas): من هو الملك هيرباس؟.....ص159
- ج-2) زواج عليسة.....ص160
- ج-3) النظام السياسي في قرطاجة.....ص164
- 2) الملكة صوفونيزب (Sophonisbe).....ص166
- أ) كنيته وأصولها.....ص166
- ب) صفاتها وسلوكها.....ص166
- ج) زواجها من الملك سيفاكس (205 ق.م).....ص167
- د) صوفونيزب والحرب.....ص169

هـ) نهاية الملكة صوفونيزب.....	ص170
3) الملكة الطرقية تين هينان (Tinhinan).....	ص171
أ) الأصول والتسمية.....	ص172
ب) سلوكها وصفاتها.....	ص173
ج) الأسطورة والتاريخ.....	ص173
III-3) مكانة المرأة العسكرية (المرأة والجيش).....	ص175
III-3-1) المحاربات الأمازוניات (Amazons).....	ص175
1) الأمازونات أسطورة أم حقيقة.....	ص176
أ) محتوى الأسطورة.....	ص176
أ) النقد والتحليل: (الموطن الأصل والنسب).....	ص177
2) الحروب والتوسع.....	ص180
3) العذرية والجيش.....	ص182
III-3-2) سيريا نوبل (Cyria Nuvel).....	ص183
1) أسرة نوبل (Nuvel).....	ص183
2) الابنة سيريا ودورها العسكري.....	ص184
III-4) المصاهرة السياسية.....	ص185
III-4-1) المصاهرة مع بلدان الشرق الأدنى.....	ص185
1) مع المصريين القدماء.....	ص185
2) مع الفينيقيين.....	ص194
III-4-2) المصاهرة مع بلدان غرب البحر المتوسط.....	ص197
1) مع الإغريق.....	ص197

203	(2) مع الرومان.....ص
204	أ) أسرة الإمبراطور ثيودسيوس (379-457م).....ص
204	أ-1) من هو ثيودسيوس الأول (EODOSIUS I) (379-395م).....ص
204	أ-2) حكمه.....ص
206	أ-3) خليفته.....ص
206	ب) من هو جيلدون؟؟.....ص
206	ب-1) حياة جيلدون.....ص
206	ب-2) الصراع بين الأشقاء والسلطة الرومانية.....ص
208	ب-3) المصاهرة والمصلحة السياسية.....ص
208	ج) زواج أرتيافيل.....ص
211	VI) الفصل الرابع: الحياة الاقتصادية للمرأة في بلاد المغرب القديم.....ص
212	VI-1) المرأة والصيد والرعي خلال العصور الحجرية.....ص
213	VI-1-1) القنص و الصيد.....ص
219	VI-1-2) الرعي واستئناس الحيوان.....ص
223	VI-2) المرأة وممارسة الزراعة.....ص
223	VI-2-1) المرأة و الخصوبة.....ص
231	VI-2-2) المرأة وطقوس الاستمطار.....ص
233	أ) أسطورة أنزار عروس المطر.....ص
236	ب) أداء الطقس وإحيائه.....ص
238	ج) بوغنجة، تلاغنج.....ص
241	VI-3) المرأة والصناعة.....ص

241	VI-3-1) الحياكة والحلي.....ص
241	أ) مواد صناعة الملابس والحلي.....ص
241	أ-1) الجلود.....ص
242	أ-2) النسيج.....ص
243	أ-3) الحلي.....ص
244	VI-3-2) الحياكة والنسيج (أشغال الإبرة).....ص
248	VI-3-3) صناعة الفخار والزجاج.....ص
251	VI-4) المرأة وعالم التجارة.....ص
251	VI-4-1) المرأة والميراث.....ص
256	VI-4-2) المرأة والبيع والشراء.....ص
261	VI-4-3) المرأة وسك العملة.....ص
263	IV) الفصل الخامس: الحياة الدينية و الثقافية للمرأة ببلاد المغرب القديم.....ص
264	IV-1) المهام الدينية للمرأة في بلاد المغرب القديم.....ص
264	VI-1-1) المرأة والدين فيما قبل التاريخ.....ص
267	VI-1-2) الآلهة الأنثى في بلاد المغرب القديم.....ص
267	أ) الآلهة المحلية.....ص
268	أ-1) الآلهة المورية (Dii Mauri).....ص
269	أ-2) فارسو تينيه الماورية (Varsutina Maurorum).....ص
269	أ-3) فيهينام وفارسيسيما.....ص
270	أ-4) فارسيس (Varsis).....ص
270	أ-5) الإلهة كايليستيس (Caelestis).....ص

ب) الآلهة الوافدة: الآلهة ذات الطابع المشرقي.....	ص272
ب-1) الآلهة المشرقية المصرية القديمة.....	ص272
ب-1-1) الإلهة ايزيس (Isis).....	ص273
ب-1-2) الإلهة سييلي (Cybèle).....	ص274
ب-2) الآلهة الفينيقية البونيقية.....	ص275
ب-2-2) الآلهة تانيت بنيعل (Tanit Pene Ba 'al).....	ص275
ج) الآلهة ذات الطابع الإغريقي والروماني.....	ص279
ج-1) الآلهة الاغريقية.....	ص279
ج-1-1) الإلهة أثينا (Athéna).....	ص279
ج-1-2) الإلهتان ديمتري (Déméter) وكوري (Coré):.....	ص280
ج-2) الآلهة الرومانية.....	ص281
ج-2-1) الآلهة جونو (Juno).....	ص282
ج-2-2) الآلهة مينرفا (Menarva).....	ص283
ج-2-3) الآلهة ديانة (Diane).....	ص283
ج-2-4) الآلهة سيريس.....	ص283
ج-2-5) الآلهة فينوس (Venus).....	ص284
VI-1-3) المرأة والنشاط الديني (الكاهنة والقديسة).....	ص285
أ) المرأة الكاهنة.....	ص285
ب) المرأة والمسيحية.....	ص290
ب-1) المرأة القديسة.....	ص291

ب-2)	المرأة الشماسة (Diaconesse).....	ص293
ب-3)	الراهبة العذراء.....	ص294
ب-4)	الأرامل.....	ص294
IV-2)	الحياة الثقافية والفنية للمرأة في بلاد المغرب القديم.....	ص295
VI-2-1)	المرأة والزينة.....	ص295
أ)	اللباس والزينة.....	ص295
أ-1)	الأزياء والملابس.....	ص296
أ-1-1)	لباس التونيك (Tunic).....	ص297
أ-1-2)	لباس ستولا (Satola).....	ص298
أ-1-3)	الدماسة (Dalmatica).....	ص299
أ-1-4)	لباس التوجا (Toga).....	ص299
أ-1-5)	لباس البالا (Palla).....	ص299
أ-1-6)	لباس البنولا (Ben ola).....	ص300
أ-1-5)	الباليوم (Pallium).....	ص300
أ-1-6)	المشدات (Dorsets):.....	ص300
ب)	الاحذية والقبعات.....	ص300
ب-1)	القبعات (غطاء الرأس).....	ص301
ب-2)	الأحذية.....	ص301
ج)	الحلاقة وتصفيف الشعر.....	ص302
د)	الحلي والمجوهرات.....	ص303
د-1)	الأساور.....	ص303

303	د-2) الخلاخيل.....ص
304	د-3) الدبايس.....ص
304	د-4) القلائد والعقود.....ص
304	د-5) الخواتم.....ص
305	هـ) الوشم.....ص
306	VI-2-2) المرأة والعلم.....ص
306	أ) المرأة واللغة والكتابة.....ص
307	ب) المرأة والفلسفة.....ص
307	ب-1) أريتّي (Arête).....ص
308	ج) المرأة والطب.....ص
309	د) المرأة والمحامة.....ص
310	VI-2-3) المرأة والفن.....ص
310	أ) الموسيقى (عزف وغناء) والرقص.....ص
312	ب) التمثيل.....ص
313	VI-2-4) المرأة والرياضة.....ص
314	أ) المرأة والفروسية.....ص
315	ب) المرأة وسباق العدو.....ص
316	ج) المرأة والمصارعة.....ص
319	خاتمة.....ص
324	الملاحق.....ص

قائمة البيليوغرافيا.....ص355

فهرس الموضوعات.....ص391

الملخص: تتناول هذه الرسالة احد المواضيع التي لم تحظ بالاهتمام الكبير في الدراسات التاريخية المتعلقة ببلاد المغرب القديم، ألا وهو موضوع المرأة في بلاد المغرب القديم على مختلف الفترات الزمنية منذ ما قبل التاريخ والعصور الحجرية إلى غاية الفترة الرومانية وما بعدها، وبرغم من وجود إشارات له في مختلف المصادر بنوعها الكلاسيكي و الأثري، لكن يبقى من المواضيع التي تحتوي على الكثير من الغموض والإبهام ، لذا سعينا في المحاولة منا بإعطاء البحث نوع من الدراسة والإلمام بمختلف جوانبه اجتماعيا سياسيا وحتى اقتصاديا ودينيا كذلك، ،عن طريق جمع تلك المعلومات المتناثرة هنا وهناك في مختلف المصادر والدراسات وتحليلها وإعطاء الفرضيات ونقدها، ومحاولين في ذلك إبراز مكانة وأهمية المرأة التي احتلتها في بلاد المغرب القديم داخل الأسرة و المجتمع.

الكلمات المفتاحية: المرأة، الزواج، الأسرة، الأطفال، الملكة، المحاربة، الزراعة ،الصيد والرعي، الآلهة، الكاهنة، القديسة، اللباس والزينة، العلم، الطبية ،الرياضة، بلاد المغرب القديم.

Abstract:

This thesis deals with one of the topics that did not receive much attention in the historical studies related to the countries of the ancient Maghreb, which is the issue of women in the countries of the ancient Maghreb over the various periods of time since prehistory and the stone ages until the Roman period and beyond, despite the presence of references to it In various sources, both classic and archaeological, but it remains one of the topics that contain a lot of ambiguity and ambiguity. Therefore, we sought in our attempt to give the research a kind of study and knowledge of its various aspects, socially, politically, and even economically and religiously as well, by collecting that information scattered here and there in various sources and studies, analyzing it, giving hypotheses and criticizing it, trying to highlight the status and importance of women that occupied it in the countries of ancient Maghreb within the family and society.

Keywords: Women, marriage, family, children, queen, warrior, agriculture, hunting and herding, gods, priestess, saint, dress and adornment, science, female doctor, sport, ancient Maghreb.